



تاريخ
الحضارة الإسلامية
في العصور الوسطى

الدكتور عبد المديت مرمجة

تاريخ الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط

تألف

الدكتور عبد المصطفى عمّاج

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب ،
والخبير الوطني بمركز الدراسات البردية
بجامعة عين شمس
وعضو المجالس القومية المتخصصة

الطبعة السابعة

(مزيدة ومنقحة)

١٩٩٦

الناشر

مكتبة الأبحر المصيرية
١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

ما لم يعلمه مسلم كله لا يترك كله

فإن العلم ببعض خير من الجهل بالكل

أبو الفدا

(ت : المحرم ٧٣٢ هـ / أكتوبر ١٣٣١ م)

فهرست المبحث

تمهيد :

مقدمة : مشكلة الأصول :

معنى كلمة الحضارة - اسس الحضارة الاسلامية - عوامل
المزج .

الفصل الاول : التنظيم السياسى :

التشريع الاسلامى - الخلافة - الوزارة - الدواوين - التراسل -
البريد - شئون المال - الادارة المحلية - القضاء - نظر المظالم -
الحسبة - الشرطة - الجيش - الاسطول .

الفصل الثانى : المجتمع :

تكوين المجتمع - المدينة - الزى - الحياة الاجتماعية - خصائص
القصور - الرسوم - انواع التملية .

الفصل الثالث : الثقافة :

مشكلة الأصول - دعائم الثقافة : اللغة والتعليم - العلوم
الدينية - علم التفسير - علم القراءات - علم الحديث - علم الفقه -
علم الكلام - علم التصوف - علم الادب - النظم - النثر - علم التاريخ
الاسلامى - العلوم العقلية - علم الفلسفة - العلوم الرياضية - علم

الهيئة - علم الجغرافيا - علم الخرائط - علم الطب - علم الصيدلة -
علم الكيمياء - علم الطبيعة - الفنون - الموسيقى •

الفصل الرابع : أثر الحضارة الاسلامية فى اوربا :

تركز الحضارة فى المشرق والمغرب الاسلاميين - طرق وصول
الحضارة الاسلامية الى اوربا - الدليل على امر الحضارة الاسلامية
فى اوربا •

تدهور الحضارة الاسلامية :

الخاتمة :

جدول المصادر والمراجع :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَهْـمِد

من يفهم التاريخ الاسلامى فهما صحيحا اذا لم يعرف تاريخ حضارته . فهذا المبحث يحقق الهدف الذى رعى اليه المؤرخ ابن خلدون فى مقدمته ، بدراسة التاريخ على اساس حضارى . فيتناول بالمبحث : التنظيم السياسى ، والمجتمع ، والثقافة ، وهى خصائص كل حضارة .

ونحن فى الشرق ، نشعر بضرورة وجود بحث شامل يستشف الخصائص المختلفة فى حضارتنا الاسلامية . ولكن الى وقتنا هذا لا نجد كتابا يقوم على العظم الصحيح ؛ يجمع اطراف الحضارة الاسلامية ، غير ما اظهره بعض المستشرقين ، وهى كتب مفيدة جدا ، الا انها لا تبرزها من وجهة النظر الشرقية ، التى تستطيع تتبع مراحل الابداع فى حضارة المسلمين .

هذه الحضارة الاسلامية استمرت ما يقرب من الف عام ، اى معظم العصور الوسطى . وقد حدث لها تطور خلال حقبتها الطويلة ؛ الا اننا سننظر اليها من خلال دورها فى مجموعها ، وليس على عصور . كذلك ستكون دراستنا لها عن طريق دراسة التعبيرات الاصطلاحية ، فهى عندنا بمثابة العمد ، التى تدل على اصالة هذه الحضارة . وسنجد اغلبها عربية ، مما يبين ان العرب همضوا الحضارات قبلهم ؛ واوجدوا حضارة لهم ؛ تحمل سميتهم . وبسهل مهمتنا اننا - لحسن الحظ - لازلنا نعيش فى ظل الحضارة الاسلامية وتقاليدها .

ويحاول المؤرخون الاسلاميون بعامة ، ان يصفوا لنا الحضارة الاسلامية بانها ازهى الحضارات ، وانها سيدة كل حضارة حتى الحضارة الحديثة . ولكن - كما نعلم - فان كل حضارة غير كاملة ، وان الكمال المطلق غير موجود ، والا وقف التطور . فسيكون هدفنا هو ان نضع الحضارة الاسلامية فى مكانها المستحق ، وهو مكان رفيع على كل حال .

تصدير الطبعة الرابعة

ان طبع هذا الكتاب للمرة الرابعة ، دليل على اهميته ، فهذا المبحث يلاحق التطور المنهجى ، ويتناول تاريخ الحضارة الاسلامية من وجهة النظر الشرقية ؛ ليكون مرجعا علميا .

تصدير الطبعة الخامسة

ان طبع هذا الكتاب للمرة الخامسة ، جاء بناء على طلب من جمهور المثقفين ؛ مزيدا ومنقحا وملاحقا للتطور العلمى فى تخصصه .

المؤلف
ماجد

المقدمة

مشكلة الأصول

معنى كلمة الحضارة - أسس الحضارة الإسلامية - عوامل المزج

ولدينا تعاريف كثيرة لكلمة حضارة ومعناها ، فهي بالنسبة للمسلمين فى العصور الوسطى بتعبير ابن خلدون (ت ١٤٠٦/٨٠٨) : احوال زائدة على الضرورى من احوال العمران (١) ، او بمعنى آخر رفاهة العيش . لذلك فهي تظهر فى المدن والأمصار والبلدان والقرى أى فى الحضر ، ولا تظهر فى البادية ، حيث ان البدو فى نظر ابن خلدون هادمون للحضارة ، ولا تظهر فى البادية ، حيث ان البدو فى نظر ابن خلدون هادمون للحضارة ، يحلون الحياة ويجعلونها كالصحارى ، وان كانوا قابليين للحضر ؛ اذ الانسان مبدئى بالطبع أى غايته التحضر (٢) ؛ ولذا فالحضر خلاف البدو .

وفى رأى ابن خلدون أيضا ان هناك حالة تغابل الحضارة هى ما يسميه : بالملك (٣) ، ويقصد به السيادة ؛ فالملك فى رأيه ضرورة لازدهار العمران . وهذا استدراك حكيم من ابن خلدون يدل على فهمه فى أن الحضارة لا يكفى أن تكون فى الحضر ، ولكن يجب أن تلازمها سيادة ، ويعنى آخر نظام واستقرار ؛ حتى تنمو وتزدهر وتتطور .

ومنذ القدم ، وقد وجدت عند العرب كلمات فى معنى البداوة

(١) المقدمة ، القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٤ .

(٢) نفسه ، ص ٣٣ ، ٩٦ - ٩٧ ، ١١٨ ؛ وايضا : ابن منظور « لسان » ،

بولاق سنة ١٣٠٠ هـ ، ص ٢٧١ وما بعدها .

(٣) المقدمة ، ص ٣٤ ، ١١١ وما بعدها .

والحضر ، مثل : الوير والمدر والحدرد والحجر (١) . فالوير هو صوف الابل والأرانب ونحوها من الحيوان ، الذى يصنع منه البدوى خيامه وملابسه ، وتعنى اهل البادية ، وقيل اهل الوير أى اهل البوادرى . اما المدر فهو قطع الطين المتماسك ، وهو ما يبنى منه فى القرى أو المدن ، ليعنى الحضرة ، وقيل اهل المدر أى اهل المدن أو الحضرة ؛ فمثلا سُمى العرب مصر بالمدررة السوداء (٢) ، كناية عن أنها تتكون من قرى ومدن . كذلك الحدرد هو الأرض المنحدرة ، التى لا يبنى عليها لتعنى البادية . وعلى العكس ، فإن الحجر يعنى المدينة ، ولذا وجدنا فى الجزيرة العربية عدة مدن باسم الحجر (٣) .

كذلك يطلق العرب على لفظة الحضارة التمدن أو التمدين (٤) ، أى التمتع بالاقامة فى المدينة ، وهى بهذه اللفظة الأخيرة ، تطابق الكلمة اللاتينية القديمة Civitas (جمع Civitates أى التمدن ، من Civis أى ساكن المدينة ، ومنها اشتقت الكلمات الأوروبية الحديثة الدالة على الحضارة ، مثل : الكلمة الفرنسية Civilisation ، والانجليزية Civilization والألمانية Zivilisation ، وعكسها الهمجية ، وهى باليونانية القديمة واللاتينية barbarus ، وسكانها Barbari ، أى غير المتحضرين .

والحضارة التى نحن بصددتها توصف بالعربية أو الاسلامية . ولكن لا يجب أن نأخذ هذين اللفظين بمعناهما الحقيقى . فوصفها بالعربية أو الاسلامية ، لا يعنى اطلاقا أن سكان الجزيرة العرب ،

(١) نمان ، ٧ ، ص ١٣٣ وما بعدها . ص ٧ وما بعدها ، ٥ ص

٢٤٤ وما بعدها ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

(٢) ابن الحكم : فتوح مصر والمغرب والأندلس ، تحقيق Torrey ، طبعة New-Haven ، سنة ١٩٢٠ ، ص ٤ س ٨ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، القاهرة سنة ١٣٢٤ / ١٩٠٦ ، ٢ ، ص ٢٢٠ - ٢٢٤ .

(٤) المققدمة ، ص ٩٧ ؛ الفيروزابادى : المحيط ، ٢ ، ص ٥٦٤ ، باب النون (مدن) ؛ انظر : Dozy ، Suppl 2ed, 2, P. 575 .

الذين اعتنقوا رسالة الاسلام ، هم وحدهم الذين اسهموا فيها . فالمقصود باللفظين الاشارة الى اصطلاحين يشملان جميع الشعوب والامم التى تكلمت العربية ، وعاشت فى دار الاسلام فى ظل حكم الخلافة الاسلامية ؛ بصرف النظر عن الجنس او الدين . ولذلك يدخل فيها مع العرب الفرس والمصريون والسوريون والمغاربة والاسبان والارمن ، كما يدخل فيها مع المسلمين النصارى واليهود وأيضا المجوس والصابئة .



وليس من السهل معرفة اسس الحضارة الاسلامية ، ذلك لأنها كائى حضارة لم تظهر من العدم ، وانما سبقها حضارات هى مصادرها . فالحضارة القائمة تكون دائما خلاصة او انتقاء لما فى الحضارات السابقة ، وإن اضافت اليها عناصر جديدة ، حتى تتميز بشخصية خاصة . فالحضارة أخذ واعطاء ، ونتيجة مشتركة لعناصر قديمة واخرى جديدة ، وإن القديم والجديد يوجد بعضه بجسائب بعض ، كما يحجب بعضه البعض ، وأحيانا يغير بعضه على بعض . ومع ذلك يمكننا أن نقول ببساطة ان اسس الحضارة الاسلامية ترجع أولا الى العرب ، وثانيا الى سكان البلاد التى فتحها العرب .

والعرب يقصد بهم سكان الجزيرة العربية داخلها واطرافها . وبينما كان داخل الجزيرة العربية بادية لا ماء فيها ولا زرع ، ولا تساعد على الاستقرار وانما على البداوة ؛ فإن اطرافها او ما كان يسمى بالتهائم ، عبارة عن وديان تسقط عليها الامطار لاحاطة البحر بها ، مما اوجد الزرع والتجارة ، وترتب عليه التحضر . ومنذ القدم وهذه التهائم او الوديان تشمل مراكز حضارية من صنع العرب ، بعضها لا تعرف منه غير الاسم ، وبعضها ترك اثار او نقوشا يدل على قيامها . ففى شرق الجزيرة العربية وجدت حضارات الكلدانيين والآشوريين ، وفى شمالها وجدت حضارات الاراميين (الارميين) والكنعانيين - او الفينيقيين كما سماهم الاغريق - والانباط

والصفويين ، وفى الجنوب وجدت حضارات المعينيين والمسبائيين والحميريين ، وفى الغرب على طول ساحل البحر الأحمر (المقازم) ، وجدت مدن متفرقة ترك أهلها آثارا او نقوشا ، مثل : الثموديين ، والمحيانيين والمكيين .

ونحن لا نستطيع ان نبين اثر هذه الحضارات العربية القديمة التى قامت فى اطراف الجزيرة العربية فى الحضارة الاسلامية . فهذه الحضارات القديمة لم يكشف عن أغلبها الا فى العصر الحديث ، نتيجة لتقدم العلم ، وفك رموز النقوش التى كتبت بخطوط الجزيرة القديمة ؛ بحيث ان بعض العلماء الحديثين يعتبرون حضارات عرب ما قبل الاسلام من التاريخ القديم (١) ، وليس من التاريخ الاسلامى ، الذى هو فى العصور الوسطى . ولعل العرب الذين تنسب اليهم الحضارة الاسلامية ، لم يكونوا هم انفسهم على علم بحضاراتهم القديمة او بتفاصيلها . وفوق ذلك ، فقد حدث - قبل الاسلام - فى الجزيرة العربية موجة جفاف وقحط (٢) ؛ فكان سكانها فى داخلها واطرافها فى حالة بدو مانعة للتحضر .

ولكن ظهر عامل هام فى تاريخ جزيرة العرب ، نعتقد انه السبب فى ان العرب اسهموا بنصيب كبير فى الحضارة التى نحن بصدها ؛ ونقصد به عامل الدين الاسلامى ، الذى ظهر فى قلب الجزيرة العربية على يد النبى ؛ فالاسلام اسم لم يكن موجودا قبل مبعث النبى (٣) . فكان ظهور الاسلام معجزة عصره ؛ لما ترتب عليه من انتشار العرب

(١) انظر : Avec les manuscrits arabes, : Kratchkovsky trad. du Russe par Canard. Alger, 1954, P. 164.

(٢) والدليل على ذلك هجرة اليمنيين الى الشام والخليج : (عربى (الفارسي) . انظر ، مثلا : ابن هشام ، تحقيق Wust ، طبعة Gottinger. سنة ١٨٥٩ ، ص ١ ، ابن صاعد : كتاب طبقات الامم ، تحقيق شيخو ، بيروت سنة ١٩١٢ ، ص ٤٦ ؛ انظر : Arabia. Cairo, 1942. P. 7. : Huzyyin.

(٣) ابو حاتم الرازى : الزينة فى المصطلحات الاسلامية العربية ، تحقيق حسين الهمدانى ، القاهرة سنة ١٩٥٦ ، ص ٩٣ .

فى الأرض كغزاة وفلتحين . وقد عقد المؤرخ ابن خلدون فصلا جاء فيه ان العرب لا يحسن لهم الملك - اى الاتحاد والقوة - الا بصفة دينية من نبوة ، او اثر عظيم من الدين (١) . يضاف الى ذلك ان الاسلام جاء من بين الاديان ؛ ليعبر عن الحياة العربية بما فيها من تقاليد ، وينزعه الانشائية من تنظيم وتشريع ، جعله يسهم فى انشاء حضارة ذات طابع عربى اسلامى . ومنذ العصور القديمة كان للاديان اثر كبير فى الحضارة ، بحيث ان الفنون والاداب والعلوم يدور فلكها حول الدين . ومن قبل اسهمت الجزيرة العربية فى الحضارة عن طريق الاديان مثل اليهودية والمسيحية ، وكلاهما دين مساوى ، ظهر على اطراف الجزيرة الشمالية ، وانتشر بين العرب ، وكان له اثره فى الحضارات السابقة واللاحقة .

اما سكان البلاد التى فتحها العرب ، فكانوا فى جملتهم على عكس العرب من المتحضرين ؛ لان اغلبهم يعيشون فى مناطق الوديان والانهار ، وليس فى الصحارى - كما هو الحال فى الجزيرة العربية - وهم عموما ورثة الحضارات القديمة سواء فى البحر الابيض او الحضارات الآسيوية ، وكلاهما له اثره فى حضارة الاسلام .

فكانت حضارات البحر الابيض تشمل حضارات مصر وميز بوتاميا - اى بلاد الجزيرة - وفينيقا واليونان والرومان . ولكن الحضارة التى كان لها الاثر الاكبر فى حضارة الاسلام هى الحضارة اليونانية (٢) ، التى سادت وحدها فى منطقة البحر الابيض ، منذ غزو الاسكندر الاكبر فى الشرق ، واستمرت حتى وقت مجيء الفتح الاسلامى . ومع ذلك ، فان حضارة اليونان لم تخلق نفسها بنفسها ، وانما جاءت مزيجاً من حضارات سابقة ، وبخاصة الحضارة المصرية القديمة (٣) . ولما ورث الرومان اليونان فى البحر الابيض ، لم يأتوا

(١) المقدمة ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢) ابن صاعد ، ص ١٩ ؛ انظر بتفصيل ، شيدر : روح الحضارة العربية ، ترجمة عن الألمانية الأستاذ عبد الرحمن بدوى ، القاهرة سنة ١٩٤٩ .

(٣) انظر ، قول ؛ ابن صاعد ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ - ٤٠ . ذكر هيرودوت

في الحضارة بجديد ، وكانوا تلامذة لليونان (١) ، وان جعلوا على نشر الحضارة اليونانية في امبراطوريتهم ، التي اتسعت اتساعا هائلا . ولما جاءت المسيحية في الشرق لم تغير من حضارة اليونان ، بل غذتها غذاء روحيا . ومع ذلك فالحضارة اليونانية التي عرفها العرب لم تكن وافدة من بلاد اليونان مباشرة ، وانما كانت بؤرتها في مصر التي فتحها العرب ، حيث كانت الاسكندرية وريسة اثينا (٢) ، وفي بلاد البحر الابيض الشرقية بما فيها بيزنطة .

اما الحضارة الاسيوية ، فنقصد بها حضارات الصين والهند وفارس ووسط آسيا ، وهي تمتد الى آلاف السنين قبل الاسلام . ويبدو ان معظم عناصرها قد وصل الحضارة الاسلامية عن طريق فارس على الخصوص (٣) ، التي تمثلت منذ زمن بعيد حضارات آسيا . ومع ان فارس نفسها كانت قد وقعت في وقت ما تحت نفوذ اليونان في عهد الاسكندر الاكبر ودولة السلوقيين (٤) ؛ فانها استطاعت ان تتخلص من الفسوذ الهليني (٥) ، بقياس دولتي الارشاكانيين

نلك في تاريخه ، وكذا هوميروس في الوديسا ؛ انظر بعده .
ويقول المؤرخ الانجلىزى توينبى "Toynbee" : انها ظهرت -
مثل كل حضارة اخرى - نتيجة لبعث التحدي ، والامتحان .
Challenge and Reponse (Défi optimum).

- (١) ابن صاعد ، ص ٣٥ - ٣٦ ؛ انظر :
Bilan de l'Histoire. Paris, 1946, P. 14. : Grousset.
- (٢) ابن صاعد ، ص ٣٦ ؛ انظر : اوليري ، مسائل الثقافة الاغريقية الى العرب ، نقله الى العربية الامتلا تمام حسان ، القاهرة سنة ١٩٥٧ ، ص ٣٦ وما بعدها .
- (٣) المقدمة ، ص ١٣٧ م ١٩ ؛ وايضا : ابن صاعد ، ص ١٦ - ١٧ .
- (٤) نسب دولتهم الى "Seleuços" ، اجد قواد الاسكندر ، وهي حكمت في الشرق من ٣١٢ ق . م . الى ٨٤ . انظر :
Histoire des Lagides. 1934. P. 43, 52-55. : Bevan.
- (٥) اوليري : مسائل الثقافة ، ص ١٦٥ وما بعدها ؛ انظر ايضا :
Grousset et Massignon : L'Année de l'Iran. Paris, 1931. P. ٩٧٩ ; 84.

"Arsacides" (١) ، ثم الساسيين (٢) : الفارسيين . كذلك كان بعد فارس عن منطقة البحر الأبيض مما جعلها تحتفظ بمزيج حضارى آسيوى خاص ، تملحه العرب المسلمون بفتحها ؛ مما كان له أكبر الأثر فى الحضارة الاسلامية . بل ان جميع الاجناس التى مرت بفارس فى اثناء العصور الاسلامية ، مثل الترك والمغول مستحول الى ايرانية ؛ مما يدل على قدرة فارس على الاحتفاظ بطابع خاص .



ونحن لو تتبعنا تاريخ قيام الحضارة الاسلامية ؛ لوجدناها جاءت نتيجة لعوامل مزج بطيء ، شان كل حضارة . فالحضارة الاسلامية لم تظهر فى القرن السابع الميلادى ، وهو الوقت الذى ظهر فيه الاسلام ، وكان يحكم فيه الخلفاء الراشدون فى الحجاز ؛ ذلك لان معظم العرب كانوا من البدو خالى الوفاض من الحضارة ، وان حملوا معهم الدين الاسلامى ، ثم انهم كانوا مشغولين بالفتوحات ، ولم يتوفر لديهم الوقت الكافى للاهتمام بالحضارة . وحتى بعد ان انتقلت العاصمة من المدينة فى الحجاز الى دمشق فى الشام على يد الامويين الذين خلفوا الراشدين فى الخلافة ؛ فان العرب بقوا يحتفظون بظروف معيشتهم فى الجزيرة العربية دون تغيير ، فيمكنون الامصار على سيف الصحراء فى بيوت من الوبر والصوف (٣) . وعلى النقيض منهم ، كان سكان البلاد التى فتحها العرب يعيشون حياتهم الحضرية ، التى ساعد على نموها ان العرب اوجدوا فى البلاد التى فتحوها وضعاً من الاستقرار . ولكن منذ اواسط حكم الامويين ظهرت عوامل مزج نظن انها كانت المسبب فى ظهور الحضارة الاسلامية .

فمنها ، عامل اول ؛ هو التعريب ، ويقصد به جعل لغة

(١) نسبة الى ارشك الاول "Arsaces" (٢٤٨ - ٢٣٦ ق - م) ، مؤسسها . حسن بيرينا ، ايران قديم ، طهران سنة ١٣١٣ هـ ش ، ص ١٢١ وما بعدها .

(٢) نسبة الى ساسان جد اردشير ، مؤسس الدولة . انظر ، دونالد ولبر ، ايران ، ترجمة الاستاذ عبد النعيم ، القاهرة سنة ١٩٥٨ ، ص ٤٢ .

(٣) المقدمة ، ص ٢١١ من ٢٢ - ٢٣ . هذه ملاحظة ابن خلدون .

الفاتحين ، وهي اللغة العربية ، اللغة الرسمية فى الدواوين - أى المصالح الحكومية - ولغة التعامل مع الفاتحين . فقد كانت الخلافة العربية تشتمل على اجناس تتكلم لغات متعددة ، تستعملها فى الدواوين ، وفى معاملاتها مع الفاتحين ، مثل : الفارسية واليونانية والقبطية . ولكن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٦٨٥/٨٦ - ٧٠٥) جعل اللغة العربية اللغة الرسمية ، بحكم انها لغة القرآن المقدسة ، ولغة الفاتح ، بحيث أن تعلمها كان من طاعة العرب . فاقبلت الشعوب المفتوحة على تعلمها ، وهجرت لغاتها ، واصبحت العربية - ما يسميها ابن خلدون - لسانا حضريا (١) ، فى جميع امصار الاسلام . وعلى ذلك ، فان اللغة العربية هى الاداة التى جعلت مجتمع العرب يتسع رويدا رويدا ، حتى صارت حدوده تمتد من البر العربى للخليج الفارسى شرقا الى المحيط الاطلسى غربا .

عامل ثان ، هو ترك شعوب الخلافة العربية لاديانها ، وتحولها الى الاسلام . فهذا التحول - ولا ريب - كان عاملا فى ابراز حضارة الاسلام ؛ اذ ان الشعوب التى اسلمت لم تكن قد انقطعت صلتها بحضاراتها السابقة ؛ وان كانت فى ظل الدين الجديد ابتعدت عن كثير من عناصرها ، واكتسبت عناصر جديدة غيرت من معتقداتها وتفكيرها . وامسباب انتشار الاسلام بين الشعوب المفتوحة اثارت اقوالا كثيرة ؛ وان كان من المقطوع به انه لم ينتشر بحد السيف (٢) ، او كما فعل الخليفة الأموى التقي عمر بن عبد العزيز (٣) (٩٩ - ٧١٧/١٠١ - ٧٢٠) ، الذى كان متحمسا لنشر الاسلام ، واستخدم فى ارضاء الشعوب المفتوحة وسائل الاغراء بتنظيم الضرائب

(١) نفسه ، ص ١٩٣ س ١٣ ، ص ٣٠١ .

(٢) انظر رأينا بالتفصيل فى كتابنا : الدولة العربية ، ط ٧ ،

١ ص ١٦٢ - ٣ .

(٣) ابن الجوزى ، مناقب عمر بن عبد العزيز ، تحقيق Becker ، طبعة Leipzig ١٨٩٩ : انظر . ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم وعابدين والنمراوى ، الجيزة ١٩٤٧ ، ص ٧٦ ؛ ماجد ، الدولة العربية ، ص ٢٦٠ - ٢٦٦ . (فيه مصادر متعددة) .

وحسن المعاملة ؛ ولكن هذا أيضا لم يكن السبب فى تحول الشعوب المفتوحة الى الاسلام . وانما كان الشرق مهيا لمولد دين جديد ، يبدو هذا من كثرة المناقشات ، التى تتناول عقائد الاديان الموجودة وبخاصة المسيحية والمجوسية . فيكفى ان نذكر بالنسبة للمسيحية تعدد المجامع التى عقدت للمناقشة فى جوهر الدين المسيحى (١) . بل ان المعتنقين للمسيحية ، كانوا يفتخرون من التلمذة اليونانية الوثنية ، وبخاصة الافلاطونية الحديثة - نسبة الى افلوطين (٢) (Plotinus) (حوالى ٢١٦ م) - وهى التى ظهرت للتوفيق بين عقيدة المسيحية والعقل ؛ لعل ذلك يضع حدا للقلق الدينى . اما بالنسبة للمجوسية ؛ فقد ظهرت محاولات اصلاحية دينية من مانوية ومزدكية ، نسبة الى مانى ومزدك او مزدوق (٣) ؛ من انبياء المجوس . فلما ظهر الاسلام برايه الجديد فى العقيدة ؛ نجد ان الشعوب التى فتحها العرب ، تسعى الى اعتناقه ؛ ولاسيما انه جمع خصائص كل الاديان السابقة من يهودية ومسيحية ومجوسية ؛ اذ هو كما ورد بتعبيره فطرة الله ، التى فطر الناس عليها (٤) . فقد كان الاسلام يستطيع ان ينسجم مع كل معتقد ببساطة ؛ فهو اول من اوضح بطريقة لا تحتاج الى برهان طبيعة الله الواحد المجرد ؛ على عكس ما سبقه من الاديان ، التى كانت تناقش الطبيعة الالهية ، ولا تصل فيها الى قرار . فكان التحول الى الاسلام من شأنه هو الآخر ان يتسبب فى ظهور الحضارة التى سميت باسمه .

عامل ثالث ، متصل بالعاملين السابقين مهد ايضا لقيام الحضارة

-
- (١) مثلا : ساويرس بن المقفع ، تاريخ المجامع (Pat. Or) . حققه وترجمه Leroy ، ٢/٩ ص ٤٨٥ وما بعدها .
- (١) هو مصرى من اسيوط . عن ذلك ، انظر . أوليرى ، مسالك الثقافة ، ص ٣٤ وما بعدها .
- (٢) اليعاقبى ، تاريخ ، تحقيق Houtsma ، طبعة Lug - Rat ، ١٨٩٣ ، ١ ص ١٨٠ وما بعدها ؛ انظر . ماجد ، الدولة العربية ، ١ ص ١٩٥ وما بعدها .
- (٣) القرآن ٣٠ : ٣٠ .

(٢ - الحضارة)

الاسلامية هو ثورة الشعوب المفتوحة على الخلافة الأموية . فقد كان العرب الفاتحين فى عهد الأمويين يحتقرون الشعوب المفتوحة ويطلقون على اهلها اسم رعايا أى ان العرب رعاتهم ، مثل رعاتهم للأغنام ، واهل ذمة اذا كانوا من اهل الكتاب ، أى ان العرب هم الذين يدافعون عنهم . ولما تحولت هذه الشعوب الى الاسلام ، كان من المنتظر أن تحسن الخلافة الأموية معاملتها لهم ، بحكم الأخوة الاسلامية ، التى نص الاسلام عليها بصراحة . ولكن الطبيعة العربية المتعجرفة يومئذ رفضت ذلك ، واصبحت كلمة مولى تطلق على من اسلم من غير العرب ، بمعنى أنه يتبع العرب ، وليس مساويا لهم فى الحقوق او فى القيمة (١) . فكانت كلمتا مولى وعربى متقابلتين طوال الفترة الأخيرة من حكم الأمويين . وقد تدخل الخليفة الأموى التقي عمر بن عبد العزيز لصالح الشعوب المفتوحة بالقضاء على سوء المعاملة ، ولكن الحال ما لبثت أن عادت الى ما كانت عليه بعد موته . لذلك ظهرت حركة ثورية من جانب الشعوب المفتوحة عرفت باسم الشعوبية وهم اهل التسوية (٢) ، على اساس البحث عن حياة افضل . وقد استطاعت الشعوبية ان تسقط الخلافة الأموية ، وتقيم الخلافة العباسية ، التى اعتمدت على عناصر غير عربية ، ولا سيما الفرس . ولكى توطن الخلافة العباسية مركزها بين الشعوب غير العربية - ولاسيما الفرس - اتخذت تقاليدهم فى اداة الحكم والحياة . ولذلك سميت الخلافة العباسية - فى نظر مؤرخى المسلمين - اعجمية (٣) ؛ بسبب اعتمادها على شعوب غير عربية ، على عكس الخلافة الأموية ، التى سميت عربية . فكان مجيء الخلافة العباسية نقطة تحول هام فى تاريخ الحضارة الاسلامية ؛ اذ اعتبر عصرها العصر الذى تم فيه نمو الحضارة الاسلامية .

(١) لسان ، ٢٠ ص ٢٨٩ وما بعدها ؛ انظر . النجار ، الموالي فى العصر الأموى ، القاهرة ١٩٤٩ ، Ency (art Mawla) 13, P. 479

(٢) ابن عبد ربه ، العقد : القاهرة ١٣٠٢ هـ ، ٢ ص ٨٥ وما بعدها ؛ انظر Ency (art Sh'ubiyā) 4. P. 410 : ماجد ، الدولة العربية ،

٢ ص ٢٢٧ - ٢٣٠ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، نشر وتحقيق Provençal — Colin, Lévi ، طبعة Leiden ، ١٩٤٨ - ١٩٥١ ، ٢ ص ٦٤ س ٤ .

عامل رابع ، له صلة بالعامل السابق كان سببا في ازدهار الحضارة الاسلامية ، هو التفتت السياسى لوحدة الخلافة العباسية . فقد حدث قطع فى دار الاسلام نتيجة للجهود القومية ، التى استمرت تبذلها الشعوب التى اسلمت ، وظهرت بوادرها بسقوط الخلافة الاموية ، ثم زادت لقيام الخلافة العباسية . وكما قضت الشعوبية على الخلافة الاموية ؛ فانها هى ايضا التى قضت على وحدة الخلافة العباسية . فبعد ثلاثة قرون من ظهور الاسلام ، نجد العالم الاسلامى تتوزعه ثلاث خلافات : خلافة بغداد العباسية ، وخلافة القاهرة الفاطمية ، وخلافة قرطبة الاموية ؛ كما تتنازع دول اخرى كثيرة . فكان الانحلال السياسى سببا في ازدهار الحضارة الاسلامية لتعدد مراكزها ، وتنوع عناصرها التى جاعتها من كل شعب فى دار الاسلام ؛ بحيث استكملت الحضارة الاسلامية معظم عناصرها فى القرنين الرابع والخامس الهجريين .

ومن ناحية اخرى نجد ان غزو المغول لدار الاسلام فى القرن السابع الهجرى - وهم عنصر وثنى غريب عن شعوب دار الاسلام - لم يقض على الحضارة الاسلامية ؛ ذلك لان الحضارة الاسلامية كانت قد رسخت وثبتت اقدامها ؛ وان كان مجيء المغول قد تسبب فى نقل مركز الحضارة من العراق الى مصر ؛ حيث بلغت فيها ازدهارها باقوى مما كانت عليه فى اى عهد سابق للاسلام (١) ؛ اذ ان مصر هى الوحيدة من بين دول الاسلام ، التى استطاعت ان تصد زحف المغول . كما نجد ان المغول انفسهم بعد استقرارهم بين المسلمين قد تحولوا الى الاسلام ، واخذوا بمظاهر الحضارة الاسلامية ، مع ان من شاهد مذابح المغول وتدميرهم لمراكز الحضارة الاسلامية (٢) ، ظن ان الحضارة الاسلامية قد قضى عليها ، وان بعث هذه الحضارة من جديد يحتاج الى آلاف السنين .



(١) المقدمة ص ٣٤٤ ؛ انظر . بعده .

(٢) مثلا ، انظر . ابن بطوطة ، رحلة ، ط ٢ ، مصر ١٣٢٢ هـ ، ٦

والخلاصة أن الحضارة الإسلامية وجدت أسسها في العرب والشعوب المفتوحة ، وأن عوامل وظروفا ظهرت ببطء وعملت على المزج بين مؤهلاتهم ؛ مما أوجد هذه الحضارة ، التي حملت سميتهم جميعا .

الفصل الأول

التنظيم السياسى

التشريع الاسلامى - الخلافة - الوزارة - الدواوين -
التراسل - البريد - شئون المال - الادارة المحلية - القضاء - نظر
المظالم - الحسبة - الشرطة - الجيش - الاسطول .

ونحن اذا تتبعنا عناصر الحضارة الاسلامية وجدناها عناصر
موجودة فى كل حضارة ، فتشمل التنظيم السياسى والمجتمع
والثقافة . ومع ذلك ، فلنا ملاحظة فى ان التقدم فى الحضارة
لا يسير فى خطوط مستقيمة ، وانما يسير فى اتجاهات متعددة ،
تشمل كل جهود البشرية السابقة ، وما يضاف اليها . كذلك لا تستطيع
حضارة من الحضارات ان تزعم بانها خير من التى قبلها فى كل وجه
من وجوه تقدمها ؛ اذ ان لكل حضارة مجهودا معيناً فى تقدم البشرية .



ويجب ان نعرف ان قيام اية جماعة متحضرة لا يتصور الا فى
ظل نظام قانونى او دستورى ؛ وهذا النظام فى الحضارة الاسلامية
يتمثل فيما يعرف بالشريعة او الشرع او التشريع . فالدين الاسلامى
على عكس بعض الاديان الاخرى عقيدة ونظام ، يجمع بين الدين
والقانون . فالتشريع الاسلامى سرعان ما اصبح اساس القانون فى
البلاد المفتوحة باعتراف اهلها للإسلام ، وحل مكان القوانين التى كانت
سائدة فيها ، وبخاصة القوانين الرومانية (١) ، التى جمعها
الامبراطور البيزنطى جستنيان "Justinianus" (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ،
وعرفت باسمه : "Codex Justinianus" او المبادئ القانونية
Institutiones (٢) ، ثم اضاف اليها قوانين جديدة عرفت

(١) انظر : Roman Law in Mediaeval Europe , : Vinogradoff.

London, 1909 ؛ وايضا : عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، النظم والحضارة

القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٢ وما بعدها .

(٢) انظر . مدونة جستنيان فى الفقه الرومانى ، ترجمة عبد العزيز

فهمى ، القاهرة ١٩٤٦ .

باسم : *Lex Gothorum* ؛ اذ جعلها اساس الحكم فى الامبراطورية البيزنطية ، كما حل التشريع الاسلامى مكان قوانين الدولة الفارسية ، والقانون القوطى فى اسبانيا "*Lex Gothorum*" بل انه اخذ مكان العادات والاعراف المائدة ؛ التى كانت تنظم المجتمعات بجانب القوانين . ولقد كان اثر التشريع الاسلامى اكثر فاعلية مما قامت به القوانين السابقة ، ذلك لان من اسلم كان لابد له ان يلم بالتشريع الاسلامى ، على عكس القوانين الرومانية او الفارسية او القوطية ، التى لم يكن يعرفها غير رجال القانون المحدودين . ولقد اصبح انتشار الاسلام معناه انتشار القانون والنظام .

وعلى كل حال ؛ فان القرآن اصبح مصدر التشريع الاسلامى الاول ، وان الله بوحيه اياه هو الشارع الاول للامة الاسلامية . ولم يرد اليها ما يؤيد ان النبى قام بجمع القرآن فى كتاب واحد ، وانما كان يملأ ما ينزل به الوحي على بعض الصحابة ، الذين عرفوا بكتاب الوحي . وظروف نزول القرآن ، جعلت حفظه اساس معرفته ؛ لانه كان ينزل على النبى وهو سائر او فى اى وقت . وان كنسا فى حل من ان نقول ان ترك النبى جمع القرآن فى حياته فى كتاب واحد ، لا يرجع الى ان النبى كان اميا ؛ فكلمة اُمى فى القرآن تعنى انه لم يكن من اهل الكتاب كالنصارى واليهود . ولكن النبى مثل بقية العرب يحبذ الحفظ فى صدور الرجال على الكتابة ، وان الله خير حافظ له فى الصدور . كذلك لم يرض ابو بكر ومن بعده عمر ، وهما الخليفتان بعد النبى ، ان يقوموا بعمل لم يقم به النبى ؛ فلم يجمعهما فى كتاب واحد . وان كان ابو بكر جمعه باجتهاده الخاص لنفسه - مثل بقية الصحابة - ليمسح على هده ، وهو القرآن الذى ورثه عمر بعده ، وذلك دون ان يفرضاه على احد . ولكن عثمان ابن عفان (٢٤ - ٦٤٤/٣٥ - ٦٥٦) ، وهو الخليفة الثالث ، اخذ على عاتقه جمع القرآن فى كتاب موحد (١) ، وعهد فى جمعه الى

(٢) عن ذلك ، انظر : مثلا : ابن ابي داود ، كتاب المصاحف تحقيق Jeffery : طبعة Leiden ، ١٩٣٧ ؛ السيوطى ، كتاب الاتقان فى

لجنة من كبار المسلمين ، أهم أعضائها زيد بن ثابت . فاتخذت اللجنة ما جمعه - الصحابة - ولاسيما أبو بكر - أساسا لجمعها . فكان جمعها له في سور وآيات على حسب تلاوة الرسول ، وليس على حساب نزولها التاريخي ، وبلغت أربع عشرة ومائة سورة ، وستا وثلاثين ومائتين وستة آلاف آية . وقد سمي هذا القرآن : « مصحف عثمان » أو « المصحف » فقط ، وكتبت منه عدة نسخ سيرت الى الامصار ؛ ليكون عليه الاعتماد دون غيره . ومع ذلك ؛ فإن العمل الذي قام به عثمان كان غير تام ، لأنه لم يكن من المستطاع أن يعرف قراءة القرآن غير أهل الحجاز ، لعدم وجود النقط على الحروف ؛ فكانت الحزوف متشابهة - فأنتم الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٧١٤/٩٥) ، عامل الأمويين في العراق ، ما قام به عثمان ؛ فاضاف الى النص علامات هي النقط ؛ لتمييز الحروف (١) .

ولكن المجتمع الاسلامي الذي اتسع ، ولم يعد محصورا في الحجاز ، كان يحتاج الى نصوص تشريعية جديدة . ولم يكن هناك سبيل الى اضافة نصوص جديدة الى القرآن ، أو احداث تغيير فيه يتناسب مع حالة المجتمع المتطور ، حتى يلبي الحاجات الجديدة للمسلمين ، أو لأنه بمرور الزمن لم تعد نصوصه محدودة المعاني . ولهذا تطلب الحال ظهور مصدر جديد للتشريع ، لا يقتضى مع مبادئ التشريع الواردة في القرآن . فنعوا الى جمع للحديث أو الأحاديث النبوية (٢) ، وهى اقوال النبی وأفعاله خاصة بالعقيدة والحياة ،

= علوم القرآن ، ط ٣ ، مصر ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ ، الجزء الاول ؛
Geschichte des Qorans, : Noldeke
Gesch. des Qorans, : Schwally , Gottingen, 1860
Die Sammlung des Qorans. Leipzig, 1919.
Le Coran. Introd, Paris, 1947 : Blachère ؛

Paris, 1947 ؟ ملجد ، الدولة العربية ، ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٢ « توجد فيه

مصادر ومراجع كثيرة » .

(١) حاجي خليفة ، كشف الظنون عن اُسامى الكتب والفنون ، استانبول

١٣١١ هـ ، ١ ص ٤٦٧ - ٤٨٦ .

(٢) مثلا ، انظر : حاجي خليفة ، ١ ص ٤٧٢ وما بعدها ؛ المقدمة ،

ص ٣٥٠ - ٣٥٢ ، ٤٥٢ ؛ انظر : 6 — 102 p. (art Hadith) t2, Ency

نقلت عنه فى مناسبات عديدة ، حيث سميت أيضا بالسنة ؛ لضرورة اتباعها ؛ فكانت المصدر الثانى للتشريع الإسلامى ؛ اذ تحوى احكاما وقوانين كثيرة للمجتمع الإسلامى المتطور . وقد كانت الأحاديث النبوية كالقرآن فى أول الأمر غير مدونة ؛ وانما كانت محفوظة فى الصدور ، او مكتوبا بعضها فى صحائف متفرقة ، عرفت بصحائف الحديث . ولكن بدىء فى تدوينها فى اواخر القرن الثانى وبداية الثالث الهجريين ؛ وذلك حينما احتيج اليها . ولكى يطمئنوا على صحتها ، نقلوها فى سلسلة من الرواة الحفاظ الموثوق بهم ، وهو ما عرف بالاسناد والسند ، اى نقلها من فلان عن فلان حتى تصل الى النبى او الى السلف الأول من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين . وقد دعاهم ذلك الى البحث عن طريقة توصلهم الى معرفة صحة اقوال النقلة ، وقدرتهم على الحفظ ونزاهتهم ، وقربهم او بعدهم عن النبى ، وهو ما عرف اصطلاحا : « بالجرح والتعديل » . وزيادة فى الحيطة ؛ فان الشيعة ، كانوا يجمعون الحديث عن طريق ائمتهم وحدهم ، وسماه اخبارا وليس سنة (١) .

وبذلك تم للتشريع الإسلامى اصوله ؛ ولكن المجتمع الإسلامى المتطور باستمرار ، جعل المسلمين يبحثون عن مصدر ثالث للأوانين ، فلجأوا هذه المرة الى شرح الاصول - وهما القرآن والحديث - او ما عرف بالفقه او علم الفروع (٢) ؛ وتقابله فى اللاتينية كلمة : *Jurisprudencia* ، التى كانت تعنى معرفة العلوم الالهية والبشرية . ولهذا جرى العرف عند المسلمين على ان يقارن التشريع

=

Etudes sur la tradition islamique. Extraites du : Goldziher ; tome 2, des "Muhammedanische Studien" ; tradus,tes par Bercher. Paris, 1952.

Le dogme et la loi de l'Islam. trad. Felix. Paris. 1920.

، انظر بعده بتفصيل .

(١) النعمان ، دعائم الاسلام ، تحقيق ناصف فيضى ، القاهرة ١٩٥١ ،

١ ص ٦٤ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٥٣ وما بعدها ؛ الجرجاني ، كتاب

التعريفات ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، القاهرة ١٩٧٣ ، ط ٢ ١ ص

١٣٩ ؛ Le Califat, Paris, 1926 : Sanhoury ؛ انظر . بعده بتفصيل .

الاسلامى بشجرة لها اُصول وفروع ، اصولها القرآن والحديث ، وفروعها شرح الاصول او الفقه . وقد عرفت اوجه مختلفة للفقه ، منها : الاجتهاد والاجماع والقياس والزائى والاستحسان والنظر والفتاوى والمصالح المرسله - اى مصلحة الامة - والتقليد والاستنباط . . . كذلك طائفة الشيعة ترى ان الامام وحده له حق تفسير الاصول ؛ فهو المجتهد المطلق ، اما غيره ، فاذا سمح له الامام ، فهو المجتهد المقيد . ولعل الشيعة قصرت اشراق الامام على الفقه خوفا من المبالغة ؛ بحيث ان السنة نفسها كانت تقفل ايضا باب التفقه خوفا من الفوضى فى التشريع . وقد اعطى الفقه التشريع الاسلامى المرونة ، فنشأت على اساسه مدارس او مذاهب كل منها يفسر الاصول متأثرا بظروف الحياة وتطورها ، حتى ان بعضها اندثر ؛ لانه لم يعد يتماشى مع تطور الحياة الاسلامية . وطالما كانت هذه المدارس او المذاهب موجودة ، طالما كان التشريع الاسلامى ينبض بالحياة ،

مما رايانه من نمو التشريع الاسلامى ننبذ فكرة ان التشريع الاسلامى متأثر بتشريع الرومان او الفرس او غيرهم ؛ فهو تشريع اسلامى صرف (١) ، يعبر عن طبيعة المجتمع الاسلامى المتطور . فلم يثبت لدينا اطلاقا علميا ان التشريع الاسلامى اخذ عن اى قانون آخر ، او انه وجد فيه اى تعبير لاتينى او فارسى او غيره ؛ فضلا عن وجود نظم فى التشريع الاسلامى لا اصل لها فى اى تشريع آخر . فهو تشريع له طابع دينى ؛ بقصد ان يسمو بمبادئ الحياة ؛ على عكس القوانين المدنية التى لا تطمع فى مثل العليا .

ولكن بانتهاء حضارة الاسلام المزدهرة فى العصور الوسطى ؛ وخين افاق المسلمون فى العصر الحديث ، وجدوا ان تشريعهم الذى تركوه اصبح جامدا لم يعد يساير تطور الحياة . لذلك اخذ المسلمون فى العصر الحديث ، فى البحث عن قوانين جديدة فى غير التشريع

(١) انظر اقوال فى ذلك : Schacht

Hamidullah ; Muhammadan jurisprudence. Oxford, 1950

Influence of Roman law on Muslim law. ap. j. of the

Hyderabad Academy Medras, 1943 ؛ احمد امين ، فجر الاسلام :

الاسلامى ، عند الدول التى أصبحت بيدها زمام الحضارة ، ولاسيما قوانين الدول الغربية الأوروبية . فنجد أغلب دول الشرق الاسلامى فى العصر الحديث ، أخذت أساس تشريعاتها من قوانين فرنسا . ومع ذلك ، فإن للتشريع الاسلامى يعتبر أوسع القوانين التى وجدت ، منذ ظهور الحضارة .



وقد كان الامناء على الشريعة الاسلامية ، هم الذين يحكمون الأمة الاسلامية بعد موت النبى ، اذ سادت فكرة انه لايد من وجود خليفة للنبى ، يسهر على تنفيذ الشريعة . وهذه الفكرة فى تولية خليفة للنبى نجد انها عند الشيعة عقيدة وايمان (١) . فكان ظهور نظام الخلافة يعتبر جديدا مستحدثا فى نظم الحضارة ، يغير كل المفاهيم نظم « الامبراطورية » او « الملكية » ، التى كانت معروفة لذلك الوقت (٢) .

ولم يحدد الاسلام ممثلا فى القرآن شخصية خليفة النبى ومدى سلطته ، وانما نشأ نظام الخلافة فى سقيفة - اى بيت - بنى ساعدة - احدى العشائر - فى المدينة ، على أساس مبدا الاختيار من قبل الرعية لخليفة النبى فى قريش عشيرته ؛ ذلك لانه فى ذلك الوقت لا رئاسة بدون هصبية (٣) ؛ وان توفرت فيه بالضرورة صفات القيادة التى تتوفر فى شيخ العرب ، والسبق الى الاسلام . وقد تم اختيار الخليفة الاول أبى بكر على هذا الأساس ، واستمر مبدا الاختيار قائما بعده طول مدة الخلفاء الاربعة ، وهم الذين سسموا بالراشدين (٤) ، لانهم جميعا كانوا من صحابة النبى ، المرشدين من قبله للسير على نهجه فى الحكم . ولكن منذ معاوية تحول النظام

(١) قالوا بنى الاسلام على سبع دعائم : الولاية (اى للامام) ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد . دعائم الاسلام ، ١ ص ٣ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٦٢ وما بعدها .

(٢) انظر ملاحظة : الرئيس ، النظريات السياسية الاسلامية ٢ ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٩٧ .

(٣) المقدمة ، ص ١٢١ ، ١٥٣ - ١٥٥ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، مصر ١٣٤٨ هـ ، ص ١٧٨ ؛ لسان ، ٤ ص ١٥٦ .

الخلافة إلى ملك عضبود (١) ، على غرار ما كان عند القرص والبزنطيين ، بأن يكون وراثيا في أسرة معينة ؛ بحيث أنه كان من الممكن أن يتولى خلافة النبي طفل ؛ فتولى الخلافة من بنى أمية بنو حرب ثم بنو العاص (أو العاصي) ، وجاء بعدهم بنو العباس ، وهم من بنى هاشم أسرة النبي . وعلى الرغم من تحول الخلافة إلى نظام وراثي ؛ فقد بقيت لها مساحة ديمقراطية بما منحها الفقهاء من شروط يجب أن تتوفر في شخص الخليفة ، جعلوها أربعة أو سبعة ، إذا لم تتوفر استجيز تنحيته (٢) ، أهمها : العلم والكفاية وحسن الرأي وسلامة الحواس والأعضاء ؛ أما النسب القرشي فأصبح موضع نقاش ؛ بسبب أن العباسيين اعتمدوا على الأعاجم ؛ بحيث إن فرقة الخوارج - إحدى فرق المسلمين - كانت ترى أن الخلافة لأي شخص عارف بالكتاب والسنة (٣) .

وفي رأي المستشرق جب "Gibb" (٤) : أنه وإن كان مظهر الخلافة منذ معاوية قد تغير إلى حكم الأسرات ؛ ألا أن من ورائه توجد أسباب خفية دعت إلى هذا التغيير ؛ تؤكد اتجاهات المجتمع المتطور . فمن تنازع على - آخر الخلفاء الراشدين - مع معاوية - مؤسس الخلافة الأموية - يتبين أن خلافة على تلخص الحكم الذين يعتمد على أهل الحجاز وحدهم ، بينما المجتمع المتطور الذي تزعمه معاوية ، يرى القضاء على الحكم المحدد ، فنقل الخلافة إلى الشام . كذلك بالنسبة للنزاع بين الأمويين والعباسيين ؛ فإن الأمويين يرون أن يكون العرب وحدهم في حكم الدولة ، أما العباسيون فيرون أبعد

- (١) أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، مصر ١٣٢٥ هـ ، ص ١٨٣ .
 (٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية مصر ١٩٠٩ ، ص ٤ و ١٤ وما بعدها ؛ المقدمة ، ص ١٥٢ - ١٥٥ .
 (٣) ابن حزم ، الفصل في الملل ، مصر ١٣٢٠ هـ ، ط ١ ، ص ٢ ، ص ١١٣ ؛

انظر .

Some observations on the significance of, Heresy in the : Lewis-
 History of Islam. Studia Islamica. Paris, 1953. tI, P. 47.

(٤) أنظر .

The Evolution of Government in, Early Islam. Studia : Gibb
 Islamica Paris, 1955 t. Iv, p. 5 sqq.

من تلك ، يبحث يشترك جميع اعضاء المجتمع الاسلامى عربيا وغير عرب ، قطعنا تغيير مظهر الحنك من راشدين الى امويين الى عباسيين ، يؤكد الاتجاهات للمجتمع الاسلامى ، الذى كان يتطور دائما .

ومنذ او الامر يتولى خليفة النبى منصبه بما عرف بالبيعة او المايعة (١) ، وهى كلمة تعنى العهد على الطاعة من جانب المسلمين لشخص خليفة النبى ، الذى دعا القرآن الى طاعته (٢) ؛ وان عقدا قد تم بينه وبينهم ؛ بمقتضاه يتولى الحكم برضاهم . هذا العهد على الطاعة يكون للخليفة وحده وليس لزوجته ، وذلك على عكس ما كان يحدث فى الدول المسيحية كبيزنطة مثلا ، التى كانت تولية الملك الحكم تعنى تولية زوجته معه . ومع ذلك وجدنا زوجات للخلفاء او زوجات بعض امراء الخلافة وملوكها يطلق عليهن لقب الملكة (٣) .

هذه الطاعة تكون من الخاصة والعامة على السواء ، وليس من قبى الرجال وحدهم ، وانما تكون من قبل النساء ايضا . وقد ذهبت الشبهة الى وجوب دخول النساء فى البيعة (٤) ، فقد ورد ذكر مبايعتهن للنبى فى القرآن ، وسميت مبايعته الاولى قبل الهجرة الى يثرب باسمهن : مبايعة النساء (٥) . وكانت البيعة فى اول الامر تتم للرجال بالمصافحة ، او بالقسم تأكيدا للطاعة ، وهو ما عرف

(١) هذه الكلمة وردت فى القرآن ٤٨ : ١٠ . انظر . المقدمة ، ص ١٦٥ .

(٢) القرآن ٤ : ٤٩ ؛ (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) .

(٣) السجلات المستنصرية ، تحقيق ماجد . القاهرة ١٩٥٤ ، بعنوان : ٣٥ و ٤٧ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ .

(٤) على بن محمد ، تاج العقائد ، ترجمه Ivanow ، بعنوان : Creed. of the Fatimids. Bomby, 1936. P. 43 ، ماجد ، نظم الفاطميين ،

١ ص ٦٤ .

(٥) القرآن : ٦ : ١٢ : انظر ابن هشام ؛ ١ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ؛ ماجد ،

الدولة الفاطمية ، ١ ص ١٠٧ . وهى تنمى ايضا بيعة العقبة الاولى . عن هذه المكان ، انظر : معجم البلدان ، ٦ ص ١٩٢ .

بإيمان البيعة ، وإن كانت للنساء من غير لمس أو مصافحة (١) . كذلك سرعان ما دخلت البيعة تقاليد وعادات غريبة عن الاسلام ، تشبه ما كان عند الفرس والبيزنطيين . فقد كان الخليفة يتزيا بعمامة مزدانة بالجواهر اشبه بالتاج (٢) ، ويبايعه الناس بتقبيل الارض أو اليد أو الرجل أو الذيل ، فى حفل يحضره جميع المسئولين فى الدولة . وكانت بيعة الخليفة تعلى فى المساجد - ولا سيما فى الحرمين (٣) - بسبب أن الحجاز مهد الاسلام ، وقبله المسلمين جميعا ؛ وترسل الكتب الى جميع الاقطار باعلان بيعته ، كما كان ينقل اسمه على العملة « المسكة » ، ويطرز على الملابس الرسمية ، التى توزعها الدولة على موظفيها .

وكان خليفة النبى يطلق عليه فى عهد أبى بكر لقب (٤) : « خليفة رسول الله » ، وهو لا يعنى بانه خليفته فى النبوة ، ولكنه جاء بعده فى حكم أمة المسلمين ، بمعنى النيابة . ولذلك لما تولى عمر بن الخطاب الخلافة ؛ تلقب : « بخليفة خليفة رسول الله » ، أو حتى « بخليفة أبى بكر » ؛ وإن اختصره الى « خليفة » فقط ؛ للتسهيل . ثم أن عمر بن الخطاب أضاف لقباً آخر مناسباً لعهد الفتوح ، هو لقب : « أمير المؤمنين » . ولعل اختيار عمر لقب « أمير » بدلا من « ملك » ، مع أن كلا منهما يدل على صاحب السلطة العليا ، قد يفسره أن لقب أمير كان يعنى من ولى جهة من جهات المسلمين أو سرية أو جيشا ، بينما لقب ملك كان يعنى - كما ورد القرآن - التعسف بالناس ؛ وأما « المؤمنين » فقد اتخذها عمر لتعنى للمسلمين الذين دخل الاسلام الى قلوبهم ، وخرجوا للجهاد فى سبيله . ويبدو

(١) الكامل ، ٢ ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) ابن ميسر ، تاريخ مصر ، تحقيق Massé ، القاهرة ١٩١٩ ، ص ٥٢ - ٥٣ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٦٥ - ٦٦ ؛ انظر . بعده . (٣) المسعودى ، مروج الذهب (التحقيق الاورى) ١ ص ٣٦٢ ؛ انظر . منظر الحضارة الاسلامية ، ترجمة أبى ريذة ، ط ٢ ، ص ٤ .

(٤) عن هذه الالقاب ، انظر . المقدمة ، ص ١٥١ ، ١٧٩ - ١٨٠ ؛ انظر . ماجد . نظم الفاطميين ، ١ ص ٧٢ وما بعدها ؛ الرئيس ، النظريات ، ص ٩١ وما بعدها .

ان لقب امير المؤمنين كان مألوفاً عند العرب وقتذاك ؛ فقد كان سعد ابن ابي وقاص ، أحد قواد المسلمين في فتح فارس يتسمى به . ولم تولى على بن ابي طالب الخلافة ، اتخذ لقب « امام » (١) بما فيه من معنى الهادى للمسلمين في دنياهم ودينهم ، كما كان يفعل النبی في الأمة الاسلامية ، او تشبها بامام الصلاة ؛ واصبحت وظيفته تسمى : « الامامة العظمى أو الكبرى » ؛ نتميزها عن امامة الصلاة وهى : « الامامة الصغرى » . فهذا اللقب « امام » اُسفَى على الخلافة سلطة دينية بجانب سلطتها الزمنية حتى لا يسهل معارضتها . هذه الألقاب الثلاثة : خليفة ، وامير المؤمنين ، وامام ، تعتبر اهم القاب خليفة النبي .

ولكنها زادت بمجىء العباسيين والفاطميين وغيرهم ، الذين اعتمدوا في الحكم على عناصر غير عربية . فظهر لهم ما يعرف باللقب الذى يشتمل دائماً على كلمة الله ، مثل الحاكم بأمر الله ، والحافظ لدين الله .. الخ ، وذلك بقصد تأييد سلطانهم ، وتمييز بعضهم عن البعض . كذلك اضافوا لهم تسمية عامة لا تدل على لقب ، ولكن على نعت ، ويقصد بها السلطة او النفوذ ، هى : « السلطان » . كما اضافوا الفاظاً اخرى عديدة تستعمل في مخاطبتهم ، مثل : « مولانا » و « سيدنا » و « الحضرة » ، وهى تقابل كلمة "Auguste" ، التى كانت للـوك البيزنطيين (٢) . وكذا أصبح لخلفاء الشيعة عبارات خاصة بهم تذكر عند ذكر اسمهم ، مثل : « صلى الله عليه وسلم » (٣) . واصلها في الدعاء لابراهيم وآله في الصلاة . ومع كل هذه الألقاب والالفاظ ؛ فان خلفاء الاسلام كانوا يظهرون التواضع والخضوع لله ؛ فيسبقون اسماءهم في المكتوبات الرسمية بعبارة متداولة ؛ هى « عبد الله ووليه » (٤) .

(٣) على الخصوص : لسان ، ١٤ ص ٢٩١ ؛ انظر أيضاً :
Ency. (art Imam) t 2, p. 503.

(١) انظر .

La civilisation byzantine, trad, Lévy. Paris, 1952, Runciman
p. 62 — 3..

(٢) دعائم ، ١ ص ٤٨ .

(٣) انظر مثلاً : السجلات المستلمية .

وكانت سلطة الخليفة هي أساس الحكم في الدولة الإسلامية تتلخص كما يقول الفقيه الماوردي في كتابه : الأحكام السلطانية ، حراسة الدين وسياسة الدنيا (١) أو بمعنى آخر رعاية الدين والاشتغال بالسياسة وفن الحكم ؛ فهي بذلك رئاسة عملية . وقد بقيت سلطة الخليفة الراشدي أو الأموي تحتفظ بمساحتها الديمقراطية إلى حد ما ؛ فقد كانوا يبقون على نظام الشورى . الذي نص عليه القرآن والحديث (١) . ولكن في العصر العباسي أخذت هذه السلطة طابعا اوتقراطيا ، مستمدا من نظم الفرس ؛ فلم يعد الخليفة خليفة رسول الله ولكنه خليفة الله (٢) ، لقيامه في خلق الله ، من قوله تعالى : (انى جعل فى الارض خليفة ٢ : ٣) ؛ وان كان الخلفاء الأوائل مثل أبى بكر نهوا عن هذه التسمية . فقد أصبح الخليفة يحكم كما كان يحكم ملوك الفرس بنظرية حق الملوك المقدس أو الحق الإلهي للملوك ؛ "The divine right of kings" ؛ وان من يعارضه يعتبر خارجا على الدين "Lèse - Majesté" . ولكى نلمس مدى تطور سلطة الخليفة يكفيننا المقارنة بين بمسطة عمر بن الخطاب ، وبين ابنة هرون الرشيد . كذلك بولغ في سلطة الخلفاء الفاطميين ، حيث كان للخليفة منهم صفة العصمة من جميع الخطايا ؛ الكبائر والصغائر (٤) . فكان الناس في مصر يقولون الارض له في الشوارع اذا مر ، كما يعلق التجار بضائعهم على متاجرهم ، حتى تنالها البركة من نظر الخليفة (٥) .

(١) الأحكام من ٣ .

(٢) القرآن ٤٢ : ٣٨ .

(٣) الماوردي ، ص ١٢ ؛ المقدمة ص ١٥١ . ربما يكون ذلك ظهر أيضا منذ عبد الملك ابن مروان ؛ الذي شبه نفسه بأنه ظل الله في الارض . مصنف مجهول « لعله جزء من انساب الاشراف للبلاذرى » ، Ahlwardt ، طبعه Creifswald ، ١٨٨٣ ، ص ٣٣ من ٣ ؛ انظر . ماجد ، الدولة العربية ، ٢ ص ١١٨ .

(٤) الشهر ستاني ، الملل والنحل ، تحقيق Cureton ، طبعه London : ١٨٤٦ ، ص ١٠٩ ؛ انظر . كاشف الغطاء ، الشيعة ، ط ١٠ ،

من ١٢٨ .

(٥) المفريزي . الخطط ، ط . مصر ١٣٢٤ هـ ، ٣ من ٣١٤ من ١١-١٢ .

وقد استمرت الخلافة واحدة في اول الامر لان العقلية الاسلامية لم تكن تقبل تعددها ، وان من يعارضها او يدعيها يعتبر خارجا على الامة الاسلامية . فكان بقايا الامويين الذين فروا الى الأندلس بعد قيام الخلافة العباسية ، مع استقلالهم عن هذه الخلافة ، لا يتسمون بالخلفاء ، وانما بابناء الخلاف (١) . ولكن لما انتصرت الدعوة الشيعية الفاطمية في المغرب على يد ابناء فاطمة وعلى ، رأى هؤلاء انهم احق بالخلافة من العباسيين ؛ لأنها في اعتقادهم جاءت نتيجة لموصاية النبي لعلي (٢) ؛ لتبقى في بيته الى يوم القيامة . وفي رأيهم ايضا ان الخلافة ليست قضية سطحية تناط باختيار العامة ، وانما هي ركن الدين ، وان النبي لم يغفلها (٣) ؛ فاوصى بها الى اهل بيته . ولذلك اتخذ أئمة الشيعة لانفسهم القاب الخلافة مثل العباسيين (٤) ، وكان هذا بداية لتعدد الخلافة . ونجد الفقهاء يرضخون امام الامر الواقع ، ويحاولون تفسير تعدد الخلافة بامكان السماح بعقد شرعى لأكثر من شخص (٥) ، ويحتجون في ذلك باتساع رقعة الاسلام ؛ وان لم يمنع من ان كل خلافة تنظر الى الأخرى عنى انها غير شرعية .

فصارى القول ان نظام الخلافة حمل في طياته مبادئ ديمقراطية ، وان تحوله الى سلطة وراثية او دكتاتورية يخالف

(١) الكامل ، ٦ ص ٢٦٠ ص ٣ .

(٢) دعائم ، ١ ص ٢٠ - ٢١ ، ٢٤ - ٢٥ : الفغالى ، فصائح الباطنية ، تحقيق Gold ، طبعة Leiden ، ١٩١٦ ، ص ٣٨ انظر عنها بتفصيل : ماجد نظم الفاطميين ، ١ ص ٥١ وما بعدها .

ففى اثناء حجة الودع فى السنة العاشرة من الهجرة بالقرب من غدير خم ، قام محمد خطيبا فى الحجيج ، فقال لهم : « ائت اولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ » . قالوا . « بلى يا رسول الله ، قال : « فمن كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » .

(٣) الملل ، ١ ص ١٠٩ : المقدمة ، ص ١٥٥ .

(٤) المقرئى ، اتعاظ الحنفاء ، تحقيق الشيال ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٩٢ .

(٥) الاحكام ، ص ٦ .

وقد كان الخليفة فى أول الامر يشرف على كل شئون الدولة بنفسه ، وإن استشار بعض المقربين اليه . ولكن فيما بعد لم يتمسك الخلفاء كثيرا بهذا الاشراف المباشر لاتساع رقعة الاسلام ؛ بحيث أن الخلفاء كانوا يختارون من يساعدهم فى تصريف شئون دولتهم ، وبخاصة الادارية منها ، وذلك بين كبار موظفيهم ، الذين يطلق عليهم لفظة الكاتب (١) .

ولما انتقلت نظم الفرس الى الدولة الاسلامية فى عهد العباسيين ، نقلوا منها نظاما يساعدهم على تصريف جميع شئون الدولة ، حتى السياسية منها ، هو نظام الوزارة (٢) . وقد عمل الفقهاء على أن يصبغوا الوزارة بصبغة اسلامية ؛ فربطوا بينها وبين بعض آيات قرآنية مثل : « واجعل لى وزيرا من اهلى ، هارون اخى ، اشد به ازرى ٢٠ : ٢٩ - ٣٢ » . كذلك جعلوا نفظة الوزارة مشتقة من المؤازرة اى المعاونة ، او من الازر اى الظهر واحتمال الامور . وربما يكون منصب الوزير قد ظهر من قبل فى العصر الاموى (٣) ، ومع ذلك لم يصبح نظاما ثابتا الا فى عهد العباسيين .

وقد تطورت سلطة الوزير فى تصريف شئون الخلافة الاسلامية ؛ وكانت تتوقف على مدى سلطة الخليفة من قوة وضعف . فقد عرفنا نوعين من الوزارة الاولى وزارة التنفيذ ، ومعناها أن الوزير ينفذ امر الخليفة . الذى يشرف على جميع تصرفاته ، والثانية وزارة التفويض ، ومعناها تفويض شئون الخلافة الى وزير يديرها براه ، ولا يستشير فيها الخليفة ، اى أن الخليفة يملك ولا يحكم : *Régner sans gouverner* . ولكننا لا نعرف اصل هذين النوعين

-
- (١) الجهمارى « كتاب الوزارة والكتاب » ، حققه السقا والابيارى وشلبى ، ط ١ ، القاهرة ١٣٥٧/١٩٣٨ ، ص ١٥ وما بعدها .
 (٢) عن نظام الوزار - انظر . المقدمة ، ص ١٨٦ وما بعدها ؛ الاحكام ، ص ١٨ وما بعدها .
 (٢) ربما كان ذلك لى عهد مروان بن محمد الجعدى ، آخر الامويين .
 الجهمارى ، ص ٩٦ .

من الوزارة ، أو تاريخ ظهورهما ، وهما اللذان ذكرهما الماوردي لأول مرة فى القرن الرابع الهجرى ، فى كتابه : « الاحكام السلطانية » .

وقد احاط الفقهاء هذين النوعين من الوزارة بقواعد وقوانين؛ بحيث انهم جعلوا الاولى يتولاها ارباب الاقلام اى المدينون ؛ ولذا سميت ايضا وزارة القلم ، والثانية يتولاها ارباب السيوف ، اى رجال الحرب ، ولذا سميت ايضا : وزارة السيف ؛ كما انهم جعلوا من غير الممكن ان يتولى الثانية غير مسلم ، لسيطرة هذا النوع من الوزارة على شئون الامة الاسلامية ، ادارية وحربية ودينية . ومع ذلك نجد ان وزارة السيف قد تكون وزارة تنفيذ ؛ كما انه قد يتولى مسيحى وزارة التفويض (١) ؛ وان كان الخليفة فى هذه الحالة يشرف بنفسه على الشئون الدينية .

ومع ان الوزارة الاسلامية كانت واحدة غالبا ؛ الا انه فى الاندلس قد صنفت اعمال الوزراء ، وافرد لكل عمل وزير ، واصبح يطلق على رئيسهم : الحاجب ، وهو اسم عرفه امويو الشام . ايام خلافتهم فيها ، بمعنى حجب الخليفة عن العامة بتنظيم الدخول عليه ، وبمعنى المعاونة ايضا .

وتلخص العمل الاساسى للوزير سواء اكان وزير تنفيذ او وزير تفويض ، فى الشئون الادارية . ويجب الا يغيب عنا ان التنظيم البسيط لاداة الحكم ، الذى ظهر فى عهد الاسلام الاول قد تعقد تعقيدا كبيرا فيما بعد بمجىء الخلافة العباسية ، التى نقلت الى اداة الحكم كثيرا من النظم الفارسية ، فضلا عما ورثته من النظم البيزنطية فى مستعمرات بيزنطة السابقة . فنجد فى تنظيم اداة الحكم الاسلامى مصطلحات عديدة تدل على نظم فارسية وبيزنطية او غيرهما ؛ تستعمل متلفة معا فى جميع ارجاء الخلافة الاسلامية . ولما انقسمت وحدة المسلمين السياسية ظهرت الصبغة المحلية فى النظم

(١) مثلا : ولى الخليفة الفاطمى الحافظ وزارة التفويض لاحد النصارى ، وهو بهرام . عن ذلك : ان ميسر ، ص ٧٩ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ص ٨٤ - ٨٥ .

الادارية ؛ بحث اصبحت تتميز بعضها عن بعض من مكان الى آخر .
وقد بلغت الدقة فى اداة الحكم للخلافة الاسلامية درجة كبيرة لم
تبلغها نظم ادارية الفتى الدول من قبل ؛ بحيث تخصص مؤلفون فى
الكتابة عنها (١) . ولا ريب فى أن تضخم النظم الادارية الاسلامية
راجع الى الرغبة فى ارضاء حاجيات المجتمع الاسلامى المتطور .

وقد نظم القرآن باسلوبه الدينى بعض شئون الامة الاسلامية
الاولى ؛ ولكن عمر بن الخطاب يعتبر واضع اسس الحكم الاسلامى من
الناحية العملية ؛ ويعبر عن ذلك بقول المؤرخين : أن عمر اول من
وضع الديوان او دون الدواوين (٢) . وكلمة الديوان وجمعها
دواوين ، هى كلمة فارسية ، كانت تعنى فى اول الامر السجل الذى
يكتب فيه ما يختص بشئون الادارة ، ثم اصبحت تدل على المكان
الذى يعمل فيه الكتاب - جمع كاتب - وهم رجال مدنيون من ارباب
الاقلام . وقد كان معظم هؤلاء من اهالى البلاد المفتوحة ؛ لأن اغلب
العرب لاسيما فى اهل امرهم ، لم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة
الا فى النادر . ولذلك لم يشترط فى الكتاب أن يكونوا عربا او
مسلمين ؛ وان اشترط عليهم الخليفة عبد الملك بن مروان أن يعرفوا
اللغة العربية . فقد كانت الدواوين الى وقته لا تكتب بالعربية الا فى
الاقليم العربية ، اما فى غير ذلك فتكتب بلغات البلاد التى فتحها
العرب : فكان ديوان الشام يكتب بالسريانية او باليونانية ، وديوان
مصر بالقبطية ، وديوان فارس بالفارسية . ولكن عبد الملك بن مروان
امر بنقل الدواوين الى العربية ؛ مما ترتب عليه أن اصبحت الادارة
عربية منذ عهده فى جميع انحاء الخلافة .

ولقد اصبحت لموظفى الدواوين فى الدولة العباسية شان كبير ؛
فقد كانت لهم علامات تميزهم عن غيرهم من رجال الدولة ، وترمز

(١) من بينها مثلا ، انظر . ابن ممتى ، قوانين الدواوين ، القاهرة
١٩٤٣ .

(٢) الجهشيارى ، ص ٣ ، ١٦ - ١١٧ ؛ المقدمة ، ص ١٩٢ وما بعدها ؛
الاحكام ، ص ١٧٥ وما بعدها ؛ انظر :
Ency (art Diwān) t 1, P. 1006; (art Kātib) t 2, P. 868;

اليهم ، منها : الدواة والكرسى والمخدة والمسند والمرتبة (١) ، وهى أدوات تستخدم فى الكتابة والجلوس فى الديوان ، كما ان الكبار منهم كانت لهم القباب اخصها : الشيخ (٢) ، ويتميزون فى ملابسهم بعمائم كبيرة تتفاوت فى ضخامتها على حسب مراتبهم ، بحيث اصبح يطلق على طبقة الكتاب : « اصحاب العمائم » (٣) .

وقد كان عمل الدواوين يتلخص عموما فى الادارة المركزية والادارة المحلية : فالاولى تشمل التراسل وشئون المال ، والاخرى تشمل ادارة الولايات .



اما عن التراسل ، فنعرف ان النبى ﷺ والخلفاء بعده ، كانوا يتبادلون الرسائل مع الملوك وغيرهم من عمالهم وموظفيهم . وقد احكم نظام التراسل على ما يظهر فى عهد الامويين ، واصبح له ديوان خاص فى عهد عبد الملك بن مروان ، يعرف : « بديوان الرسائل » ، وبقي هذا الاسم فى عهد العباسيين ليبدل على هذا الديوان (٤) . كما انه فى مصر فى عهد الفاطميين سمي بهذا الاسم ايضا ، وان غلب عليه اسم : « ديوان الانشاء والمكاتبات » (٥) ، الذى بقى ليبدل على ديوان الانشاء فى مصر بعدهم .

(١) صحيح الاعشى ، ٣ ص ٤٩٠ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) الخطط ، ٢ ص ٢٤٤ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٠١ .

(٣) نفسه ، ٢ ص ٣٥٢ ؛ نفسه ، ٢ ص ٦١ .

(٤) الجيشارى ، ص ٣٥ ؛ العقد ، ٢ ص ٣١٧ ؛ المقدمة ، ص ١٩٤ .

(٥) عنه ، انظر . ابن الصيرفى ، قانون ديوان الرسائل ، تحقيق على بهجت ، القاهرة ١٩٠٥ ، ترجمة Massé ، بعنوان :

“ Code de la Chancellerie d'Etat ” :

; B. I. F. A. O. tx, Le Caire, 1914, PP. 65-120

الخطط ، ٢ ص ٢٤٤ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٠٤ وما بعدها ؛ Björkmann :

Beiträge zur geschichte der Staatskanzlie
im islamischen. Agypten. Hambourg, 1928.

وقد أصبح يصل هذا الديوان لمعقدا ، فتعددت اختصاصاته ، وكثر من يعملون فيه . فقد وجد فيه كتاب رئيسيون يقومون بالكتابة والانشاء ، وآخرون مساعدون يقومون بالتلخيص والتبويب . وكان لابد للعاملين فيه أن يتقنوا اللغة العربية ، وأن يعرفوا لغات أجنبية أهمها وقتئذ : الفارسية والتركية واليونانية والأرمنية . وكذلك أصبح له منذ زمن مبكر أرشيف توضع فيه أصول كل ما يصدر عنه ، وله مشرف خاص اسمه الخازن . فكانت أصول المراسلات ونسخها تنظم في دوسيهات تسمى : « إضابير » ، توضع عليها بطائق تدل على محتوياتها ، ليسهل استخراجها .

وكل ما يصدر عن هذا الديوان كان لابد أن يكون عليه توقيع الخليفة (١) ، لياخذ صبغة رسمية . وقد كان للنبي خاتم يوقع به ، ومنذ ذلك والخلفاء يتخذون الخاتم للتوقيع ، حتى أن معاوية أنشا ديوان الخاتم ، ربما ليعنى ديوان الرسائل . ولكن منذ عهد العباسيين أو قبلهم ، عرف التوقيع بلفظة : « العلامة » ، التي لا تعنى توقيعاً بالخاتم ، وإنما بعبارة دينية أو نعتية ، يقوم مقام التوقيع . كذلك سمى توقيع سلاطين السلاجقة - الذين سيطروا على العباسيين - باسم الطغرا أو الطغرى ، وهى كلمة فارسية ، تعنى نقشة معينة تدل عليهم ، ربما تكون نسبة الى أحد الكتاب الذى أوجدها (٢) ؛ وقد بقيت حتى وقت سلاطين العثمانيين للتوقيع بها على الفرمات وغيرها .



ولم يكن من الممكن إرسال الرسائل من هذا الديوان بدون وجود

(١) المقدمة ، ص ٢٠٨ - ٢١٠ ؛ العقد ، ٢ ص ٣١٧ ؛ الجهتيارى ،

ص ٢٤ .

(٢) لعله الحسين أبو اسماعيل الطغرائى (ت ١١٢٢/٥١٦) ، وزير

السلطان مسعود السلجوقى . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، مصر ١٢٩٩ هـ .

١ ص ٢٨٤ - ٢٨٨ ؛ صبح ، ١٣ ص ١٦٢ - ١٦٧ ؛ انظر .

La Tughra Seljukide J. A. 1945

Cahen

؛ Ency. (art Tughra) 14, P. 865 sqq.

جرجى زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامى ، مصر ١٩٠٢ ، ١ ص ٩٥ .

تنظيم آخر يضمن وصولها . ولا نعرف انه وجد تنظيم معين لارسال الرسائل قبل الخلافة الأموية ، التي انشأت ما يعرف بالبريد (١) . فيذكر المؤرخون أن معاوية وضع نظام البريد وجعله تابعا لنظام الرسائل ، وأن عبد الملك بن مروان احكمه . ويذكرون أيضا أن هذا النظام نقل عن البيزنطيين من النظام المعروف باسم : الطريق العام « *Cursus Publicus* » ، أو عن الفرس ، وأن وجد في الدولة الإسلامية أساسا ليسد حاجة الدولة ، وليس الأفراد . وكلمة بريد مجهولة الأصل ، فقد تكون من أصل عري من برد ، أي ثبت بما تستقر عليه الاخبار ، أو من الفارسية بريده دم ، ومعناه مقصوص الذنب ؛ كناية عن استخدام الفرس البغال في نقل رسائلهم وقص اذنبها ، أو من اللاتينية « *Veredus* » أي خيل ، أو ممن يقوم بنقل البريد « *Veredarii* » ، أو نعلها معربة لتدل على مسافة معلومة .

وكان للبريد في الخلافة الإسلامية وسائل متعددة ، منها : الدواب وبخاصة الخيل والجمال . فكان يقام له على المكك منازل أي أماكن ، عبارة عن قبة أو بيت توضع فيه الدواب ؛ لاستعمالها في نقل البريد . وقد كان الذي ينقل البريد على الخيل في عهد المماليك يسمى بريدي ، وهو يحمله في خريطة أي حقيبة ، ويضع حول عنقه شراية من حرير اصفر ، قد ثبت فيها لوح من الفضة توضع تحت ثيابه ، نقش عليه ما يدل على وظيفته في نقل الرسائل ؛ أما الذي ينقل البريد على الجمال ، فيعرف بالفنجا ب .

كذلك استعار المسلمون نظام البريد بالحمام الزاجل أو حمام الرسائل ، وعرف باسم جناح المسلمين ، فكان أشبه ببريد الجو . وقد

(١) صبح ، ١٤ ص ٣٦٦ - ٣٩٨ ؛ الخطط ، ١ ص ٣٢٦ - ٣٦٧ ، ٢ ص ٣٤٣ ؛ العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ١٣١٢ هـ ، ص ٨٤ وما بعدها ؛

Die Post — una Reiserouten des Orients, : Sprenger
La poste aux Chevaux dans, : Sauvaget ; Leipzig, 1864.
l'empire des Mamelouks. Paris, 1951;
Ency (art Barid) tl, P. 675.

أفرد المسلمون لبريد الحمام ديوانا خاصا ، والفوا جرائدا ودفاتر بانساب الحمام المستخدم ، ولتمييزه جعل له من الذهب خلاخيل فى لرجله ، والواج فى اعتاقه . وقد كان المسلمون يستعملون أثناء الحروب اصطلاحا شبه بالشفرة فيما يحمله الحمام من أخبار (١) ؛ حيث كانت تكتب على ورق خفيف يعلق بأجنحته . وقد كثرت أبراج الحمام أو مطاراته فى عهد المماليك ؛ وكانت القلعة بالقاهرة مركزه ، ومن يشرف عليها يسمى براج .

ولم يكن البريد يقوم فقط بنقل الأخبار ومتجددات الأحوال الرسمية ؛ ولكنه يقوم بأعمال البوليس المرى ، فعرف بعض رجاله بالعيون ، ورئيسهم بصاحب الخبر (٢) .



أما عن شئون المال للخلافة الاسلامية ، فقد ورد فى القرآن واحكام الشرع ذكر لمصادر المال للأمة الاسلامية الأولى : فالزكاة أو الصدقة (٣) ، تؤخذ من المسلمين ، وتعتبر رصيدا ماليا للجماعة الاسلامية ، لتنفق فى أوجه متعددة وبخاصة على الفقراء ، وفى سبيل الله لعله لعله الجهاد ، والعشر (٤) جباه عمر بن الخطاب على بضائع المسلمين فاعتبر شرعيا ، والفيء (٥) مال يؤخذ من غير المسلمين من غير قتال ، ويصبح مال الجماعة الاسلامية ، والفتنمة (٦) مال

(١) عماد الدين ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ، مصر ١٣٢١ هـ ،

ص ١٧٧ .

(٢) الخطط ، ٤ ص ٨٨ ص ١٩ .

(٣) القرآن ٩ : ٩٠ ، ٢٣ : ٤ . عنها بالتفصيل ، انظر - الاحكام ،

ص ٩٨ وما بعدها ؛

Ency, (art Zakât) t4, P. 1270-37.

(٤) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، ط بولاق ١٣٠٢ هـ ، ص ٧٦ - ٨٠ ؛

الخطط ، ١ ص ١٦٧ .

(٥) القرآن ٥٩ : ٦ - ٧ ؛ الاحكام ، ص ١١١ - ١١٦ ؛ انظر .

Ency, (art Fai') t2, P. 41-43.

(٦) الاحكام ، ص ١١٦ وما بعدها ؛ الكامل ، ص ٢٧٣ ص ١٣ .

أو غيره ، يؤخذ قهراً نتيجة للقتال ، ويأخذ الخليفة منها الخمس ،
والجزية (١) ضريبة تفرض على رعاوس المسلمين من أهل الكتاب .

ولكن نتيجة لحركة الفتوح وتدفق الأموال على العرب من البلاد
التي فتحوها ، لم تعد للضرائب القرآنية أو الشرعية المكان الأول في
دخل الخلافة الإسلامية . فهم لم يعودوا مثلاً في حاجة إلى الزكاة أو
المصدقة ، التي كانت من أسباب قيام حروب الردة قبل الفتوح ، وكانت
تزق وحدة الأمة الإسلامية الناشئة (٢) . ولكن أصبحت معظم مصادر
الدخل التي قررت ، مأخوذة من التنظيم المالي عند البيزنطيين أو
غيرهم . كذلك تطورت مصادر الدخل تطورا كبيرا على أيدي
المسلمين ، وظهرت مصادر مالية غير معروفة من قبل .

فأصبح دخل الخلافة أول ما يأتي من ضريبة يونانية الأصل
تعرف عند المسلمين باسم : الخراج (٣) ، بمعنى الضريبة التي تفرض
على أراضى أهالى البلاد المفتوحة . وهذه الضريبة كانت مفروضة من
قبل على الأراضى فى الممتلكات البيزنطية والفارسية ، وكان يطلق
عليها بطريق التجاوز جزية للدلالة على خضوع أهالى البلاد المفتوحة
للعرب . فقد بقيت الأرض فى ملكية أصحابها ، وهو ما يطابق عقيدة
الإسلام ، التي تحترم الملكية الخاصة . ولكن منذ أن تحول معظم
أهالى البلاد المفتوحة إلى الإسلام ؛ فإن عمر بن عبد العزيز فرض على
الأرض حق ملكية الدولة الرمزى ، واعتبرت ملكيتها لكافة الأمة
الإسلامية - فيئاً - التي يمثلها الخليفة (٤) ؛ فالمالك فى هذه الحالة

(١) أنظر . بعده .

(٢) عنها بتفصيل ، انظر . الكامل ، ٢ ص ٢٣١ وما بعدها ؛ انظر .

ماجد . الدولة العربية ، ١ ص ١٤٣ وما بعدها .

(٣) الأحكام ، ص ١٢٦ وما بعدها ؛ Van Berchem :

La Propriété territoriale et l'impôt foncier ، : .

'Ency, (art Kharâdj) ١2, P. 955-6 ، Thèse de Leipzig, 1861

(٤) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٤ من ٨ ؛ انظر . Gibb :

The Fiscal rescript of Umar II. Arabica. Jan, 1955,

fasc, I. P. 3 ; 8-9 ؛ انظر : واحد ، الدولة العربية ، ٢ ص ٢٦٤ .

يعتبر مفتقعا أو مستاحرا . ولكن منذ العباسيين جعلت الأرض فعلا فى ملكية الدولة وليست للجماعة . وأصبح للدولة حق الاقطاع فيها (١) ، الذى اعتبر من وسائل الحكم فى الدولة الاسلامية ، وإن كان الاقطاع قد ظهر فى الاسلام منذ أيام عمر بن الخطاب نفسه ؛ حينما تركت أراضي كثيرة بدون ملاكها الأصليين . ومع ذلك لم يترتب على هذا الاقطاع الاسلامى عبودية أو وراثة للفلاحين واحتكاك لكل نشاطهم ، كما وجد فى أوروبا .

وهذه الضريبة كانت تدفع مالا يحدد كل سنة على الأراضي المزروعة ، وواجبات عينية من حنطة وعسل وزيت وغيرها من منتجات القرية . ومثلما كان فى بيزنطة ، فإن جمع الضريبة يتم عن طريق الوسطاء من موظفى الدولة . وكان يتوقف تحديد الضريبة على حالة الأرض وخصوبتها ، وبالمساحة التى وجدت ؛ منها أنواع مثل : الجريب والقفيز والعشير والذراع والقبضة ، ولا سيما القصبة (٢) ومنذ العباسيين ، وجدت طريقة تسهل جباية الخراج ، وذلك على أن يتزايد عليها ، ويدفع مخرجها الضمان أو المتقبلون (٣) ، وهو ما عرف بنظام الضمان أو القبالات . وحتى الأرض التى كانت تقطع للأشخاص من قبل الدولة لم تكن تعفى من هذه الضريبة .

وعلى العكس بقيت الجزية (٤) ، وهى ضريبة ذكرت فى

(١) الطبرى ١ : ٢٣٧٦ ؛ مروج ، ط . Paris ، ٤ ص ٢٦٢ ؛ انظر

الباز ، الاقطاع فى الشرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، حوليات كليات الاداب ، ١٩٥٧ ، ص ١١٣ - ١٤٨ .

(٢) الاحكام ، ص ١٣٧ . الجريب عشر قصبات فى عشر قصبات ، والقفيز عشر قصبات فى قصبة ، والعشير قصبة فى قصبة ، والقصبة ستة أذرع بذراع اليد ، والذراع يساوى ست قبضات ، والقبضة أربع أصابع ، وقد غلب على القصبة اسم الحاكمية ، نسبة للخليفة الحاكم الفاطمى . عن ذلك ، انظر . صبح ، ص ٤٤٦ ؛ ماجد ، الحاكم بأمر الله ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٦٣ .

(٣) الخطط ، ١ ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٤) القرآن ٩ : ٢٩ ؛ الاحكام ؛ ص ١٢٧ وما بعدها ؛

Ency. "art Djizya"

tl, P. 1082-1083,

القرآن ، يدفعها غير المسلمين على الرعوس - كدليل على عزة الاسلام - مصدراً يلى الخراج فى دخل الخلافة الاسلامية . وقد كانت الجزية معروفة قبل الاسلام عند البيزنطيين باسم : جماجم وغيرها ، يفرضونها على غير المعتنقين لعقيدهم ، كما كان الفرس فى بلادهم يأخذونها من اليهود والمسيحيين (١) . ولكن الجزية على يد المسلمين كانت تفرض على اهل الذمة من الرجال البالغين ، دون النساء والأطفال والعجائز والعبيد ورجال الدين ، كما انها قابلة للتعديل بحسب حالة الشخص . أما الذين يتحولون الى الاسلام من اهل الذمة ، فانهم كانوا يعفون منها مباشرة « Ipso facto » . وقد كان تحول كثير من اهل البلاد المفتوحة الى الاسلام سببا فى ان الجزية لم تعد مصدراً عاماً للدخل ؛ بحيث أصبحت تعرف بلفظة : « الجوالى » (٢) ، ولعلها مأخوذة من جالية ؛ مما يدل على ان دافعى الجزية قد قل عددهم .

ولما تضخمت شئون الخلافة وكثرت مطالبها ؛ وضعفت إيراداتها بسلام اهل البلاد المفتوحة ، ظهرت ضرائب جديدة لا تفرض على الأرض أو على الرعوس ، وإنما تفرض على الانتاج ، اتخذت أسماء مختلفة منها : « هلالى (٣) » ، بحكم انها تستفادى لى تجبى على البضائع الموجودة فى الأسواق على حكم الشهور للهلالية ، أو « المرافق » و « المعاون (٤) » ، لأنها تفرض على جهات معينة مثل المحلات العامة وتجارها ، وهى اسم آخر للهلالى ، أو « السواحل (٥) » لأنها تجبى على كل ما فى الساحل من صادر

(١) الخطط ، ١ ص ١٥٩ م ١٠ ؛ انظر .

La Documentation, : Cheira.

papyrologique de l'Epoque arabe. Alex, 1948. cf.

: Memant;

Les Zoroastriens K. M. M. no 10, Oct. 1917. P. 196.

(٢) الخطط ، ١ ص ١٧٣ م ٥ . وهذه اللفظة وجدت فى نظم مصر .

(٣) نفسه ، ١ ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٤) نفسه ، ١ ص ١٦٧ م ١٣ ، ٢ ص ١٠٧ م ٢٦ .

(٥) ابن ميسر ، ص ٤٥ ؛ صبح ، ٣ ص ٤٩٥ .

ووارد ؛ أو « المكوس » مفردھا « مكس (١) » ، وهو اسم ظهر بدل الهلالى فى عهد الفاطميين ، وهى فى معناھا الضيق تفرض على الصادر والوارد ، وإن كانت فى معناھا العام تفرض على كل شيء مثل : المراعى ، والمياه ، والمصائد ، والبضائع ، وهبور البضائع (الترانسيت) ، والذبايح ، والرقيق ، وأنواع الصناعات كالفخور والمزر « التبيز » ، والفقاع « البيرة » ، والبغى من النساء ، والمسجونين ، وحتى الحجيج . ولم يذكر القرآن-هذه الضرائب ، كما لم تظهر فى عهد الاسلام الاول ؛ لذلك اعتبرها الفقهاء غير شرعية . وقد كانت موضع شكوى دائمة من سكان دار الاسلام ؛ بحيث كان حكام الاسلام الاحتياء يلغونها . وكما يبدو من قول المقرئى ؛ فإن المكوس فى مصر فرضت على كل شيء ما عدا الهواء ، وحده اخلى سبيله ، وبقي حرا .

ويجب أن نذكر فى تنظيم دخل الخلافة أنه كان من المفروض أن يجمع الدخل فى بيت المال أو فى الخزائن الخاصة ، ولكن المبدأ السائد فى التنظيم المالى وقتئذ كان ينص على أن لا تذهب إيرادات الدولة الى الخزائن ، وإنما يخصص كل إيراد لنفقة معينة ، أما ما يتبقى منه فهو الذى يجمع فى الخزائن كاحتياطى . وقد كان ربط الدخل والخرج فى شكل ميزانية (٢) ، من الأمور الشائعة عند المسلمين ، ويتم بحسب المنة الشمسية ؛ لأن الخراج الذى يكون الجزء الأكبر من الدخل يجمع بحسب السنة الشمسية . ومن الطريف أن نذكر أنه ابتداء من القرن الثانى الهجرى ظهر ديوان يشبه ديوان المحاسبة فى وقتنا الحاضر ، يراجع الدخل ويشرف على الصرف ، ويقوم بربط الميزانية ،

(١) الخطط ، ١ ص ١٦٧ وما بعدها ، ٣ ص ١٩٦ وما بعدها ؛ المقدمة ،

ص ٢٢٢ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ص ١١٧ - ١١٨ ؛

Ency (art Maks) ١3, P. 187-188.

(٢) الخطط ، ١ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

وهو ديوان الزمام فى الدولة العباسية (١) ، وديوان التحقيق فى الدولة الفاطمية (٢) .

وأخيرا نذكر انه وإن كان هم الدولة الاسلامية فى العصور الوسطى الصرف على الجيش والاماكن الدينية لطبيعة هذه العصور الحربية والدينية ؛ فانها كانت تصرف ايضا على المشروعات العامة كالجسور والقنوات (٣) ، وحتى على التصنيع ، ولا سيما صناعة النسيج (٤) .

ولا ندحه لنا ونحن نتكلم عن المال أن نعرف شيئا عن نظام العملة الاسلامية . فهذه العملة لم تكن فى اول أمرها عربية ؛ لأن العرب المسلمين حينما فتحوا البلدان لم يكونوا يعرفون صناعة العملة . وفى اول الامر ، فقد ابقوا على العملة السائدة فى التداول دون تغيير ، وهى العملة البيزنطية والفارسية وحتى اليمنية القديمة . فبقيت صورة الصليب منقوشة على الاول ، وصورة بيت النار منقوشة على الثانية ؛ وإن قيل أن عمر بن الخطاب نقش على هذه العملة ذاتها العقيدة الاسلامية ، وكلمة جائز ، للدلالة على قبول الدولة الاسلامية لها . ولم تعرف عملة عربية صرفة الا فى عهد الخليفة الاموى عبد الملك ابن مروان ، الذى قدر تمام التقدير أن العملة بالاضافة الى قيمتها الاقتصادية ، وسيلة للاعلان عن سيادة الدولة الاسلامية بما هو منقوش عليها من عبارات دينية ، فضلا عن انها اعلان لشرعية حكم الخليفة بنقش اسمه عليها ؛ لذلك أمر عبد الملك بتعريب العملة كجزء من سياسة عامة لتعريب كل اجهزة الدولة الاسلامية . وقد اخذت العملة التى صنعها العرب اسم : « السكة (٥) » ، وهى كلمة على حسب قول

(١) أوردها حسن وعلى إبراهيم فى : تنظم الاسلاميه ، القاهرة ١٣٥٨ هـ /

١٩٣٩ م ، ص ٢٢٢ - ٣ .

(٢) صبح ، ٣ ص ٤٩٣ ؛ أنظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٢٤ -

١٢٥ .

(٣) مثلا : الخطط ، ١ ص ١١٤ .

(٤) أنظر : بعده .

(٥) احكام ، ص ١٣٨ - ١٤٠ ؛ المقدمة ، ص ٢٠٦ وما بعدها ؛ =

ابن خلدون تدل على خاتم الحديد ، الذى تطبع عليه العملة وتضرب بالمطرقة . ولذا فان لفظة المسكة اطلقت على العملة وعلى الدار التى تصنع فيها ؛ فسميت دار المسكة ، وايضا دار الضرب . ولم تعد الدولة الاسلامية تكفى بدار مسكة واحدة فى العاصمة ، وانما بدور للمسكة متعددة فى جميع اقاليمها ، حتى ان لفظة المسكة انتقلت بعد ذلك الى اللغات الأخرى .

وقد كانت المسكة تتكون من نظام نقدى ثنائى ، كما كانت فى عهد البيزنطيين والفرس . فاستعملت الدينار الذهبى ، وهو لاتينى الأصل : « Denarius » والدرهم الفضى (١) ، ولعله الدرهم اليونانية : « Drachmos » ، او ان أصله فارسى معرب . وبجانب هذا النقد الثنائى ، عرفت دول الاسلام عملات صغيرة تسمى مكسور ، عبارة عن أجزاء من الدينار والدرهم ، مثل : القطع والدانق - جمعها دولانق - والمثقال . ولما أحست دول الاسلام فى القرن الرابع الهجرى بازمة فى المسكة الذهبية والفضية ، استخدمت عملة من نحاس او من نحاس مخلوط بفضة ، أطلق عليها فلوس - مفردا فلس - ويبدو ان أصل هذه لا تبنى من « Follis » (٢) ؛ لتدل على عملة نحاسية خفيفة ، كما أطلق عليها ايضا : القراطيس (٣) ، ربما لأنها كانت تسك ملفوفة على شكل القراطيس . فهذه الأسماء التى استعملها المسلمون للدلالة على فئات عملتهم ، يبدو ان بعضها كان قديما جدا ،

Catalogue des monnaies musulmanes, continué par : Lavoix

Cazanov. 3 Vols. Paris, 1887-1891 ؛ استاس الكرملى ، النقود

العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩ ؛ 3-1002 P. (art Dinâr) tl, Ency. (art Dirhem) tl, P. 1003-6.

(١) المعاملة بالفضة تسمى أيضا الورق . الخطط ، ١ ص ١٧٧ ؛ انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 797.

(٢) مثلا : القريزى ، الملوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٤١ ، ١/٢

Ency. (art Fals) t2, P. 50

ص ١٧ ؛ انظر .

(٣) نفسه ، ١/٢ ص ٢٠٥ من ١٠ - ١٦ . وهو ستة فلوس .

وان بيزنطة نفسها لم تكن تستعملها وقتذاك ، التى عرفنا اسماها اخرى لعملتها (١) .

وقد كانت مقادير العملة يحددها الخليفة ؛ وان كانت العلاقة بينها تتوقف على قيمتها فى التداول ، ومدى ما تتعرض له من تذبذب من آن لآخر ، ويجب ان نذكر ان العملة الاسلامية كانت توزن ؛ الا انه لما ظهرت الفلوس ؛ فانها كانت تعد او توزن (٢) . وكان لكثرة ماسك من العملة باسماء الخلفاء ، وبخاصة حينما تعددت دول الاسلام ، ان ظهرت طائفة عرفت بالصيارفة لتسهيل الصفقات المالية ، وتحويل العملات وفئاتها . ولما كان الدين الاسلامى يمنح المسلمين من الاشتغال بالربا (٣) - اى الفائدة - فان معظم اعمال الصيرفة كانت فى ايدى النصارى واليهود . وقد ظهرت تعابير مائية ، تدل على قيام المصارف « البنوك » فى الدولة الاسلامية ، مثل (٤) : صفحانة وصك ورقعة وخط وحوالة ، كلها تدل على اذن الصرف « شيك » . فقد كان من الممكن ان يكتب تاجر فى اموان صكا لتاجر آخر فى عيذاب (٥) ، فيستطيع هذا التاجر ان يحصل على المال بمقتضاه ؛ فمن دولة الاسلام انتقل نظام البنوك .

*

(١) كانت عملة بيزنطة تسمى : Byzant او Byzant Miliaressia او Phollis - لعلها الفلوس - انظر - اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، تعريب مصطفى بدر ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٢١٠ ؛ ايضا ، انظر : Sabatier

Description générale des monnaies byzantines. Paris, 1852.

(٢) السلوك ، ١/٢ ص ٢٠٦ .

(٣) صور الاسلام من ياخذ الربا بالشيطان . القرآن ٢ : ٢٧٥ .

(٤) الخطط ، ٤ ص ١٥٦ ؛ الجرجاني ، كتاب التعريف ؛ انظر ، Fischel

The origin of Banking in the mediaeval Islam ، J. R. A. S. April 1933.

L'Influence de L'Islam au Moyen Age ; Massignon ; sur la fondation et l'essor des banques juives. B. O. Paris.

(٥) ناصر خسرو ، سفرنامه ، تحقيق يحيى الخشاب ، القاهرة ١٣٦٤ هـ

١٩٤٥ م ، ص ٧٤ .

أما عن الإدارة المحلية ، فانها تشمل إدارة اقاليم الخلافة التي فتحها المسلمون . وكان المشرعون عليها في اول الأمر يسمون : الأمير اى قائد الجند ، وايضا : عامل الخليفة او العامل فقط (١) . فكان الأمير او العامل في اول الأمر يقوم بكل شيء ؛ وإن تحسنت اختصاصاته بعد ذلك ؛ فأصبح موظفون آخرون يعينهم الخليفة من قبله ؛ يقومون بأعمال المال والقضاء .

وقد وضع الفقهاء نظما لحكم اقاليم الخلافة (٢) ؛ فجعلوها أمانة عامة يدخل فيها القضاء والمال ، وأما أمانة خاصة لا يدخل فيها القضاء والمال . كذلك ظهر منذ العباسيين ما يعرف بأمانة الاستفتاء ، ومن يقوم بها يسمى بالأمير المستكفي ، وهو أن يدين بالطاعة للخليفة ، وما يعرف بأمانة الاستيلاء ، ومن يقوم بها يسمى بالأمير المسئول ، وهو أن يمتثل بالاقليم لنفسه بالقوة ، وإن يكون تقليده من قبل الخليفة تقليدا صوريا ؛ بحيث شبه الأمير المستكفي بوزير التنفيذ ، والأمير المسئول بوزير التفويض .

وفي القرن الرابع الهجري كان عامل الخليفة يغلب عليه اسم : « الوالى (٣) » جمعها « الولاة » ، وهى كلمة تدل على من يمثل السلطة التنفيذية فى إحدى الولايات ، ويقوم بحفظ الأمن ؛ إذ لم يعد عمل الوالى كما كان الحال من قبل ، أن يقود الجند ، وإن يقوم بالصلاة والقضاء وغير ذلك ؛ ولكن أصبح عمله القيام بأعمال البوليس ، وبجانبه موظفون آخرون يشرفون على أمور الإدارة الأخرى ، ويخضعون لرؤسائهم فى العاصمة .

تلك خلاصة التنظيم الإدارى وتطوره ، الذى يتميز دولاب الحكم فى الدولة الإسلامية .



(١) الكامل ، ٣ ص ١٥ - ١٦ .

(٢) الأحكام ، ص ٢٤ - ٢٩ .

(٣) صبح ، ٣ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ .

ص ١٣٠ وما بعدها .

وعلى عكس النظام الإداري ، الذي كان يشرف عليه الوزير في الغالب ؛ فإن الخلفاء أخذوا على عاتقهم الإشراف على النظام القضائي اقتداء بالرسول ، الذي كان ينظر في مشاكل المسلمين بنفسه ؛ ولا سيما أن السانطة التنفيذية والقضائية في الإسلام ؛ لم تكن مميزة أحدهما عن الأخرى . وبسبب انشغال الخلفاء بالفتوح والسياسة ؛ فإنهم منذ عمر بن الخطاب فوضوا في القضاء ، وعينوا في الأقاليم القضاة (١) . ومع ذلك ؛ فلم يظهر لقب قاضي القضاة إلا في عهد العباسيين زمن هرون الرشيد (٢) ، وهو الذي يتبعه بقية القضاة في دار الإسلام . ولما لم يكن في أرض الإسلام غير خليفة واحد في بغداد ، كذلك كان لا يوجد إلا قاضي قضاة واحد ، يكون مقره ببغداد أيضا ، ولكن تعدد الخلفاء ، جر إلى وجود أكثر من قاضي قضاة في عدة عواصم (٣) . بل وجدنا في مصر زمن الماليك ، نكل مذهب من المذاهب الأربعة قاضي قضاة (٤) ، يكون حكمه هو والقضاة من أتباعه على مذهبه .

وكانت سلطة القاضي لا تمتد إلى أعمال قضائية صرفة فقط ، وإذا ما أيضا إلى أمور دينية ليس لها علاقة بالقضاء ، ولكن ضمت إلى نظر القاضي بسبب معرفته بالضرورة للشرع الإسلامي ، وأصبحت مقررة في سلطته على حسب ما عرف : « بالعرف والاصطلاح » (٥) . فكانت أعماله الإضافية تتكون غالبا من الصلاة والخطابة في الجوامع ، والإشراف على الأماكن الدينية ، والإشراف على أموال الفسائين

(١) المقدمة ، ص ١٧٣ - ١٧٥ .

(٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، مصر ١٣٢٢ / ١٩٠٤ ، ٢ ص ٣١٢ ؛

انظر . حسن وعلى إبراهيم ، النظم الإسلامية ، ص ٣٣٦ .

(٣) الكندي ، الولاة والقضاء ، تحقيق London ، Guest ١٩١٢ ،

ص ٥٩٠ ص ٢٢ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، القاهرة ١٣٢٧ هـ ، ٢ ص ٩١

ص ٨ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٤) حسن المحاضرة ، ٢ ص ٩٩ ، ١٠٠ ؛ ابن أبياس ، ١ ص ١٠٣ .

(٥) المقدمة ، ص ١٧٥ ؛ الأحكام ، ص ٥٨ - ٦٠ ؛ ولا ، ص ٥٨٩ ؛

للنظر .

Hist. de l'org. Jud. en pays d'Islam, P. 12 sqq. : Tyan

بعضهم كان يشغل خمس عشرة وظيفة . حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٠٠ ص ٢١ .

والمفقودين ، والقيام فى الذهب والفضة والمكايل ، وولاية الحج ،
واخذ البيعة للخليفة ، ومصاحبة الجيش فى الحروب .

وقد كان تضخم أعمال القاضى سببا فى ان اتخذ له نوابا او
مساعدين فى وظيفته الاصلية فى القضاء او ما يضاف اليها ؛ وهو
لا يتخذهم فقط فى العاصمة التى هى مقره ، وانما فى بقية الاقاليم ؛
حيث يعرفون : بنواب الحكم (١) . وفى زمن الفاطميين فى مصر ،
وجدنا ان نائب قاضى القضاة بمستناب هو الآخر (٢) . ومن ناحية
اخرى ، اتخذ القاضى الشهود ليعاونوه فى عمله القضائى الصرف ؛
وذلك لان اساس الحكم فى الاسلام هو البيئة اى الشهادة . ولما كان
من المستحيل على القاضى ان يختار بنفسه شهودا لكل قضية تعرض
امامه ، فانه كان يختار بنفسه بعضهم ممن اختصوا بالامانة والتفقه فى
الدين . فكان الشهود المختارون يسمون الشهود العدول (٣) ، جمع
شاهد عدل ، اى انه لا يشك فى ذمتهم . وكان القاضى لا يفتا يراقب
تصرفاتهم ، ويعاقب من يسيء منهم بالزامه بغرم ثقيل او يعزله او
يسجنه . وكان الشهود العدول فى القرن الرابع الهجرى طائفة هامة
اشبه بنقابة ، يتراوح عددها بين ثلاثين الى الف وخمسمائة (٤) ، لها
رئيس يسمى : وجه الشهود او مقدم الشهود (٥) ، وهم يكونون بطانة
القاضى ، ويدلون على هيئته .

وكان المكان الذى يجتمع فيه القاضى بالخصوم يعرف باسم :
مجلس الحكم (٦) ، وهو لا يعقد فى بناء خاص كما فى وقتنا

(١) ولادة ، ص ٥٩٠ من ٧ .

(٢) نفسه ، ص ٦٠٤ من ١٤ - ١٥ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ،

١ ص ١٤٦ .

(٣) المقدمة ، ص ١٧٧ - ١٧٨ ؛ صبح ١٠ ص ٣٨٧ ؛ انظر : Tyan

Le notariat et le régime de la preuve par écrit, dans la pratique
du droit musulman, Beyfouth, 1945.

اول اتخاذهم فى مصر ، كان فى عهد هارون الرشيد . (الولادة ، ص ٣٩٤ .

(٤) ولادة ، ص ٥٩٣ من ٤ ، ص ٦١٢ من ٢٢ .

(٥) نفسه ، ص ٥٨٨ ، ٥٨٩ من ٢٣ .

(٦) نفسه ، ص ٦٠٤ من ١٣ ، ٦١٠ من ٢١ .

الحاضر ؛ وإنما فى مسجد العاصمة الكبيرة ، حيث أن المساجد وقتئذ لم تكن تقتصر على أثناء الصلاة ، وإنما أيضا كانت مكانا للفصل فى أمور الناس أو تعليمهم ، أو حتى تصريف الأمور التجارية . ولما تعددت المساجد الكبيرة فى العاصمة وفى غيرها من المدن ، نجد القضاء يزاولون عملهم فى كل مكان ، كما أصبح القاضى يفصل فى أمور الناس وهو فى داره (١) . كذلك كان المكان الذى يجتمع فيه القاضى بالخصوم فى المسجد يتغير على حسب فصول السنة (٢) : ففى أوان الشتاء يجلس فى المقصورة (٣) ، وهى مسكان فى المسجد بجانب المنبر ؛ كان قد خصص فى العصر الأموى لحماية الخليفة أو للمشاورة ؛ وفى الصيف يجلس القاضى عند الشباك .

وكان مجلس الحكم يعقد علنا فى أيام محددة (٤) ؛ ويتكون عادة من : القاضى ، والشهود العدول ، والموقعين الذين يكتبون ما يدور فى الجلسة ، والحجاب الذين يدخلون المتخاصمين ؛ وأحيانا من موظف خاص يقوم بتنفيذ ما يصدره القاضى من الأحكام يعرف بصاحب الشرطة . وكان الخصوم يظهرون بمفردهم أو بواسطة وكلاء - مفردها وكيل - حيث يصفهم أحد المؤرخين بأنهم لا خير فيهم لأنهم يأخذون من الخصمين (٥) .

وقد كان جلوس القاضى فى أول الأمر بسيطا ، ولكن منذ القرن الرابع الهجرى نجده يصحب برسوم كثيرة . فكان القاضى يجلس فى وسط المجلس ، وقد تزيا بالسواد أن كان سنيا ، وباللبياض أن كان شيعيا ، ووضع على منكبيه الطيلسان زى القضاة (٦) ، الذى هو عبارة عن طرحة ، وعقد بوسطه سيفا . ويكون جلوسه على

(١) نفسه ، ص ٥٨٩ من ٢٢ ، ٥٩٤ من ٢٤ ، ٦٠٤ من ٦٠ .

(٢) نفسه ، ص ٥٩٠ من ١٣ - ١٤ .

(٣) المقدمة ، ص ٢١٢ ؛ أنظر . بعده .

(٤) عن ذلك ، أنظر . الخطط ، ص ٢٤٦ ؛ صبح ، ص ٢ من ٤٨٧ .

(٥) الشيزى ، نهاية الرتبة فى طلب الحمبة ، تحقيق الباز ، القاهرة :

١٩٤٦ ، ص ١١٥ .

(٦) أنظر . بعده .

مخدة ، وخلفه مسند ، وإمامه كرسى أو قمطر توضع عليه الدواة . وكان الشهود العدول يجلسون حول القاضى عن يمينه وعن يساره ، كما يجلس الموقعون للكتابة ؛ أما الحجاب فيقفون عند الباب ، ومعهم صاحب الشرطة .

وليس لدينا للأسف معلومات كافية عن سير إجراءات القضاء فى مجلس الحكم ؛ وإن كانت - ولا ريب - لا تختلف فى المعاملات منها فى الجرائم (١) ؛ فالقضاء الإسلامى منذ عهده الأول كان موحدًا . ولما تعدد مجلس الحكم - كما حدث فى عهد الفاطميين فى مصر - ثار الاختلاف بين الناس ؛ فكان كل خصم يعمل على إنفاذ خصومه أمام القاضى الذى يختاره ، مما جعل الدولة الفاطمية تلغى هذا التعدد ، وتعود الى توحيد مجلس الحكم فى المكان الواحد (٢) . وكانت القضايا التى تعرض على المجلس متنوعة : جنائية ، وقضايا أخرى كالمرقة وشرب الخمر والحجر على الممنوعين من التصرف أو الجنون أو السفه أو العته ، وقضايا الأسرة ومشاكلها من قضايا الأحوال الشخصية « Status personnels » ، من زنا ومواريث ومداينات ووصايا ومناكحات وطلاق وغيرها .

وقد كان كل ما يدور فى الجلسة يسجل ، فنسمع بارثييف قضائى يسمى : سجلات الحكام أو دواوين الحكم (٣) ، وهذه كانت توضع عند القاضى فى منزله ، ولكن فيما بعد أصبح يحتفظ بها فى المسجد . وقد كان انشاء هذه السجلات يقتضى - ولا ريب - صيغة خاصة نجهلها ؛ وإن جرى العرف فى كتابتها على أن يذكر القاضى اسمه ولقبه وتوابع وظيفته (٤) . وبطبيعة الحال كان الحكم فى القضايا يسير وفق القرآن والسنة ؛ ولكن كان لنقاضى أيضا أن يفسر

(١) انظر . Fyze :

Law and Culture in Islam, Isl. Cult, Oct. 1934, 17, No. (4), P. 424.

(٢) الولاة ، ص ٥٨٤ - ٥٨٥ و ٥٨٧ - ٥٨٨ ؛ انظر . نظم الفاطميين ،

ص ١٥٠ .

(٣) الولاة ، ص ٥٨٨ ، ٥٩٠ ص ٣ ، ٦١٢ ص ١٦ .

(٤) نفسه ، ص ٥٨٧ ، ٥٩٩ - ٦٠٠ .

النصوص القرآنية والسنة حسب اجتهاده ، وهو ما عرف بالسياسة الشرعية ، ولا سيما قبل ظهور المذاهب . ولكن الشيعة ترى ان تفسير الشرع من اختصاص الامام الشيعي وحده (١) ، وان صرح الامام لغيره ؛ فعلى اساس انه مجتهد مقيد . كذلك اذا ظهر ضعف القاضى فى الناحية الفقهية ، ظهر منصب المفتى (٢) ، على انه من المتفقيين فى الدين . واحيانا كان الشهود يشتركون فى مجلس الحكم بالادلة بأرائهم (٣) ، ولكن اقوالهم غير ملزمة ؛ لأن القاضى هو وحده الذى يتحمل مسئولية الفصل فى القضايا والنطق بالحكم الذى ليس له استئناف . والواقع ان الحكم فى القضايا ، فى الاسلام ، هو ائبى بالتحكيم ، وليس كما هو فى وقتنا تتبع للحالة من اصلها وتعرف حقيقتها .

ونظرا لاهمية منصب القاضى فى الدولة الاسلامية ، فانه كان يختار بعناية ، واهم ما يشترط فيه حبه للانصاف والعدالة ، ومعرفته بالفقه واحكام الدين ، وانه غير فاسق . ولذلك أصبح لمنصب القاضى شروط معينة نص عليها فى كتب الفقه ، مثل كتاب الاحكام السلطانية للماوردى (٤) . فكان منصب القاضى فى الاسلام تتولاها امر معينة تهتم بالشرع وعلومه ، او تؤلف فيه ، مثل : بنو النعمان والفرارى زمن الفاطميين (٥) ، وبنو جماعة والسبكى زمن الماليك (٦) ،

(١) تاج العقائد ، ص ٤٧ ؛ انظر . ماجد . نظم الفاطميين ، ١ ص ١٥٢ .

(٢) صبح ، ٤ ص ٤٥ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٤٠ س ٣ ؛ انظر .

Ency. (art Fatwa) ١2, P. 98 ; Org, Jud I., P. 158 ; 323 sqq : Tyan

(٣) الولاة ، ص ٥٨٨ .

(٤) الاحكام ، ص ٥٣ وما بعدها .

(٥) الولاة ، ص ٥٨٦ وما بعده ؛ انظر . Gottheil .

A distinguished family of fatimid Cadis in the tenth Century.

J. A. O. S. 1906. S, 217 sqq.

(٦) عنهم ، انظر . السبكى ، طبقات الشافعية ، ٥ ص ٤٦ - ٤٧ ؛

: Salibi

The Bauû Jama'a of Shâfi'ite Jurists. Stvdia Islamica

IX, Paris, 1958. P. 97 sqq.

Ency. (art al-Subki) ١4, P. 516-518 ; (art Ibn Djamâ'a ،

١2, P. 393-4.

وينو ابى البردة فى فارس ، وامرة ابى الشوارب فى بغداد (١) .
بل وجدنا من الفقهاء من يحجمون عن تولي منصب القضاء خوفا من
المسئولية ؛ وليس اهل على ذلك من رفض الامام ابى حنيفة للمنصب
للقضاء ، رغم تهديد الخليفة المنصور العباسى بسجنه (٢) .

ولكى تاخذ العدالة سبيلها ؛ كان القاضى يتسلم مرتبا كبيرا (٣) ،
ويمنع من اخذ الهدايا . وفى القرن الرابع الهجرى ، كانت له القاب
رنانة اهمها لفظة : سيدنا (٤) . وكان اذا حضر مع المسوك والحكام
تكون له الصدارة ، بحكم منصبه الدينى ؛ وهو لا يظهر فى المجتمعات
الا محاطا ببطانة من الشهود . كذلك كان موكب القاضى فى مصر ايام
للفاطميين تصحبه الاعلام والطبول ؛ ان ولى الدعوة ايضا . وقد
عرفت بغلة القاضى على انها شهباء ، ولا يسمح لى موظف آخر
باتخاذ بغلة مشابهة (٥) .

ولما كانت دار الاسلام تشتمل ايضا على اهل الذمة ؛ فان الحكم
الاسلامى اهتم بتنظيم القضاء لهم . وفى العصر الاسلامى الاول ، كان
رجال الدين منهم يتولون القضاء لهم ، ولا يتدخل فيه قضاة المسلمين ،
اذ اجاز الفقهاء تقليد الذمى القضاء لاهل الذمة (٦) . ولدينا تقاليد
لقضاة الذمة اوردها القنقشندى فى كتابه صبح الاعشى ، مما يدل على
ان سلطتهم كانت باذن من الخليفة (٧) . وفى الاندلس - لكثرة ما فيها
من اهل الذمة - خصص المسلمون لهم قاضيا منهم يعرف باسم : قاضى

(١) انظر . متز ، الحضارة الاسلامية ، ترجمة ، ١ ص ٢٢٢ . نقلا عن
مخطوطات وغيرها .

(٢) عنه ، انظر . ابن خلكان ، وفيات ، مصر ١٢٩٩ هـ ، ٣ ص ٧٤ -
٧٥ ؛ انظر . بعده .

(٣) صبح ، ٣ ص ٥٢٦ ؛ الولاة ، ص ٥٩٧ ص ٣ - ٥ .

(٤) الولاة ، ص ٥٩٤ ص ٨ .

(٥) الخطط ، ٢ ص ٢٤٦ .

(٦) الاحكام ، ص ٥٤ ص ١ ؛ انظر . Fattal .

Comment les dhimmis étaient jugés en terre d'Islam.

Cahier Série III Fasc 4, Mai, 1951, P. 321 sqq.

(٧) مثلا . صبح ، ١١ ص ٤٠٢ وما بعدها ، ١٢ ص ٣٢٣ وما بعدها .

النصارى أو قاضى العجم (١) ؛ إذ ان كلمة القاضى « Alcalde » دخلت فى لغات اسبانيا . ولكن اذا حدث نزاع بين مسلم وبنى ؛ فان قضاة المسلمين هم الذين يحكمون بينهم (٢) . وفى هذه الحالة لا يسمح للبنى بدخول المسجد ، وانما يبقى على السلم ؛ وان ادخل المسجد بعد ذلك ، فعلى الأقل بعد ان يتطهر . كذلك كان القضاة يقبلون شهادة النصارى على النصارى ، واليهود على اليهود (٣) ، ولا يقبلونها منهم على المسلم .



وبسبب تضخم ظروف الحياة فى الخلافة الاسلامية ظهرت الى جانب وظيفة القاضى عدة وظائف قضائية ودينية اخرى منها : نظر المظالم والحسبة والشرطة ؛ وكل منها تطور وظهرت له اختصاصات معينة . وقد اصبح نظر المظالم (٤) منصبا قضائيا هاما ، يعنى منع الظلم عن الرعية ، فمظالم مفردتها مظلمة أو ظلامه ، بمعنى انتهاك حق فرد ، وهو تعبير اصطلاحى يدل على الظلم ، الذى يأتى من التعدى أو الفساد فى الدواوين المركزية أو الادارة المحلية . ولما كان القاضى يعجز عن النظر فيه لتناوله جهاز الحكم ؛ فان الذى كان ينظر فيه هو الخليفة أو من ينوب عنه من كبار رجال الدولة .

(١) النباهى ، تاريخ قضاة الاندلس ، نشر Lévi-Provençal ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢١ ؛ حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤٤٩ ، ٤٥٢ .

(٢) الولاء ، ص ٣٥١ ، ٣٩٠ .

(٣) نفسه ، ص ٣٥١ ؛ انظر . ترتون ، أهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة حبشى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٢٠٨ .

(٤) الاحكام ، ص ٦٤ وما بعدها ؛ الخطط ، ٢ ص ٢٢٤ - ٢٤٥ ، ٣ ص ٣٣٦ وما بعدها ؛

The Mazalim Jurisdiction in the Ahkam Sultaniyya of , Amedroz
+ Org. jud, 2, P. 141 sqq. : Tyan ; Mawardi, J. R. A. S. July, 1911
Ency. (art Nazir al - Mazalim) t3, P. 452-3.

؛ اجد ، نظام الفاطميين ، ١ ص ١٥٥ وما بعدها .

وهذا النوع من القضاء يرجع فى أصله الى ملوك الفرس الساسانيين ، الذين كانوا اول من مارسوه . وقد ترجع فكرته ايضا ، الى أصل عربى قديم ؛ فقد تعاون القرشيون من قبل على رد حقوق المظلومين ، وعقدوا حلفا سموه حلف الفضول . ولكن رد المظالم لم يظهر رسميا فى الخلافة الاسلامية الا فى عهد الأمويين ؛ فكان عبد الملك ابن مروان اول من افرد له يوما . وقد استمرت المظالم ترفع راسا الى الخليفة حتى عهد العباسيين ، الذين أصبحوا ينتدبون فيه ؛ فكان من ينوب عن الخليفة يعرف : بقاضى المظالم او صاحب المظالم . ولم يكن هذا المنصب بالضرورة وقفا على القاضى ، وان كان من الطبيعى ان يدعى اليه بسبب معارفه القانونية ؛ وان كان من الممكن ايضا ان ينوب عن الخليفة أى موظف آخر ، اشترط له الفقهاء ان يكون عظيم الهبة ، على اليد ، له سطوة الحماة ، حتى يستطيع ان يوقف الفساد فى الدولة . لذلك كثيرا ما كان يقوم بهذا القضاء الوزراء اذا لم يقم به الخليفة بنفسه ، وخاصة وزراء السيف .

وقد كان مقر نظر المظالم بالضرورة هو مقر الخليفة فى العاصمة او صاحب السلطة العليا ، ويكون عادة بقصره ، وربما يكون عند سيره فى المواكب ايضا . فمثلا نظر المظالم فى عهد خلفاء الفاطميين ؛ كان بمكان خاص فى قصرهم يعرف : بباب الذهب ، وفى عهد المالكيين فى مكان بالقلعة اسمه الايوان او دار العدل . وكان الجلوس للمظالم يحاط بهيبة خاصة ؛ فيتكون من جملة موظفين منهم : ممثلون لجميع فروع جهاز الدولة من القضاء والشهود وكبار كتاب التراسل وشئون المال وقواد الجيش والأسطول ، وايضا ممثلون للقصر . فنميز فى العصر الفاطمى كاتبين من كبار كتاب القصر يشتركون فى هذا النوع من القضاء ، ويسجلان ما يتخذ فيه من قرارات ، أحدهما يسمى : « صاحب القلم الدقيق » والآخر : « صاحب القلم الجليل » .

اما المتظلمون ؛ فان أغلبهم من بسطاء الناس ، ومن النساء المستضعفات ، ومن أهل الذمة ، الذين يأتون من نواحي بعيدة خارج

العاصمة (١) . وقد كان اغلب التظلم من الاشتطاط في جميع الضرائب ، او من الجزية التي لم تسقط عن اسلم ، او من منع بناء الكنائس ، او من سوء معاملة الموظفين لاهالى . فكان المتظلمون يقدمون مظالمهم كتابة ، وهو ما عرف باسم : قصة او رقعة او مخاصمة او شكوى او مظلمة او ظلامة . فتعرض الشكاوى على مجلس المظالم ، الذى لم يكن من الضروري ان فى حكمه على البينة كما فى القضاء العادى ، وانما بايصر الاشياء .

وكانت الشكاوى بعد عرضها ، لابد ان تمر فى ديوان التراسل ؛ لان هذا الديوان مكلف باصدار الامر للتنفيذ . فكان فى هذا الديوان موظف خاص يوقع بعلامة الخليفة للتنفيذ ، يسمى : موقع القصص (٢) . وقد كان الخليفة يطلع احيانا بنفسه على الشكاوى ، ويكتب عليها بعض الكلمات . ومع تعقيد اجراءات المظالم ؛ فانه لم يكن يتخذ دائما فيها قرار حاسم . ففي مصر ، كانت اغلب الشكاوى كما يقول ابن الصيرفى فى كتابه : قانون ديوان الرمائىل ، ترد الى اصحابها ، وقد كتب عليها : 'يقدم من جديد ، او ليس من ومسيلة ؛ وكانت هذه الاخيرة الغالبة فى الاجابة . ومن ناحية اخرى نظرا لاهمية هذا النوع من القضاء ؛ فانه كان ينسخ احكاما صدرت من قبل ، ويوجد احكاما اخرى جديدة .



اما الحسبة ، ومن يقوم بها يسمى المحتسب ؛ فهى لم تكن منصبا قضائيا بالمعنى الدقيق لنظر المظالم او القضاء العادى ؛ وانما منصب دينى خلقى ، اساسه الامر بالمعروف اذا ظهر تركه (٣) ، والنهاى عن المنكر اذا ظهر فعله ؛ حيث ورد ذكره فى القرآن : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ٣ : ١٠٤) .

Code, p. 114.

(١) انظر .

Beitrage, P. 27 : Biorkman ; Ibid, P. 112-115.

(٢) انظر .

(٣) المقدمة ، ص ١٧٨ ؛ الاحكام ، ص ٢٠٨ وما بعدها ؛ ابن تيمية ،

احسبة فى الاسلام ، القاهرة ١٣١٨ هـ ، انظر :

Ency. (art Hilsba) t2, P. 337; (art Mouhtasib) t3, P. 751.

؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٦١ وما بعدها .

ولكن الحسبة تعدت المعنى الدينى الخلقى فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى واجبات عملية لمادية ؛ تتفق مع المصالح العامة للمسلمين . وفى رأى الفقهاء أن الحسبة اعتبرت أثمه بخدمة اجتماعية واقتصادية لسكان المدن ، حيث تلمس فيها بذرة النظام البلدى الحالى . لذلك ؛ فهى كوظيفة ثابتة من الراجح إنها لم تظهر إلا فى نهاية القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى (١) ؛ حينما انتظمت احوال المدن الاسلامية .

فمن ناحية ، تناولت الحسبة امورا اجتماعية متعددة مثل (٢) : المحافظة على النظافة فى الطرق ، والرافة بالحيوان بأن لا يحميل مالا يطيق ، ورعاية الصحة بتغطية الروايا ، ومنع معلمى الصبيان من ضرب الأطفال ضربا مبرحا ، ومراقبة الحانات وشاربى الخمر وتبذير النساء ؛ وبعبارة عامة كل يتعلق بالمجتمع واخلاقه ، والظهور فيه بالمظهر اللائق .

ومن ناحية اخرى ، أصبح عمل الحسبة الأساسى اقتصادى لتضخم المدن الاسلامية بارياب الحرف والتجارات . فكان عمل الحسب الأساسى منع الغش فى الصناعة والمعاملات ؛ وبخاصة الاشراف على الموازين والمكاييل وصحتها ونسبها (٣) ؛ وهى التى عرف منها المسلمون انواعا ، مثل : القنطار والرطل والأوقية والنص والنواة والدرهم والدانق والقفيز والصاع والمكوك والكارة والتليس والمد . ولم تكن التسعيرة - كما فى وقتنا - على المواد والبضائع ضرورة فى ذلك الوقت ؛ وذلك لأن الاسلام ضد التسعير ؛ فأحل البيع بما فيه من

(١) أورد هذا الرأى الباز فى مقاله : كتاب عن الحسبة فى بيزنطة ، فصلة من مجلة كلية آداب القاهرة ، المجلد ١٩ ، ١٩٥٧ ، ص ١٣٥ . نقله من مقدمة Robin ، محقق كتاب ابن الأخوة : معالم القرية فى أحكام الحسبة ، طبعة Cambridge ، ١٩٣٨ ، ص ٥ .

(٢) مثلا : الخطط ، ٣ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٣) الشيزرى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق الباز ، القاهرة ١٩٤٦/١٣٦٥ ، ص ١٨ - ٢٠ ؛ انظر Sauvaire :

Matériaux Pour servir à l'histoire de la numismatique et de la métrologie musulmanes, Paris, 1882.

مساومة ؛ فضلا عن انه لم يكن هناك حاجة الى التسمير ؛ فقد كان التنافس المستمر لاصحاب الصنف الواحد او الحرفة الواحدة (١) ، يؤدي الى خفض الاسعار وتثبيتها . وجميع ما ظهر من كتب الحسبة يشير الى اهمية دور المحتسب الاقتصادي ؛ بحيث كان يستعين فيه بالخبراء ، الذين يختارون من بين ارباب الصناعات والتجارة ، وهم الذين سموا بالعرفاء جمع عريف (٢) .

وقد كان للمحتسب سلطة تنفيذية مفوضة الى رايه ، وهو ما عرف بالتعزير ؛ الذي هو نوع من العقاب لم يقرره القرآن ، وان اتفق عليه في معظم البلاد الاسلامية ؛ فكان يستعين في تنفيذه : بالاعوان (٣) . قصته : الردع بالقضاء على شيء محرم ، والتوبيخ بالقول او الضرب بالسوط المتوسط الغلظ ، او بالدرة وهي من جلد البقر او الجمل ، والنفي من البلد ، والتشهير او التجريس ، بأنه يلبس المشهر به طرطورا من اللبد منقوشا بالخرق الملونة ، ومكلا بالسود والاجراس (٤) ، ليطوف به في الشوارع . فمثلا في مصر أيام الفاطميين ، كان اذا كذب احد التجار على احد المشتريين ، أو باع بأكثر من الثمن ، فانه يدفع بالتاجر على جمل ، ويعطى جرسا بيده ، ويطوف به في المدينة ، وهو يدق الجرس ويقول : « قد كذبت وها أنا أعاقب ، وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب (٥) » .

اما الشرطة (٦) ، فهي وظيفة ظهرت في عهد الأمويين لوجدها معاوية ، لتقوم بحراسته وقت الصلاة ؛ او انها تكون أداة في يد عماله

(١) عن هذه ، انظر . المقرئى ، اغالة الامة ، ط ٢ ص ١٩ ؛ ابن تيمية ، الحسبة ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) نهاية الرتبة ، ص ١٢ .

(٣) اغالة ، ص ١٩ .

(٤) نهاية الرتبة ، ص ١٠٨ .

(٥) سفر نامه ، ص ٦١ .

(٦) المقدمة ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ؛ انظر .

لتنفيذ سياسته (١) ؛ فكان أول من عملها في الاسلام ؛ وربما يكون اخذها عن البيزنطيين من نظامهم في الأمن "Securitas" . ومنذ نشأتها تنفصل عن الحرس الخاص ، أو حرس الليل ، الذي انشاء معاوية ايضا . ولكن بعد ذلك تطور المقصود من الشرطة ، واصبح اساس عملها ان تكون تابعة للقضاء ، مؤداها كما يقول ابن خلدون : استيفاء الحدود ، أي تنفيذ الأحكام التي يصدرها القاضي . والشرطة لغويا مأخوذة من شرط أي جعل علامة (٢) ، ربما لوضع القائمين بها علامة يعرفون بها ؛ فكان الذي يقوم بها يسمى عادة : صاحباً ، وأحياناً : والياً (٣) ، وهما كلمتان تطلقان على كثير من الموظفين المسلمين الكبار .

اما العقوبات التي يقوم بتنفيذها القائم بأعمال الشرطة ، فهي الحدود (٤) "Reines Fixes" ، مفردها حد ، وتأتي دائماً بصيغة الجمع ، وهي تعرف على أنها زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر ، وترك ما أمر . وهذه الحدود مأخوذة من الجاهلية ؛ أو من اليهود في معظمها ؛ ونزلت في القرآن ، على أنها حق الله ، وهي تكون في عقوبات الزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر ؛ بقصد صيانة النسل والعرض والمال والعقل . ففي السرقة تكون بقطع يد السارق اليمنى من مفصل الكوع ، وإذا سرق ثانياً قطعت رجله اليسرى من مفصل الكعب ، ثم ثلاثة قطعت اليد اليسرى ، وفي الرابعة رجله اليمنى ، ولا يقتل ، كما ترك القرآن الشفاعة للمسارق . وفي الزنا والواط بالظلمان وتيان البهائم أو الشراب والقذف ، يكون العقاب بالرجم بالحجارة أو الجلد بالسوط . ولم يكن من السهل إيقاع حد الرجم إلا إذا توفرت البيئة ؛ ففي هذه الحالة لابد من وجود أربعة رجال عدول ؛ وبخاصة القرآن يعاقب بالجلد بالسوط ، لمن لا يستطيع اثبات

(١) الكامل ، ٣ ص ١٩٨ ص ٥ . لعل عثمان هو الذي أوجدها . ابن سعد ١/٤ ، ص ٢١ ص ٢٧ .

(٢) لسان ، ٩ ص ٢٠٢ وما بعدها .

(٣) مبح ، ٤ ص ٢٢ - ٢٣ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٦٢ .

(٤) الأحكام ، ١٩٤ وما بعدها ؛ انظر .

إتهامه بدقة . وقد استجاز المجتمع الاسلامى فى العصور الوسطى البغاء بعد ذلك ، وكانت الدولة تحميه ، وتفرض رسوما على بيوت الفواحش (١) .

وقد لجأ الفقهاء الى اضافة عقوبة طويلة الامد ، وهى عقوبة السجن ، التى ظهرت بسبب تطور المجتمع الاسلامى . وقد ظهرت السجون منذ عمر بن الخطاب (٢) ؛ ولكنها نظمت فى عهد الامويين على يد عمر بن عبد العزيز ؛ بحيث اوجد لها ديوانا يشرف عليها (٣) ؛ فقد كان عمر بن عبد العزيز ينظر بنفسه فى امر السجون ، ويكتب للمسجونين برزق الصيف والشتاء (٤) ، وتكون لهم كسوة الصيف والشتاء ، ومن يمرض يعتنى به ، وامر الا يقيد احد فى المحابس بقيد يمنعه من اتمام الصلاة (٥) . كذلك امر بالفصل بين فئات المسجونين ، بين من يسجن فى دين ، ومن يسجن فى جريمة ؛ وجعل للنساء حبسا على حدة (٦) .

ولكن بعد العصر الاموى ساءت حالة المسجونين ، ونم يصبح المسجن موضع اصلاح وتهذيب ، ولكن محل انتقام وتعذيب . فيصف المؤرخ المقرئى سجون الفاطميين فيقول (٧) : انها كانت اشبه بجنهم الحمراء ؛ حيث كان السجناء يحشرون فى مكان غير مسقف وهم فى الحديد ، يؤذيه حر الصيف وزمهرير الشتاء ، ويتركون هكذا من غير ان يطعموا شيئا الا بما يتصدق عليهم الناس ؛ وكان منهم المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ، الذين يستعملون فى الحفر والعمائر ونحو ذلك ، تحت اعين « الاعوان » - وهم من الشرطة - فاذا انقضى عملهم ردوا الى السجن فى حديدتهم .

(١) الخطط ، ١ ص ١٤٤ .

(٢) نفسه ، ٣ ص ٣٠٣ .

(٣) ابن سعد ، ٥ ص ٢٥٧ س ٢ - ٣ .

(٤) نفسه ، ٥ ص ٢٦٢ س ٢٢ وما بعدها .

(٥) نفسه ، ٥ ص ٢٧١ س ٢٣ .

(٦) نفسه ، ٥ ص ٢٦٣ .

(٧) الخطط ، ٣ ص ٣٠٤ .

ويجب أن نشير الى أنه في وقت الفوضى ، حيث تضعف السلطة المركزية ، وما يترتب على ذلك من ظهور طوائف مفسدة من أوباش وشطار (١) وفدك وصقور - أي لصوص وقتلة - فإن أصحاب الحرف والتجار في المدن ، ينظمون ما يعرف بنظام الفتوة (٢) ؛ للقيام بأعمال الشرطة ، حتى أنه أصبح لها لباس خاص ، يسمى لباس الفتوة أو سراويل الفتوة ، ولها تكوين خاص يشتمل على قائد ونقيب وعريف ، كما وجدت أسماء أخرى تدل على القائمين به مثل : الفتيان والأحداث والعيار (٣) . ويرجع المؤرخون أصل هذا النظام الى وقت النبي ، واعتبر على فتي الفتية ، وأن لباس الفتوة مثل خرقة الصوفية ، كما حصرت أصول النظام في شيئين : الشجاعة والكرم .



هذا هو التنظيم القضائي تظهر أهميته في الدولة الإسلامية ، التي هي قبل كل شيء دولة ثيوقراطية ، أساسها دين الإسلام .



كذلك كان التنظيم السياسي يرتبط ارتباطا وثيقا بالنظم الحربية ؛ وذلك لأن الخلافة كانت محاطة بأعدائها من كل جهة ، بحيث جعل الفقهاء الجهاد ركنا من أركان الدين وفرضا على المسلمين (٤) ، وميزوا

(١) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، تحقيق السقا وغيره ، القاهرة ١٣٥٧ هـ ، ص ١٢٥ من ٧ .

(٢) الأغاني ، ٦ ص ٩١ ، ٢٠ ص ٦٤ من ٨ ؛ الجرجاني ، تعريفات مصر ١٢٨٣ هـ ، ص ١١٠ ؛ ابن أبي المكارم (ت ١٢٤٤/٦٤٢) ، كتاب الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد وغيره ، ١٩٦٠ ؛ انظر .

Ency. (art Futūwa) t2 P. 130 — 31; (art Sirwāl) t4, P. 472

La Fatuwa ou pacte d'honneur artisanal entre les; Massignon travailleurs musulmans du Moyen Age, dans nouvelle. Clie, 1952. p. 175 — 6.

Mouvements, populaires et autonomisme dans l'Asie, : Cahen musulmane du Moyen Age. Arabica, Sept-Jan. 1958-1959.

(٣) مثلا : ذيل دمشق ، ص ٨٨ من ١٩ ؛ انظر .

Ency de l'Isl, (art Ayyār) 2 ed't 1. p. 817-18.

(٤) القرآن ٩ : ٨١ ؛ انظر . دهائم الإسلام ، ١ من ٣ .

بجلاء بين أرض الاسلام وسموها دار الاسلام ، وما عداها وسموها دار الحرب (١) . ومع ذلك ؛ فإن الجهاد كما ظهر من واقع حروب المسلمين ، لا يعنى غير الدفاع عن أرض الاسلام ، ومحاربة الأعداء (٢) .

وفى العصر الاسلامى الاول لم يكن الأمر محتاجا للانفاق على الجيش (٣) ؛ إذ كان معظمه من المتطوعة ؛ فلم يكن هناك تجنيد اجبارى ، فكان المتطوعة يحصلون على نصيب من الغنيمة لقاء اشتراكهم فى الحرب (٤) . ولما فتحت البلاد ، ظهرت الحاجة الى ابقاء جيش دائم فى وقت الحرب ، كما هو رقت السلم ، وأصبح هذا الجيش يحتاج الى انفاق . فأوجد عمر بن الخطاب ما عرف : بديوان الجند أو الجيش أو العساكر (٥) ، واعتبر أول ديوان فى الاسلام . فكان خراج البلاد المفتوحة ، هو الذى يصرف على الجيش أو ما يعرف: بالعطاء أو الرزق (٦) ، وهو من المال . وبانقسام وحدة المسلمين السياسية تعددت دواوين الجند ، وخصوصا ان النفقة لم تقف عند المال ، ولكنها أصبحت أرضا وهو ما عرف بالاقطاع ؛ فظهر مثلا عند الفاطميين ديوان الاقطاع (٧) ، ومن يستلمون الاقطاع يسمون بالمقطعين ؛ أى ان الاقطاع فى الاسلام ظهر أول ما ظهر فى الجيش . ولا يعنى هذا ان الجند تبقى فى الأرض المقطعة لزرعها ، ولكن الأرض تستغل لحسابهم .

وقد كان الجيش فى أول الأمر يتكون من العنصر العربى وحده ،

(١) الأحكام ، ص ٤٦ .

(٢) أنظر . الدينورى ، الأخبار الطوال ، ط . مصر ، ص ١٩١ ؛ أنظر . ملجد ، الدولة العربية ، ١ ص ١٦٣ ، ٢٦٥ .

(٣) بعامه ؛ أنظر .

Ency. of Isl, (art Diaysh) 2ed, t2 p. 504 sqq.

(٤) مثلا : المقدمة ، ص ١٦١ من ١٨ - ١٩ .

(٥) نفسه ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٦) البلاذرى ، فتوح البلدان ، تحقيق Brill de Goeje ، طبعه

١٨٦٦ ، ص ٤٤٩ من ٣ ؛ الكامل ، ٢ من ٣٥٧ من ١ .

(٧) صبح ، ٣ ص ٤٩٣ ؛ الخطط ، ١ ص ١٣٨ وما بعدها .

يحكم ان العرب هم مادة الاسلام . ولكن فى العصر العباسى تهبون للفنيين خطر تكوين الجيش من عنصر واحد (١) ؛ اذ ينعدم التناقض بين افرادهم . هذا فضلا عن تغير الاحوال باسلام شعوب كثيرة ، وإن العباسيين اعتمدوا فى اقامة حكمهم على غير العرب ، من الفرس والترک وغيرهم . ولذلك اسقط المعتصم بالله العباسى (٢١٨ - ٢٢٧ / ٨٣٢ - ٨٤٢) العنصر العربى من ديوان الجيش (٢) ، وبدأ فى ادخال عناصر من اجناس غير عربية . اما العرب ، فقد اصبحوا فى القرن الرابع الهجرى ، يكونون عناصر غير نظامية فى الجيوش الاسلامية ، ويدخلونه كمتطوعة (٣) ، تستخدم فى انهاء قوى العدو قبل الدخول فى المعركة . ونتيجة لظهور عناصر مختلفة فى الجيش ، ظهر الاسترزاق بالجندي (٤) ، ومثل هذا وجد فى بيزنطة ، التى كانت تستخدم الجند المسترزقة من الانجليز ، والجرمان ، والفرسيين ، والروس ، والارمن ، والبلغار ، وحتى من الترك .

يضاف الى ذلك ان الخلفاء والحكام فى الدول الاسلامية ، كانوا يعتمدون على جيوش خصوصية ، تكون مهمتها تأييد حكمهم ، وتنفيذ رغباتهم ، والحد من طمع منافسيهم ، مثل : عبيد الشراء او المشرى ، اى الذين يشترون بالمال (٥) - وهم من السود على الخصوص - ولكن بصفة خاصة ممن عرف بالماليك اى ما يملك (٦) - وهم من الترك فى الغالب - بحيث ان دولة المالك فى مصر كان معظمها منهم ، ولصبح

(١) انظر . نظام الملك ، سياسة نامه ، ترجمة من الفارسية الى الفرنسية

بعنوان :

Slasset Nameh, trad Cchefer. Paris, 1891-4, P. 135.

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، نشر وتحقيق Colin, Lévi-Provençal ، طبعة Leyden ، ١٩٤٨ - ١٩٥١ ،

٢ ص ٤٠ س ٥ ؛ المقدمة ، ص ١٢٢ ؛ انظر . ماجد ، الدولة العربية ، ١ ص ٢٣٣ .

(٣) لاحكام ، ص ٢٩ .

(٤) نفسه .

(٥) سفر نامه ، ص ٥٣ .

(٦) عن هذه الكلمة ، انظر . لسان ، ١٢ ص ٣٨٣ :

Ency (art Mamlûk) t3, P. 230 sqq.

ملاطينها يعتمدون على الماليك اعتمادا كليا في منافساتهم الشخصية أو غيرها .

أما عن القيادة ؛ فقد كان نادرا ما يقود الخليفة الجيش . فبعد النبي لا نجد خلفاء يقودون الجيوش في الحرب إلا في حالات نادرة . وإنما كان للخلفاء الأوائيل يعهدون بالقيادة الى شخص يسمى : امير الامراء (١) ، أي قائد القواد ؛ لأن الأمير هو القائد . ولما تعددت دول الاسلام ، ظهرت القاب عديدة تدل على قائد الجيش ، مثل : اسفهلار العسكر (٢) - والقيادة نفسها تسمى الاسفهلارية - وهي كلمة فارسية ، وامير الجيوش (٣) ، ورئيس الرؤساء (٤) ، وقائد القواد (٥) . ومع ذلك بقي الخليفة القائد الأعلى للجيش بدليل ابقائه على لقب امير المؤمنين ، الذي اتخذه عمر بن الخطاب ، اثناء حركة الفتوح ، زيادة على لقب خليفة .

وفي أول الامر لم يكن قواد الجيش الاسلامي يتميزون بعضهم عن بعض في مراتبهم ؛ وإنما كل منهم يحمل لقب امير أي قائد ، ووظيفته هي الامارة . وبعد ذلك ، أصبحوا يتميزون بعلامات خاصة (٦) : فعرفنا في الحولة الفاطمية ثلاث مراتب ، وهم : الامراء المطوقون ، يتميزون بوضع طوق حول عنقهم على الطريقة المصرية القديمة ، وامراء القضب أي يحملون قضيبا أو عصى فضية في أيديهم ، وادوان الامراء ، وهؤلاء يكتفون باللقب ، ولم يكن لهم حق حمل القضب الفضية . كما أنه في الدولة المملوكية عرف امراء الطبلخانة بهذا الاسم لأنهم كانوا

(١) فتوح البلدان ، ص ١٠٩ . هو لقب خاند بن الوليد .

(٢) صبح ، ٣ ص ٤٨٤ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٩٣ .
سفه هو المذم ، وسلاز أي التسكر .

(٣) السجلات المستنصرية برقم ٣٤ و ٥٩ ؛ الخطط ، ٢ ص ٣٠٤ .

(٤) النجوم الزاهرة ، ٥ ص ٦٧ ؛ الكامل ، ٨ ص ٨٤ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ٢٢ .

(٦) صبح ، ٣ ص ٤٨٠ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٥٠ وما بعدها ؛ انظر . ماجد ،

نظم الفاطميين ، ١ ص ١٩٤ ؛ Mayer :

Studies on the Structure of Mamluk Army. B.S.O.A.S. XV.

1953, p. 204 sqq.

يسIRON وحولهم الطبل يدق . كذلك تميز القواد بعدد من الجنود تحت قيادتهم ؛ ولذا سموا : بمقدمى الألوF أو المئات أو العشرات أو الخمسات .

وبجانF للجند والقواد ؛ كان للجيش الاسلامى حواشى متعددة . فبعضهم له رؤاسات ، مثل : زم الرجال والطوائف (١) ؛ وهم الذين يهتمون بكل ما يتعلق من تمولين الجيش وغسيره ؛ والنقباء الذين يجمعون الجند (٢) ؛ والجواسيس والعيون (٣) ، الذين يطلعون على أخبار العدو . كذلك نسمع عن قاضى العسكر (٤) ، والأطباء والمؤذنين ، والقراء ، والعبيد لحمل الأمتعة ، وحتى النجاريين ، والحجارين (٥) . وفى أول الأمر كان النساء يسرن مع الجيوش ؛ ولكن بعد أسقاط حق العرب فى الجندىة ، لم يعد النساء يصحبين الرجال الى ميدان القتال (٦) .

وقد كان للجيوش الاسلامى ثكنات ككل الجيوش ، عرفت باسماء مختلفة ، وهى : قطائع (مفردا قطاع) (٧) أو خطط (خطة) ؛ أو حارات (حارة) (٨) . وقد تطورت هذه الثكنات ، فاصبحت أشبه بمدن كاملة ، توجد فيها البيوت والدكاكين والأسواق والحمامات ؛

(١) صبح ، ٣ ص ٤٨٦ ، ١٠ ص ٣٠٨ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٣٤ وهامش (١) .

(٢) الخطط ، ٣ ص ٣٦٢ ص ٣ .

(٣) الفتح القسى ، ص ١٦١ ص ٧ .

(٤) الولاة ، ص ٥٨٦ ص ١٧ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٤٠ ص ٣ ؛ صبح

٤ ص ٣٦ .

(٥) الخطط ، ٢ ص ٣٧٢ ص ٥ ؛ بو الحاسن ، حوادث ، ص ١٩ ،

٢٥١٠ ؛ ابن إياس ، مصر ١٣١٢ هـ ، ٣ ص ٢٣ .

(٦) المقدمة ، ص ٢١٦ (أسفل الصفحة) .

(٧) الكامل ، ٢ ص ٣٦٨ (آخر الصفحة) ؛ اللسان ، ١٠ ص ١٥٤ .

(٨) الخطط ، ٢ ص ٧٦ وما بعدها ، ٣ ص ٢ وما بعدها .

(٥ - الحضارة)

بحيث أن العسكر والقطائع (١) - وهما من معسكرات الجند في مصر - كونتاهيين مزدهرين بجوار القاهرة .

وقد عرف المسلمون أنواع الأسلحة ، وأغلبها في أول الأمر أخذوها عن الروم والفرس ؛ وإن قاموا بصنعها في مصانع عرفت في الدولة الفاطمية : بخزائن السلاح ، وفي الدولة المملوكية : بالسلاح خاناه . وكان (٢) الخلفاء يهتمون اهتماما كبيرا بصناعة السلاح ؛ فقد كان من رسوم الفاطميين أن يجلس الخليفة في خزائن السلاح على سرير أعد له خصيصا ؛ بقصد التفتيش عليها . كذلك أضاف المسلمون إلى الأسلحة المعروفة أسلحة أخرى ، حتى أن كثيرا من المؤلفين المسلمين ، أقرروا كتباً لصناعة السلاح واستعماله (٣) ؛ مع أن التصنيف عن الأسلحة لم يعرف إلا نادرا في العالم القديم ؛ وإن كان الروم الذين عاصروا دولة الاسلام ، هم جروا على التأليف عنها أيضا (٤) ، وعن فن الحرب "Strataegikon"

وقد كان أهم أسلحة المسلمين هي السيوف ، وهي كلمة من أصل مصري قديم « سفيت » (٥) ، انتقلت إلى كل اللغات ، ومنها إلى

(١) نفسه ، ٢ ص ٨٩ ، ١٠٣ .

(٢) نفسه ، ٢ ص ٢٦٨ - ٣٦٩ ؛ صبح ، ٢ ص ١٣٣ وما بعدها ، ٤ ص .

١١ - ١٢ ، ٣ ص ٤٧٧ ؛ مصنف مجهول ألف لصالح الدين ، نشره وترجمه Cahen ، بعنوان :

Un traité d'armurerie composé pour Saladin. Extrait du

Bull d'Et Or. Damas tXII années 1947-8, PP. 103-163.

Kitāb al — Sitāh, die Waffen der Alten Araber : Schwarzlose ،

Leipzig, 1886. ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ١٠ ص ٢١٠ وما بعدها .

(٣) عن ذلك ، انظر .

Military Literature of the Arabs, Cahiers Sériel, : Abdel Rahman VII, Fasc. 3. Juin 1955, p. 149 sqq.

(٤) انظر . أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، تعريب طه بدر ، ص ٩٩ .

(٥) مثلا في الانجليزية : "Sword" ، وفي الفرنسية "Sabre"

وفي الألمانية "Schwert" . ابن سيده ، المخصص ، بولاق ١٣١٧ هـ ، ٦

ص ١٦ وما بعدها ؛ انظر . زكى ، السيف ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٣ .

العربية . فعرفوا منها انواعا عربية وفارسية ، وهذه الأخيرة سموها « قلعجوريات » (١) . ولدينا وصف يبين قيمة السيف : فالسيف تتخذهُ العرب كالسكين ، وتطعن به كالرمح ، وتضرب به كالعمود ، وتجعله سوطا ومقرعة ، وتتخذهُ جمالا في الملا ، ومراجا في الظلمة (٢) . كذلك عرفوا انواع الرماح منها : الامنة الطويلة المسماة « القنا » (٣) ، والرمح الخمسبية المسماة « قنطاريات » (٤) ، والرمح الزان او الزانات ؛ وهي غالبا تسمى « الخطية » ، نسبة الى بلدة الخط في عمان (٥) ، التي كانت تباع فيها ، والطوارق التي يبدو انها رماح (٦) . وعرفوا انواع الاعمدة (٧) منها : اعمدة لها رموس مدورة ومضرسة مسماة : « دبابيس » ، واعمدة ذات رموس مستطيلة ومضرسة ايضا مسماة : « نثوت » (٨) ، واعمدة مربعة الشكل لها مقابض مدورة

(١) هذه الكلمة من اصل فارسي ، مفردا قلعجورية . انظر .

: Inostrantsev.

Torjestvennii vjezd fatimidiakikh khalifov. Butrosbourg, 1904

P. 50.

(٢) ابن هذيل ، كتاب حلية الفرسان ، تحقيق وتعليق عبد الغنى ، دار

المعارف ، ص ١٨٧ .

(٣) انظر . Suppl, 2, 414.

(٤) اصل الكلمة يوناني من "Kontarion" ؛ تعنى خشب الرمح . انظر .

Ibid, 2, p. 413.

(٥) كانت تستورد من الهاد ، وتباع في اسواق الخط . عنها ، انظر .

معجم البلدان ، ٣ ص ٤٤٩ .

(٦) الفتح القسي ، ص ٥٣ ص ٧ . اختلف في معنى هذه الكلمة : وان

عنيها بها الرمح لورود العبارة هكذا : طوارق وقنطاريات وزانات . ويقول

المقريزي حارة الطوارق ، يسكتها صبيان الطوارق ، المعدين لحمل الطوارق ؛

وذلك دون ان يعطى تفسيراً . الخطط ، ٣ ص ٢٤ . او ربما من اللاتينية

:Dozy.

"Targum" ، لتعنى درعا . عن هذه الكلمة ، انظر .

Suppl, 2, p. 40-41.

(٧) صبح ، ٣ ص ٤٧٤ و ٥٠٤ ؛ انظر . Inost, p. 36. ؛ ملجد ، نظم

الفاطميين ، ٢ ص ٧٥ .

(٨) جمع لت او لخت ، وهي كلمة فارسية . انظر . Inost, P. 37. ؛

ملجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٥٧ .

تمسك باليد ممساة : « مستوفيات » (١) . وعرفوا أنواع الخناجر والنصول والطبر (٢) - وهى الفؤوس - والحراپ . وعرفوا أنواع السهام منها : سهام ذات نصول مثلية من الخشب يقال لها : « نشاب » ، وسهام طولها شبر تعرف « بالجراد » لم تبلغ الهدف بمرعة فائقة ، فتقضى على الفارس والراجل ، والنبل وهى سهام . واستخدموا أنواع الأقواس المختلفة ، وهى تتألف من عمود وقضيب ومفتاح (٣) ، والسهام يوضع فى القضيب ، فمنها : قوس اليد ، التى تشد باليد ؛ فتخرج سهاماً تشبه الجراد دفعة واحدة ، فى جهات متعددة ، وهى تعرف بالعربية ، وقوس الرجل التى تشد بدفعها من الرجلين ، وهى تعرف بالفرنجية ، وقوس اللولب التى تشد بواسطة لولب ، وقوس الركاب التى تشد من ركاب الخيل ، وينسب إلى القائد المهلب بن أبى صفرة (ت ٧٠٢/٨٣) ، إلى أنه أول من جعل الركاب من الحديد بدلا من الخشب (٤) .

وقد عرفوا أسلحة الحصار الثقيلة ، مثل : « المنجنقات » بنوعيهما الصغار والكبار (٥) ؛ وهى آلات قذافة بالأحجار والذهب ؛ كما عرفوا الكباش والعرادات ؛ وهى أنواع من المنجنقات أو أسماء لها . وقد بلغت صناعة المنجنقات حد الاتقان على يد المسلمين منذ زمن مبكر ؛ حتى أنه أيام فتوح الهند نسمع عن منجنق يقال له العروس ، كان يديره ساعة الرمى خمسمائة رجل (٦) . وعرفوا « الدبابات » و « الأبراج » و « المستائر » ، وكلها أسلحة حصار تستخدم فى ثقب حوائط الأماكن المحصنة وتدميرها . وقد ظهر عند الجيش الفاطمى سلاح يدل على فطنة المسلمين ، عبارة عن مثلثات مدببة من الحديد

(١) الخطط ، ٢ ص ٣١٥ من ١ - ٢ . يوجد التوضيح بالنص .

(٢) انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 20 .

(٣) ابن هذيل ، ص ٢١١ ؛ ابن سيده ، المخصص ، ٦ ص ٣٧ .

(٤) وفیات ، ٣ ص ٤٣ .

(٥) الفتح القس ، ص ٥٨ من ٧ . يطلق عليه أيضا : منجنوق ومنجنق ،

وهو اسم أعجمى . صبح ، ٢ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٦) فتوح البلدان ، ص ٤٣٧ ؛ الكامل ٤ ص ١١١ .

لها احجام مختلفة لنشرها على الارض ؛ لتعوق تقدم العدو ، وبخاصة فرسانه ، وهى تشبه الالغام فى وقتنا (١) .

ولكى يتقوا ضربات عدوهم كانوا يلبسون على رموسهم الخوذات ؛ منها : الفارسية « خود » ، اما العربية فتسمى « بيض » ، وزيمبا كانت وقتذاك مصنوعة من الجلد والحديد . كذلك استخدموا الدرقه والترس ؛ لاتقاء قذائف العدو ، ويكون كلاهما من جلد البقر ، أو اللط وهو حيوان يعمر فى الصحارى (٢) . اما على جسدهم ؛ فيلبسون الدروع وتسمى بالفارسية « زرد او زرديات » ، وهى انواع ؛ بعضها عبارة عن سترات مبطنه تسمى « كز اغنديات او كز اغندات » (٣) او « قرقلات » (٤) ، وبعضها يغطى الجسم كله ولا يبين غير الاحداق تسمى « الدروع المسبله » او « الزرديات المسبله » او « زرديات بالمغافر ملثمة » (٥) ، وبعضها عبارة عن صدر بغير ظهر تسمى « جواشن » (٦) ؛ كما وجدت دروع توضع على جسم الخيل تسمى « تجافيف » (٧) او « بركمتونات » (٨) ؛ وهذه الاخيرة من الفولاذ . وقد توضع ايضا على انحاء جسم الخيل ركب وزنود فولاذ ؛ وحتى خودة عند مؤخرته (٩) .

واستخدام المملون النفط منذ زمن مبكر ، وهو الذى استعمله الروم قبلهم ، يتكون من تركيب كيمائى اساسه البترول ؛ فعرف بالنار

(١) انظر . Cahen (مصنف مجهول) ، نص ١٢١ - ١٢٢ ،

ترجمة ، ص ١٤٤ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٢١٢ .

(٢) ابن هذيل ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ ؛ انظر . Dozy . Suppl, 2, P. 550 .

(٣) انظر . Ibid, 2, P. 342 ; 462 . مفردا كز اغند .

(٤) صبح ، ٤ ص ١١ ؛ ابن اياس ، ٣ ص ١٦ (آخر الصفحة) ؛ انظر .

Dozy . Suppl, 2, P. 336 . مفردا قرقل .

(٥) الخطط ، ٢ ص ٣٢٧ س ٣ - ٤ .

(٦) ابن هذيل ، ص ٢٢٧ . وهى كلمة فارسية ، مفردا جوشن .

(٧) انظر . Dozy . Suppl, 1, P. 200 . مفردا تجفاف .

(٨) ابن اياس ، ٣ ص ١٥ (آخر الصفحة) .

(٩) نفسه ، ٣٠ ص ٢١ س ٣ ؛ سفر نامه ، ص ٥٢ .

الآغريقية . وينسب اختراعه الى يوناني اسمه كالينيكوس (١) Kallinikos ؛ وربما عرفه الرومان أيضا ؛ وقد سماه الأوربيون حديثا : Feu grégeois . وقد برع المسلمون في استعماله اذ يوجد النفط في انحاء بلادهم ؛ فعرفوا منه الأسود الذي يوجد على ساحل بحر القلزم (الأحمر) ، ويسيل من أعلى جبل ، ويجمع في خزائن (٢) ، والابيض او الطيار ، ويوجد في العراق (٣) ؛ كما وجدت متابعه بجوار بحر قزوين عند بلدة بلكه او بأكويه (٤) ؛ حتى انهم سموها : « النفاطة » ، وهي يابكو الحالية . وقد تكونت في جيوش المسلمين فرقة خاصة لاستخدامه ، عرفت بالنفاطين (٥) ؛ حيث كانوا يلقونه على العدو في قارورات النفط (٦) ، او في قوارير (قدور) النفط (٧) ؛ او بالنشاب ، او من على ظهور الخيل .

وفي آخر ايام الحضارة الاسلامية ، عرف المسلمون البارود (٨) ،

(١) عن ذلك ، انظر . Chronique, ed et, : Michel le Syrien .
trad, Chabot. Paris, 1899 — 1910, 12 Fasc. 3, P. 455.
Feu Grégeois Paris, 1845. : Reinaud et Favé .
أيضا ؛ انظر .
L'emploi du feu grégeois chez, : Canard ؛
Les Arabes. Bulletin des Etudes Arabes, No. 26
Jen — Fev, 1946.

Suppl, 2, P. 703 — 4 : Dozy ؛

؛ ماجد . الدولة العربية ، ٢ ص ٤٨ وهامش (١) ؛ انظر .

(٢) صبح ، ٣ ص ٣٨٨ .

(٣) الفتح القس ، ص ١٧١ ، ١٧٩ .

(٤) عنها ، انظر . معجم البلدان ، ٢ ص ٤٥ ؛ انظر . ماجد ، الاطلس

التاريخي القاهرة ١٩٦٠ ، خريطة (٤) و (٨) .

(٥) الخطط ، ٣ ص ١٨ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١

ص ٢١٧ .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٣ ص ١٨ .

(٧) صبح ، ٢ ص ١٣٨ . القوارير تكون من الزجاج ، واستعيرت مجازا .

(٨) عن ظهور هذا الاختراع ، انظر مثلا : Gunpowder, : Ayalon

and Firearms in the Mamluk kingdom. London, 1956.

Le feu, : Mercier ; Ency. (art Barûd) 2ed t1, P. 1087 sqq;

grégeois ; les feux de guerre de guerre depuis l'antiquité, la poudre

a canon. Paris, 1952.

قبل أن يعرفه الغرب ، وهى كلمة انتقلت الى اللغات الأوروبية ، كما فى الانجليزية Powder ، والفرنسية *Poudre* . وقد أصبحت كلمة نلفط توافق كلمة بارود ؛ ولم تختلف كلمة نلفط الا فى أيام العثمانيين . ومن المؤكد ان البارود اول ما استعمل فى مصر ؛ اذ ان مادته الاساسية وهى النطرون توجد فيها (١) ؛ وان كان الاوربيون يحاولون ان يجعلوا ظهور هذا الاختراع فى اوربا قبل الشرق ، او انه على الاقل ظهر فى وقت متقارب . وقد ترتب على اختراع البارود ظهور المدفع او المكحل ؛ او المكحلة ؛ حيث عرف الماليك منه الكبير والصغير (٢) . ويوصف (٣) المدفع او المكحل على انه آلة من نحاس او حديد ، يوضع فيها الحجر او البندق وهو من الحديد ، ينبعث من خزانة امام النار الموقد فى البارود . وقد اختلف فى وقت ظهور المدفع ؛ فيذكر المستشرق *Quatremère* ؛ انه استخدام فى مصر لأول مرة فى سنة ١٣٩٠/٧٩٢ (٤) ؛ ولكن يبدو - مما لدينا من نصوص - ان هذه الكلمة وجدت قبل ذلك فى سنة ١٣٥٩/٧٦٠ ، او فى سنة ١٣٤٢/٧٤٣ ، او حتى فى سنة ١٣٥٢/٧٥٣ (٥) ؛ وان كان من المؤكد ان الماليك اول من استخدموه . وربما تكون البندقية ايضا قد استعملت من أيام الماليك ، فسميت : قوس البندقية او الجلاحق او الزبطانة ، وهى تطلق الرصاص (٦) .

كذلك كان الجيش الاسلامى يزود بمعدات ضرورية مثل الخيام والحواب من الفيلة والجمال وعلى الاخص الخيل ، التى كانت بعض

(١) صبح ، ٣ ص ٤٦٠ - ٤٦٩ .

(٢) ابن اياس ، ٣ ص ١٢٤ ص ٢٠ .

(٣) صبح ، ٢ ص ١٣٧ ؛ ابن اياس ، ٣ ص ٩ ؛ العبر ، ٤ ص ٦٩ - ٧٠ .

(٤) انظر *Quat* .

Observations sur le feu grégeois. J. A. 1850, No. 4, P. 25.

(٥) ابن فضل الله العبرى ، المصطلح الشريف ، ص ٢٠٨ ؛ صالح

ابن يعين ، تاريخ ، بيروت ١٩٢٧ ، ص ١٠٥ ؛ ابن اياس ، ١ ص ١٩٦ ص ٣ .

(٦) صبح ، ٢ ص ١٣٨ ؛ انظر *Gun, P. 60. : Ayalon* . وجد لها فى

مصر مكان خاص لصنعها ، عرف بخط البنادقنيين . الخطط ، ٣ ص ١٦٩ - ١٧٠ . وكان البندق يوضع فى جراوة .

سروجها مجوفة ومبطنة بصفائح من القصدير . ليجعل فيها الماء (١) .
 أما الرايات فكان الجيش الاسلامي يمتلك منها (٢) ، وربما اخذ
 استعمالها من الجاهلية ، ثم أصبحت شعارا في الاسلام . فكانت تتميز
 في ايامه الاولى بحمل عقيدة الاسلام : « لا اله الا الله ، محمد رسول
 الله » (٣) ، اما بعد ذلك ، فكانت تحمل اسماء الخلفاء والقابهم .
 وأصبح لون الرايات يدل على مذهب الدولة الاسلامية ؛ فكان للعباسيين
 رايات سوداء تسمى المسودة ، وللفاطميين رايات بيضاء تسمى المبيضة .
 وقد تعددت اسماء الرايات في دول الاسلام على حسب احكامها
 واهميتها ، منها : لواء وراية وسنجد وبند وبيرق . كذلك اكثر
 الجيوش الاسلامية من استخدام الطبل الكوسات والنبوق لتحميم
 افرادها ، وهي التي اخذت مكان الشماعر أو الخطيب ، أو حتى
 اصطحاب النساء في الجاهلية وایام الاسلام الاولى (٤) . ومع ذلك ؛
 فقد كان غالبا ما يصحب رجال الدين جيوش الاسلام ؛ فكان مماليك
 مصر يرسلون مع جيوشهم الخليفة العباسي (٥) . بل كان الجيش
 الاسلامي يزود بكل شيء ، حتى الابرة والخيط والخل (٦) .

وقد اهتم المؤرخون وكتّاب الحوليات المسلمون بالمعارك
 والوقائع ، ومعنى ذلك أن معلوماتنا عن اساليب الحرب عند المسلمين
 مبعثة هنا وهناك . فنجد انهم في الدفاع يلجأون الى حفر
 الخنادق (٧) ؛ وان تركوا ذلك وعمدوا الى اقامة القلاع ، التي ربما
 اكثرها منها تقليدا للصليبيين ، الذين غزوا بلاد المسلمين . كذلك كان
 المسلمون يلجأون الى التحصن وراء الترع ، ولا يترددون في حرق
 الارض امام العدو لعاقة تقدمه ؛ فكانوا يستخدمون في ذلك الثعالب

(١) الخطط ، ٢ من ٢٦٩ - ٢٧٢ .

(٢) المقدمة ، ٢ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ صبح ، ٣ ص ٤٧٣ - ٥ .

(٣) الواقدي ، فتوح الشام ، تحقيق Wust ، ١ ص ٣ ، ٣٣ ؛ انظر .

ماجد ، الدولة العربية ، ١ ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٤) نفسه ، ٢ ص ١٢٠ ؛ نفسه ، ١ ص ١٦٥ ؛ وقبله .

(٥) ابن ابيس ، ١ ص ١٤٠ من ١١ .

(٦) فتوح البلدان ، ١ ص ٤٣٦ .

(٧) المقدمة ، ص ٢١٧ .

والكلاب ، بعد أن يعلقوا النار في اذنابها (١) . كما قد يلجأون أحيانا الى طلب الهدنة ، أو ينسحبون سقرا في الظلمة .

أما طرق اللقاء أو الاشتباك (٢) ؛ فقد تطورت هي الأخرى تطورا كبيرا ؛ فقد تكون ثلاثين صنفا (٣) . وقد كان الجيشان المتحاربان يلزمان الصفوف ، ويبدأ القتال بالمبارزة ؛ فكان يقبضهما منظر الدم ؛ فيلتحمان ؛ وتكون الحرب زحفا ، حيث عرف العرب بالكر والفر . ولكن بعد أن اتصلوا بالدول الأخرى ، من الروم والفرس ؛ ظهرت أساليب أخرى للقتال ؛ فكانوا ، يوزعون جيوشهم - وهو ما عرف « بالتعبية » - في ميمنة وميمرة وقلب وساقلة ، التي تعنى عسكريا آخر وراء العسكر . وعلى حسب الخطط الحربية ؛ كان الجناحان يجب نشرهما على نطاق واسع ؛ لتحاشي الكمين (٤) . وينسب الى مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٨٣/٦٥ - ٦٨٠) ؛ انه أبطل القتال بالصف ، وأوجد ما يعرف بالكراديس جمع كردوس ، وهي كلمة يونانية من « Khortos » ؛ وذلك بالقتال في أعداد صغيرة ؛ بحسب عشرة أو مائة أو ألف ؛ وكانوا يوزعونها على هيئة مربعات أو مثلثات أو إهلة ، ولهم تعبيرات في ذلك (٥) ، مثل : الجريدة والسرية من خمسين الى اربعمئة ، والكتيبة من خمسمائة الى ألف ، والجيش من ألف الى أربعة آلاف ، والفيلق والجحفل من أربعة آلاف الى اثني عشر ألفا ، والعسكر يجمعها . وعلى يد المصاليك في مصر ، وجدت التعبية المسماة « بالاصاف » ، وتكون بثلاثة صفوف يضربون صفا وراء صف وهم مترجلون ؛ وكل صف ردة للذي أمامه ؛ ويصفها ابن خلدون بأنها

(١) صبح ، ١٤ ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٢) المقدمة ، ص ٢١٤ وما بعدها ؛ الأحكام ، ص ٣١ وما بعدها ؛ مثلا :

Reinaud انظر

De L'Art Militaire chez, les Arabes au Moyen Age.
Paris, 1848.

(٣) بتفصيل : الهرمسي ، صاحب المأمون ، مختصر سياسة الخروب ، تحقيق عون ، مراجعة زيادة ، القاهرة .

(٤) انظر . مصنف مجهول (تحقيق Cahen) ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٢٧ .

وترجمة ١٤٨ - ١٤٩ .

(٥) ابن هذيل ، حلية الفرسان ، ص ١٧٧ .

تعبية محكمة . ولا مراة ؛ فان الممالك نبغوا فى فنون الحرب نبوغا كبيرا ، ولدينا منهم مؤلفات عديدة عن الفن الحربى - أغلبها مخطوط (١) - فيها وصف ورسومات لطرق توزيع الجند ، والتحرك من مكان الى مكان . ومن الطريف أن نذكر أنه فى أيام حرب الصليبيين كانت تصدر بلاغات حربية - قصيرة او طويلة - بالنصر ، يطلق عليها : « البشارات » ، يكتبها كبار الكتاب ؛ لتقرأ من على المنابر ، ولتبقى فى ذمة التاريخ (٢) .

وقد كانت الدولة الاسلامية ، ولا سيما فى اول عهدها ، تستعمل الرفافة مع اسراها ؛ فمن كان يؤسر من الروم او الفرس يطعم ويمسقى . كذلك نصت تعاليم الاسلام على رعاية الكرامة الانسانية ، ولا يجوز أن تتعدى الحرب الى المدنيين ، الذين لا يشتركون فيها ؛ فلا يجوز قتل الشيوخ والرهبان والنساء والأطفال فى حرب ولا غيرها (٣) . ولكن أحيانا تستعمل القسوة على سبيل المعاملة بالمثل ؛ بحيث أن الخليفة الأموى سليمان (٩٦ - ٧١٥/٩٩ - ٧١٧) ، كان يتسلى بقتل أسرى الروم (٤) ، وأن صلاح الدين كان يحضر اجتماعات قتل الأسرى ، ويشترك فيها رجال الجيش والدين من الصوفية والفقهاء ، الذين كانوا غالبا ما يأنفون من القتل (٥) . وأحيانا أخرى (٦) ، يوضع الأسرى الأشداء فى أقفاص ، أو تعلق رموس القتلى على رقابهم فى اثناء استعراضهم ؛ فقد كان حماس المنتصر يغيره دائما نحو مسلك غير انسانى . ومثل ذلك ؛ كان يوجد عند الروم ، حتى أن

(١) مثلا : لاجين ، كتاب عمدة المجاهدين فى ترتيب الميادين : مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس (B. N.) ؛ برقم ٦٦٠٤ .

(٢) الفتح القسى ، ص ١٨٣ ، ٢٠١ .

(٣) الاحكام ، ص ٢٤ . انظر وصاية أبى بكر لاسامة بن زيد . الكامل ، ص ٢٢٧ ؛ انظر . ماجد ، الدولة العربية ، ١ ص ١٦٤ .

(٤) الكامل ، ٤ ص ١٥١ ؛ انظر . ماجد ، الدولة العربية ، ٢ ص ٢٦٨ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ١٣٩ ص ٢٥ ؛ الفتح القسى ، ص ٢٢ - ٢٣ ؛ انظر . ماجد ، الناصر صلاح الدين ، ص ١١٧ .

(٦) ابن اياس ، ١ ص ١٤٥ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، مخطوط بدار الكتب ، ٢٩ ورقة ٣٣ وما بعدها .

أحد أباطرتهم واسمه بازيل الثالث « Basilios III » : نزع أعين خمسة عشر ألف أسير بلغاري ، دفعة واحدة (١) . وعلى النقيض وجدنا فكرة تبادل الأسرى وقت الأمويين بأن يفادى النفر بالنفر ، كما وجد في أيام العباسيين ما يعبر عنه « بالفداء » ، وهو يكون بالمال أيضا (٢) .



كذلك حينما احتل العرب الشام ومصر ، أصبحت لهم سواحل طويلة ، وبينما كانت هذه السواحل تقف عقبة أمام تقدم جيوشهم ، كانت هي المكان الملائم لهجوم أعدائهم عليهم . فالعرب الذين تغلبوا على أعنى الجيوش رلوا عدوهم يتحداهم من البحر . ولما كان العرب أول أمرهم بدوا لا خبرة لهم بالبحر وركوبه ؛ عملوا على إصلاح الحصون الساحلية القديمة ، التي كان العدو تركها وسموها « إخاذ » (٣) ، كما انشأوا « مناظر » أي أماكن يراقب منها العدو ، كانت تتخذ « المواقيد » (٤) ؛ لطلب الاسداد إذا حدث هجوم مفاجيء .

ولكن منذ الخليفة عثمان بن عفان ، ظهر للمسلمين اسطول ، وهي كلمة من أصل يوناني « Stolos » ؛ تطلق على مجموعة السفن الحربية ، أو على السفينة الواحدة (٥) . وقد كفل الخليفة عثمان بناء الاسطول الى العناصر ، التي كانت لها دراية بصناعة الاساطيل في البلاد المفتوحة ، ومعظمهم من القبط المصريين ، أو من نصارى الشام في لبنان . وبانتشار الاسلام بين أهالي البلاد المفتوحة ، أصبحت صناعة السفن اسلامية ؛ بحيث أن العبارة التي تعنى المكان الذي تصنع فيه السفن ، وهي « الصناعة » (٦) ، انتقلت الى لغات

(١) أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، تعريب ، ص ١٨٩ .

(٢) الخطط ، ٢ ص ٣٦٠ وما بعدها .

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٣٠ . وهي كلمة من أخذ منزلا .

(٤) فتوح البلدان ، ص ٢٢٨ .

(٥) المسعودي ، التنبيه والارشاف ، حققه de Goeje ، طبعة 'Leyden

(B.G.A.) ص ١٤٦ ؛ انظر . الشاذلي ، الاسطول في اللغة والادب

والتاريخ ، ص ٣٥ (مجلة التراث ، السنة الثانية ، عدد ٣ ، مارس ١٩٤٥) .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٣٦٩ وما بعدها ، ٣ ص ٣٠٧ وما بعدها ؛ صبح ،

الغرب باسم : « Arsenal » ، ولا زالت الى وقتنا الحاضر ، تدل على المكان الذى تصنع فيه السفن . وقد اوجد الاهتمام بالأسطول ظهور دواوين خاصة به للاشراف عليه - كما وجد للجيش - نذكر منها فى العصر الفاطمى : « ديوان الجهاد » ، وفى العصر الأيوبرى : « ديوان الأسطول » . فكان هذا الديوان يقوم بالصرف على رجال الأسطول ، وهو ما عرف بالنفقة .

وقد كانت صناعة السفن تقتضى توافر امواد الخشب ، وهذه وجدت فى أماكن متعددة فى دار الاسلام ، ولا سيما فى غابات لبنان ، التى اشتهرت بأشجارها الصالحة لعمل المراكب ، وفى مصر التى تزرع الغابات (١) ، وتوجد بها اشجار لا تحصى من السنط فى اقاليم الاسيوطية والأخميمية والبهنسية والأشمونية ؛ حيث كانت امواد هذه الأشجار تصلح لعمل المراكب . وفوق ذلك ، كانت الدول الاسلامية تستورد الخشب اللازم لأسطولها من أوروبا ، ولا سيما من البندقية ؛ كما حدث فى أيام المماليك .

ونجد مراكب الأسطول الاسلامية فى البحار ، هى المراكب ذاتها التى عرفت أمم السواحل قبلهم ؛ ولكن المسلمين حسنوا فى

٣ ص ٤٩٦ ، ٥٢٣ - ٥٢٤ ؛ ابن مائى ، قوانين الدواوين ، القاهرة ١٩٤٣ ؛
ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٩ - ٢٠٣ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ،
١ ص ٢١٨ وما بعدها ؛ Kindermann :

Schiff. im Arabischen untersuchung uber Vorkommen
: und Bedeutung der Termini. Zwirchau, 1934
: Gildemister

: Ueber Arabisches Schiffswissen. Gottingen, 1881
؛ عبادة ، سفن الأسطول الاسلامى ، القاهرة ١٩١٣ ؛ Syed Sulaiman Arab,
Navigation, Isl. Cult Vol XV, October, 1941 ; Vol XVI,
January, 1942.

Ency. de l'Isi, (art Bahriyya) 2ed. t1 P. 974 sqq ;
: Bahgat (١). عنها : الخطط ، ١ ص ١١٨ ، ٣ ص ٣١٥ ؛ انظر ... Bahgat :

Les Forêts en Egypte. Mém de l'Inst. Eg. Le Caire. 1900, P. 141 sqq

صناعتها ، وتقديمت تقدما كبيرا على أيديهم . فظهرت منها انواع متعددة ذات اشكال مختلفة ، انتقلت اسمائها العربية الى لغاتهم ، ولا تزال باقية فيها حتى الآن . فمن قطع الاسطول الحربية الكبيرة الشهيرة : « الشوانى » جمع « شونة » أو « شينى » ؛ تجذف بثلاثة وأربعين ومائة مجذافا ، ومزودة بابرار وقلاع للدفاع ولل هجوم ؛ وتحوى على اهرار لخزن القمح ، وصهاريج لخزن الماء العذب . ومنها ، « الحراريق » جمع « حراقة » ، تعتبر من كبار المراكب ؛ وان كانت أقل من الشونة حجما ، وتستعمل على الاخص فى حرق سفن العدو ؛ فتزود بالنفط . ومنها ، « البطس » جمع « بطسة » ، وهى من السفن الحربية العظيمة ، التى تشتمل على عدة طبقات ؛ وعلى قلوب كثيرة تقدر بالكثير من اربعين قلعا ، وتستخدم فى حمل الأزواد والذخيرة والرجال ، فيقول المقريزى ان احدى البطس كانت تحمل خمسمائة ألف شخص (١) . ومنها ، « الاغربة » جمع « غراب » ، وهى من المراكب الحربية الشديدة البأس ، ولعلها سميت بهذا الاسم بسبب شكل مقدمة هيكلها ، التى على شكل رأس غراب ؛ وقد عرفت للأوربيين باسمها العربى المحرف « Corvette » . ومنها ، « المسطحات » جمع « مسطح » أو « مسطحة » ، وهى نوع من كبار سفن الحرب المسطوحة . ومنها ، « الطراود » جمع « طريدة » ، كانت تستخدم فى نقل الخيل . ومنها ، « الشلنديات » جمع « شلندى » ، وهى من كبار المراكب المسطحة ، وتستخدم فى نقل البضائع ؛ وقد عرفت للأوربيين باسم « Chaland » . ومنها ، « القراقير » جمع « قرقورة » ؛ وهى من السفن العظيمة المعدة لنقل المؤن للأسطول . ومنها ، « الحملات » جميع « حماله » ، التى تحمل الذخيرة للأسطول .

وبالاضافة الى هذه القطع الرئيسية ، عرف المسلمون قطعاً اخرى اصغر ؛ منها : « الطرادات » جمع « طراد » أو « طراة » ، وهى سفن حربية صغيرة على هيئة البراميل ، بدون سطح ، تستعمل فى مطاردة العدو لسرعتها . ومنها ، « الشهابيك » جمع « شهابك » أو « شباك » ، وهى سفن ذات ثلاثة قلاع ، وقد تسير بالمجاديف . ومنها ، « الفلايك » جمع « فلوكة » و « الزوارق » أو « الزواريق » جميع

(١) الخطط ، ٢ ص ٣٦٩ م ١٣ - يسميها المقريزى : « بطشة » .

« زورق » و « والقوارب » جمع « قارب » ، و « القياسات » جمع « قياسة » (١) ، وجميعها مراكب تدير غالباً من غير شراع ؛ وتستعمل فى نقل الأشخاص والأزواد .

ولدينا أسماء مراكب خاصة بالانهار ، مثل تلك التى وجدت فى الفرات ، وهى : « الطيارات » و « السميريات » و « الزيازب » (٢) ، وتلك التى وجدت فى النيل ، وهى « العشاريات » جمع « عشارى » (٣) ، التى أصبحت تعرف أيضاً باسم « حراقة » ، وما كان يستعمله الخليفة الفاطمى منها عرف باسم « دواميس » جمع « ديماس » (٤) ، توصف على أن طول الواحدة منها خمسون ذراعاً ، وعرضها ستون ، وعليها بيت أى قبة . كذلك المراكب المسماة : « العسلابيات » و « الحصائم » و « المنابك » كانت تدير فى النيل (٥) .

أما معلوماتنا عن مراكب المحيطات ، فيظهر من كتب الجغرافيين المسلمين أنها كانت تدير فى معظمها . ففقد أن فتح سندباد ، الأمير الهندى الأسطورى ، طريق تجارة الهند الى الشرق (٦) ؛ فان هذا الطريق أصبح معروفاً للمسلمين ، وتوسعوا فيه الى أن وصلوا الى سواحل الصين عند ميناء خنفو (خانكوا) (٧) ، لو كانتونج الحالية . وقد كانت مراكب المحيطات كبيرة جداً تتألف غالباً من طبقة واحدة ، وذات سارية « دقل » واحدة ، وكان الوصول الى سطحها يضطر الراكب

(١) عن هذه ، انظر . الملوك ، ٢ ص ٣٣ من ٤ وهامش (٢) ؛ انظر . Suppl. 2, P. 431. : Dozy

(٢) الكامل ، ٧ ص ٥٩ ؛ انظر . متر ، تاريخ الحضارة ، ترجمة أبى ريده ، ط ٢ ، ص ٢٩٢ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٠٨ من ٢٥ .

(٤) نفسه ، ٢ ص ٣٥٢ ، ٣٧٣ ؛ صبح ٣ ص ٥١٧ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ٢٩٢ من ١٩ .

(٦) انظر . Mazahéri :

La Vie quotidienne des Musulmans au Moyen Age ; Xe au XIII le siècle. Paris, 1951, P. 280.

(٧) عنه ، انظر . ماجد والبنا ، الأطلس التاريخى ، خريطة رقم ١٦ .

الى استعمال السلايليم عشرات من الأقدام (١) . ويصف الرحالة ابن جبير (٢) (ت ٢٠٢/٥٠٦) ، نوعا من المراكب ، التى كانت تسير فى البحر الأحمر (القلزم) ، لنقل الحجاج الى الحجاز ، وهى تسمى « جلاب » جمع « جلبه » ، يبنى بطريقة عجيبة ، لا يستعمل فيها مسار البتة ، وإنما خشبها مخيط بحبال مصنوعة من قشر الجوز المفتول ، وتتخللها عيدان النخيل ، ثم تمقى بالسمن لو بدهن الخروج او بدهن سمك القرش - وهو أحسنها - وذلك لتليين الأعواد ؛ فقد كانت مياه البحر الأحمر تاكل المسامير ، وتجعلها غير صالحة ، وكانت هذه المراكب لخفتها تحمل على ظهور الجبال ، وهى تسير بالمجاذيف لو الشراع المفتول من الخوص .

لما عن رجال الأسطول ، فكان معظم الملاحين فى أول الأمر من أهالى البلاد المفتوحة ؛ وأن كان المقاتلة من العرب . ولما اسلم أهالى للبلاد المفتوحة ، أصبحت الخدمة فى الأسطول منهم ، وكانت قائمة دائما على أساس مبدأ التطوع ، وذلك لأن الخليفة عثمان حينما امر بتأسيس الأسطول العربى ، قرر ذلك بقوله : فمن اختار الغزو طائعا فاحمله (٣) . وحتى فى القرن الرابع الهجرى فى مصر ، لم تكن الدولة الفاطمية تجبر احد على العمل فى الأسطول ، ومن يعملون فيه يسمون : « المجاهدين فى سبيل الله ، والغزاة فى اعداء الله » . ولكن فى عصور أخرى مثل فى أواخر حكم الأيوبيين وعصر المماليك ، الذين لم يهتموا بالأسطول بقدر اهتمامهم بالجيش ، كان الناس يجبرون على العمل فى الأسطول ، ويسمى الواحد منهم : « أسطولى » ، وهى تسمية لم تكن تعجب العاملين فيه .

وقد كانت الخدمة فى أسطول الفاطميين مثلا فى غاية التنظيم ؛ وأن كانت معلوماتنا عنها قليلة . فقد كان عدد قواد الأسطول المدرجين

(١) انظر . Marco Polo 1, 18 ; III, 1. نقلا عن : متر ،

ترجمة عربية ، ٢ ص ٣١٤ - ٣١٥ . كلمة الدقل تسمية لمراكب بحر الصين بدلا من الصارى . مروج ، ط . مصر ، ١ ص ٧٤ .

(٢) تحقيق نصار ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٤٤ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٠٨ ص ٢٥ .

فى ديوان الجهاد يزيد على خمسة آلاف فى آخر عهد الدولة ؛ على رأسهم عشرة من اعيان القواد البحريين ، يرأسهم جميعا رئيس عرف باسم : « رئيس الأسطول » أو « مقدم » . وهذا العدد لا يدل بطبيعة الحال على عدد المقاتلة أو البحارة ، الذين كان عددهم ولا بد كبيرا جدا . كذلك كان يغلب على من يقود الأسطول اسم : « أمير البحر » ، وهذه الكلمة انتقلت الى أوربا فى لغة فرنسا باسم : « Amiral » وفى الانجليزية باسم : « Admiral » ، وفى البرتغالية باسم : « Almirante » .

أما أسلحة الأسطول ، فكانت تشبه من أوجه كثيرة أسلحة الجيش ؛ نبرز منها - كما هو فى قول القلقشندى (١) - الفسى - التى تشد باليد وهى العربية ، وبالرجل وهى الأفرنجية . وكانت المراكب الكبيرة تزود على الخصوص بالمنجنقات لقذف الحجارة أو المواد الملقهبة ، وبالكلايب (٢) ؛ وفائدتها أنها تلقى على مراكب العدو ، فيوقفونها ، ثم يشدونها ؛ ويرمون عليها الألواح كالجسر ، فينتقلون اليها ، ليقاتلوا من فيها . وكان ضمن معدات السفن الحربية أيضا انوات الحصار ، مثل الأبراج والدبابات والسلاليم ، وحتى الحبال (٣) التى انتقلت الى اللغات الأوربية باسم : « Cable » . كذلك كان الأسطول الإسلامى يستعمل النار الاغريقية منذ العصر الأموى ، ويستخدم نوعا من النفط يسير على الماء دون أن ينطفئ ؛ فكان هذا النفط يحرق مراكب العدو (٤) . وكانت ومراكب المسلمين ، تحتوى من نار العدو بتغطية هيكلها بدرع من الخارج سمى : « لبوس » ، عليه غطاء سمى : « لبود » ، من جلود البقر الطرية أو من البسط (٥) ، أما الرجال فيحتمون من الحريق ، بدهن أجسامهم

(١) صبح ، ٣ ص ٥٠٨ من ٢ - ٣ .

(٢) الكامل ، تحقيق Tornberg ، ١٠ ص ٣٤٣ من ٨ . عنها ، انظر . Dozy : Suppl. 2. P. 481 ؛ نظم الفاطميين ، ١ ص ٢٢٦ .

(٣) صبح ، ١٠ ص ٤١٣ من ١١ .

(٤) انظر . مصنف مجهول ، تحقيق وترجمة Cahen ، نص ،

ص ١٢٢ - ١٢٣ ؛ ترجمة نص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٥) ابن الفلانى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧١ من ١٤ .

بالبلمان (١) ؛ وهو نوع من النبات .

وجرى العرف عند الخلفاء الفاطميين على أن يقوموا بتوديع الأسطول قبل خروجه للحرب ، وهو ما عرف بالموادعة . فيحضر الخليفة بصحبة وزيره والأعيان إلى ساحل النيل عند ميناء المقس ؛ فكانت المراكب قبل أن ترحل تقوم أمام الخليفة « بالحركة » ، أي المناورات ؛ كما يفعل تماما في حالة القتال . فكان الخليفة الفاطمي في هذه المناسبة يدعو للأسطول بالنصرة والسلامة ، ويوزع النفقة على رجال الأسطول ، كما يمنح القواد الخلع .

ولم يترك لنا المؤرخون معلومات وافية عن الملاحة البحرية ؛ ولكن يمكننا أن نؤكد أن العرب ساعدوا على تقدم فن الملاحة . فيشير المؤرخ المسعودي (ت ٣٤٥/٩٥٦) إلى تلك العلوم البحرية (٢) ، التي يتوارثها الملاحون ويسترشدون بأحكامها ؛ فيستطيعون التنبؤ بمجىء الرياح ، فيقول : « ولكل من يركب هذه البحار من الناس ، أرياح يعرفونها في أوقات تكون فيها مهابها ، قد علم ذلك بالعدادات وطول التجارب ، يتوارثون علم ذلك قولاً وعملاً ودلائل وعلامات ، يعلمون بها إبان هيجانه وأحوال رسوبه وثورانه » . بل ألفوا الكتب العديدة في فن الملاحة ، الذين أشهرهم على الإطلاق ابن ماجد (القرن الثامن/١٥ م) ، الذي يوصف « بالعلم » Malemo « ؛ فترك مؤلفات بحرية قيمة بالنثر والشعر ، أشهرها : « كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد (٣) » .

(١) صحيح ، ١٠ ص ٤١٣ .

(٢) مروج ، طبعة مصر ، ١ ص ٥٣ .

(٣) مخطوط المكتبة الأهلية في باريس ، برقم ٢٢٩٧ و ٢٥٥٩ . عنه ،

انظر أيضا .

Ency (art Shibāb al — Dīn Ahmed B. Mādjid) t4, 375. sqq

كذلك اخترع المسلمون البوصلة (١) « Boussole » : أو نقلوها عن الصينيين ، وسموها الحك ، وهى الابرة المغنطيسية . ويقول المسعودى انه شاهد فى مصر أنه من حديد أو من نحاس على شكل ثعبان تتحرك اذا جاء مغنطيس . فكان المسافرون فى البحر يضعون قدرا أو طاسة به ماء بعيدا عن الرياح ، ويلقون فيه بآبرة موضوعة فى خشب أو بوصة على شكل صليب ، ويأتون بحجر ممغنط كبير على حجم اليد ، ويحركونها نحو اليمين ، وبذلك تتحرك الابرة من نفسها نحو الجنوب ونحو الشمال . ومن الطريف ان نذكر ان مراكب المسلمين ، كانت تتصل وهى فى البحر ببعضها البعض أو حتى بمن فى البر عن طريق الحمام الزاجل (٢) ؛ وبيان ذلك انه كان فى مركب فائد الأسطول والمراكب الأخرى أقفاص الحمام الزاجل . كما كان مركب رئيس الأسطول الفاطمى يزود بفانوس خاص لكى تراه المراكب الأخرى ، فتهتدى به (٣) .

أما عن الدفاع الساحلى ضد غارات الأعداء ؛ فهو يشبه ما كان يتبع فى موانئ العصور الوسطى . فقد كانت كلمة ميناء تطلق على المكان ، الذى ترسو فيه السفن ، ويشبهونها بالأسطبل (٤) ، ظهره ناحية المدينة ، ولها حائطان داخلان فى البحر ، وعلى امتدادهما

(١) ابن ماجد ، المخطوطة السابقة ، ورقة (٦) ؛ مروج ، ط . مصر ، ١ ص ١٧٣ ؛ الخطط ، ١ ص ٣١٦ ؛ انظر . Sédillot .

Matériaux pour servir à l'histoire composée des sciences mathématiques chez les Grecs et les Orientaux : Klaproth. ; Paris, P. 31 sqq.

Lettre sur l'invention de la Boussole, Paris, 1834 ;
Ency. (art Maghnafis) t3, p. 109 — 111.

؛ بدر الدين الصينى ، العلاقات بين العرب واليمن ، القاهرة ١٣٧٠/١٩٥٠ ، ص ٢ .

(٢) الكامل ، ٩ ص ١٩ ؛ انظر . Amari .
Bibliotheca Arabd — Sicilia. Lepsia., 1887, p. 293

ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٢٢٧ .

(٣) الخطط ، ٢ ص ٣٧٣ ص ٢٢ — ٢٣ .

(٤) ابن جبير ، رحلة ، ص ٣١٢ .

مدخل مفتوح ، وقد شددت السلاسل بين الحائلطين ، فاذا اريد ادخال سفينة الى الميناء ، اُرخيت المسلسلة (١) ، حتى تغوص فى الماء ، فتتمر السفينة فوقها ؛ ثم تشد المسلسلة حتى لا تتمكن مراكب العدو من دخول الميناء . كذلك توضع العرادات - وهى منجنقات - حول الموانئ لضرب السفن التى تهاجمها ، او تبنى القلاع (٢) لحمايتها؛ وتوضع فيها المدافع او المكاحل (٣) .

وكان الاسرى الذين يؤتى بهم ، ياخذهم الخليفة ؛ اما المسائل والغنائم فلرجال الأسطول . وكان الخليفة الفاطمى ياخذ الاسرى من النساء ويدخلهن فى حريمه ، او يهدى بعضهن الى كبار رجال الدولة ، كما كان يلحق الصبيان (٤) من الاسرى بحرسه الخاص ، او يتربون فى اماكن خاصة ؛ بحيث انه كان فى عهد المماليك يرتقى بعضهم الى رتبة الامراء . اما من يستراب به من الاسرى ، او من كان من الشيوخ الذين لا ينتفع بهم ؛ فانه كان لا يتردد فى امضاء حكم السيف فيهم .



هذا هو ملخص للتنظيم السياسى الدقيق ، الذى كان يعم خلافة الاسلام .

(١) نفسه ، ٢ ص ٣٤٧ ص ١٦ - ١٨ .

(٢) نفسه ، ١ ص ٢٩٢ ص ٨ .

(٣) ابن ايلس ، ٣ ص ٩ ص ٢٥ .

(٤) يسمون الترابى . انظر . الخطط ، ٢ ص ٣٦٩ ص ٢١ .

الفصل الثاني

المجتمع

تكوين المجتمع - المدينة - الزى - الحياة الاجتماعية - خصائص القصور - الرسوم - انواع التسلية .

مالدينا من حياة المسلمين ، لا يعرفنا عنهم كثيرا ؛ لأن قليلين من الكتاب تعرضوا للناحية الاجتماعية ؛ ومع ذلك ؛ فإن مالدينا من معلومات ، يعطينا صورة واضحة عن المجتمع الاسلامى .



وقد كان المجتمع الاسلامى معنفا من الناحية الاثنولوجية ، يتكون من اجناس متعددة ؛ وان كان الاسلام ديناً ، وليس جنساً كما هو الحال عند اليهودية مثلاً ، كذلك لم يصحب الفتح الاسلامى هجرات او موجات كبرى ، كتلك التى حدثت فى اوربا فى اوائل العصور الوسطى ؛ ذلك لأن العرب دخلوا البلاد كفاتحين ، ولم ينتقلوا اليها كمهاجرين ؛ وان حدثت لهم هجرات محددة فيما بعد . ونستطيع ان نميز فى المجتمع الاسلامى الاول عنصرين هامين : اولاً : العرب ، وثانياً : اهالى البلاد المفتوحة .

فالعنصر الاول وهو العرب : وجد فى داخل الجزيرة العربية واطرافها ، وفى رجال الجيش والقبائل ، الذين انتقلوا مع حركة الفتوح ليسكنوا الامصار . وقد كان اغلب العرب عند بدء حركة الفتوح من المسلمين ، ومن لم يكن منهم على غير الاسلام ، فيسمى : بالعرب المتنصرة او روم العرب كما فى الشام (١) ، او بالعباه للدلالة على

لنهم عرب العراق النصارى (١) ؛ وان كان سرعان ما تحول هؤلاء الى الاسلام ، واصبح العرب عموما يكونون مادة الاسلام .

اما اهالى البلاد المفتوحة : فكانوا يسمون فى اول الامر : « رعية » (٢) ، بمعنى ان العرب رعاتهم ، او اهل ذمة وكتاب ، اي انهم غير مسلمين ؛ وان كانت لهم كتب سماوية او شبه سماوية ، يكونون فى ذمة العرب الذين يدافعون عنهم ، ويدخل فيهم النصارى واليهود والمجوس والصابئة (٣) . وكان معظمهم يقيمون فى بلادهم بناء على معاهدات امان او صلح ، او انهم خضعوا للعرب بحكم فتح بلادهم عنوة . وقد اصبح امان نجران (٤) ، الذى امضاه الذبى مع نصارى هذه المدينة ، النموذج الذى يعترف بحقوق اهل الذمة فى بلاد الاسلام . ولكن عمر بن الخطاب هو الذى وضع لهم شروط تنظيم تصرفاتهم فى المجتمع الاسلامى ؛ عرفت بالشروط العمرية (٥) . وبعد ذلك ، زاد عليها الفقهاء او الخلفاء ، مثل الزى الذى عرف باسم : « الغيار » (٦) . فكان غيار الرجال خيطا ملونا على الكتف ، او حزاما حول الوسط « زنارا » ، او صليباً او طوقاً حول العنق ، وغيار النساء خفين احدهما ابيض والاخر اسود ؛ وغير ذلك .

ولما اختلط العرب ببعض اهالى البلاد المفتوحة عرف اولادهم

(١) المسعودى ، التنبية ، ص ٧ .

(٢) الكامل ، ص ٣ ص ٣٠ ص ٨ ؛ انظر . احمد بن محمد ، المصباح المنير ، القاهرة ١٩٠٩ ، ص ٣٥٤ .

(٣) الاحكام ، ص ١٢٨ .

(٤) مؤلف مجهول ، تاريخ النسطوريين ، نشر وترجمة Scher (فى مجموعة . Pat. Or.) ، ص ٦٠٠ - ٦١٨ ؛ انظر . حميد الدين ، مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى ، القاهرة ١٩٤١ ، ص ٨٥ وما بعدها (٩٦ - ٩٧) .

(٥) الكامل ، ص ٧ ص ٢٤٠ وهامش .

(٦) نهاية الرتبة ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ؛ انظر . حسين مؤنس ، فجر المجلس ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤٤٣ .

« بالأبناء » (١) أى تجرى فى عروقهم دماء عربية ، وهو اسم قديم ظهر فى اليمن قبل الاسلام . ولما اسلم بعض اهالى البلاد المفتوحة أصبح يطلق عليهم فى عهد الدولة الاموية « الموالى » (٢) ، أى لنهم يدينون بالولاء للعرب ، او حتى « المولدين » (٣) ، أى الذين هم من اصل عربى واسلموا ، ولا سيما فى اسبانيا . ولما سقطت الخلافة الاموية التى اعتمدت على عنصر العرب وحدهم ، وقامت الخلافة العباسية التى اعتمدت على الشعوب المفتوحة ، وتحول معظم هؤلاء للاسلام ، اصبحوا يعرفون بالمسلمين ، وسميت بلاد الخلافة ذاتها بدار الاسلام ؛ بمعنى اصطلاحى يشمل المسلمين وغير المسلمين .

اما من ناحية تقسيم المجتمع الاسلامى ؛ فانه وان كان لابد ان ينقسم الى طبقات - شان أى مجتمع آخر - الا انه من المفروض ان لا يقسم الى درجات ؛ لما جعلته العقيدة الاسلامية من اخوة بين المسلمين ، كافراد متساوين فى اطار امة واحدة . ومع ذلك ، فقد وجدنا تقسيما للمجتمع الاسلامى فى ايام العباسيين ، تظهر فيه عقلية العصر فى تصور طبقاته . فهو ينقسم الى اربع طبقات (٤) : ملوك قدمهم الاستحقاق ، ووزراء فضلتهم الفطنة والرأى ، وعلية انھضهم اليمار ، واوساط الحقهم بهم التادب ، اما الناس بعدهم فزيد وجفاء .. لكع ولكاع .. وفى رايانا ان هذا التقسيم للمجتمع الاسلامى غير دقيق او محدد ، وانما يكون كالتالى :

اولا : طبقة الحكام ، وهم الخليفة والامراء والوزراء والولاة .. الخ ، أى بعامه رجال الحكم فى الدولة الاسلامية . وهم عادة يكونون من عصبية واحدة ؛ اذ ان ابن خلدون لا يرى رياسة بدون

(١) الكامل ، ٣ ص ٢٤٦ ؛ فتوح البلدان ، ص ١٠٥ .

(٢) الكامل ، ٤ ص ١٥٨ ؛ لسان ، ٣٠ ص ٢٨٨ وما بعدها ؛ النظر .
النحر ، الموالى فى العصر الاموى ، القاهرة ١٩٤٩ ؛

Gluturgeschichte, : Kremer ; Ency (art Mawlá) t3 p. 479
des Islams unter den Chalifen. Vienne, 1875-1877, 2, p. 154 suiv.

(٣) مالك ، الموطا ، ط . كلكتا ، النكاح ، ص ١٩٦ .

(٤) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ط . Leiden ١٣٠٢ هـ .

ص ١ ؛ انظر . متر ، الحضارة الاسلامية ، ترجمة ، ٢١١ - ٢١٢ .

عصبية (١) : وان كان استقرار الحكم قد يجعل الحكام يستغنون عن العصبية . وهؤلاء جميعا كانوا من العرب فى اول الامر ، ثم أصبحوا من اجناس مختلفة من اهالى البلاد المفتوحة ، او حتى من الرقيق الذى كان الحكام يشترونه بالمال ويربونه ؛ ليعزلهم فى الحكم .

وقد كان افراد امرة النبى او اهل البيت او بنى هاشم ، يدخلون فى هذه الطبقة الارستقراطية منذ عهد مبكر ، وتميزوا فيها باسم :
الاشراف . فقد نص القرآن على حب آل البيت ، واعتبر ذلك قرى لله (٢) . وقد احصى هؤلاء ايام المأمون العباسى (١٩٨ - ٢١٨ / ٨١٣ - ٨٣٢) ، فكانوا ثلاثين الفا بين رجال واناث (٣) ، واحصى مثلهم ايام العاضد الفاطمى (٥٥٥ - ٥٦٧ / ١١٦٠ - ١١٧١) ، فبلغوا عشرة آلاف شريف وشريفة (٤) لذلك أصبحوا يكونون نقابة عرفت باسم : نقابة العباسيين او الطالبيين او الاشراف (٥) ؛ لها ديوان يثبت فيه اسمهم ، وشيخ له حق القضاء بينهم ، والتدخل فى زواجهم ، حتى لا يمتن النسب الشريف . بل وفى عهد المائلىك ، كان الاشراف يتميزون بزي خاص ، وهو ان يجعلوا زوائد « شطفات » فى عماثم خضر (٦) .

ومع ذلك ؛ فان وجود هذه الارستقراطية الجماعية لم يكن لها وجود قبل الاسلام ؛ اذ ان الارستقراطية عند العرب فردية ، تقوم على الصفات الشخصية ؛ وحتى فى اوائل الاسلام ، فهى ارستقراطية التقى (٧) . ولكنها - كما رأينا - بعد ذلك ، أصبحت ارستقراطية

(١) المقدمة ، ص ١٢١ وما بعدها .

(٢) القرآن ٤٢ : ٣٢ . عنهم ، انظر .

Ency. (art Ahl al-Ba'it) t1, p. 187 ; (art Sharif) t4, p. 336-34.

(٣) المقدمة ، ص ١٣٨ من ١٣ . يقول المسعودى ثلاثة وثلاثين ألفا ، مروج ،

ط مصر ١٢٨٢ هـ ، ٢ ص ٢٥٩ .

(٤) الخطط ، ٢ ص ٣٩٦ من ٨ .

(٥) الاحكام ، ص ٨٢ وما بعدها ؛ صبح ، ٣ ص ٤٨٥ - ٤٨٩ .

(٦) ابن اياس ، ١ ص ٢٢٧ من ٥ ؛ انظر . Dozy . Suppl. I, P. 759 .

(٧) القرآن ٤٩ : ١٣ .

اسرات او غصبیات . فلدينا كتب تتناول تاريخ هذه الارستقراطيات ،
مثل : « انساب الاشراف » للبلادري (١) (ت ٢٧٩/٨٩٢) .

ثانيا : طبقة رجال الدين ، وهم في الاسلام قوام المساجد والقراء
والفقهاء والخطباء والقضاة والشهود ... ومع ذلك ؛ فلم يكن لهذه
الطبقة الدينية مظهر كهنوتي ؛ ذلك لان الاسلام لم ينشئ طبقة رجال
دين ، كما هو الحال بالنسبة للاديان الاخرى ؛ وانما ظهرت هذه الطبقة
نتيجة لحاجة المسلمين القيام بواجبات دينهم . ولكن للحكام المسلمين ،
لغايات سياسية ، جعلوا لرجال هذه الطبقة سلطة كبيرة ، لم يخو لها
لهم الاسلام .

ثالثا : طبقة ارباب السيوف ، وهم كما يظهر من اسمهم يشتغلون
بالحرب . وفي اول الامر ، كان معظمهم من العرب ؛ لان اهالى البلاد
المفتوحة لا يحاربون ، وانما في ذمة العرب ، الذين يدافعون عنهم .
ولكن لما اسلم اهالى البلاد المفتوحة ، من عناصر الفرس والترك
والديالة والسودانيين والمصريين ، كونوا قسما هاما في الجيش
الاسلامى . ولاهمية هذه الطبقة المحاربة ، اصبح لها امتيازات خاصة ،
مثل ركوب الخيل ، في حين ان المدنيين لا يسمح لهم الا بركوب
الحمير (٢) . وهذه الطبقة اذا ما ضعفت الطبقة الحاكمة سيطرت على
شئون الحكم .

رابعا : طبقة ارباب الاقلام ، وهم كما يظهر من اسمهم يعتمدون
على صناعة القلم ، اى الكتابة ؛ فكان يطلق عليهم الكتاب ، مفردها
كتب . وهذه الطبقة معظمها في اول الامر من رجال اهل الذمة ؛ لمعرفة
هؤلاء بالكتابة دون العرب ؛ فكانوا يشتغلون في دواوين الخلافة ؛ مما
جعل المجتمع الاسلامى في حقيقة الامر محكوما باهل الذمة . وقد كان

(١) حققت منه اجزاء ، ويوجد كاملا في القسطنطينية في جزمين .

عنه ، انظر .

Les Livres des Généalogies d'al-Baladhury. Bull, : Hamidullah
d'Et. Or. tXIV. Damas, 1952-54.

هؤلاء يكتبون بلغاتهم الأصلية في الدواوين ، ولكن منذ عهد عبد الملك بن مروان ولبنه الوليد ، صار قلم الدولة هو العربية .

خامسا : طبقة ذوي المهن من سكان المدن ، وهم من اصحاب الحرف والتجار ؛ لأن هؤلاء يتجمعون في المدن . وكان معظمهم من اهالي البلاد المفتوحة او حتى من العبيد ؛ لأن العرب اشتغلوا بالجندية بعد اسلامهم ، ومن الاصل ابعد الناس عن الصنائع لبدائيتهم ؛ كما يقول ابن خلدون (١) . وقد كان من اثر الفتح العربي استقرار الحياة في المدن ؛ مما اوجد نهضة صناعية وتجارية في دار الاسلام . وكانت العصور الوسطى الاسلامية تتميز بالتخصص في الصناعات والتجارة (٢) ؛ مما ادى الى نشأة نظام النقابات ، الذي يعتبر النظام الشعبي الوحيد في الخلافة الاسلامية . فقد كانت كل طائفة من التجار واصحاب الحرف ، تتجمع في مكان واحد تتسمى به . وكان نتيجة ذلك ، ايجاد تدرج مهني في الجماعة الواحدة من : شيخ ومعلم ومتعلم وصانع وصبيان ؛ كما وجدت تقاليد معينة لكل صناعة وتجارة . ومثل هذا النظام النقابي عرف عند الرومان والروم ، وفي مدن اوربا ؛ باسم : « Collegia » (٣) . ولكن بينما كانت بيزنطة لا تجيز لليهود الالتحاق بالنقابات ؛ فان الدولة الاسلامية اجازته لأهل الذمة ؛ ولا سيما لأن العرب اشتغلوا بالجندية بعد اسلامهم ، وتركوا الصنائع كما ذكرنا .

ونعرف من اسماء بعض طوائف الصنائع والتجار في مدن الاسلام في العصور الوسطى ، الآتى (٤) : الحبوبيين ، والدقاقين ،

(١) المقدمة ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) نهاية الرتبة ، ص ١١ ؛ انظر . Clerget :

Le Caire. Etude de géographie urbaine et d'histoire,

Ency. (art Cinf) 14. p. 455-6 ; économique. 2 Vols. Le Caire, 1939

؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٣) انظر . History of the Roman Empire. cf. : Rostovtseff.

؛ Pirenne : Mediaeval cities. Princeton, 1939. المازي العربي ، كتاب من

الحسبة في بيزنطة ، فصلة كلية الآداب ١٩٥٧ ، ص ١٢٦ ؛ عاشور ، اوربا في

العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٥٩ ، ٢ ص ١٠٧ وما بعدها .

(٤) نهاية للرتبة ، ص ٢١ وما بعدها ؛ وغيره .

والخبازين ، والفراشين ، وصناع الزلابية - نوع من الحلوى - ،
والجزارين - يذبحون الماشية - ، والقصابين - يبيعون اللحم
- ، والشواتين ، والرواسين - بائعي الروس والأكارع (جمع كراع) -
وقلائى للمك ، والطباخين ، والهرثيين ، والنقائين - صناع
المصارين المحتسوة باللحم والتوابل والبصل - والحولانيين ،
والصيادلة ، والعطارين ؛ والشرايين - كالمصادلة - والسمانين - بائعي
السمن - ، والبزازين - بائعي الثياب - ، والدلائين - المتوسطين في
البيع - ، والمنسادين ، والحبالين ، والبذوريين - بائعي التوابل - ،
والطباقيين - صانعي الصواني - ، والاباريين - بائعي الابسر - ،
والحاكة - ينسجون الغزل قماشا - ، والخياطين ، والقطانيين -
يندفون القطن - والكتانيين ، والحريريين ، والمباغين ، والاسكفة ،
والصاغة ، والنحاسين ، والحدادين ، والبيطرة ، ونحاس
العبيد والدواب ، وقوام الحمامات ، والفصادين ، والحجامين -
التشريط مثل الفصد - والأطباء ، والكهالين - لأمراض العيون - ،
والجبرين ، والجراثحيين ، والجنائزيين ، والوراقين ، وموذي
للصبيان .

سادسا : طبقة الفلاحين أو الزراع ، وهم غالبية سكان البسلاد
المفتوحة ؛ حيث أن العصور الوسطى لم تكن تعتمد في حياتها الا على
الزراعة ، أما الاعتماد على الصناعة ؛ فلم يظهر الا في العصور
الحديثة ، التي يؤرخ لها بظهور حركة التصنيع . وقد كانت هسة
الطبقة تسكن القرى والمراكز أو الذواحي (١) ، وهذه الأخيرة هي
مجموعة قرى ؛ وان سميت قديما في مصر « بالكور » ، نقلا عن
الكلمة اليونانية « Curia » (٢) ، وفي فارس « بالزساتيق » (٣) ،
وهي كلمة فارسية . وهذه الطبقة في دول الاسلام في العصور
الوسطى ، كانت في حالة اجتماعية سيئة ؛ لان الاراضى أصبحت ملكا

(١) أبو صالح : الكنائس ، تحقيق Evetts ، (١٧ - ١٩) ص
١٠ - ١١ - مفردا ناحية .

(٢) الخطط ، ٢١٦١ ، مفردا كورة .

(٣) روستاق من روستای أروستا . انظر - Steingass :

للحكام ، ويعمل الفلاحون فيها بالأجر أو بالسخرة ؛ إذ أنه لم يفرق بين البلاد التي فتحت عنوة والبلاد التي فتحت صلحا . وفي العصر العباسي ، ظهرت طبقة من كبار المزارعين نتيجة لظهور نظام التزايد ، وهو الالتزام أو قبالات الأرض ، بتأجير مقاطعة كبيرة من الأرض لمدة معينة إلى شخص واحد ، يسمى متقبل أو ضامن أو ملتزم (١) ، أما بقية الفلاحين فهم أشبه برقيق الأرض . ونجد ذكر الصراع ضد الهاربين من العمل في الأرض ، في جميع كتب مؤرخي الاسلام (٢) ؛ ولنع هروب الفلاحين ؛ فانه كان يحرم على الفلاحين الهجرة إلى المدن . وقد حاول الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ٧١٧/١٠١ - ٧٢١) السماح لأهل القرى في أن يذهبوا إلى الأمصار أو المدن للاستقرار فيها (٣) ؛ ولكن الحال ما لبث أن عادت إلى ما كانت عليه بعد وفاته . ومع ذلك ، لم يعرف الاسلام الاقطاع كما عرفته أوروبا ، وهو النظام الذي يجعل الفلاحين ملكا للمقطع « Serfs » ؛ وأن كانوا في دول الاسلام ملكا للأرض .

سابعا : طبقة اخيرة في هذا المجتمع ؛ وهم الرقيق . وقد كان الاسلام على عكس القوانين السائدة قبله ، يضع قيودا صريحة للحد من نظام الرق ؛ كما أنه وجد في الاسلام تشريع يضمن لمن يعتقد الاسلام حق المواطن . ومع ذلك ؛ فالرقيق وجد في المجتمع الاسلامي ؛ كما وجد في كل مجتمع آخر في ذلك الزمن ، ولم يستطع الاسلام أن يزيله ، على الرغم من أن نظام الرق لا يعمل على احترام النفس البشرية . وعلى النقيض أكثر المجتمع الاسلامي من أي مجتمع آخر سابق من استخدام الرقيق ، وبالمعنى في ذلك مبالغة زائدة ؛ فكانت قصور المسلمين وبيوتهم مليئة به . وقد كان أكثر الرقيق في الشرق الاسلامي من السود ، بسبب أن الدولة الاسلامية امتدت إلى القارة السوداء في أكثر من مكان ، ونجد السود في عصر الخلافة العباسية

(١) انظر - قبله .

(٢) الخطط ، ١ ص ١٣٣ م ٥ .

(٣) مصنف مجهول (لعله جزء من كتاب أنساب الاشراف للبلذري)

تحقيق Ahlwardt ، طبعة Greifswald ، ١٨٨٣ ، ص ٢ . أيضا

العقد ، ٢ ص ٩٢ ؛ ماجد ، الدولة العربية ، ٢ ص ٢٦٣ .

يقومون بثورة عارمة ، عرفت بثورة الزنج (١) ، دامت من ٢٠٥ - ٨٦٨/٢٧٠ - ٨٨٣ . ولكن بعد هذه الثورة وحتى قبلها ؛ أكثر الشرق من استخدام رقيق أبيض من عنصر الترك في وسط آسيا ، الذين كانوا يبيعون اولادهم ليعيشوا (٢) . كذلك بالنسبة لمسلمي المغرب والأندلس ؛ فانهم جروا على استخدام رقيق أبيض من عنصر الصقلية "Eslavos" - مفردا صقلب أو مقلب - الذين يجلبون من وسط اوربا (٣) .

ومع ذلك ؛ فان الرق في الإسلام كان احسن حالا من مثيله في اوربا ؛ وذلك لأن الاسلام يبيح الزواج من الاماء والجواري ، وهن مؤنث عبد أو عبيد (٤) ، وان الأمة اذا أنجبت فتسمى ام ولد (٥) ، وتصبح حرة بموت سيدها قانونيا "Ipso Jure" ، وابنها لو ابنتها يكون حرا . هذا مع أن الشرع المسيحي يمنع اقتراب الرجل من امته ويعدده زنا ، ويحول الزوجة بيع جاريتها . كذلك كان العبد يستطيع أن يشتري حريته بدفع قدر من المال ، وفي هذه الحالة يكتب له صك بحريته (٦) . وقد دعا الاسلام نفسه الى تحرير الرقيق ، وهو ما عبر عنه بقوله : « فك رقبة » و « تحرير رقبة » (٧) ، واعتبر قربى لله .

(١) الطبري (ط . de Uccje) ٢ من ١٤٧٢ - ١٧٨٧ ؛ ١٨٢٥ - ٢١٠٣ ؛
Ency. (art Zandj) 14, P. 1281-2

انظر .

(٢) معجم البلدان ، ٢ من ٣٧٩ من ١٢ ؛ صبح ، ٤ من ٨ ، ٤٥٨ .

(٣) اللعالي ، يتيمة الدهر ، ٤ من ١٨٤ ؛ انظر . مختار العبادي ،

المقالة في اسبانيا ، مدريد ١٩٥٣ ؛

Ency. (art Sakáliba) 14, p. 79-80 ; (art Slaves) 14, p. 487 sqq

أخذت من هذه الكلمة الكلمات الاوربية التي تدل على الرقيق ، كما في الفرنسية والانجليزية . "Esclave" و "Slave"

(٤) لسان ، ١٢ من ٣٨٣ ؛ انظر . Ency. 2ed, (art Abd) 11, P. 25 sqq

(٥) الموطن ، كتاب النكاح ، ص ١٩٥ ؛ ابن حنبل ، مسند ، القاهرة ،

١٣١٢ هـ ، ٦ من ٣٦٠ ؛ ابن سعد ، ٨ من ١٥٥ من ٢٠ ؛ الذويري ، ٩ من

Ency. (art Umm al - Wald) 14, P. 1066-9 . انظر .

(٦) المرخسي ، كتاب المبسوط ، مصر ١٣٢٤ هـ ، ص ١٠٨ - ١٢٢ ؛

انظر . جبور ، الجواري ، كتاب اقرا ، رقم ٦٠ ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١١٧ .

(٧) القرآن ٩٠ ؛ ١٣ ؛ ٢٤ ؛ ٩٢ ؛ ٥٨ ؛ ٣٥ ؛ البخاري ؛ كتاب العتق ،

انظر .

وحفظا لكرامة الرقيق ؛ فإنه جرى العرف منذ العصر الاسلامى الاول على ان يسمى الصبي فتى والامة فتاة . ولا ادل على ان حالة الرقيق فى الاسلام افضل من غيرها ، من ان الرقيق كونوا طبقة تبلى طبقة الارستقراطية الملكية ، نتيجة لضعف السلطة المركزية فى معظم دول الاسلام ؛ وانه فى مصر بالذات ظهرت لهم دولة كبيرة ، هرفت بدولة الممالك ، استمرت اربعة قرون ، وكذا فى شمال الهند ظهرت لهم دولة ايضا .

اما من ناحية الجنس ؛ فأننا نلاحظ ان المجتمع الاسلامى فى العصور الوسطى له صفة مجتمع مذكر ، لا تشارك المرأة للرجل فى الحياة العامة ؛ وقد انت هذه الصفة من طبيعة التشريع الاسلامى . حقا ان الاسلام سوى ما بين الرجل والمرأة امام الله ؛ الا انه لم يسو بينهما امام القانون ؛ فجعل للرجل درجة على المرأة ؛ نظرا لانه ينفق عليها ولقوته ؛ فاعطاه الحق فى وعظها او هجرها فى المضاجع اذا لم ترتدع ؛ او حتى ضربها (١) . كما اباح للرجل التزوج باربع نساء ، واخذ بنظام نكاح الاماء وهن الجوارى (٢) ، بل ذهبت بعض مذاهبه مثل الشيعة الى تحليل زواج المنعة ، الذى كان يوجد فى الجاهلية (٣) . ومع ذلك ؛ فان الاسلام كان مقيدا بنظم اجتماعية سابقة على مجيئه ؛ اذ ساد نظام تعدد الزوجات قبل الاسلام ؛ فلحمنا انواع متعددة منه ، كلها تدل على مدى الاباحية القائمة قبل الاسلام منها : زواج المقت ووراثه نكاح الامهات والاخوات . الخ (٤) . فلم يكن اذن الاسلام يستطيع الخروج على هذه النظم الا بما يصحها ، ثم هو لم يرد ان ياخذ المجتمع الاسلامى بطريقة الطفرة او القوة ؛ لما يترقب على ذلك من اخطار قد تدمر اسس المجتمع ، وتأتى على اصوله . ولا يعنى هذا ان الاسلام هدفه مضايقة المرأة ، او حتى

(١) نفسه ٤ : ٣٤ .

(٢) نفسه ، ٤ : ٣ ، ٣٤ : ٣٣ .

(٣) الاغانى ، ١٦ من ٦٣ ؛ الموطا ، كتاب النكاح ، ص ١٩٦ ؛ انظر .
Ency. (art Muṭa) ١٣, P. 826-7.

(٤) القرآن ٤ : ٢٣ ؛ للتويرى ، ٣ ص ١٢٠ ؛ انظر . الألوسى ، بلوغ

الارب فى معرفة احوال العرب ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ، ٢ ص ٥٢ .

لطلاق الأمر على غايته للجنس ، فالاسلام رفع من شأن المرأة في التشريع مما كانت عليه قبل الاسلام ، مثل حفظ حقوقها في الزواج والاولاد والطلاق والاجور والمهر (١) - الذي أصبح حقاً لها - وطلب استئذان البكر والايام في نفسيهما قبل الزواج (٢) ، وضمن معاملة الزوجة . بل أصبح للزوجة حق مفارقة الزوج ، اذا كانت العسمة بيدها ، او حتى الخلع منه " In Jure coeelo " : بان تقدم لزوجها المال ليطلقها اذا تبرمت بعشرته (٣) .

وفوق ذلك ، كان هدف الاسلام هو بناء المجتمع العائلي المستقر ، الذي تقابله في اللاتينية كلمة : " Familia " ؛ فيشير القرآن كثيراً الى الأسرة مثل : الأهل ورحم البطن ، كما جعلت الجنة - في الحديث النبوي - تحت أقدام الأمهات . وقد نقل الاسلام الروح العائلية الى الشعوب المفتوحة ، التي طغت عليها المادية . وعلى هذا ، فكل ما يسعى الى هدم الأسرة من مذاهب في وقتنا الحديث ، هو مخالف لروح الاسلام .

اما من ناحية السياسة ؛ فان المجتمع الاسلامي لم يعرف الفرقة السياسية الا منذ الخليفة عثمان بن عفان ؛ بسبب التنافس على الزعامة في حكم المسلمين ؛ وذلك لأن الاسلام لم يشرع لصفة الحكم بعد موت النبي . وقد أخذ هذا التنافس السياسي صبغة دينية ؛ بحيث ظهرت فرق لها نظريات عقيدية ، تشمل السياسة والدين . فكانت هذه الفرق السياسية - الدينية تظهر وتختفي حسب تطور المجتمع الاسلامي . وأهم الفرق التي بقيت وقتنا طويلاً ؛ وقسمت المسلمين قسمين ، ولا تزال باقية الى الآن ، هما فرقنا الشيعة والسنة . فالأولى تعتبر من أقدم الفرق ، ظهرت منذ عهد الخلفاء الراشدين او حتى قبل ذلك في أيام النبي ؛ والثانية ظهرت في العهد العباسي للردي على المذهب الشيعي خالف الشيعة تقول بمبدأ الوراثة أو المبدأ الملكي ، والسنة تقول بمبدأ

(١) القرآن : سورة النساء ، انظر .

(٢) مالك ، الموطأ ، كتاب النكاح ، ص ١٨٩ .

(٣) نفسه ، كتاب الطلاق ، ص ٢٠٥ ؛ انظر . تلح العروس ، ص ٣٢١ .

الاختيار أو الجمهوري . بل أصبح لكل منهما عقيدة دينية معينة ،
فالعقيدة الشيعية : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، على ولي الله » ؛
وذلك بقصد ان تكون الخلافة وراثية في أسرة على ، بينما عقيدة
السنة : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » ، دون ان تشير الى فرد
معين . فكان أغلب معتققي مذهب السنة من نسل الفاتحين ، أما
للشيعية فأغلبهم من أهالي البلاد المفتوحة من الفرس في إيران ، وحتى
في مصر وجدت دولة شيعية ، هي الدولة الفاطمية .

* *

هذا المجتمع الذي وجد في البلاد المفتوحة ، كان أهله يعيشون
في مدن وقرى ، تختلف في طابعها عن أماكن سكنتها أغلبية العرب
في الجزيرة العربية ؛ الذين يسكنون الخيام من الوبر ؛ وإن كان العرب
الحضر قد عرفوا أيضا مدنا وقرى ، مثل تلك التي وجدت في البلاد
المفتوحة . ولكن لأن العرب أصبحوا مسلمين ، لأنهم وصلوا الى البلاد
المتحضرة ، كان ذلك سببا في أن ظهر نمط جديد من المدينة ، يتناسب
مع طبيعة العرب ، ومع روح الدين الجديد ، وحتى مع طبيعة
الشعوب المفتوحة . فكانت المدينة الإسلامية في ظهورها متأثرة على
الخصوص بالطابع الديني لمدينة النبي ، التي كانت تسمى قبيل
الاسلام يثرب (١) ، وبالطابع الحربي للامصار - جمع مصر - وهي
مدن انشئت لجنود الفتح لتكون معسكرات . هذا بالإضافة الى أنها
كانت متأثرة بنسق المدن التي عرفتتها الشعوب في البلاد المفتوحة .
فهذا الخليط من التأثيرات ، أوجد نمطا لمدينة إسلامية ، عم في جميع
بلاد دار الاسلام .

وقد كان المجتمع الاسلام في أول الأمر مانعا من المغالات والامراف
في البناء ؛ فعمر بن الخطاب ينصح بعدم المطاولة في البناء في
الامصار (٢) . ولكن بعد ذلك ، ظهر أن حكام الاسلام يحبون إقامة
المباني الشامخة ؛ فكانت الملوك تبنى على حسب أقدارها ؛ بحيث كان
الناس في زمان الخليفة الأموي الوليد (٧٠٥-٧١٥) ، إذا

(١) معجم البلدان ، ٧ ص ٤٢٤ وما بعدها .

(٢) الكامل ، ٢ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

للتقوا يسأل بعضهم بعضاً عن البناء (١) ؛ وذلك من كثرة ما بناه هذا الخليفة من مبان فخمة باقية ؛ فكان ذلك عاملاً على تطور المدينة الإسلامية . وكان انفراط عقد الوحدة الإسلامية ، والمنافسة بين الحكام المسلمين ، الذين كانوا يجمعون العمال والمهندسين (٢) ، ويستفيدون بكل مؤهلات رعاياهم في البناء ، ويخصصون الأموال الطائلة للصرف على العمارات ؛ حتى أنه خصصت للعمائر في ميزانية الفاطميين مائة ألف دينار سنوياً (٣) ؛ فساعد ذلك كذلك على تطور المدينة الإسلامية .

ولقد أصبح بناء مدينة جديدة في الإسلام ، يتكافأ مع ظهور دولة جديدة . بل وجدنا من المؤرخين من يؤلف في تاريخ المدن : كالخطيب البغدادي (٤) ، (ت ١٠٧٠/٤٦٣) ، الذي ألف : « تاريخ بغداد لمدينة السلام » (٥) ، وكمالقريزي (ت ١٤٤٢/٨٤٥) الذي ألف : « الخطط المقرية » ، وهو تاريخ خاص لمدينة القاهرة وخططها ، التي أنشأها الفاطميون ، وهي عاصمة مصر الآن . وقد كانت عادة المسلمين أن يتم بناء المدن على حسب تنبؤات الفلكيين والمنجمين لمعرفة حظها المكتوب .

وقد كانت المدينة الإسلامية تخضع لقواعد عامة محددة . ولا ريب أن أهم شيء فيها هو المسجد (٦) فهو الذي يدل على طابعها الإسلامي .

(١) نفسه ، ٤ ص ١٣٧ .

(٢) أنظر . أحمد تيمور باشا ، المهندسون في العصر الإسلامي ، طبع بالقاهرة .

(٣) الخطط ، ١ ص ١٣٣ . تشمل أيضاً مصاريف استقبال الضيوف الوافدين من الملوك وغيرهم .

(٤) في ١٤ جزءاً ، ط . مصر ١٩٣١/١٣٤٩ [أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت] .

(٥) وتسمى أيضاً : المنصورة والزوراء ؛ وهذا الاسم الأخير منهم الأمل .

(٦) أنظر المقالة القيمة جداً في Ency. (art Masjid) t3, P. 362 sqq

وأيضاً : Les Mosquées du Caire. Paris. : Hauteccour et Wiet

Les origines de la mosquée. Stvdia Islamica, : Lambert

Paris, 1956, P. 5 sqq أنظر . بعده .

وقد وردت كلمة مسجد في القرآن (١) ، وعرفت في الجاهلية على انها اسم الكعبة التي يطوف حولها الحجاج (٢) ؛ ولكن في الاسلام اصبح المسجد هو مكان العبادة ؛ ولذا سمي ايضا : « بيت الله » . وكما كانت ساحة الكعبة لا يجوز القتال فيها ؛ وتعرف « بالحمى » او « الحرم » (٣) ؛ كذلك اصبح مجموع المسجد في الاسلام « حرما » ، لا يجوز القتال فيه ، وغير قابل للتنجيس (٤) . ومع ذلك ، كان المسجد في اول امره مكانا ايضا تفصل فيه الجماعة الاسلامية في كل ما يتعلق بامورها ؛ فهو ندوة للنقاش السياسى ، او مجلس للقضاء ، او حتى مدرسة . ولهذا اصبح المسجد يعرف ايضا « بالجامع (٥) » ، وهى ترجمة للكلمة اليونانية " Ekklesia " ؛ لتعنى مكان التجمع ، التى اشتقت ايضا منها الكلمات الاوربية التى تتعلق بالعبادة المسيحية .

وقد كان المسجد فى اول امره بناء بسيطا ؛ وهو اول ما ظهر فى المدينة ، بعد هجرة النبى اليها . فلم يكن يوجد مسجد للمسلمين فى مكة ؛ وانما كان المسلمون يصلون فى شعابها ، او فى جانب للكعبة ، او حتى فى بيت النبى (١) . فكان مسجد المدينة عبارة عن فناء ضيق مربع الشكل ، يحيط به جدار من اللبن - طوب محروق فى الشمس - وليس فيه غير مكان واحد مسقف ، يغطيه الجريد المثبت على جذوع النخيل ، فسمى صفة المسجد او الظلة (٧) ، أى المكان المسقف؛ اما بقية اجزاء المسجد فكانت مكشوفة .

(١) القرآن ٢ : ١٤٤ ، ١٨٧ ، ٨ : ٣٤ .

(٢) المقدمة ، ص ٢٧٨ ؛ لسان العرب ، ٤ ص ١٨٨ . هذه الكلمات وجدت ايضا فى النقرش الارامية والنبطية والعبرية وحتى الحبشية . انظر . Ency. t3, p. 362

(٣) انظر . Le Pèlerinage de la Mekke. Etude : Demombynes d'Histoire Religieuse, Paris, 1923. P. 1.

(٤) النويرى ، ١ ص ٥ .

(٥) استعملت هذه التسمية فى ازمة متأخرة . فون كزيمر ، الحضارة الاسلامية ، تعريب طه بدر ، ص ٥٨ هامش (١) .

(٦) فتوح البلدان ، ص ٦ ؛ معجم البلدان ، ٧ ص ٤٣٠ .

(٧) الكامل ، ٢ ص ٣٦٩ ؛ فتوح البلدان ، ص ٣٤٨ .

ولكن بناء المسجد تطور على يده الأهويين ومن جاء بعدهم ، وكثرت طرزه وأشكاله . فتحولت جفوع الضخيل الى اعمدة رخامية ؛ قد تبلغ المثات (١) ، لها تيجان وغقود واقواس ؛ وشقت خلال المسجد الأورقة - مفردة زواق - او الايوانات او اللواوين - مفردة اياوان او لهوان - زبنا اخذت فكرتها من الكنائس او المعابد الهندية ؛ واحاطت بالمسجد من داخله وخارجه ، كما وجدت في داخل المسجد نماذج متعددة من الشبابتيك . اما المكان غير المسقوف ؛ ويعرف بالضحن او الفناء (٢) ؛ فانشئت فيه الفساقى - مفردة فسقية او فسقية او فوارة (٣) ، وميضة او ميضاة - هي احواض للوضوء - ويكون حولها بلاط أو أشجار . وقد تفنن المسلمون في ايصال الماء اليها ؛ باستعمال انابيب من النحاس ؛ فكان الماء يتفجر منها دون ان يعرف مدخله .

كذلك ادخل في المسجد المحراب ، وهو فجوة ؛ ولعلها الحنية في الكنائس ؛ وان كانت كلمة المحراب وجدت قبل الاسلام ؛ وذكرت في القرآن على انها جزء من معبد (٤) . ومع ذلك ؛ فالقبلة في اول الامر ، لم تكن معلمة بفجوة ، وانما بعلامة او بحجر ، وربما تكون وجدت منذ عهد الامويين (٥) . اما المنبر او المبرز - وهي كلمة عربية او حبشية - الذي يوضع بجوار المحراب ، فقد وجد منذ عهد الرسول ، وكان معروفا في الجاهلية يستخدمه الخطباء ، او في معابد الهنود . وبعد ان كان المنبر درجتين ومقعدا على عهد الرسول (٦) ، اصبح يرتفع الى صديد من الدرجات ، مع ان عمر بن الخطاب عارض في

(١) مفر نامة ، ص ٥٩ ، كان مسجد عمرو قائما على اربعة مائة عمود من ترخام .

(٢) الكامل ، ٢ ص ٣٦٩ من ٣ ؛ الخطط ، ٤ ص ٦ من ٧٥ .

(٣) حسن المحاضرة ، ٢ ص ١٣٥ من ٢٠ ؛ الخطط ، ٤ ص ٤٠ من ٥٠ .

(٤) القرآن ١٩ : ١١ ؛ ٣٨ : ٢٢ ؛ انظر .

Ency. (art Mihrâb) t3, P. 55 sqq.

(٥) الخطط ، ٤ ص ٦ من ١٦ ؛ انظر .

L'Art de L'Islam. Paris, P. 24-25. : Marçais

(٦) الطبرى : ١ ، ١٥٩١ ؛ ابن قتية . الامامة ، ٢ ص ٤٩٦ ؛ المقدمة ،

Ency. (art Minbar) t: p. 567 sqq.

ص ٢٣١ ؛ انظر .

أن يعلى بالمنبر ، ويرقى فيه الامام على رقاب المسلمين . ولقد أصبح منبر الرسول جزءا من علامات الخلافة ؛ واول من نقله الى بغداد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣/٧٨٦-٨٠٩) . وكذلك انشئت المقصورة - جمعها مقاصير أو مقصورات - وهى من فعل قصر - لتعنى المكان المحاط بسيج بجوار المنبر ، أو الحائط الذى فيها شبك ، خصص لصلاة الخليفة بقصد حمايته أو للمشاورة ، وهى لم تعرف للعرب قبل الاسلام ، وربما يكون ظهورها فى عهد الخلفاء الراشدين أو الأمويين . وقد تتعدد المقصورات فى الجامع الواحد (٢) ، ويخصص بعضها لكبار الموظفين كلقاضى ، أو نلامام ، أو لنساء ، أو حتى لبنيت المال ؛ وإن نقل هذا الأخير الى مقر الأمير (٣) . ولعل نشأة المقصورات قد اخذ من الحجرات التى كان النبى بناها حول المسجد ، وخصصها لزوجته .

وبعد ان كانت ارض المسجد قضاء مغطاة بالقرب والحصباء ؛ أصبحت تفرش بالحصر والسجاد وغيره ؛ وذلك منذ عهد الأمويين (٤) . كذلك اضىء المسجد من الداخل والخارج بالمصابيح والقناديل والثريات - وهى مصابيح - والمرجعات المفضضة والمذهبة ، والتنانير - مفردها تنور - وهى شمعدانات كبيرة - والفوانيس والمشاغل ، وحتى بالشموع كما فى الكنائس . فكانت شموع مسجد قبة الصخرة يبلغ طولها سبعة أذرع ، وقطرها ثلاثة أشبار (٥) ، ويزيد وزن الشمعة الواحدة على القنطار (٦) ، كما ان احد التنانير

(١) المقدمة ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ؛ لسان ، ٦ ص ٤١١ ؛ انظر .

Early Moslim Architecture 1, Umayyads, : Creswell

La mosquée omeyyade, : Sauvaget ; Oxford, 1932, p. 33

de Medine. Paris, 1947, P. 150 . . انشئت فى عهد مروان أو

معاوية ، أو حتى فى عهد عثمان (عن هذه الأخيرة ، انظر . الخطط ، ٤ ص

٧ ص ٥) ؛ وإن يبدو أن الأمويين هم أول من عملوها فى الاسلام .

(٢) الخطط ، ٤ ص ١٢ ، ٢٠ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) الطبرى : ٢٤٨٩ ، ٢٤٩١ ؛ معجم البلدان ، ٤ ص ٨٠ .

(٤) الخطط ، ٤ ص ٨ ص ٢ .

(٥) سفرنامه ، ص ٣٠ .

(٦) نفسه ، ٣ ص ١٥٦ ص ١٤ .

كان يوجد فيه ألف ومائتا فتيلة (١) . وكذلك أحرق البخور في المسجد ، أصبح جزءا من تقاليد المسلمين (٢) .

وقد تطور شكل المسجد الخارجى ، فظهرت فيه ما عرف بالمآذن أو المئذنة أو المنارة أو حتى الصومعة ، وبى التى تعطى المسجد مظهره الخاص . ويبدو أنها أول ما ظهرت فى عهد الأمويين ؛ فقد ورد فى خطط المقرئى عند الكلام عن الخليفة معاوية بأنه أمر والده فى مصر مسلمة بن مخلد الانتصارى ، أن يبنى صوامع للأذان ؛ فكانت فى مسجد عمرو أربع صوامع فى الأركان الأربعة (٣) ؛ فكانت المآذن . وبعدها انتشرت المآذن ؛ فكان الجامع الأموى الكبير بمفاراته . وقد أصبح شكل المآذن يختلف من بلد لآخر ؛ فمثلا المآذن فى المغرب مربعة ، وفى مصر منقوفة مدورة ، كما وجهت مآذن مئمنة . وقد دخلت المسجد القباب وأنصاف القباب كما فى الكنائس ، وكسيت بالقيشاني الأزرق والأخضر وتعددت .

وفى أول الأمر ، لم يكن فى البلد الذى يقيم فيه المسلمون غير مسجد كبير واحد (٤) ، يعرف : بالمسجد الأعظم أو الأكبر أو الكبير أو الجماعة ، وأن غلب عليه اسم المسجد الجامع . فلم يوجد فى المدينة أو البصرة أو الكوفة أو الفسطاط أو دمشق فى أول نشأتها غير مسجد كبير واحد ؛ وأن وجدت مساجد ثانوية للقبائل ، التى كانت أشبه بمحال أو ندوات لها . وقد استمر ذلك الى أن جاء العباسيون ، فاستكثروا من المساجد الكبيرة . فنجد فى بغداد مسجدين ، أحدهما فى الشط الغربى من دجلة ، والآخر فى الشط الشرقى منه . وظهر فى مصر بجاذب مسجد عمرو جامع ابن طولون ، وأخذت فى الزيادة فى عهد الفاطميين حتى بلغت فى مصر والقاهرة خمسة عشر مسجدا جامعاً ، موزعة على أحيائها (٥) . وكذلك ظهر نوع من المساجد

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، القاهرة ١٩٣٣ ، ٤ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) الخطط ، ٤ ص ٥١ .

(٣) نفسه ، ٤ ص ٤٤ ص ٩ - ١٠ .

(٤) نفسه ، ٤ ص ٤ : فترج البلدان ، ص ٢٨٩ : انظر .

Ency. 13, p. 375.

(٥) سفرنامه ، ص ٥٩ ص ٥ .

فى الهواء الطلق عرف بالمصلى (١) ، وهى مكان منبسط فيه فجوة ومنبر ومن غيره اروقة او صحن ، ربما ظهر من ايام النبى ، لبعض الصلوات فى الاعياد والمناسبات . وقد نقل الفاطميون هذا النوع من المساجد بالمغرب الى مصر ، وكانت تقام فيه الصلاة وقت اشتداد الحر ، وكثر على ضفاف النيل والترع . كذلك ظهر جامع صغير ، سمى لصغره زاوية او ركنا . وفى القرن الرابع الهجرى ، كثرت المسجد لدرجة انها بلغت فى بغداد ثلاثين الفا (٢) ، وفى مصر - الفسطاط - وحدها ستة وثلاثون الفا (٣) ، وفى الاسكندرية فى او اخر القرن السادس اثنا عشر انف مسجد (٤) ، وفى بلرم (بالرمو بصقلية) اكثر من ثلاثمائة مسجد (٥) .

وقد كانت الدولة الاسلامية تشرف على صيانة المساجد ، وتنفق على موظفيها من امام وخطيب ومؤذن وخدم ؛ فتوقف عليها الأموال الكثيرة (٦) . ولدينا سجلات وقف عديدة من عهد المماليك ؛ حيث كانت الوقفية توضع فى المسجد عادة (٧) . وفى عهد الفاطميين ، كان المسئولون يطوفون بالمساجد قبل شهر رمضان ، للنظر فى قناديلها وحصرها وعمايرتها وما تشعث منها . وغالبا ما كن يقوم قاضى القضاة بالخطابة والامامة فى المساجد الكبرى ؛ حيث كن يكفل اليه الاشراف على عموم المباحيد .

(١) عنيا : الخطط ، ٤، ص ٣٣٤ وما بعدها . انظر .
Ency. (art Musalla), 13, P. 797-8.

(٢) اليعقوبى ، كتاب البلدان ، (B. G. A. VII) ، ص ٢٥٠ .

(٣) الخطط ، ٢، ص ١٢٩ (آخر الصفحة) ؛ معجم البلدان ، ٦، ص ٢٨٤ .

(٤) ابن جبير ، رحلة ، تحقيق نصار ، ص ١٢ .

(٥) معجم البلدان ، ٥، ص ٣٧٦ .

(٦) الخطط ، ٤، ص ٨٣ وما بعدها ؛ مفرنامه ، ص ٦٥ .

Matériaux Pour un Corpus, : Van Berchem. (٧) انظر .

* Inscriptionum Arabicarum (C. I. A.) nos 247- ; 252 ; 528 ;

الخطط ، ٤، ص ٧٦ .

ولوقوع المسجد فى وسط المدينة غالبا ، احييت به الأسواق (١) ،
التي تحفج اليها المدينة الاسلامية . وقد تطورت الأسواق على يد
للمسلمين ايضا ؛ والدليل على ذلك الاصطلاحات الكثيرة التي ظهرت
للدل عليها ، وان كانت غير محددة المعاني ، منها : فندق وخانة
ورباع وبازار ودار وكلة ودكان وقيصرية . فمثلا « الفندق » ،
تعنى مكان التجار الأجانب ، وتتكون من غرف مختلفة وصحن
مكشوف ومخازن ؛ وقد انتشرت انتشارا كبيرا فى كل مكان ، وبخاصة
فى مصر ؛ فكانت توجد من الاسكندرية الى اسوان ، التي يذكر الرحالة
ابن جبیر أنه يوجد فيها فندق كبير (٢) ، كما ان الخسانات توصف
بانها عيسارة عن مساحات واسعة (٣) ، والقيصرية (٤) - او
« القيصارية » - لعلها محرفة من اللاتينية « Caesarea » ؛ حيث كان
الرومان يقيمونها فى المدن كمستودع لبضائعهم وتكثر حجراتها ؛
كثرت بمصر ، حتى ان المقریزی يذكر أسماء قیاسر كثيرة .

وكانت هذه الأسواق اما أن يبنیها الناس لو الدولة ، فيقول
الرحالة ناصر خمرى ، الذى زار مصر فى القرن الرابع الهجرى ، ان
الفاطميين بنوا فى القاهرة ما لا يقل عن عشرين الف دكان ، يؤجر
كل منها بعشرة دنائير ، وليس بينها مالا تقل أجرته عن دينارين (٥) .
وقد جرى العرف عند المسلمين فى العصور الوسطى على أن يسكنوا
فى أماكن عملهم ، وان أقنع المسلمون عن ذلك فى العصر الحديث ،
وانتقل هذا التقليد الى أوربا ، ولا يزال فيها حتى الآن . وقد كانت
معظم الأسواق مبلطة ، او يكون من جانبیها افریزان یمشى علیهما
الناس فى زمن الشتاء ، اذا لم يكن السوق مبلطا (٦) ، كما ان أغلبها
مغطى بالسقائف ، وبعضها يضاء ليلا ونهارا بالقناديل ، لأن الضوء

(١) الكامل ، ٢ من ٣٦٩ - ٥ - ٦ .

(٢) رحلة ابن جبیر ، من ٣٧ ؛ الخطط ، ٣ من ١٤٩ وما بعدها .

(٣) عنها ، انظر . الخطط ، ٣ من ١٤٩ .

(٤) نفسه ، ٣ من ١٤٠ وما بعدها ؛ انظر . Ency, (art Kaisariya)

Suppl. 2, P. 432. : Dozy ; 12, P. 700-701.

(٥) سفرنامه ، من ٤٨٠ .

(٦) نهاية الرتبة ، ٥ من ١١ .

لا يصل الى داخلها (١) . وقد ظهرت مسألة الاضاءة متأخرة فى المدن الكبرى ، حتى ان القاهرة لم تضأ ليلا الا زمن الخليفة الحاكم الفاطمى (٢) (٣٨٦-٤١١/٩٩٦-١٠٢٠) . ولتسهيل الانتقال فى الأسواق الاسلامية ، وجدت على نواصيها الحمر المرجة ، عليها براذع مزينة ، تكون فى خدمة من يريد الركوب (٣) . فمثل هذه الوسائل تليق بحارات المدينة الاسلامية ، التى كانت شوارعها فى اغلبها عبارة عن ازقة .

وكان أهم شيء فى المدينة بعد المسجد هو دار الامارة ، الذى تحول الى قصر منذ عهد معاوية . وهذا مع بساطته فى اول الامر ، تدرج الى الفخامة ، خصوصا لما تعددت دول الاسلام ، وتنافس الحكام فى البناء ؛ فاصبح يعرف من دون المبنى الأخرى بأسماء تدل عليه وتميزه . وفى القاهرة فى عصر الفاطميين عرفت قصورهم بالقصور الزاهرة ، وان اطلق على مجموعها القصر ، اشهرها القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى وقصر الذهب وقصر الشجرة وقصر الحريم ؛ حيث خصص المقرئى مئات الصفحات لوصفها (٤) . وفى بغداد فى عصر العباسيين ، عرف من قصورها المشهورة : قصر الذهب (٥) المسمى ايضا القبة الخضراء ، وقصر الخلد ، وقصر السلام ، وقصر الرصافة . وفى قرطبة فى عصر الخلفاء الأمويين عرف من قصورها الزهراء ، بمعنى

(١) سفر نامه ، ص ٥٨ .

(٢) الخطط ، ص ٣ ، ١٧٥ - ١٧٦ ؛ انظر - ماجد ، الحاكم بأمر الله ،

ص ٩٢ .

(٣) سفر نامه ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٤) الخطط ، ص ٢ ، وما بعدها ؛ انظر . Essai sur : Ravaisse
l'histoire et sur la topographie du Caire d'après Maqrizî
(Palais des Cailfes fatimides) M. M. A. F. (II) ; III.
2. Paris, 1887-90.

؛ لينبول ، سيرة القاهرة ، ترجمة حسن وعلى ابراهيم ، ط ٢ ، ص ١٢٥ وما بعدها .

(٥) معجم البلدان ، ١ ص ٢٣٥ ؛ الخطيب البغدادي ، ١ ص ٧٣ ، ٨٠ .

٩٧ ؛ انظر . شلبى ، قصور الخلفاء العباسيين ، القاهرة ١٩٥٤ .

الابيض المشرق ، فى مدينة الزهراء من ضواحيها (١) . وما يزال لدينا نمط من هذه القصور الاسلامية الفخمة ، يتمثل فى قصر الحمراء بغرناطة ، الذى يشعر من يدخله بشعور الفخامة والعظمة ؛ فتوجد فيه القاعات والاروقة واحواض الماء والتماثيل .

وبعد أن كانت مساكن الخلفاء الراشدين حجرات قليلة لا تفرق عن بيوت الناس الا بما فيها من الدواوين ، أصبحت فى عهد الامويين ومن اتى بعدهم قصورا ، اشبه بالجبل لكثرة ما فيها من الابنية (٢) ، وارتفاع اسوارها ، وابوابها العديدة التى قد تبلغ عشرة ابواب . فأصبحت تشتمل على ابهاء واسعة ، وقاعات للجلوس ذات اعمدة هرفت باسم ايوان ، ودهاليز ، ودور خاصة للخلفاء وعائلاتهم ومستخدميه وحريمهم . فمثلا عدد المرافق التى كانت لسكنى قصر المامون ما بين حجر وغيرها ، بلغ ثلاثمائة وستين مرفقا (٣) . كما وجد فى هذه القصور ملاعب وساحات ، ومخازن واسعة تلحق بها ، هرفت باسم خزائن - مفردها خزانة - او خانات - مفردها خانة - وقد تعددت ، فمنها (٤) : خزانة الكتب - وهذه بلغت فى قصور الفاطميين أربعين خجرة - ، وخزانة الكموات ، وخزائن الجواهر والطيب والطرائف ، وخزائن الفرش والامتعة ، وخزائن السلاح ، وخزائن الدرق ، وخزائن السروج ، وخزائن الخيم ، وخزانة الشراب - أى الدواء - وخزانة التوابل ، وخزانة البنود ، وخزائن الازهار . أضف الى هذه المباني ما كان يعرف بالخواصل (٥) - جمع حاصل - وهى أصطبلات الخيل ومناخات الجمال والفيلة ، واهراء

(١) معجم البلدان ، ٤ ص ٤٢٠ ؛ المرقى ، تلح الطيب ، ط . رفاعة ،

ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) سفر نامه ، ص ٤٨ .

(٣) ابن الساعى ، نساء الخلفاء ، حققه مصطفى جواد ، دار المعارف ،

ص ٧٤ .

(٤) الخطط ، ٢ ص ٢٥٣ وما بعدها ؛ انظر : ماجد ، نظم الفاطميين .

٢ ص ١٤ وما بعدها .

(٥) صبح ، ٣٠ ص ٤٧٨ - ٤٧٩ ؛ انظر : ماجد ، نظم الفاطميين ، ١

ص ٢٥ - ٢٨ . « الحواصل » جمع « حاصل » من « حصل » بمعنى خزن .

لخزن الفلال ، وثون للتبائن ، ومخازن البضائع ، والطواحين ،
والمطابخ .

هذا بجانب حدائق الحقت بالقصور ، ابداع المسلمون في
زرعها ، حتى انه ظهر ما يعرف بالحديقة الاسلامية ، التي تميزت
بزروعها بحيث سميت البستان او الروضة (١) . ولا شك في ان
الحديقة الاسلامية ظهرت متأثرة بحدائق الشعوب المفتوحة من
المصريين والفرس ؛ وان وجد اصلها في القرآن ، الذي تحدث طويلا
من الجنة وابسطتها السندسية ، وانها مكان النعيم . وكان يزيد من
جمال الحديقة الاسلامية تبليط ممشيها ، ووجود البرك والقنوات
الجارية والفساقي فيها . كما وضعت فيها بروج خشبية لو في لوكار
في جوف الحيطان طيور مشجية حسنة الصوت . كذلك وضعت فيها
بيوت الحيوان المقترس من السباع والفهود والتمور ، وكانت تنظف
بطريقة ماهرة . ولا يزال يوجد الى وقتنا اثر من تلك الحدائق
الاسلامية ، التي لم يكن لها نظير ، ممثلة في جنة العريف ، الملحقة
بقصور الحمراء بالاندلس ، والتي نمقت على شكل مدرجات ، او
بحدائق جنة ابي فهر في تونس ؛ وهي شبيهة بحدائق جنة العريف .

وكان يخطط غالبا بقصر الخليفة او الامير ثكنات للجند عرفت
باسم : القطائع او الحارات او الخطط (٢) ؛ اذ لا يطمئن الحاكم
المسلم على دولته الا بوجود الاجناد بجواره - فمثلا مدينة كلبصرة
قسمت سبعة اقسام «دساكر» (٣) ، يسكنها الاجناد على حسب قبائلهم .
كذلك اشتهرت القاهرة «بحاراتها» ، التي يصفها المقريزي بدقة في
كتابه الخطط (٤) ؛ فكانت كل حارة مخصصة لطائفة معينة من
الجند . هذه المعسكرات كانت اشبه بمدن كاملة ، يوجد فيها البيوت
والدكاكين والأسواق والحمامات .

(١) الخطط ، ٢ ص ١٠٨ وما بعدها ، ٣٧٩ - ٣٨١ ، ٣ ص ٣٢١ ص ٢٤ .

(٢) نفسه ، ٢ ص ٧٦ ؛ انظر . قبله .

(٣) عنها : معجم البلدان ، ٢ ص ١٩٢ وما بعدها .

(٤) الخطط ، ٣ ص ٢ وما بعدها ؛ سفر نامه ، ص ٥٧ ؛ انظر . قبله .

أما عن البيوت التى يسكنها العرب فى البادية، فأغلبها مصنوعة من الوبر ؛ لذلك سمى البدو بأهل الوبر ، وأن عرفوا فى أماكن الحضر بيوتا مبنية من الحجر ؛ بحيث أن بعض الحضر كانت تسمى بالحجر (١) . وعلى العكس ، كان أغلب أهالى البلاد المفتوحة - وهم من الحضر - يبنون بيوتهم من الحجر أو من الآجر - وهو الطوب - وغير ذلك . ومع أن مدينة كالبصرة بنيت بيوتها فى أول أمرها بالقبب ؛ إلا أنه فى القرن الرابع الهجرى - وهو زمن هام لازدهار الحضارة الاسلامية - تطور بناء البيوت ، وزالت عنه بساطته الأولى .

وقد توصلت الدولة الاسلامية فى العصور الوسطى إلى إنشاء بيوت شعبية ، كما ظهرت عمارات ضخمة . فيذكر الرحالة ناصر خسرو (٢) (ت حوالى ١٠٦٣/١٤٤٥) ، أن إحدى العمارات فى القاهرة تسع خمسين وثلاث مائة ساكن ؛ وأنه رأى بيوتا مكونة من أربعة عشر طابقا ؛ وأن كانت غالبيتها من خمس أو ست طبقات ، وهو نفسه لما جاء مصر مكن فى بيت من أربع طبقات . وقال أيضا أنه رأى فى القاهرة ومصر ثمانية آلاف بيت ملكا للخليفة ، يؤجرها ويحصل على أجرتها كل شهر ، وهذا يكون برغبة الناس ، ولا يجبر عليها احدا (٣) . وكانت هذه البيوت من النظافة والبهاء (٤) ؛ بحيث يقال أنها بنيت من الجواهر الثمينة ؛ لا من الحجارة والطوب ، وأنها بعيدة عن بعضها ، تفصلها الحدائق ، ويستطيع كل مالك أن يعمل ما ينبغي لبيته فى كل وقت ، من هدم وإصلاح ، دون أن يضايق جاره . وقد أصبح من عادات أهل القاهرة وضع الزهور فى الأصص ، يضعونها فوق الأسطح (٥) . ويقول أيضا أنه سمع أن شخصا غرس حديقة على سطح بيته المكون من سبعة أدوار ، وحمل إليها عجلا ونصبه فى ماقبه ، وكان هذا الثور يديرها ، فيرتفع الماء للحديقة من بئر . وقد زرع هذا الشخص فى الحديقة شجر النارنج والموز

(١) انظر . قبله .

(٢) سفرنامه ، ص ٤٨ ، ٥٠ .

(٣) نفسه ، ص ٤٨ .

(٤) نفسه ، ص ٥٠ .

(٥) نفسه ، ص ٧٠ .

والورد والريحان وأنواع الزهور الأخرى ، وقد اثمرت كلها (١) .

وقد وجدت وسائل لتهوئة هذه البيوت بالمشربيات والأفنية ، وكان الهواء يتخللها عبر المناور أو السقف بالقاعات أو المنشرة ، أو حتى أن بعض حجراتها - مثلما في العراق - تبني تحت الأرض ، أو على شط البحيرات والأنهار .

وكانت المياه تتوافر في البيوت بوضعها في صهاريج ؛ حيث يتولى السقاؤون نقل المياه إليها . فيقول الرحالة نصر خسرو أنه كان في القاهرة ومصر اثنان وخمسون ألف جمل ، يحمل عليها السقاؤون الروايا (٢) . وقد كان من عل المحتسب - كما يقول المقرئ (٣) - الاشراف على نظافة نقل المياه ؛ فيرى إذا كانت الروايا مغطاة بالأكمية ، ويجبر السقائين على لبس السراويلات القصيرة ذات اللون الأزرق ، التي تغطي حوراتهم . وقد انتشرت كلمة السبيل (٤) ، وهي تعنى الطريق ، ولكنها أصبحت تعنى اعطاء المياه مجانا كما أن الماء كان يوضع في أزيار في شوارع القاهرة أمام كل دكان أو بيت لاختعاد الحريق .

وفي بعض المدن الكبرى القريبة من الأنهار - أو حتى البعيدة عنها - كان يتفنن في إنشاء القنوات (٥) ، لاحتضار الماء . فكانت سمرقند ، إحدى مدن بلاد ما وراء النهر ، توجد فيها شبكة مائية تامة ، تتكون من مواسير صفيح ، تأخذ ماءها من خزانات كبيرة (٦) . كذلك كانت قرطبة ، إحدى مدن الأندلس ، تجلب لها المياه من جبالها عن مسافات بعيدة عن طريق قناة من حجر متقنة.

(١) نفس ، ص ٨ .

(٢) نفس ، ص ٤٩ .

(٣) الخطط ، ص ٣٤٢ .

(٤) نفس ، ص ٢٦١ من ٢٠ .

(٥) معجم البلدان (بغداد) ، ٢ من ٢٣٦ . عن القنوات ، انظر .

تاج العروس ، ٣ ص ٥٠٩ ؛ انظر : Ency. (art Kanât). t2, P. 751-753 .

(٦) الاصطخرى ، مسالك الممالك ، تحقيق ، de Geoe ، طبعه Leyden .

(B. G. A) ، ص ٢٩٠ . ١٨٧٠

البناء محكمة الهندسة ، اودع في جوفها انايب الرصاص ، لتحفظ
من كل دنس (١) .

وكانت المدن التى تتغذى بماء المطر ، يقام فيها احواض (٢) ،
تعرف باسم : « مصانع » ، لجمع مياه المطر ، مثل تلك المصانع
الباقية حتى الآن بجوار مدينة القيروان . اما القلاع العالية ، مثل
قلعة الجبل فى عهد المماليك ؛ فكانت ترتفع اليها المياه لتدخل الى
جميع ما فيها من قصور ودور وحمامات ؛ وذلك بدواليب تديرها
الابقار من مكان الى مكان الى ان تصل الى القلعة ؛ فكان ذلك
- كما يقول المقرئ (٣) - من عجائب الاعمال ، لرفع المياه من
الارض الى ارتفاع اكثر من خمسمائة ذراع . كذلك لا تزال توجد فى
القاهرة اجزاء من بقايا قناة محفورة فى السطح العلوى لقناطر
معلقة ؛ بنيت خصيصا لهذا الغرض تمتد من مجرى النيل الى القلعة .

اما مسألة تصريف الامrazات الانسانية ؛ فيكون عن طريق
الخزانات ، ولها اناس يشرفون على تجارتها (٤) ، او عن طريق
جمعها فى قناة تحت الارض لحمل الثقل وللصرف (٥) ، او ان
يمعن فى حفر المرحاض حتى يصل الى الماء الجوفى ، فلا يحتاج
الى الكبح (٦) ، وربما كانت توجد مراحيض عامة ، حتى انها
كانت تسمى بلاليع (٧) .

وكانت المدن الاسلامية تزود بحمامات (٨) - مفردا حمام -

(١) مثلا . المقرئ ، نفح الطيب ، المطبعة الأزهرية ١٣٠٢ هـ ، ١ .

ص ٢١٦ .

(٢) سفرنامه ، ص ١٩ .

(٣) للخطط ، ٣ ص ٣٤١ .

(٤) عيون الاخبار ، ط . Brockl ، ص ٢٦٥ من ١٠ ؛ انظر . متر ،

مخطوطة ، ٢ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٥) سفرنامه ، ص ٨ .

(٦) البغدادي ، كتاب الافادة والاعتبار ، طبعة القاهرة ، ص ٣٩ .

(٧) الطبرى ، ط . الحسنية ، ٩ ص ٢٦٨ .

(٨) الخطط ، ٣ ص ٢٢٩ وما بعدها ؛ نهاية الرتبة ، ص ٨٦ - ٨٨ .

وهي في معناها اللغوي تعني الماء الحار . وهذه ليست من ابتكار المسلمين ، ولكنها أخذت من الشعوب التي كانت قبلهم ، وبخاصة اليونان ؛ فحينما دخل العسرب الاسكندرية ، وجدوا فيها آلاف الحمامات . وقد دخل الحمام ضمن نظم الاسلام منذ عهد مبكر ؛ لارتباطه على الخصوص بفريضة الوضوء ، بحيث ان الفقهاء اعتبروه من الامكن الدينية . فنص الاسلام على النظافة ، واعتبرها من جوهر العقيدة ، كما وردت في القرآن والاحاديث النبوية دعوة الى التزينة والتطيب (١) . ومن ناحية اخرى يبدو ان الغسل بالصابون لم يستعمل الا في العصور الوسطى ، وربما على يد المسلمين (٢) ؛ بدليل انتقال هذه الكلمة الى لغات اوربا باسم : « Savon » او « Soap » .

وقد اخذ الحمام مظهرها اسلاميا ، فازيلت منه الصور والتمثيل (٣) ؛ فيقول الامام احمد بن حنبل ان الانسان اذا دخل الحمام وراى فيه صورة ؛ فينبغي ان يحكها ؛ فاذا لم يستطع فليخرج . كذلك وجدت آداب معينة في دخول الحمام ، وذلك بعدم كشف العورات ودخوله بمئزر - جمعها ميازر - وحفظ ملابس المستحمين ؛ ومتى ضاع شيء التزم بدفع التعويض ، ولا يدخله المجذوم ولا الابرص ؛ كما افردت حمامات للنساء . وقد وجدت الحمامات بنوعيها ؛ الخاص والشعبي « Bain Public » ؛ وقد كثرت هذه الاخيرة في

الكواكب (القرن ١٢ / ١٩) ، حدائق التمام في الكلام على ما يتعلق بالحمام (مكتبة أحمد تيمور) ؛ باللاس Ballâs ، الابنية الاسلامية ، تعريب عليا العناني ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، عدد خاص ، المنة الاولى ١٣٧٢ / ١٩٥٣ ، الترجمة العربية ص ٩٧ وما بعدها ؛ والنص ص ٩٢ وما بعدها ؛ انظر ايضا : Pauty : Les Hammams du Caire, 1933. Ency. (art Hammâm) 12, p. 269.

(١) العقد ، مصر ١٢٩٣ هـ ، ٣ ص ٢٤٩ . * (يا بني آدم خذوا زينتكمنه كل مسجد) * .

(٢) الموفق ، كتاب الابانة عن حقائق الادوية ؛ تحقيق Seligman ص ١٦٦ ؛ اغانة الامة ، ط ٢ ، ص ٢٠ . (ذكر فيها العادن) ، الاتحار فيه ايام الفاطميين) . انظر .

(٣) النزالي ، احياء علوم الدين ، مصر ١٣٤٦ هـ ، ٢ ص ٢٩٧ .

المدينة الإسلامية ؛ بحيث أنه في القرن الثالث الهجري كان في الجانب الشرقي وحده من بغداد خمسة آلاف حمام ، وفي القرن الرابع الهجري ، كان على الجانبين منها عشرة آلاف (١) ، وفي مصر الفسطاط أيام الفاطميين وجد سبعون ومائة ألف حمام (٢) ، وفي قرطبة بالأندلس ثثمائة (٣) .

وقد كان الحمام الإسلامي في الغالب مظلماً ، ترتفع عليه قباب ، فيها طنقات لجلب النور ؛ فضلاً عن تزويق سقفه ، وترخيم أرضه . ويشمل الحمام عدة قاعات ، منها : الغرفة الأولى واسمها « برانى » فيها مصاطب للجلوس ، وبجوارها « الأدبخانه » ، وحجرة وسط « وسطانى » لغسلها لخلع الملابس ، ثم مكان الاستحمام واسمه « تحميم » يدخله البخار من ثقب في الأرض تتصل بخزانة الماء الذى يغلى على الموقد « التنور » ، أو فيه أنابيب رصاص تمتد إلى أحواض مصنوعة من الرخام أو الحجر أو الطوب تسمى « صهاريج » ، أو أن الماء الحار والبارد يدخل من ميزابين في حوض صغير ، يصب في حوض كبير (٤) ؛ وكان المستحم يلبس ثياباً حتى لا تحترق قدماه . ومجمل النظام غرفة باردة أو ما يسمى « البيت البارد » لخلع الملابس ، تليها غرفة تدفئة أو « البيت الساخن » للاستحمام . كذلك يوجد في الحمام خلوات للأفراد أو مقاصير للخاصة حتى لا يختلطوا بالعامه (٥) ، كما توجد حجر مخصصة لخزن الوقود تسمى « أفنية » ، لها مداخل مستقلة . وقد ظهر للحمام موظفون مخصصون له ، حتى أنهم بلغوا في حمام واحد بالقاهرة سبعين (٦) ، منهم : حمامى وقيم وزبال ووقاد وسقاء وحلاق أو مزين ومذلك ،

- (١) البعقبى ، البلدان ، B. G. A. ، ص ٣٥٤ ؛ ابن الخطيب ، ط سلون ، ص ٢٦ ، ما بعدها ؛ أنظر . متر ، الحضارة ، ترجمة ، ص ١٦٢-١٦٣ .
(٢) الخطط ، ٣ ص ١٢٩ من ١٤ - ١٥ .
(٣) أورد العدد بللاس في مقالته : الترجمة ، ص ١٠٩ (نقل عن ابن عذارى) .

(٤) البغدادي ، كتاب الألفاظ والاعتبار ، ط . القاهرة ، ص ٤٠ .

(٥) ابن بطوطة ، رحلة ، ط ٢ ، مصر ، ١ ص ١٤١ .

(٦) الخطط ، ٢ ص ١٣١ من ١١ .

وناطور وهو الذى يحفظ ملابس الداخلين (١) .

اما حمامات النساء ، فهى فى الواقع اشبه بمعهد للتجميل
 " Institut de beauté " ؛ حيث وجدت فيها متخصصات اسمهن :
 الماشطات أو البلاطات (٢) ؛ اللاتى يصفن الشعر ويصبغنه بالحناء .
 ونعرف من تصفيف الشعر انواعا ، بعضها كمن اخترع اعلام سيدات
 المجتمع وقتذاك . فمن انواع التصفيف ما اخترعته سكينه بنت الحسين
 بشكل جميل خاص ، عرف بالجمه او الطرة السكينية (٣) ، التى شاعت
 بين النساء ، او ان يضفرن شعرهن الى ذوائب تنسدل على الظهر
 تسمى غداثر قد تبلغ موطىء القدمين ، كما ان المرأة المطلعة قد تتخذ
 القصة فى مقدمة راسها (٤) ، وتضع عصاية مزركشة عليها الدر (٥) .
 وعلى العكس كانت بعض الفتيات يحلقن شعورهن ، ويتشبهن
 بالفتيات ، وهن المسميات الغلاميات . يضاف الى ذلك العناية بالجواجب
 وترقيقها ، ووضع الكحل فى العين ، وتصقيل الوجه ، واطالة
 اشفار الجفون .

كذلك ظهر فى المدن الاسلامية نظام المستشفيات ، وهو على
 ما يظهر نقل عن الفرس ؛ لذلك عرف للمسلمين باسمه الفارسى :
 « البيمارستانات (٦) » ، وهى تختصر الى مارستان او مرستان ؛ وان
 كان اول من بناها المصريون القدماء ، كذلك نسمع عن دار الصحة
 او دار الشفاء فى بغداد ، وربما كلمة مارستان أصبحت تدل فقط فى

(١) مثلا : سفر نامه ، ص ٩٨ ؛ نهاية الرتبة ، ص ٨٨ .

(٢) ابن شاهين ، زبدة ، ص ١٢٢ . عن كلمة بلانة ، انظر .

Suppl, I, p. 115. : Dozy

(٣) الاغانى ، ١٤ ص ١٦٥ ؛ انظر . بهيم المرأة فى حضارة العرب ،

ص ١٢٥ - ١٣٦ .

(٤) لسان ، ٨ ص ٣٤١ .

(٥) نهاية العرب ، ٢ ص ١٩ - ٢٠ ؛ العقد ص ، ٣ ص ٢٨٣ . لاسيما

العصيب من اليمن .

(٦) عنها : الخطط ، ٤ ص ٢٥٨ وما بعدها ؛ انظر : Isâ Bey : Histoire,

des bimaristans à l'époque islamique Congrès
 international des maladies tropicales. Le Caire, 1929

، Ency. (art Bimâristân), 2ed, t1, P. 125 sqq.

بهر بمعنى مريض ، وستان بمعنى مكان .

اللغة الدارجة على مكان المجانين ، كما هي في وقتنا . وقد كان المسلمون يختارون بعناية أماكن مستشفياتهم ، ويرون ضرورة كونه صحيا .

ويبدو ان المستشفيات ظهرت لأول مرة في عهد الامويين ، فقد جمع الخليفة الوليد بن عبد الملك المجذومين والعميان وعمل لهم البيمارستانات في عام ٧٠٧/٨٨ ؛ فكان اول من فعل ذلك . ولكنها كثرت في عهد العباسيين ، وانتشرت في جميع مدن الاسلام ، وكان الخنفاء والحكام يقيمونها في أماكن واسعة ، ويوقفون عليها الأموال الطائلة ، ويجمعون لها الأطباء وأنواع الأشربة . فمثلا مارستان صلاح الدين بمصر (١) ، وكان عبارة عن قصر سابق من قصور الفاطميين - اذ انه هو الذي قضى على دولتهم في مصر - قسم الى غرف ومقاصير ، وضعت فيها الأسرة ؛ ليتخذها المرضى مضاجع ، وافرد لهم خدم يتكفلون بتفقد أحوالهم في الصباح والمساء ، كما خصص فيها موضع خاص للنساء ، ولهن من يقوم بالاشراف عليهن ، وفيها أيضا قسم للمجانين « محابس » مقفولة بشبابيك من الحديد ، ولهم من يتفقد أحوالهم . كذلك جعل بيسارستان قلاوون الكبير أقساما (٢) « ايوانات » خصص معظمها للحميات ، وافردت قاعة للرمد ، واخرى للعمليات « قاعة للجرحى » ، ومكان لتدريس الطب ، وخزانة كتب ، ومكان لتركيب الأدوية ، ومطبخ للطعام ، وحواصل للأدوية وغيرها ، وقبة للصلاة ، وفسقية . ولما جاء الاوربيون الى الشرق ، عرفوا نظام المستشفيات ، فنقلوه الى بلادهم . ولا تزال بقايا المارستانات الاسلامية موجودة حتى الآن في القاهرة ، ممثلة في المارستان المؤيدي ، الذي بناء المؤيد الشيخ (٣) ؛ وان تحسبوا الى جامع الى يومنا .

اما مقابر المسلمين ، او ما يسمى بالتربة او القرافة ؛ فكانت عادة

(١) عنه بتفصيل ، انظر . رحلة ابن جبير ، ص ٢٠ - ٢١ ؛ الخطط ، ص ٢٥١ . فتح للمرضى عام ١١٨١/٥٧٧ .

(٢) على الخصوص : الخطط ، ص ٢٥٩-٢٦٣ . بناء عام ١٢٨٤/٦٨٣ .

(٣) نفسه ، ص ٢٦٣ . بناء عام ١٤١٨/٨٢١ .

منفصلة عن مقبر غير المسلمين من اهل الأديان الأخرى . وكان المسلمون فى اول الأمر يموتون ويدفنون بدون كلفة اقتداء بالرسول ولكن فى العصر العباسى بدء فى بناء مقابر خاصة اشبه بجوامع جذثرية لأهل البركة والأولياء ، عرفت باسماء : قباب او مقابر او اضرحه او مشاهد ، وهذه الأخيرة عرفت على انها للعنوين على اساس الشهادة اى الايمان ، او انهم استشهدوا فى سبيل نصره عقائدهم (١) ؛ مع ان الاسلام لا يميز بين مسلم وآخر . وقد وردت احاديث نبوية تبين ان الصلاة فى المقابر مكروه (٢) ؛ مما يدل على قيام مثل هذه المقابر الخاصة بعد موت النبى . فكنت بعض هذه المقابر تشمل فقط الراس كما فى مشهد الحسين ، بل ان بعضها يقام حتى ولو لم يوجد شئ من الميت ، مثل تلك الاضرحه التى اقيمت لمسيدنا عبد القادر الجيلانى فى انحاء بلاد الاسلام . كذلك فى القرن الرابع الهجرى ، بدء فى وضع شواهد او نصب على القبور ، مع ان الاسلام ينهى عن ذلك ، ولا يزال المسلمون يقيمون الشواهد على مقابرهم الى الآن .

وقد كانت مدن الاسلام مسورة ، فيها عدة ابواب من حديد ؛ وهى - اى الاسوار - تزودج غانبا او تكون ثلاثة (٣) ، وتحيط بها الابراج او الشرفات ، او القلاع التى انتشرت فى الشرق لكل مدينة ، لو الخنادق التى يدخلون احيانا فيها ماء من ماء البحر وقت الضرورة (٤) ، كما كان الحال بالنسبة لاسوار الاسكندرية .



والثابت ان البلاد التى فتحها العرب كان اهلها يلبسون ما تعودوا عليه ؛ اما العرب فيلبسون زيهم فى الجزيرة العربية ، وهو بسيط مصنوع من الوبر وهو الصوف ، كما انه فى اثناء حركة الفتوح كان بعضهم عرايا لا يلبسون شيئا (٥) . ولما تحولت غالبية اهالى البلاد

Les Mosquées I, P. 100 : Haut et Wiet.

(١) انظر .

(٢) البخارى ، كتاب الصلاة ، باب ٤٨ و ٥٢ ، كتاب الجنائز ، باب ٦٢

(٣) سفر نامه ، ص ٤ ، ٨ .

(٤) ابن شاهين ، زبدة كنف الممالك ، تحقيق Ravaisse ، طبعه Paris ، ١٨٩٤ ، ص ٣٩ .

(٥) الواقدي ، فتوح الشام ، ١ ص ٦٢ ، ١٢٤ ، ١٣٨ .

المفتوحة للإسلام ، بدا يظهر للمسلمين عرب وغير عرب زى خاص بهم ، يختلف عن الزى القديم او حتى الزى الحديث ؛ فضلا عن تطوره على ايديهم .

وقد ازدهرت صناعة النسيج فى بلاد الاسلام ، واعتبرت من اهم الصناعات ؛ بحيث ان اغلب حكومات الاسلام جعلته احتكارا لها . فعرفت مصانعه باسم : « طراز » (١) ، وهى كلمة فارسية تعنى التطريز او الملابس ، ولا سيما الدار التى ينسج فيها القماش ، وذلك عن طريق الأنوال . وقد انتشر الطراز الحكومى فى المدن والقرى الاسلامية على السواء ؛ واصبحت له هيئة كبيرة من العمال والموظفين ، ووسائل نقل كثيرة خاصة به من مراكب ودواب (٢) . كذلك نسجم عن طراز العمة وطراز الخاصة (٣) ؛ مما يدل على ازدهار هذه الصناعة اهلية كانت ام حكومية . ولا ريب فى ان صناعة الاقمشة وبيع اللثياب « البز » (٤) ، كانت لها سوق رائجة فى بلاد الاسلام ، ولا تزال كذلك الى وقتنا .

واشتهرت دور الطراز الاسلامية بجودة اقمشتها ، التى اصبحت اسماءها تجرى على كل لسان ، كما طبق صيتها الآفاق ، ودخلت بعض اسمائها اللغات الأوروبية ، ولا تزال باقية فيها . فلا نجد فى العصور الوسطى صناعة اقمشة جيدة الا فى دور طراز الاسلام ؛ حتى ان الدول خارج دار الاسلام ، كانت تتزاحم على شرائها (٥) . كذلك تطورت صناعتها على ايدى المسلمين ؛ فدخلتها الخيوط المتنوعة ؛ فيقال الخيط : « المصرى » و « العراقى » و « العالى » (٦) . كما دخلتها الزخرفة

(١) المقدمة ، ص ٢١٠ - ٢٢١ : انظر . Ency. (art Tirāz) t4, p.

825 sqq . اصلها من كلمة درزى من دوختن ؛ بمعنى الخياطة .

(٢) الخطط ، ٢ ص ٢٥٣ .

Répertoire chronologique d' Epigraphie

(٣) انظر .

Arabe. t6. p. 40; 48; 95. 112.

(٤) نهاية الرتبة ، ص ٦١ - ٦٢ ؛ الولاة ، ص ٥٦٢ .

(٥) سفر نامه ، ص ٣٨ .

(٦) الخطط ، ٢ ص ٢٥٦ من ١١ وما بعدها ؛ انظر . Heyd :

Histoire du commerce du Levant au Moyen Age. trad. Furey

— Raynaud. Leipzig, 1952, 2. P. 677 - 678

؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٥١ وهامش ٦ .

بأشكال متعددة ، رسمت بمختلف أنواع الأصبغة ، ولدينا تعابير مختلفة عن ذلك ، مثل : الرسم والمقلم أى المخطط ، والمجاوم أى المرسوم (١) ، والموشح أى المطرز بالذهب . وقد أصبحت زخرفتها مظهرا للأناقة ؛ وإن اعتاضوا فيها عن الصور - لكره الاسلام لها - بكلمات أو تفرعات أو توريقات ، أو بصور وحوش وطيور . ولا تزال بقايا الأقمشة الاسلامية فى العصور الوسطى موجودة الى الآن فى مختلف المتاحف (٢) .

وقد أخذت الأقمشة الاسلامية اسماءها غالبا من اسماء المدن التى صنعت فيها ؛ حيث أن بعض المدن الاسلامية قد تخصصت فى صنع أنواع من الأقمشة اشتهرت بها . فنذكر من أنواع الأقمشة الاسلامية الآتى (٢) : التيل وصناعته انتقلت من مصر القديمة عن القبط ، والبز أو النسيج القطنى (٤) ، والحرير وصناعته أدخلت من الصين عن طريق الفرس ، و « الديباج » (٥) وهو قماش لامع أو ملون رقيق ، يعتبر تقليدا للحرير الصينى ، وهى كلمة فارسية تعنى لباس الروح؛ فكانت له فى مصر دار خاصة عرفت بدار الديباج (٦) ،

(١) لفظه « مجاوم » أصلها فارسي . Inost, P. 105 .

(٢) صبح ، ٤ ص ٥٤ ؛ أنظر . مرزوق ، الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ، القاهرة ١٩٤٢ ؛ وزارة المعارف ، دليل متحف الفن الاسلامى « دار الآثار العربية سابقا » ، القاهرة ١٩٢٢ ، ص ٩٩ وما بعدها .
(٣) أنظر . Catalogue of Mohammadan Textiles, : Kendrick. of the Medieval Period (Victor and Albernt Museum) London. Las Manufactures d étoffes en Egypte, : Bahgat ; 1924.
Materil for, : Serjeant ; au Moyen Age. Mem de Inst. E. Avril 1903.
A history of Islamic Textiles up to the Mongol Conquest. Rev. ARS. Islamica. vol. (X — XII). 1942 — 1946 ' XII — XIV. 1948
(٤) أنظر . Cotton in Medieval textiles of the Near East : Lamm .
(٥) أنظر . Paris, 1937, p. vii.

(٥) ابن سيده ، المخصص ، ٤ ص ٧٦ ؛ أنظر . Ency. (Art Dîbâj) II, P. 993 - 4 + Suppl, P. 421 : Dozy.

(٦) الخطط ، ٢ ص ٣٤٣ - ٤ ؛ أنظر . ماجد ، نظام الفاطميين ، ٢ ص ١٥ وهامش (٥) .

والسقلاطون (١) وهو نوع آخر من الحرير الموشح بالذهب ، وكان
المصنوع منه في بغداد له شهرة عالمية ، كما كثر استعماله في مصر
والأندلس ، والوشى (٢) وهو قماش من الحرير الملون مثقل بالذهب
كان يعمل باليمن والعراق ومصر ، والخز أو القطف (٣) وهو نسيج
ناعم يصنع من الحرير ومن وبر ذكر الأرناب ، والطميم (٤) وهو قماش
لعله الديباج مطرز بالذهب ، والموصللى الذى اشتهر بالموسلين
"Mousseline" ، وهو قماش من حرير أو قطن اشتهق اسمه من
بحم الموصل ، والسندسى (٥) وهو رقيق كالديباج ، والشرب (٦) وهو
نوع من القماش الشفاف "Chamon" ، تدخله خيوط حريرية أو
مذهبة يوجد منه الشفاف جدا ؛ بحيث أن الشخص كان يستطيع أن
يلبس منه عمامة طولها مائة ذراع (خمسين مترا) (٧) ، والمقصب
الأبيض أو الملون (٨) ، وهو قماش مطرز لا ينسج الا فى دميـاط
وتنيس ، ولعله رقيق جدا ، والاسكندراني (٩) وهو قماش رقيق ،
والسمور (١٠) وهو قماش رقيق من الوبس اشتهرت صناعته فى

(١) أنظر . المقرئ ، نفح الطيب ، القاهرة ١٩٣٦ ، ١ ص ٣١٨ . نسخة
فى بلد الروم . Inost, p. 42; Suppl, 1, p. 663 : Dozy . وهو بالألمانية
"Ciclat" ، وبالفرنسية والانجليزية "Ciclaton" ، وبالسبالية "Siglaton"
عن استعماله فى مصر . الخطط ، ٢ ص ٣١٥ .

(٢) المسمودى (ط Paris) ، ٥ ص ٤٠٠ - ٤٠١ ، (ط ، مصر
١٢٨٦ هـ) ، ٢ ص ١٢٨ ؛ ابن سيده ، ٤ ص ٦٦ . عنه ، أنظر .
Suppl, I, P. 693. : Dozy

(٣) مروج (ط مصر ١٢٨٣ هـ) ٢ ص ١٤٢ ؛ ابن سيده ، المخصص ،
٤ ص ٦٨ .

(٤) مرزوقى ، الزخرفة ، ص ٦٤ وهامش (٢) .

(٥) أنظر . Dozy . Suppl, 2, P. 809.

(٦) أنظر . Ibid, 1, P. 740.

(٧) الخطط ، ١ ص ٣٦٥ .

(٨) سفر نامه ، ص ٢٨ .

(٩) الخطط ، ٢ ص ٢٦٢ ص ١٠ ؛ أنظر . History, : Marzouk

of Textile industry in Alexandria. 331 B. C. — 1517 A.D. p. 60.

(١٠) معجم البلدان ، ٥ ص ٧١ - ٧٢ .

الأندلس بمدينة مرقسطة ، ولذا سمي أيضا بالمرقسطية ، والبوقلمون أو الأبوقلمون (١) وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار ، وهي كلمة تبدو يونانية الأصل من " Kalimun " ، وقد اشتهرت صناعته في عصر ، والدبيقي أو الدبيقية (٢) وهو نوع من القماش المزركش ينسج في مدينة دابق أو دبيق الواقعة قرب دميطة ، والدمشقي ، الذي اشتهر أيضا بالدممكس " Damascus " اشتق اسمه من اسم دمشق ، والحلبى وهو منسوج فى حلب ، والمخمل (٣) وهو قماش له وبر ، والصوف المصرى (٤) الذى يصنع فى الصعيد من صوف الغنم ، وكان من الرقة بحيث شبه بالحريز ، والمثقل (٥) وهو منسوج بالذهب ، والأطلس (٦) وهو ما كان املس ، والقباطى (٧) وهو قماش ينسب صنعه الى القبط فى مصر .

وليس لدينا مادة تاريخية كافية تجعلنا نتكلم بالتفصيل عن الزى الاسلامى سواء اكان زى العامة او زى الخاصة ، ولا سيما ان الزى كائن سريع الحساسية والتطور من عصر الى عصر ، ومن بلد الى بلد ، ويتغير بتغير العصور ، ويعتبره ابن خلدون من مظاهر الحضارة وفنونها (٨) . ولحسن الحظ ، وجد فى الاسلام بعض الرجال النابهين ، ذوى الذوق الرفيع والحساسية للالوان ، ولا سيما بين خلفاء الاسلام ، فعملوا على تقدم الزى عند المسلمين . فنعرف من اعلام الاناقة الاسلامية فى العصر الاموى الخليفة مطيعان بن عبد الملك (٩) .

(١) سفر غامه ، ص ٣٨ .

(٢) الخطط ، ١ ص ٣٦٥ ؛ معجم البلدان ، ٤ ص ٣٤ .

(٣) عنه ، انظر . Dozy. , P. 406 ; Suppl. I.

(٤) سفر ناسه ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٥) الخطط ، ٣ ص ١٠ (أسفل الصفحة) .

(٦) عنه ، انظر . Dozy. , P. 53 ; Suppl. 2.

(٧) الخطط ، ١ ص ٣٦٥ ص ٦ .

(٨) المقدمة ، ص ٣٢٦ .

(٩) مروج (ط Paris) ، ٥ ص ٢٠٠ - ٢٠١ (ط مصر) .

(٩٦ - ٩٩ / ٧١٥ - ٧١٧) ، الذى أدخل - كما يقول المسعودى - زى اللوشى ، وهى الثياب الحريرية المثقلة بالذهب ؛ فلبسه الناس جبانا واردية وسمراويلات وعمائم وقلانس . وهشام بن عبد الملك (١) (١٠٥ - ١٢٥ / ٧٢٤ - ٧٤٣) ، الذى أدخل زى الخز أو القطف ، أى القماش الناعم ، فملك الناس جميعا فى أيامه مذهب . وفى العصر العباسى ، نذكر الخليفة المتوكل على الله (٢) (٢٢٢ - ٢٤٧ / ٨٣٧ - ٨٦١) ، الذى أوجد زيا عرف بالمتوكلية ، وهو نوع من اللحم أى المبطن ، وفضله على كل زى ، والخليفة المستعين بالله (٣) (٢٤٨ - ٢٥٢ / ٨٦٢ - ٨٦٦) ، الذى أحدث الكمام الواسعة التى كانت تقوم مقام الجيوب ، فيحتفظ فيها لابسها بكل ما يحتاج إليه من أقلام وكراريس ودواة وغيرها . وفى مصر ، وجد بعض سلاطين المماليك ، الذين كان لهم رأى فى الزى يغيرون فيه ؛ فمثلا الأمير سلاى المملوكى (٤) (ت ٧١٠ / ١٣١٠) ، أيام السلطان محمد بن قلاوون ، اقترح أشياء كثيرة فى الملبوس ؛ بحيث سميت العمائم باسمه : المناديل السلارية ، ؛ كما أن بعض السلاطين كان يعارض زيا معينا ، مثلما عورض زى اكمام القمصان الواسعة للنساء (٥) . وفى الأندلس ، ظهر رجل فنان ، هو المغنى المشهور زرياب - أبو الحسن بن نافع (٦) - (ت ٢٤٣ / ٨٥٧) - الذى تحكم فى ابتداع الأزياء ، وحث الناس على تغيير الملابس لتكون مناسبة للفصول ؛ فالبياض فى الصيف والملون ببقية شهور السنة ؛ والمبطن فى الشتاء ، وخفائف الثياب فى غيرها .

(١) مروج (ط . مصر) ٢ ص ١٤٢ .

(٢) نفسه ، ٢ ص ٢٨٨ .

(٣) نفسه ، ٢ ص ٣٣٧ .

(٤) ابن اياس ، ١ ص ١٥٥ .

(٥) نفسه ، ١ ص ١٩٣ .

(٦) المقرئ ، نفح الطيب ، ط . ٢٠ ١٣ هـ ، ٢ ص ١٠٩ وما بعدها ؛

بين دحية ، المطرب من اشعار المغرب ، تحقيق الابيارى وغيره ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١١٧ ؛ أنظر .

Histoire de l'Espagne musulmane, P. 190 : Lévi - Provençal

وزرياب لقب غلب عليه من أجل سمواؤ لونه مع فصاحة لسانه ، وهو اسم لطائر فرد .

فعن زى عامة الرجال المسلمين ، لا نستطيع ان نعطي صورة دقيقة . ولكن نسا قديما ذكر ان القرشيين لقبوا المسلمين الذين هاجروا الى يثرب : جلابيب قريش (١) ، والجلابيب واحدا جلابب عبارة عن ثوب غليظ . فلعل الجلابيب التي لبسها المسلمون وقتئذ كانت تدل عليهم وعلى عقيدتهم ؛ بحيث اصبحت لباس المسلمين المميز ، ولازالت الى وقتنا الحاضر . كذلك كانت الملابس الحريرية تكاد تكون محرمة على الرجال ومباحة للنساء (٢)؛ الا اذا اشتمل الثوب على كمية ضئيلة من خيوط الحرير ؛ ولكن الرجال تخلصوا من ذلك التقليد تباعا ؛ الى ان صنع الثوب كله من الحرير الخالص . ولدينا تعابير قليلة غير محددة عن ازياء عامة الرجال (٣) ، مثل : قميص ، دراعة - وهو قميص - ، رداء ، متره ، عباءة ، جبة ، قفطان ، قباء ، ازار ، كوفية (٤) وهذه الأخيرة للرأس .

اما عن زى عامة النساء المسلمات ؛ فلدينا تعابير قليلة غير محددة ايضا ، مثل : رداء ، مطرف - وهو رداء طويل له طرف - ، دراعة - وهي قميص - ملاية . اما النقاب ؛ فمع انه كان معروفا لرجال العرب ، الذين لبسوا اللثام ليقبهم من لفح الحر ؛ الا انه لم يكن معروفا كزى هند عامة نساء العرب ، قبل ان يجعله النبي لزوجاته ؛ حيث اراد ان يميزهن عن بقية نساء العرب ، وذلك للرفع من شأنهن (٥) . ولكن بقية النساء المسلمات اردن تقليد نساء النبي ، ثم انتشر النقاب بين نساء

(١) الخشى ، شرح السيرة النبوية ، تحقيق Bronnie ، القاهرة ١٩١١/١٣٢٩ ، ٢ ص ٢٢٢ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب اللباس ، باب ١٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٥ ؛ مروج (ط - مصر) ، ٢ ص ١٨٢ .

(٣) عنها ، وعن زى النساء ، انظر بتفصيل : الخابري ، كتب اللباس ؛ Dozy . وانظر .

Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les,

Notes on, : Reuben Levy ; Arabes. Amsterdam, 1845

Costume from Arabic Sources. J. R. A. S. Avril, 1935

(٤) لعلها من صنع الكوفة .

(٥) القرآن ٣٣ : ٥٣ . عن الحجاب بعامة ، انظر .

Ency de l' Isl, (art Hidjâb) 2 ed, t3, P. 370 — 2.

الشعوب المفتوحة ، فلم يعد يقتصر حتى على دين خاص . وقد غمر نوع الحجاب بان المرأة الحق فى ان تظهر وجهها وكفيها وذراعيها وتقدميها . ومع ذلك ؛ فملايين النساء المسلمات طوال العصور الوسطى سافرات ، لا يضعن النقاب ، واقتصر وضعه على وسط خاص ، وهى الطبقة الارستقراطية . ومن اللازم ان نذكر ان الاسلام لم يعتبر النظر الى النساء حراما (١) ؛ حيث يؤيد الجاحظ ذلك باحاديث نبوية . كذلك وجدت احاديث نبوية كثيرة تدعو النساء الى لبس السروال (٢) - جمعها مراويل - منها : « يرحم الله المتسولات من النساء » ، وهو لباس على ما يبدو اصله فارسى ، وان وجد فى لبس العرب الاول ، وعرف عند الاوربيين باسم " Pantalon " . وهذه للمراويل تلبس على الجسد ، وتربط بالكتك ، وقد ذكر ان احد خلفاء الاسلام كان يملك عشرة آلاف تكة حريز (٣) . اما ارجل النساء ، فتلبس فيها القباقيب او الزرابيل ، وهذه الأخيرة نوع من الخفاف ، شاع لبسه بين الجوارى (٤) .

اما عن الزى الرسمى - وهو الزى الخاص - فهو لم يكن موجودا فى اول عهد الخلافة الاسلامية ، اذ كان خلفاء الاسلام الاوائل يعيرون على موظفيهم ، الذين يتزيون بزى الاعاجم (٥) . وينسب للخليفة المعتصم العباسى انه اول من اتخذ الزى الفارسى زيا رسميا ؛ فقد كان هذا الخليفة يعتمد على عناصر غير عربية فى جيشه من الترك على الخصوص ، فأسقط العرب من الديوان ، وخلع لبسهم وزيهم . وقد

(١) الجاحظ ، رسالة القيان ، تحقيق Pinkel القاهرة ١٩٢٦ ، ص ٥٦ ، ٦١ .

(٢) عنها ، انظر . البخارى ، كتاب اللباس ، باب المراويل ١٤ ؛ الجاحظ ، التاج ، تحقيق زكى باشا ، ص ١٥٤ ؛ ابن سيده ، المخصص ، ٤ ص ٥٨٣ ؛ انظر .

Ency. (art Sirwâl) 14., p. 471 - 473 . هى كلمة فارسية معربة .

(٣) وهو هشام بن عبد الملك . نقلها الخريوطى فى كتابه : تاريخ الحفاز الاسلامى ، ص ٢٢٣ (لم يذكر المصدر) .

(٤) النجوم ، ٥ ص ٣١١ .

(٥) العقد ، ١ ص ٦٩ (آخر الصفحة) ؛ السلوك ١/١ ص ١٦ .

زاد فى تطور الزى الرسمى انقسام وحدة الخلافة الاسلامية وتعدد موهلها ؛ فاصبح الزى يطابق عقيدة للدولة ؛ بحيث ان الخلافة الفاطمية لاختارت اللون الابيض شعارا لزى الخليفة وموظفيه ورجال دولته وجيشه ، اما الخلافة العباسية ، فقد اختارت اللون الاسود . وحتى وقتنا الحاضر نجد الشيعة فى وقت حزنهم يلبسون البياض ؛ حتى لا يتشبهون بالمسنة . وقد كانت الدولة الاسلامية تتكفل بزي موظفيها من العمامة الى المراويل على حد تعبير المقرئى المؤرخ (١) ؛ اذ كانت تهتم بكل ما يتصل بموظفيها . فكان الزى الرسمى يسمى غالبا : خلعة او تشريفة (٢) ، وهى تتميز بوجود اسم الخيفة او الأمير عليها . وقد اتخذ الزى فى وقت ما شكلا ثابتا - كما فى الدولة الفاطمية - فكان للرجال يسمى بدلة وللنساء يسمى حلة ، وكلاهما يتكون من عدة اجزاء ، تبلغ احيانا خمس عشرة قطعة (٣) .

اما زى الرأس الرسمى ؛ فقد اصابه تغيير كبير ، وان كان اساسه العمامة التى شبهها على بن ابي طالب بانها تيجان العرب ؛ فقد اصبح لف العمامة يدل على صاحبها . ففي الخلافة الفاطمية مثلا ؛ كان الخليفة يشد عمامته - التى سميت انتاج الشريف - بشكل معين فى هيئة مستطيلة عرفت بشدة الوقار او الشدة العربية (٤) ، ورجال القصر يدورون طرف العمامة على الحنك ، وعرفت لذلك بزي الحنك (٥) ، ورجال الدين يرخون طرف العمامة على الظهر ، وسميت ذؤابة او عذبة (٦) ؛ ولعلها اخذت عن سنة السلف ، فابن عمر بن الخطاب كان يرخى عمامته الى خلفه ، ورجال القلم

(١) الخطط ، ٢ ص ٢٥٥ .

(٢) السجلات المستنصرية ، تحقيق ماجد ، سجل برقم ٤٨ ص ١٦٤ س ١٠ .

(٣) الخطط ، ٢ ص ٢٥٧ س ١٠ . فمثلا احدثهم لبس سبعة قمص ،

بعضها اقصر من بعض . الاغانى ، ١٧ ص ٨٩ .

(٤) الخطط ، ٢ ص ٣١٧ ؛ صبح ، ٣ ص ٤٧٢ ؛ انظر . ماجد ، نظم

الفاطميين ، ٢ ص ٦٥ وهامش ٣ .

(٥) صبح ، ٣ ص ٤٨١ ؛ انظر . نظم الفاطميين ، ٢ ص ٥٥ .

(٦) الخطط ، ٢ ص ٣٠٤ ، ٢٦ - ٢٧ ، ص ٣٠٥ ، ١٧ ؛ انظر :

Vét p. 307 ; 331 , : Dozy

يضخمون عمامتهم ، وسموا بسبب ذلك : أرباب العمام (١) ، ورجال
المسيف يلبسون العمام من القماش المطرز بالذهب والمرصع بقطيع
صغيرة من الصفيح مذهبة أو مفضضة (٢) ؛ أما زى الراس لزوجات
الخليفة - الجهات العالية - فانه عرف بأسماء متعددة ، مثل : معجر ،
وسداسى (٣) ، وهو يمتد من الراس حتى القدم .

أما اللبس الرسمى نفسه ، فقد كان للخلفاء فى أول الأمر بسيطا
ساذجا ؛ ولكن مرعان ما تطور تطورا كبيرا ؛ ولا سيما اننا راينا ان
اعلام الاتاقه ومن عملوا على تطور الزى كانوا من الخلفاء . فدخلته
الالوان واصناف الزخارف ، واصبح يصنع من الحرير المذهب ،
ويتميز فى كل مناسبة . كذلك كثر عدده الى حد ان الخليفة الاموى
هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ٧٢٤/١٢٥ - ٧٤٣) ؛ حمل ملابسه
الداخلية فقط « ثياب ظهره » على ستائة جمل (٤) ، أما الخليفة
الفاطمى المنتصر (٤٢٧ - ٤٨٧ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤) ؛ فكان عنده
فى خزانته ثمانمائة بدلة (٥) . ومثلا كان الخليفة الفاطمى يلبس فى
عيد الاضحى لباسا احمر موشحا ؛ ليتناسب مع ذبح الضحايا (٦) ،
وفى الصلاة فى يوم الجمع يلبس الابيض غير المزخرف توقيرا
للصلاة (٧) ، وفى يوم فتح الخليج يلبس البدنة (٨) وهى من

(١) الخطط ، ١ من ٣٦٥ ، ٢ من ٣٥٢ ؛ انظر . ملج ، نظم الفاطميين

٢ من ٦٠ - ٦١ وهامش (٣) .

(٢) الخطط ، ٢ من ٣٠٥ ؛ انظر . Dozy : Suppl, 2, p. 354.

منذ العصر الايوبى ، كان للجند يلبسون الكلوات بمل العمام ، وهى لا تلف
حولها شاش ، وان لفت الشاش بعد ذلك فى عهد المماليك .

(٣) الخطط ، ٢ من ٢٥٧ ؛ انظر .

Suppl, 2, p. 96; I, p. 642. : Dozy ;

ملج ، نظم الفاطميين ، ٢ من ٥٦ - ٥٧ .

(٤) العقد ، ٢ من ٣٣٨ . يقول المقرئ سبعمائة جمل . السلوك ١/١ من ١٤ .

(٥) الخطط ، ٢ من ٢٦١ من ٢٤ ؛ انظر . ملج ، الامام المستنصر

جلال الفاطمى ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٤٢ .

(٦) مثلا : صبح ، ٣ من ٥١٥ من ٥ .

(٧) نفسه ، ٣ من ٥١٠ من ٩ .

(٨) نفسه ، ٣ من ٥١٩ من ٢٢ .

الحرير. المخطط المزخرف ؛ مصنوعة بصناعة محكمة لا تحتاج إلى تفصيل أو خياطة ، وفي مناسبات أخرى يلبس البياض ، ولكن بطراز من الذهب ورسوم ، ويكون له ذيل طويل ؛ « موشح مجاوم مذابل (١) » .

ووجدت بعض الملابس الرسمية ، التي تميز طائفة عن أخرى ، فزى الوزير سمي ذراعة (٢) ، وهو لباس مشقوق من الأمام ومحلل بعري وأزرار ، وهو أيضا زى الكتاب ، وإن كان أقل زخرفة . ورجال القضاء يلبسون الطيالس أو الطيالة ومفردها طيلسان (٣) ، وهي طرحة توضع على المنكب . وأمراء الجيش يلبسون الأقبية القصيرة والثياب المزركشة (٤) ، أما الجند فكانت تغطي أفخاذها بشرائط (٥) ، وتحيط وسطها بأحزمة .

هذه تفاصيل الزي الاسلامى فى العصور الوسطى ، يتبين منها مدى الفائق والابتكار .



أما عن الحياة الاجتماعية الاسلامية ؛ فانها لا ترد كثيرا فى كتب المؤرخين ، وهى ان وردت فانها تتناول الخاصة قبل العامة ؛

- (١) الخطط ، ٢ من ٢٥٦ من ١٠ .
(٢) نفسه ، ٢ من ٣٠٤ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ من ٨٩ - ٦٠ .
(٣) الخطط ، ٢ من ٣٠٤ - ٣٠٥ ؛ الولاة ، ١ من ٦٠٤ من ٢ ؛ ابن ميادة ، الخمص ، ٤ من ٧٨ ؛ انظر . نظم الفاطميين ، ١ من ٩٠ وهامش (٣) . ولعلها تحريف من الكلمة الفارسية « طالش » أو « طلشان » أو أصلها من الكلمة عبرية « طالت » . انظر .

: Reuhen Levy

Notes on Costume from Arabic sources, J.R.A.S, Avril, 1935, p. 334. N. 5.

- (٤) الخطط ، ٢ من ٢٥٥ ؛ صبح ، ٤ من ٣٠ ؛ انظر . نظم الفاطميين ، ٢ من ٥٨ .
(٥) سفر نامه ، ٥ من ٥٤ .

شان كل مجتمع . ونحن لا نستطيع أن نتبع كل ما فى حياة المسلمين الاجتماعية ، وانما نذكر ما يميزها عن غيرها . وقد كانت حياة المسلمين الاجتماعية فى اول عهد الاسلام ماذجة ؛ لان الاسلام ظهر فى بيئة بدوية ، كما ان روح الدين الاسلامى لم تكن تبيح من التمتع فى الحياة غير التمتع الذى يبيحه الشرع ، فوجدنا حياة المسلمين الأوائل تطابق روح الدين الاسلامى ، وروح المجتمع العربى الساذج . ولكن اتصال العرب بالشعوب المفتوحة ، وتحول هذه الشعوب الى الاسلام ، ادخل فى حياة المسلمين كثيرا من مظاهر المجتمعات المتحضرة السابقة على الاسلام . كذلك كانت الثروة التى تدفقت على المسلمين من مصادر متعددة ، ونشاط حركة التجارة بسبب الاستقرار الذى اوجدته الخلافة الاسلامية ؛ له اثره البالغ فى ظهور حياة اجتماعية زاهية عند المسلمين .

وما لبث ان بالغ المسلمون فى البذخ والترف ؛ بحيث اصبح للشرق يعرف ببذخه وترفه ولين الحياة . وفى بعض الأحيان كان يحدث رد فعل من جانب الخلفاء الاتقياء ؛ لما عليه من حال المسلمين من ترف وبذخ ؛ فيحاولون ان يخضعوا للحياة الاجتماعية الاسلامية لنصوص القرآن الحرفية . كذلك ظهرت بين المسلمين طبقة مترزمة ، هى طبقة الحنابلة ، الذين كانوا حريبا على اللهو ؛ فكانوا يقومون بكسر اوانى الخمر والالات الموسيقية ، كما ظهرت احاديث نبوية تدعو الناس الى ترك البدع (١) ؛ وهو التعبير فى تقاليد المجتمع .



وعلى العموم كانت قصور الارستقراطية ، تتميز بثلاث خصال :
 اولا : وجود الحريم - وجمعها حرائم - وهى كلمة تعنى كل ما يلحرم به ويمنع منه ويدافع عنه (٢) . وقد انتقلت الى القاموس

(١) انظر . الطرطوشى ، كتاب الحوادث والبدع ، تحقيق طالبى ،
 تونس ١٩٥٩ ؛ انظر . Talbi :

Les Bida. Stvdia Islamica. 1960, XII, p. 43 sqq.

(٢) انظر . لسان ، ١٥ ص ٩ وما بعدها ؛ انظر . Dozy
 Suppl. I, p. 277 — 8 .

الأورى بلفظة " Harem " ، وأصبحت تعنى عند المسلمين أهل الرجال من نساء واطفال ، حتى ولو كانت امرأة واحدة . فكان وجود الحريم بهذا المعنى أن جعله ينتقل أيضا إلى أفراد الشعب ؛ بحيث صار الحريم أساس الحياة العائلية الإسلامية . وهذه الطبقة من النساء في قصور المسلمين ، تتكون من الزوجات ، ومن الأمهات - مفردة أو - وهن الجوارى أو القيان ، أو حتى الوصائف والمولدات والمرارى (١) . وهذه الأخيرة بسبب إباحة الإسلام استخدامها ، بولغ في الأكثر منها ، وإن وصف القيان بعدم الاخلاص ؛ كما كن من الجائز تداولهن ، فهن - كما يقول الجاحظ - بمنزلة التفاح الذى يتهداه الناس بينهم (٢) .

ومن الطريف أن نذكر أن زوجة الخليفة الفاطمى أو حظيته ، كانت تسمى : « جهة » والجمع « جهات » ؛ كما أن بعضهم يسمون : « الجهات العالية » ، أى المقربات (٣) ؛ وهؤلاء يكتب عقدهن على القماش مثل الحرير أو القماش القبطى ؛ وذلك حتى يبقى مدة طويلة ؛ على عكس عقود الناس العاديين ؛ فنه يكتب على البردى ثم الورق (٤) ولم يكن عند الخلفاء المسلمين تعصب فى الزواج بالأجنبيات (٥) بحيث أن أغلب خلفاء الإسلام من أمهات غير عربيات . فمثلا فى قصر الخليفة الفاطمى بمصر حينما سقطت دولته على يد صلاح الدين الأيوبي ، كان يوجد فيه اثنتا عشرة ألف نسمة ، ليس فيهم فحل غير الخليفة وأهله وأولاده (٦) . أما حريم بغداد ، فمن كثرتهن أصبحن

(١) الجوارى جمع جارية ، والقيان جمع قبنة ، والوصائف جمع وصيفة والمولدات جمع مولدة ، والمرارى جمع مربية . انظر : Dozy . Suppl cf. : (٢) الجاحظ ، رسالة القيان ، ص ٥٦ ، ٦٩ .

(٣) ابن السامى ، نساء الخلفاء المسمى جهات الاثمة الخلفاء من الحرائر والاماء ، ط : دار المعارف ، القاهرة ، ص ٤٣ ؛ الخطط ، ص ٢٥٧ من ٢١ . ص ٢٥٨ من ٧ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ص ٣٧ . (٤) انظر .

Un contrat de Mariage, : Ràgib

sur soie d'Egypte Fatimide. Ann Islamo, t XVI, 1980, p. 7 sqq.

(٥) العقد ، ص ٣ من ٢٨٣ من ٨ - ٩ .

(٦) الخطط ، ص ٣٩٦-٢٠ من ١٠ .

بمقدار ثلث سكان بغداد ، وييكن فى وسطها (١) ، وكان للخليفة المتوكل على الله وحده أربعة آلاف امرأة وطئهن كلهن (٢) اما فى قصر الزهراء بقرطبة ؛ فكان فيه ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة (٣) .

ولكن يجب ان نشير انه وان كان تعدد الزوجات ؛ وما ملكه للرجال من الجوارى مسموحا به فى الدين ؛ فانه لم يكن قاعدة عامة ؛ لان الاحتفاظ بعدد كبير من النسوة لا يتفق مع اذواق الناس جميعا ، او مع استعداداتهم المالية ؛ حيث ان دفع المهر وتقديم الهدايا كان يثقل جيوب كثير من المسلمين . كما اننا سمعنا ان بعض الخلفاء كان يحتفظ بزوجة واحدة ، مثل الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، الذى كان ينصح رعاياه بالاعتصار على زوجة واحدة (٤) .

ومن الطريق ان نذكر ان العرب عموما كانوا يفضلون من النساء النحيلات الاعلى الجسميات الادنى ، او كما يقولون عنهن : اللواتى اهلهن قضيب ، واسفلهن كتيب (٥) . كذلك كان العرب يفضلن البيض من الجوارى ، وان لاحظوا ان لكل جنسية ميزة (٦) ؛ فمثلا : التركيات لهن البياض ، والروميات لهن زرقة العيون ونعومة الشعر ،

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد او مدينة السلام ، تحقيق Salmon

Ency (art Baghdad) I, p. 58.

ص ٤٩ وما بعدها ؛

(٢) مروج ، ط مصر ، ٢ ص ٣٠٨ ؛ انظر . أحمد أمين ، لحنى الاسلام

ط ٢ ، القاهرة ١٩٣٤ ، ص ٩ .

(٣) المقرئ ، نفح ، ط . أحمد رفاعي ، ٥ ص ٥٩ .

(٤) الخطط ، ٢ ص ١٦٤ ص ١٩ .

(٥) نهاية العرب ، ٢ ص ١٠٠ ؛ انظر . جيور ، الجوارى ، سلسلة اقراء ؛

دار المعارف ، رقم ٦٠ ، أكتوبر ١٩٤٧ ، ص ٧ وما بعدها . عن رأى الجاحظ

فى جمال النساء . انظر . رسالة فى العشق والنساء ، ضمن رسائل الجاحظ ،

القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ص ١٦٩ .

(٦) ابن بطلان ، رسالة فى شراء الرقيق ، مخطوط ببرلين ؛ انظر . ضحى

للاسلام ، ص ٨٥ - ٨٧ .

والنوبيات لا يوجد لهن مثيل فى الجمال لركة شفاهن ، وشعرهن المرسل (١) .

ثانيا : وجود الخصيان او الاخصياء - مفردھا خصى - وهذه غلبت عليها أسماء منها : الأستاذین مفردھا استاذ ، او الطواشى وهى كلمة تركية مفرد وجمع ، ولعل اصلها من الطاووس للتعبير عن الرجل الجميل (٢) ، وكلتا الكلمتين تتوافق ايضا مع كلمة خادم . وينسب استخدام هذه الطبقة فى الاسلام الى معاوية (٣) ، نقله عن الروم - البيزنطيين - الذين كانوا يخصون من يعمل من الرجال فى اديرّة النساء . فكان من يحضر هذه الطبقة الى قصور المسلمين ، هم التجار اليهود او المسيحيون ؛ ذلك لأن الاسلام يحرم الاخصاء ، وان كان قد تعلم الاخصاء قسوم من المسلمين فى الأندلس ؛ فصاروا يخصون ويستحلون المثلة (٤) . وكذلك كان الخصيان اغلبهم من عناصر مسيحية من اصل صقلبي - وهو عنصر اوروبى - او حتى من الترك والفرس والهنود ، وان كان خصيان الحبشة والنوبة والسودان لم تكن لهم نفس القيمة (٥) . وقد كان الخصيان فى قصور الخلفاء طبقات منهم امراء ، ومنهم طبقة دنيا تقوم بالأعمال المنزلية . وقد بلغت هذه الطبقة فى مصر فى قصور الفاطميين الوفاء من

(١) عنهن على الخصوص ، انظر . الادريسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، تحقيق de Goeje و Dozy ، طبعة Leyde ، ١٨٦٦ ، ص ١٣ .

(٢) عن هذه الكلمة ، انظر .

Ency. (art Tawash) ١٤ , p. 740. ; Suppl, 2, p. 67 : Dozy

اصلها التركى طاوش .

(٣) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق هارون ، ١ ص ١٢٤ .

(٤) المقرئ ، نفح الطيب ، ط . أحمد رفاعة ، القاهرة ١٩٣٦ ، ١ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ؛ الخوارزمي ، مفيد العلوم ، مصر ١٣١٠ هـ ، ص ١٠٨ ؛ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ؛ انظر . فون كريمر ، الحضارة ، ترجمة عربية ، ص ٩٢ . التمثيل هو تشويه الخلقة .

(٥) الحيوان ، ١ ص ١١٨ - ١١٩ .

الاستاذين (١) ، كما انه كان يوجد فى القصر العباسى احدى عشر الف عبد خصى (٢) ، وفى قصر الزهراء بقرطبة ثلاثة آلاف ومبعمائة وخمسون صقليا (٣) . ولدينا اوصاف لما يطرأ على الخصيان من تغيير بسبب الاختصاص ؛ فهم يعمهم العرق ، وتعوج اصابهم ، ويصابون بالتكرش ، ولا يصلعون مثل النساء . كذلك تصير طباعهم مقسومة على طباع الذكر والانثى ، وتكثر دمعتهن ، ويحبون النميمة كالنساء (٤) ، كما يتميزون بالاخلاص لمسيدهم ، وهم اشبه بالحيوانات الاليفة .

ثالثا : وجود الغلمان - مفردها غلام - فى قصور المسلمين . ومؤذنها جارية ؛ وهى فى بادىء الامر غريبة عليهم ؛ اذ هى مأخوذة عن البيزنطيين . وربما يكون ذلك منذ عهد العباسيين ، ولا سيما الرشيد ، الذى روى بأمر الغلمان (٥) . ومسألة عشق الأولاد القبيحة ، التى كانت تجد سبيلها الى اوساط المسلمين ؛ نجدها فى اقوال الشعراء المعاصرين ؛ ولا سيما عند الشاعر الداعر المحظوظ هبى نواس ، دليلا على هذا الانحلال الفظيع ، الذى كان يخرج عن الترف الشرقى . كذلك كانوا يتفننون فى اختيار أسماء ملائمة لغلمانهم ، مثل : فاتن ورائق ونسيم ووصيف وريحان وبشرى (٦) .



ويجربنا الكلام عن الحياة الاجتماعية عند المسلمين الى الكلام عن حفلاتهم ؛ وان لم يكن لدينا عن الحفلات الخاصة الا القليل .

(١) سفر نامه ، ص ٤٨ ؛ صبح ، ص ٣ ، ٤٨١ ؛ الخطط ، ص ٢ ، ص ٢٥٨ ، ص ٨ ، ص ٣١٤ ، ص ٢ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ص ٢ ، ص ١٠ - ١١ . هذه الكلمة من اصل فارسى ، تعنى : عريف أو سيد أو معلم ؛ وان اصبحت فى العصر الفاطمى تدل على عبيد القصر .

(٢) الهجوم ، ص ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٣) المقرئ ، نقح الطبيب ، ص ٥ ، ص ٥٩ .

(٤) الحيوان ، ص ١ ، ص ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٣٥ ، ١٦٧ .

(٥) المقدمة ، ص ١٥ .

(٦) جمعها أحمد أمين ، ظهر الاسلام ، ص ٢ ، ص ١٢٩ وما بعدها .

ولعل أهم هذه الحفلات الخاصة هي حفلات الزواج وحفلات الختان .
فلاولى يعبر عنها بالعرس في حالة ما اذا اقيمت في عشيرة الرجل ،
وبالعصرة في حالة ما اذا اقيمت في عشيرة المرأة (١) . وفي هذه
الحالة كان لابد ان يقام الزفاف او الزفة ، وما يتبعها من وليمة الفرح
او العرس (٢) . فقد كان للمجتمع الاسلامي تقاليد خاصة بالزواج ؛
فان الزواج نفسه قد يأتى عن طريق الخاطبة كما يشير الجاحظ (٣) ،
فيقدم للعروس المهر او الصداق ، وهو بمعنى الصداقة او الهدية .
ولذا تسمى المرأة مهيّرة ، وهو تقليد يرجع الى عصر سابق على
الاسلام (٤) ، أما العقد فهو دلالة قيام الزواج .

وقد بين لنا المؤرخون الترف والمبالغة ؛ اللذين كان يبذلهم
الشرقيون في حفلات زواجهم ، التي قد تستمر اسبوعا (٥) . ففي
حفل زواج المأمون ببوران بنت وزيره الحسن بن سهل (٦) ، استمر
دار الطبخ يستعد ليوم وليمة العرس مدة عام كامل ، وينقل من
الجريد مائة واربعين بغلا ثلاث مرات في كل يوم . وقد قدم لكبار
الدعويين بندق المسك ، الذي بداخله كتب العقار والمال والجواري
والدواب ، وعلى طبقة تالية بدرت الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف ،
وعلى طبقة الثالثة الدراهم . اما المهر الذي قدم للعروس ؛ فكان الفأ
حصاة من الياقوت . ولدينا ايضا وصف حفل زواج قطر الندى (٧) ،
بنت خمازوية ، والى مصر ، للخليفة العباسي المعتضد بالله ، التي
جهزت بجهاز لا يكاد ان يوجد مثله

(١) لسان ، ٦ ص ٢٨٣ : انظر . Ency. (art Urs) t4, p. 1094 sqq.

(٢) البخاري ، نكاح ، باب ٦٠ ، ٦٤ .

(٣) الجاحظ ، رسائل (رسالة في العشق والنساء) ، ١٣٢٤ هـ ، ص ١٦٨

(٤) القرآن ٤ : ٤ ؛ ٥ : ٥ ؛ ٦٠ : ١٠ ؛ انظر .

Kinship and, : Smith ; Ency. (art Mahr) t3, p. 142 sqq
Marriage, in Early Arabia. Cambridge, 1885.

(٥) الأغاني ، ١٢ ص ١٤٥ ص ٢ .

(٦) المقدمة ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ؛ ابن السامى ، نساء الخلفاء ، ص ٦٧

وما بعدها ؛ مروج (ط . مصر) ، ٢ ص ٢٦٠ ؛ ابن طباطبا ، تاريخ الدول
بيروت ، ص ٢٢٢ .

(٧) ابن السامى ، نساء الخلفاء ، ص ١٠٤ وما بعدها .

أما عن الختان ، فهو للذكر يسمى ختن أو اعذار ، وللأنثى خفض ، وأصل الختن القطع (١) ، وهو تقليد عربى ، ذكر فى القرآن على أساس أنه من الطهارة . وكان المسلم يكره أن يختن ابنه منفردا ، وتفرق الأموال والكسوات ، لاسيما إذا كان الختان لابناء الخلفاء والحكام . فمثلا السلطان بيبرس (٢) لما ختن ولده ، استمرت الاحتفالات أسبوعا ، فرسم للأمراء والجند وبقية الرعية أن كل من كان له ولد ، فليطلع به الى القلعة حتى يختن مع ولده . فاحضر الناس اولادهم فبلغ عددهم نحو ألف وستمائة وخمسة وأربعين ولدا غير اولاد الأمراء والأعيان ، الذين رسم لكل واحد منهم بكسوة على قدر مقام أبيه ، أما اولاد الرعية فرسم لكل واحد منهم بكسوة ومائة درهم ورأس غنم .

أما الحفلات العامة ، فهي تقوم عادة فى الأعياد والمناسبات . فكانت فى أول الأمر بسيطة ساذجة ، تقوم فى أيام محدودة مثل : ليلة أول رجب ونصفه وليلة النصف من شعبان وليلتى العيدين ومولد النبى ورأس السنة الهجرية (٣) . ولعل أول من وضع اسمها الرسمية هم الأمويون . الذين وضعوا حدودا للعلاقة بين الأمير والرعية . ولكن فى أيام العباسيين حينما نقلت تقاليد الشعوب المفتوحة وعاداتها فى احتفالاتهم ، لرى البذخ والترف والتعقيد فى الحفلات العامة ؛ بحيث أصبح الاحتفال بالأعياد والمناسبات له شكل ثابت دقيق ، أطلق عليه لفظه « رسوم » (٤) ، جمع « رسم » ، وأصبح أشبه بالبرتوكول فى وقتنا هذا . بل تعددت الأعياد والمناسبات عن ذى قبل ، فلم تعد

(١) لسان ، ١٦ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ؛ انظر .

Ency. (art Khitân) t2. p. 1013-1016

(٢) ابن إياس ، ١ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) الخطط ، ٢ ص ٣٤٩ م ٤ وما بعدها ؛ الدميرى ، حياة الحيوان

ط . مصر ١٢٧٤ هـ ، ١ ص ١ .

(٤) مثلا : الخطط ، ٣ ص ٧٧ (آخر الصفحة) ص ٧٨ م ٩ ؛ انظر

ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم ، ٢ ص ٣٩ وما بعدها ؛ Sourdel

Question de cérémonial abbasside. R.E 1. 1960, TXXVII

تشمل الأعياد الدينية الإسلامية فقط ، وإنما أيضا الأعياد التي جاءت نتيجة للتقاليد القومية عند الشعوب المفتوحة ، مثل الاحتفال بوفاء النيل عند المصريين (١) ، والاحتفال بأول العام أو النوروز - أو النيروز - عند الإيرانيين وغيرهم (٢) ، والأعياد المذهبية مثل أعياد الشيعة والسنة ، وأعياد الأديان الأخرى ، مثل أعياد القبط في مصر (٣) . ولا نجد لهذه الرسوم أساسا في تقاليد المسلمين الأوائل ؛ ولكن أغلبها مأخوذ من تقاليد الشعوب المفتوحة أو المجاورة ، ولا سيما الفرس والبيزنطيين ؛ وذلك بعد صبغها بالصبغة الإسلامية .

واهم مظاهر الرسوم الإسلامية هي المواكب ؛ فهذه في أول الأمر لم تكن دقيقة أو لها نظام معين . وكان أهمها الموكب الذي يخرج فيه الحجاج إلى مكة ؛ وخصوصا إذا صاحبهم الخليفة . ونحن نعرف أن الخلفاء العباسيين بعد هرون الرشيد لم يحجوا إلى وقت سقوط بغداد (٤) ، وحتى بعد أن انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر - نتيجة لاستيلاء المغول على الشرق الإسلامي - فكان السلطان يحج والخليفة لا يحج . كذلك لم يحج خلفاء الشيعة الفاطميين في المغرب أو في مصر . كما أن خلفاء بني أمية في الأندلس لا يحجون هم وشعبهم خوفا من بني العباس ، ولم يبح لهم الحج إلا أيام ملوك الطوائف .

وقد أصبح لموكب الحج من مصر أهمية خاصة منذ مجيء

(١) سفرنامه ، ص ٥٢ وما بعدها ؛ أنظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٠٤ وما بعدها .

(٢) ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، تحقيق Caetani ، ص ٢٥ ، ٢٤٨ ، ٤٠٧ ، ٤٩٩ ؛ الخطط ، ٢ ص ٣٠ - ٣٣ ؛ صبح ، ٢ ص ٤٠٨ وما بعدها ؛ أنظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٣٢ - ١٣٣ ؛ أنظر .

Ency. (art Nawrûz) t3, p 949 — 50

اليوم الجديد « نوروز آمد » ، من شهر « فرافردين » في التقويم الإيراني .
الصياد ، النوروز ، بيروت ١٩٧٢ .

(٣) عن ذلك بتفصيل ، أنظر . كتابنا نظم الفاطميين ، الجزء الثاني .

(٤) عن ذلك ، أنظر . المقرئ ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق الشيال ، ١٩٥٤ .

الفاطميين ، وذلك بسبب ان مصر كانت ترسل الكسوة ، التي كانت دمشق وبغداد ترسلانها قبلا ، وسميت الشمسية في عهد الفاطميين ، والمحمل في عهد المماليك (١) . وهذه الكسوة في الجاهلية من الجلد ، ثم اصبحت في الاسلام من القماش (٢) ، ولا سيما من القماش المصري او ما عرف بالقباطي ؛ وكانت تصنع منه حتى ولو ارسلت من بغداد (٣) . وهي عبارة عن ستارة واحدة ، ثم اصبحت على يد معاوية الثنتين ، وفي العهد العباسي ثلاث ، كما انها سوداء على يد العباسيين ؛ وببضاء على يد الفاطميين .

وبعد ذلك ، وجدنا مواكب في غاية التنظيم في الاعياد والمناسبات الرسمية ؛ بحيث اصبحت يطلق عليها الركوبات ، او حتى المواسم (٤) . فكانت الدولة بخليفتها وموظفيها وجيشها ورجال اسطولها ، تخرج الى الشارع امام نظر الشعب . وقد تميزت المواكب بمظاهر شرقية باطلاق البخور وضرب الصفافير والصنوج وقرع الطبول ، وتحريك النشاب ؛ بفتلها فتلا متدارك الدوران . وقد كانت مواكب خلفاء الفاطميين في مصر ، تشتمل بالضرورة على حاملي مسيوف الدم برسم قطع الاعناق . كذلك كان اهم شيء في هذه المواكب هو المظهر الحريمي ؛ لاثبات قوة الدولة .

وقد كانت عادة الخلفاء او الحكام في هذه المواكب ان يحملوا معهم علامات خاصة او اشعة او آلات تدل عليهم . فمثلا في عهد

(١) الخطط ، ٢ من ٢١٧ وما بعدها ؛ صبح ، ٤ من ٥٧ - ٥٨ ، ٢٧٩ - ٢٩٨ ؛ ابن بطوطة ، رحلة ، ١ من ٢٠٦ ؛ زبدة كشف الممالك ، ٩٢ ؛ انظر .
Le Mahmal et la Caravane égyptienne des Pèlerins de la Mecque, XIII — XXe Siècle. Le Caire, 1953.

(٢) صبح ، ٤ من ٢٧٩ .

(٣) الأزرقى ، كتاب اخبار مكة شرفها الله ، تحقيق Wust

طبعة Leipzig ، ١٨٥٨ ، ١ من ١٦٨ .

(٤) انظر بتفصيل : الخطط ، ٢ من ٣١٣ وما بعدها ؛ مسجع ، ٣ - ٤ وما بعدها ؛ انظر Ency. (art Mawsim) t3, p 484 ؛ ماجد ، نظم ، ٢ من ٤٥ وما بعدها .

الأمويين والعباسيين ؛ كان الخليفة يلبس البردة (١) ، التى كانت للنبي وكساها للشاعر كعب بن زهير بن أبى سلمى ، فاشتراها منه معاوية بعد ذلك ، ولبسها الخلفاء فى الاعياد ، وتوجد فى مخلفات خلفاء تركيا . ويحملون أيضا القضيبي - وهو عصا - على عادة الملوك القدامى ، والسيف ، وعمامة بالجواهر . اما الفاطميون ؛ فانهم على الخصوص يحملون على رأس الخليفة مظلة شديدة ؛ مرصعة ومكحلة بالجواهر ، وقد أصبحت ترمز الى شخصه . كما تحمل فى هذه المواكب الاعلام ، التى تنوعت باسمائها واشكالها والوانها ، فهى : راية اولياء او بند او جاليش او منجق ، والعماريات اى الهودج ، واسلحة فخمة من رماح ونشاب واقواس وسيوف ، بعضها مشهور مثل السيف المسمى ذى الفقار ، الذى توارثه العباسيون ثم الفاطميون . كذلك يحملون معهم علامات خاصة بكبار رجال الدولة والموظفين المدنيين ، مثل الدواة التى كانت تخرج لكبار رجال الدواوين . اما رجال الجيش والاسطول ، فيكونون فى زيهم الكامل ، واسلحتهم واعلامهم .

واغلب المواكب كانت تنتهى الى أحد الجوامع للصلاة ، وبخاصة فى الاعياد الاسلامية ، وفى ايام الجمع المشهورة فى رمضان ، وفى مناسبات مذهبية . فاذا وصل الخليفة الى الجامع دخل من باب خاص ، يعرف بباب الامام ، ثم يستريح فى المقصورة ؛ ليكون بمنأى عن بقية المصلين ، وهى تحاط بالحرس (٢) . وقد كان أغلب الخلفاء يقومون بالخطبة بأنفسهم ، من فوق منبر وضعت على جانبيه الاعلام ، التى كتب عليها آيات قرآنية ، وبجواره صوان كبار فضية ، فيها يحرق البخور . ولكن نظرا لانه كان بينهم الصبى والعبي ؛ فانه كان

(١) الرازى ، الزينة ، تحقيق الهمدانى ، ١ ص ٥٣ ؛ المقدمة ، ص ٢١٠ مروج ، ٢ ص ٣٢٩ ؛ مصنف مجهول ، العيون والحقائق ، ط Lugd Bat ١٨٧١ ، تحقيق de Goeje ، ٣ ص ٨٧ ؛ انظر .
;Ency. (art Burda) t1, p. 815

Dict. des. noms de vêt. p. 59 — 64 : Dozy;

(٢) الفخرى ، تحقيق Ahlwardt ، ط . Greifswald ، ١٨٥٨ ، ص ٢٢٩ .

يُزر عليهم وهم على المنبر ، بما يشبه الستر أو القبة (١) . وقد كان الخلفاء يقومون بالخطبة ، وقد أمك الواحد منهم فى يده عصا أو رمحا تسمى « العنزة (٢) » ، ولعلها عصا رسول الله ؛ فهو فى هذا يشبه الخطباء فى أيام الجاهلية ، وهذا يدل على قدم هذه العادة . وفى أيام الفاطميين كان الخليفة يخطب من مسطور ، يحضر من ديوان الانشاء ، ثم يؤم المصلين بالصلاة على طراحت أو مخدات . كذلك أصبح من التقليد عندهم أن يجعلوا كبار رجال الدولة يصعدون معهم على المنبر ، ربما لتشريفهم . ولقد أصبح الدعاء للخلفاء من على المنبر من اختصاص أصحاب السلطان ، وأول من دعى له منهم هو على بن أبى طالب (٣) .

وكان من الرسوم أيضا حفلات الاستقبال الرسمى ، التى تقام فى القصر ، وهى تعرف بلجنوس (٤) ؛ لتتميز عن الركوب ، وما زالت قاعة الاستقبال فى البيوت الشرقية تعرف للآن بقاعة الجلوس . فكانت الجلوسات الرسمية تقام عادة فى قاعة خاصة أو هى بهو قصور الخلفاء يعرف « بدلايوان (٥) » كما عند الفرس ، وهى القاعة المحاطة بأعمدة . ولدينا أوصاف لمثل هذه القاعات الرسمية ، المحلاة جدرانها بصور منقوشة بالذهب والفضة ، وقد عُلقت على أبوابها ونوافذها ستائر الحرير بشعار الدولة ، وفرشت أرضها ببسط مذهبة فائقة . وقد كان الخلفاء منذ معاوية يجلسون على عرش مرتفع ، مصنوع من الذهب وعليه الرسوم والكتابات ، وضع فى صدر المجلس ، يعرف بالسريز أو مرير الملك أو التخت أو

(١) عن ذلك بتفصيل ، مثلا : صبح ، ٣ ص ٥٠٩ وما بعدها ؛ انظر . ملجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٦٥ وما بعدها .

(٢) لسان ، ٧ ص ٢٥١ ؛ ابن سعد ، ٣ ص ١٦٧ - ١٦٨ ؛ انظر . Ency. (art 'Anza) t1, p. 350; (art Khutba) t2, p. 1033 sqq ; (art Khatib) t2, p. 979-80.

(٣) المقدمة ، ص ٢١٣ ص ٧ - ٨ .

(٤) صبح ، ٣ ص ٤٩٨ وما بعدها ؛ سفر نامه ، ٦٣ - ٦٤ ؛ انظر . ملجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١١٠ وما بعدها .

(٥) مثلا ؛ الخطط ، ٢ ص ٢٢٢ .

الكرسى أو المنبر (١) ؛ وذلك خلف متر على أساس النظم الفارسية .
ويجواره المباخر .

ويبدأ حفل الجلوس عادة بالتحية ، حينما يرفع المتر عن الخليفة ؛ فيتقدم اليه رعاياه بالتحية على الطريقة الفارسية ، مثل : تقبيل اليد أو الذيل أو الأرض أو المتر ، مع القاء السلام . فاذا تكلم شخص كانت مخاطبته للخليفة على أساس الضمير الثالث ؛ فيقول : أمير المؤمنين ، ولا يخرج فى كلامه عن صيغة معينة . وقد كان للجلوس الفاطمى موظفون خصوصيون ، مثل : متولى المتر الذى يرفع المتر ، والحجاب أو حتى البوابين - كما كان يحدث أيام الأمويين (٢) - وأمير المجلس الذى يشرف على تنظيم وقوف الحاضرين ، فيما عدا الوزير ، الذى كانت توضع له مخدة بجانب عرش الخليفة .

ولعل أهم رسوم القصور الخليفة هي الأسطة (٣) - جمع سباط - وهي الولائم ، التى كانت تقام فى الأعياد وشهر رمضان على الخصوص ، أو فى المناسبات ، ويبدو أن معاوية أول من مد السباط . وقد كانت الأسطة تتميز بطابعها الشرقى ؛ فيجلس الحاضرون على مخدات أو ذلك بقرب موائد واطئة ، توضع عليها الأزهار ، وأنواع المأكولات فى صحون متعددة الأنواع من الصينى والخزف والذهب والفضة ، بعضها يبلغ فى طوله طول قامة رجل . وقد كان يقوم بالخدمة على موائد الخلفاء فى القصور موظفون مخصصون يلبسون ملابس رسمية ، فمثلا : خدم الخليفة الأموى سليمان كانوا يلبسون الوشى (٤) .

وقد وجدنا ذوقا خاصا فى الأكل عند المسلمين ، وربما يكون

(١) المقدمة ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) نفسه ، ص ١٩٠ .

(٣) صبح ، ٣ ص ٥١٤ - ٥١٥ ؛ الخطط ، ٢ ص ٢٢٠ - ٢٢١ ؛ انظر

ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٠٠ - ١٠٢ .

(٤) مروج ، ط . مصر ١٢٨٣ هـ ، ٢ ص ١٢٨ .

ذلك قد بدأ من أيام الأمويين ، الذين اتخذوا منه اصنافا ؛ حتى ان احد ولاتهم يرى أن مال ولايته - خراسان - لا يكفي لمطبخه (١) ؛ مع أن العرب في اول الامر لم يكونوا يعرفون الكثير من انواع الطعام ؛ فكان طعامهم اللحم يطبخ بنار. والملح (٢) . ولكن المغنى الاندلسي المعروف زرياب جدد في انواع الطعام وصنفه (٣) ، والخليفة المتوكل ينسب الى صنعه نوع من الحساء يعرف باسمه المتوكلي (٤) ؛ كما وجدنا من المؤلفين العرب ، من يؤلف في فن الطبخ ، وظهر ما يعرف بكتب المطابخ (٥) . بل كان الخلفاء العباسيون يقيمون مباريات في فن الطبخ ، ويكافئون طبائخهم على مهارتهم . فالخليفة المعتصم العباسي اقام مباراة في الطبخ بين ندمائه ، واحضر من يحكم على جودته ؛ فكان بعضه قد كثر فلفله . وآخر كثر خلّه وقلّ زيتّه ، وثالث اعتدلت توازنه ، ورابع قلّ ماؤه كذلك ملأ الخليفة المتوكل قدرا من دراهم الفضة لمن جود طبخ قدير اعجب به (٦) . ويبدو ان صنع الاطعمة غدا فنا ؛ تتمايز به الدول الاسلامية ، فكان متقدما جدا ايام الفاطميين في مصر (٧) ، حتى

(١) الاغانى ، ١٣ ص ٥٦ .

(٢) الاشبهى ، المستطرف في كل فن مستظرف ، مصر ١٣٠٦ هـ ، ص ١٦٢ .

(٣) عنه : ابن دحية ، المطرب ، ص ١٤٧ ؛ المقرئ ، نفع الطيب . المطبعة azهرية ١٣٠٢ هـ ، ٢ ص ١١٢ ؛ انظر .

La Civil. Arabe. p. 73 ; Lévi-Provençal.

(٤) الخطط ، ٤ ص ١٥٨ من ٣ ؛ انظر ، ما جد ، الحاكم بامر الله

ص ٩١ .

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، تحقيق . Flugel . ط . Leipzig

١٨٧١ - ٧٢ ، من ١٤٥ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق Muller

ط . Leiden ، ١٨٩١ (يقول ، ولهم مع ذلك ألوان الطعام والحلاوى

والشربة التي تؤثر على غايات ألوان كتب المطابخ) . ورد ذلك في كتاب مئز

الحضارة الاسلامية ، ترجمة ابي ريدة ، ط ٢ ، ٢ ص ١٧٥ . كذلك لدينا مثلا

كتاب الطبخ ، من تأليف محمد بن الحسن البغدادي (ت ١٢٢٣/١٢٢٤) ط

دمشق ، ١٩٦٤ ؛ وكتاب الطبخ في المغرب والاندلس في عصر الموحدين ، تحقيق

Miranda ، نشر معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٦٥ .

(٦) مروج ، ٢ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٧) الخطط ، ٢ ص ١٨٩ .

انه اشتهرت فيها طبابخات ، كن اشبه بالاساتيز في فن الطبخ .
 وكان اعظم مأكول هو اللحم من حيوان وطيور ، ولاسيما
 الفرائيج اى الدجاج . ويجب ان نذكر هنا معامل التناير ، التى
 كان يعمل فيها البيض ، ويوقد عليها النار ؛ فتحاكى نار الطبيعة فى
 حضانة الدجاجة ، فيخرج منها الفرائيج ، ولا يعمل هذا فى بلد غير
 مصر (١) . كذلك عرفنا من انواع الماكل العربى اصنافا ، ذكرت لها
 اسماء خاصة ، منها (٢) : الوشقة وهى اللحم المغلى او القديد ،
 والريكة وهى الطبخ ، والبسيمة وهى الخلط ، والعريفة شىء يعمل
 من اللبن ، والثريدة شىء بالفلفل ، والهريمة التى تهرس ، والعصيذة
 التى تعصد ، والسخينة وهى الحساء ، وغيرها .

اما صناعة الحلوى ، فقد برع المسلمون فى صنعها وشكلوها
 على هيئة القصور والحيوان والطيور والشجر (٣) ، بحيث ان الخليفة
 الفاطمى العزيز خصص دارا لصناعة الحلوك والككك ، تسمى دار
 الفطرة (٤) ، كانت تقوم بعملها فى مناسبة عيد الفطر او غيره .
 ولدينا اسماء بعض انواع هذه الحلوى الاسلامية ؛ وان لاحظنا ان
 معظمها فارسية ؛ وان كان اساسها جميعا السكر والدقيق والسمن ،
 مثل (٥) : الجوذاب والخشاف والجلاب واللوزينج والغالودج والزلابية
 والخشكنانج والبستود ؛ وان كان اشهرها على الاطلاق الهريمة
 والفطير ؛ بحيث وجد لهما فى معظم مدن الاسلام متخصصون فى
 صنعهما . كذلك كانت اصناف المكمرات (٦) ، من انواع الأكل
 المحبوب عند المسلمين .

(١) ابن اياس ، ١ ص ٥ .

(٢) العقد ، ٣ ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

(٣) سفر نامه ، ص ٦٤ ؛ صبح ، ٣ ص ٥١٨ و ٥٢٠ .

٣ ص ٢٧ - ٢٨ .

(٤) الخطط ، ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٣ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ،

٢ ص ٢٧ - ٢٨ .

(٥) نهاية الرتبة ، ص ٢٥ - ٢٦ ، ٣٥ - ٣٦ ، ٤٠ - ٤١ . عن هذه

الكلمات ، انظر .

Persian - English Dictionary. London. : Steingass

(٦) الخطط ، ٢ ص ١٤٧ (أسفل الصفحة) .

وكانت موائد اغلب المسلمين تخلو من انواع الشراب ؛ لتحريم الدين الاسلامى لشرب الخمر . ونعرف ان شرب الخمر لم يحرم دفعة واحدة ، وكان التحريم النهائى فى السنة الرابعة او الخامسة الهجرية (١) . ومع ان نص الحديث النبوى عن الخمر يقول : (كل مسكر حرام كثيره وقليله) ؛ فانه منذ الرشيد شرب بعض الخلفاء العباسيين نوعا من النبيذ الحلو ، حللوا شربه على مذهب ابي حنيفة (٢) . كذلك الامويون قبلهم ؛ قد شربوا الخمر ، حتى ان يزيد بن معاوية ، سمى يزيد الخمر لشربه الخمر (٣) ، وذلك بتسمية اعدائه له . ويبدو ان هذا التحليل اتى من ان الناس كانت قد تعودت على عمل مشروبات لا تسكر الا اذا تخمرت ، وينسب الى عمر بن الخطاب انه سمح بمشروب اسمه الطلاء ، وهو من العنب (٤) . وقد اشتهرت بعض انواع من الخمر فى بلاد الاسلام ، مثل (٥) : الفقاع او البيرة ، والمزر وصنعه من الشعير ، والفضيخ وهو من انواع البلح ، والبتع وهو من العسل . كذلك كانت توجد فى بلاد الاسلام خمارات او مواخير ، ولاسيما فى مصر التى كانت صناعة الخمر فيها من اقدم الصناعات ؛ وان كانت تقام فى اماكن متوارية .

ومع ذلك ؛ فقد وجد عند المسلمين انواع من الشراب البريء ، كالقهوة ، التى ظهرت منذ ايام الامويين (٦) ، وربما قبل ذلك ؛

(١) القرآن ٢ : ٢١٩ ، ٤ : ٤٣ ، ٥ : ٩٠ - ٩١ ؛ النويزى ، ٤ ص ٧٣ وما بعدها ؛ انظر . الخربوطلى ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢١٢ وما بعدها .

(٢) المقدمة ، ص ١٤ ؛ العقد ، ٣ ص ١٠٠ وما بعدها ؛ صبح ، ٢ ص ١٤٤ - ١٤٦ ؛ انظر . Ency. (art Khamr) 12, p. 946-49 .

(٣) الجاحظ ، التاج فى اخبار الملوك ، القاهرة ١٣٣٢ هـ ، ص ١٥١ ؛ العقد ، ٣ ص ٤٠٦ .

(٤) مالك ، الموطأ ، اثربة ، باب ٤١ .

(٥) لسان ، ٧ ص ١٩ ؛ الخاى ، كتاب الاثربة ، باب ٣ ، ٢١ ؛ الخطط ، ١ ص ١٦٩ ؛ انظر . Ency. (art Nabidh) 13, p. 858-9 .

(٦) مروج ، ط . مصر ، ٢ ص ١٤٦ ؛ تاج العروس ، ٩ ص ١٤٥ ، ١٠

كما اختلف فى وقت دخولها فى كل بلد الاسلامى . وهى تصنع من البن ، الذى هو حب كالبندق يتفرطح ، وشاع اسمه بالقهوة اذ احمص وطبخ ، وان قيل انها سميت هكذا ، لانها تقهى شاربها عن الطعام ، اى تذهب بشهيته . وتوجد شجرة البن فى اليمن ؛ حيث انتقلت اليها من الحبشة وقت ان غزاها الاحباش ؛ اذ كلمة بن كلمة حبشية وقد كانت القهوة فى اول امرها محرمة ، ولهم فى حلها وحرمتها وطبائعها وخواصها اقوال ، حتى ان تاج العروس يسمي القهوة الخمر . فهى لكى تشرب فى مصر صدرت بصددها فتوى ؛ ولعل الصوفية هم اول من شربوها . وعلى العكس ، عرف العرب شرب الشاي المنعنع منذ وقت مبكر ، وكانت المكوس تفرض عليه (١) اما التدخين باى نوع ، فلم يعرف فى العصور الوسطى ؛ وان كانت العرب يعضون نوعا من النبات يؤتى به من الهند ، بدلا من الطين الاحمر ، الذى كان يعضفه اهل الحجاز (٢) .

وقد كان ما يقدم للشراب غالبا على الموائد هو الماء المبرد (٣) ، فقد استخدم المسلمون الثلج فى تبريد المياه منذ الاموين . كذلك كان الفاطميون فى مصر (٤) ، يستخدمون الثلج فى قصورهم ، ويحملونه معهم فى مواكب الحج ، وحتى فى ساحات القتال . وكذا المسالك

=

ص ٣٠٨ ، الجزيرة ، عمدة الصنفوة فى حل القهوة ، نقل وترجمة
Chrest. arabe De Sacy

2ed. Paris 1826. 1. texte, p. 138 Suiv; trad. p. 412 suiv.

Eney. (art Kahwa) 2, p. 671-676. ;

انتقلت للاروبيين باسمها : « Gafé » ، كما انتقل اسم الوهاء الذى تشرب فيه وهو الطاسة أو الطاس « Tasse » .

(١) اوردها منز ، الحضارة الاسلامية ، ط ٢ ، ٢ ص ١٨٤ . نقلا عن سلسلة التواريخ ، ط . Reynaud ، ص ٤١ .

(٢) اوردها منز ، الحضارة ، ط ٢ ، ١٨٤ . نقلا عن مروج (ط.باريس) ص ٨٤ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٤٢ .

(٤) سفر نامه ، ص ٦٤ ؛ أبو المحاسن ، تحقيق Popper ، ٢ ص

١٥ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ٣ ص ١٠٢ وهامش (٤) .

الذين كانوا يجلبونه من دمشق في البر على الهجين أو في البحر على السفن (١) ، ثم ينقل الى خزائن الشراب أو الشراب خاناء ، ويخزن في صهرج . ويذكر أحد المشرقين انه اطلع على مخطوط قديم يظهر فيه ان العرب كانوا يصنعون الثلج (٢) .

ولم يكن الاكل بالشوك (٣) والمساكين معروفا لذلك الوقت ؛ ولكن بالأصابع ؛ وان كانت تغسل دائما في إباريق وصحون واسعة معدة لذلك ؛ وان استخدمت الملاقي أحيانا . وقد وجدت آداب (٤) معينة في الاكل والطعام ايدت بأحاديث نبوية ، مثل ان يكون الشرب باليمين ، مع ذكر عبارات دينية ، والاكل باليمين ، والبعد عن اللحم « البطنة » ، واجادة المضغ . كما نصح بتنظيف الأسنان بالسواك بعد الاكل - لاسيما من خشب الأراك - حتى كاد ان يكون فرضا ؛ بناء على احاديث نبوية (٥) .

ومن الطريف ان نذكر اسم الوجبات التي كان يتناولها عامة العرب بأسمائها العربية ، وهي الفطور صباحا ، ثم الغذاء عند الظهر ، والعشاء بعد صلاة العصر . ومع ذلك ؛ ففي زمن المماليك في مصر ؛ وجدنا ان الاكل عندهم لا يتعدى وجبتين ؛ وهي في الغذاء والعشاء (٦) . كذلك نذكر أسماء لوجبات أخرى (٧) ، منها :

(١) صبح ، ١٤ من ٣٩٥ ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٧ .

(٢) انظر .

La Civilisation Arabe. Paris, 1955, p. 160, : Risler

لعله اعتمد في ذلك على كتاب : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، بيروت ١٩٦٥ .

ص ١٢٤ ، ورد فيه عناصر صناعته باستخدام الشب اليماني .

(٣) ومع هذا كان العرب يعرفون الشوكات . صبح ، ٤ ص ٨٠ .

(٤) أبو داوود ، اشربة ، باب ٢١ ؛ العقد ، ٣ ص ٣٨٣ وما بعدها .

(٥) البخاري ، فضائل الصحابة ، باب ٣٠ ؛ انظر .

Ency. (art Miswāk) ١3, p 598-9 .

(٦) الخطط ، ٣ ص ٣٤١ - ٣٤٧ .

(٧) العقد ، ٣ ص ٣٨١ .

الوليمة لطعام العرس ، والأعذار لطعام الختان ، والخرس لطعام الولادة ، والوكيرة لطعام الاحتفاء ببناء الدور ، والمادبة للدعوات .

ويجدر بنا بعد ذلك ان نتعرض بصفة عامة لأنواع التسلية عند المسلمين فى مجتمعهم ، اذ لا يمكن ان توجد بيئة صارمة كنية ، دون ان يوجد فيها انواع التسلية . ويمكننا ان نقول ان روح الدين الاسلامى تم تشجع التسلية المتسمة بالعنف ، كما هى عند الشعوب الاخرى مثل مصارعة الثيران ، التى كانت عند القوط ، او مصارعة الرجال التى كانت عند الرومان .

وكان اهم مظاهر التسلية عند المسلمين وكبارهم سماع الشعر والمناظرات والقصص ، ومشاهدة رقص الجوارى وسماع الغناء (١) . فكان الخليفة او الامير يقضى وقته مع ذوى الحيشة من شعراء وادباء وقصاص وغيرهم ، وحينما يتقدم الليل تحضر القيان ، وكل ما هو فى صنعة الغناء والرقص . وربما يكون الانغماس فى الغناء والرقص ؛ قد حدث ابتداء من عهد الامويين ؛ اذ ينسب الى يزيد ابن معاوية انه اول من ادخل الملاهى (٢) . وقد ترتب على ذلك ظهور طبقة السسمار والندماء والظرفاء والمتطفلين (٣) ؛ وبخاصة السميريات (٤) ، وهن القيان البارعات فى فنون الغواية من غناء ورقص ، حتى انه كانت لهن تماثيل خيل من الخشب « الكرج » معلقة باطراف يلبسها ليحاكين بها مثلاً امتطاء الخيل والكر والف (٥) . كما ظهر فى قصور المسلمين المضحك ، وسمى « بالمساخر » (٦) « Clown » ، وهو الذى كان فى بلاط الفرس من

(١) الخطط ، ٢ ص ١٠٩ . مثلاً عن خماروبة ، أمير مصر الطولونى

(٢) الأغاني ، ١٦ ص ٧٠ .

(٣) نفسه ، ٢٠ ص ٦٥ ؛ العقد ، ٣ ص ٣٣٧ وما بعدها .

(٤) الأغاني ، ١٣ ص ١١٦ - ١١٧ .

(٥) المقدمة ، ص ١٣٩ . الكرج كلمة فارسية معربة ؛ اذ كره هو تماثيل

مهر من خشب . انظر . Dozy ، 2p 453-4 Suppl.

(٦) الملوك (ط ٣) ، ٢/١ ص ٢٩٤ من ٨ ؛ أنظر .

Suppl, 1, p. 638 : Dozy

قبل ، والخواة وهؤلاء كثروا فى مصر (١) . ونجد فى قصور المسلمين قاعات خاصة للهو ، مثل قاعة الأسود بقصر الحمراء - التى لا تزال باقية لأن - خاصة بحفلات الغناء والرقص ، فيها شرفة ، تطل على صحن محاط بالأعمدة للمغنيين فى وسطه حوض ماء ، يجلس حواله المدعون .

كذلك وجدنا عند كبار المسلمين أنوعا للتسلية متعددة اخذوها عن الشعوب قبلهم ، مثل : لعبة الشطرنج (٢) ، التى عرفها المصريون القدماء والهنود . ويظهر أن الفرس هم الذين جعلوها قائمة على اصول رياضية ، اذ ينصبونها الى الملك اردشير ؛ وقد زاد فيها الروم الحصن (الطابية) . فشغف العرب بهذه اللعبة شغفا كبيرا ؛ وكانت ادواتها تصنع بدقة متناهية ، روى فيها البذخ الشرقى . فقد أرسل هرون الرشيد شطرنجا رائعا - كما يبدو من وصفه - الى شلمان ملك الفرنجة بأوربا . ويبدو ولع المسلمين بهذا اللعبة فى ان الحجاج حينما كانوا فى طريقهم للحج ، كانوا يركبون الشكايف ، وهى اسم لحوامل واسعة من صلب توضع على الجمال وعليها مظلة ، حتى يستطيع شخصان أن يلعبا الشطرنج (٣) . ومثل الشطرنج ، عرفوا لعبة : النرد (٤) وسموها أيضا الكعاب - وهى فصوص النرد - وهى بالفارسية تسمى نردشير - أى الكبر نرد - عبارة عن طاولة مقسمة مثل الشطرنج . ومع أن لعبة الشطرنج قد حللها الفقهاء على أساس الا يتراهن فيها أو تشغل عن الصلاة ؛ فان الثانية قد حرمت بناء على احاديث نبوية (٥) .

(١) الخطط ، ٤ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) صبح ، ٢ ص ١٤١ - ١٤٣ ؛ اليعقوبى ، تاريخ ، ١ ص ١٠١ ؛ الزاودى ، راحة الصدور وآية السرور ، ترجمة الشواربى وغيره ، ص ٥٦٧ وما بعدها ؛ انظر . Ency. "art Shatrandj" t4 p. 350.

(٣) رحلة ابن جبير ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤) صبح ، ٢ ص ١٤١ - ١٤٣ ؛ مروج ، ط ١٢٨٢ هـ ، ٢ ص ١٠٥ وما بعدها ؛ نهاية الرتبة ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٥) انظر : أبو بكر الخوارزمى ، كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم ، مصر

١٣١٠ هـ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

وكان ضمن أنواع التسلية العربية أيضا سباق الخيل ، الذي اقيمت له الميادين . وكان السباق معروفا عند العرب في الجاهلية ، وجرى في امثالهم ، فكانوا يقولون : حاز قصب السبق ، وذلك لأن للعرب كانت تسابق وتضع في آخر الغاية قسبة من قصب الرماح (١) . كذلك يوم داحس والغبراء وهو من وقائع للعرب المشهورة في الجاهلية ، سمي على اسم حصانين كانتا لعبس وذبيان يتراهنان عليهما ، وهي الحرب التي استمرت اربعين سنة (٢) . وقد كان العرب في سباقهم يرسلون خيولهم عشرة عشرة (٣) ؛ وعندهم أسماء لمراتبها في السباق ، فالولها السابق ، ثم المصلى لأن راسه عند صلوى السابق ، ثم الثالث والرابع الى التاسع ، والعاشر المكيت ، اما الفسكل ، فالذي يجيء في آخر الحلبة .

كذلك احب المسلمون السباق بالخيل ؛ لأن النبي ربط بين الجهاد وبين الخيل ، وهو ما عرف برباط الخيل (٤) . وقد نقلت احاديث كثيرة عن حب النبي للخيل ، حتى قيل أنه كان يسمح فرسه بثوبه ، ويجرى الخيل ويسابق بها ، ويراهن عليها (٥) . وقد اتفق المؤرخون على خمسة من أسماء الجياد ، التي حظيت باهتمام الرسول ، وهي : لزاز ولحاف والمرتجز والسكب واليعسوب . كذلك اجاز خلفاء الاسلام قيام السباق ، فامر عمر بن الخطاب به في الكوفة (٦) ، كما أن هشام بن عبد الملك اقام الحلبة - وهي مجمع الخيل - واجتمع له

(١) ابن هذيل ، كتاب حلية الفرسان ، تحقيق محمد عبد الغنى حسن ، دار المعارف ، ص ١٤١ .

(٢) ابي قتيبة ، المعارف ، تحقيق Wust ، ط . Cottingen

١٨٥ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ؛ الكامل ، ١ ص ٣٤٣ وما بعدها .

(٣) العقد ، ١٠ ص ٦٥ - ٦٦ ؛ مروج ، ٢ ص ١٤٨ . المصلى لأنه يكون عند صلوى السابق وهما جانباً ذنبه ، والمكيت لأنه آخر العدد ، والسكت هو للوقوف .

(٤) ابن هذيل ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٥) نفسه ، ص ١٤١ - ١٤٢ ؛ انساب الخيل في الجاهلية والاسلام ،

نشر أحمد زكي باشا ، تعليق ص ٧ ؛ انظر . بطرس غالى ، تقاليد الفروسية عند العرب ، ترجمة لوقا ، ص ١٦٩ .

(٦) ابن هذيل ، ص ١٤٣ .

فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ؛ فلم يعرف ذلك في جاهلية ولا في اسلام (١) ، بل أصبح عرض الخيل جزءا من رسوم الخلافة الفاطمية في مصر (٢) ؛ فكان يخصص يوم قبل قيام الموكب الرسمي ، لعرض الخيل يحضره الخليفة وكبار رجال دولته . أما الممالك ، فاقاموا للمبايق الميادين الخاصة ، ويحضره السلطان والأمراء فيجرون بالخيل ، وكانت عدتها مائة وخمسين فرسا فما غشوق (٣) .

وقد عرف العرب عن الخيل اشياء كثيرة (٤) ، واطلقوا عليها اسماء متعددة قد تبلغ ألف كلمة في لغتهم . فالحصان او الفرس او الفحل هو الذكر من الخيل ، والكميت هو السريع ، والموم هو الذي خص بعلامة ، والأجرد هو القصير الشعر ، وعناق الخيل او كرامها هي الخيل حسنة الاعضاء . كذلك عرفوا كثيرا من صفاتها من سائر اعضائها ، وفضلوا منها غليظ العنق لاجراخ النفس ، وطول اللسان لكثرة الريق ، وكثرة لحم البطن واتساع الصهوة للركوب ، وعظم الحافر والركب وحدة السبك لصك الأرض واحتمال ما فوقه من الثقل . وكانوا يعرفون ايضا في الخيل المرعة والطاعة وجمال الخلق ؛ فالحصان المدرب لا يتبول طالما يركبه فارسه ، ولا يسمح لأحد يركبه غير مدربه . ولا تزال الخيل العربية الى الآن هي التي تظهر في المبايق في جميع ميادين المباق ، وترجع اصالة هذه الخيل الى ان العرب منذ القدم كانت تعتني بتجويد الخيل وتحسين نسلها . ولذلك ولع العرب بالكلام عن الخيل ، والتأليف عنها وعن

(١) مروج ، ٢ ص ١٤٢ .

(٢) صبح ، ٣ ص ٥٠٤ - ٥٠٥ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢

ص ٨١ .

(٣) الخطط ، ٣ ص ٣٩٦ ص ١٢ - ١٣ .

(٤) مثلا : ابن هزيل ، ص ٨٤ وما بعدها ؛ العقد ، ١ ص ٥٧ وما بعدها ؛

ابن سيده ، المخصص ، ص ١٣٥ وما بعدها ؛ انظر .

Ency (art al-Faras) t2, p. 63.

طريقة ركوبها ، واستخدامها فى الحرب (١) ؛ واصبح للحلقات اخبار (٢) .

كذلك عرف نوع من السياق - وهو لطيفة خاصة - هو السياق -حمام ، مثلما فعل الخليفة العزيز الفاطمى ، الذى سبق بحمامه وزيره ابن كلس (٣) .

وكان من اهم انواع التسلية عند العرب ايضا الصيد والقنص .فهد الصيد الذى عاش عليه الانسان فى اول عهده ، اصبح فى زمن الحضارة الاسلامية رياضة ومتعة . وكانت العرب تمارس الصيد فى الجاهلية ، وورد فى كثير من اشعارهم ، وقد استمر فى الاسلام . فكان خروج ملوك المسلمين للصيد من مظاهر الملك وابهته ، فمثلا يزيد ابن معاوية كان اذا خرج للصيد جعل على كلابه الاساور والاجسل الذهب ، ولكل كلب عبد يخدمه (٤) . كذلك كان الخليفة العزيز الفاطمى ، يخرج للصيد ومعه عشرون جملا عليها محامل فيها كلاب الصيد ، ولولعه بالصيد عرف بالخليفة الصياد (٥) . وقد بلغ مجموع ما اصطاده السلطان ملكشاه السلجوقى عشرة الاف ؛ حتى انه بنى من حوافر الحمر الوحشية وقرون الظباء منارة (٦) ، عرفت بمنارة القرون . ولذلك كانت بيوت الملوك توجد فيها حديقة الحيوانات .

(١) مثل كتاب وهب بن منبه ، كتاب الفروسية برسم الجهاد فى سبيل الله . مخطوطة بالمكتبة الاهلية بباريس ، برقم ٩٩٣ ، وايضا : انساب الخيل فى الجاهلية والاسلام ، تحقيق احمد زكى باشا .

(٢) صبح ، ١٤ هـ ٣٩١ .

(٣) مروج ، ٢ ص ١٤٩ .

(٤) ابن طباطبا ، الفخرى فى الاداب السلطانية ، تحقيق Ahlwardt .

ص ٦٧ .

(٥) ابن الحسين ، كتاب البهزرة ، تحقيق محمد كرد على ، دمشق .

١٩٥٢ ، ص ٧ ، ٢٤٩ .

(٦) وفيات الاعيان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ ، ٢ ص ٥٨٧ ؛ انظر . جورجى

زيدان ، المتن ، ٥ ص ١٢٧ .

لتي تحبس في حظائر أو إقفاص ، وهي ما عرفت «بالحير» (١) كما أن بعضهم يضعها في مجلسه مثل عمارويه وعضد الدولة البويهى؛ وكلاهما كان يضع اسدا بجواره (٢) ، كما كان عضد الدولة يضع أيضا نمورا وفيلة في سلاسل .

وقد كان القنص بالطيور الجوارح كالبناز والشاهين - جمعها شواهين ، وهي صقور بيضاء - والعقاب والصقر . كما كانوا يطلقون الطير في الهواء ، ثم يلقى لها الحب لتهبط ، وعندئذ يصيدون منها بالفخ أو بالبندق (٣) . وهذه الأخيرة كلمة فارسية ، تعنى الرصاص أو الطين أو الحجر ، وتطلق بالمزاريق ، وهي انابيب ترميها بضغط الهواء ، أو بالنشاب أو بالاقواس ، أو بما يسمى أيضا بقوس البندق أو الجلاق - جمعها الجلاهاقات - أو الزبطانة (٤) ، ولعلها البندقية . كذلك يطلقون النعام والظباء وبقر الوحش والخنازير وعندئذ يطاردونها بالكلاب أو الفهود أو بالخيل .

وقد ترتب على الاهتمام بالصيد ، اهتمام علماء المسلمين بدراسة حياة الحيوانات والطيور ، كما اطلعوا على كتب اليونان وغيرهم عنها ، واتفوا فيها الكتب الكثيرة . فنذكر من كبار المؤلفين عن الحيوان : الجاحظ (ت ٢٥٥/٨٦٩) في كتابه الحيوان (٥) ، ولعله أهم من ألف فيه ، والدميرى (ت ٧٤٢/١٣٤١) في كتابه : حياة الحيوان الكبرى . هذا بالإضافة الى كتب عديدة

(١) البيزرة ، ص ٢٢ ؛ ابن الساعى ، نساء الخلفاء ، ص ٧٦ ؛ العقد

ص ١٥٠ .

(٢) الفخرى ، تحقيق Ahlwardt ، ط ١٨٦٠ ، ص ٢٧ .

(٣) صبح ، ١٤ ص ١٦٩ - ١٧١ ؛ السلوك ١/١ ص ٢١٣ ص ١٢ . مفردة

البندقية .

(٤) نفسه ، ٢ ص ١٣٨ . كانت توضع في جراوة .

(٥) مثلا : تحقيق محمد هارون ، ٧ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٧/١٩٣٨ .

(٦) في جزئين ، ط . بولاق ١٢٨٤ هـ ، ص ١٣١٩ هـ ، وترجمته Jayker بعنوان : Zoological Lexicon. 2 Vols. London, 1906 .

ألف فيه قبله الأصمعي (ت ٢١٢/٨٢٨) : كتاب الوحوش ، تحقيق Geyer Vienne ، ١٨٨٧ .

تخصصت فى البيطرة ، وهى علاج الدواب ، منها كتاب الفلاحة (١) لابن العسوام (حوالى ١٢/٥ م) ، الذى اعتمد فيه على كتب يونانية ، وهو يتناول مرض الحيوان . بل وجد البياطرة فى كل مدن الاسلام لعلاج الحيوان . كذلك وجدنا كتباً فى دراسة طيور الصيد ، مثل ابن الحسين (ت ؟) فى كتابه : البيزررة او البزرة (٢) ، وهى كلمة فارسية تعنى علم الجوارح او الجارج ، من حيث صحتها ومرضها ، ومعرفة العلام الدالة على قوتها فى الصيد . بل بعض الفاظ الصيد انتقلت للأوربيين ، مثل : غزال العربية " Gazal " (Gazelle) .

كذلك ظهرت عند المسلمين الرياضة بلعبة الكرة او الاكرة ، وقد عرفت فى كتب العرب باسماء متعددة اغلبها فارسى ، مثل : الصولجة او الصولجان او الطشجان او الجوكان ، وهى ما تعرف الآن بالبولو (Polo) ، وذلك بضرب الكرة من على ظهور الخيل ؛ فكان هرون الرشيد اول من لعبها . وقد تقدمت هذه اللعبة تقدماً كبيراً على يد المماليك فى مصر ، الذين اقاموا لها الملاعب الخاصة وزرعوها ؛ فكان نسلطانهم مشرف خاص بلعبها هو الجوكندار (٣) ، الذى كان شعاره عصوين ، لانه يحمل العصوين اللذين يلعب بهما السلطان الكرة ، كما كانوا يعلمونها فى المدارس الحربية

(١) ترجمه الى الفرنسية Clément Mullet ، بعنوان :
Le livre de l'agriculture, 2 Vols. Paris. 1867
كما ترجم الى اليونانية
Grynoeus ، طبعة Basle ، ١٥٣٧ م .
(٢) تحقيق محمد كرد على ، دمشق ١٩٥٢ . عن هذه الكلمة ، انظر
Ency (art Bayzara) 2ed. 1, p. 1186 sqq.

(٣) مثلاً : الملوك ، ١/١ ص ١٦ ص ٣ ، ص ٤٤٤ ص ٣ ؛ صبح ، ٤ ص ٤٧ ؛ الخطط ، ٣ ص ٣٣٣ ص ١١ - ١٢ ، ٣٧١ ؛ انظر :
La chasse, : Mercier.

et les sports chez les Arabes. Paris, 1927, p. 205-223.

الجوكان : المحجن الذى تضرب به الكرة ، وهو ايضا الصولجان ، ودار معناها ممسك او صاحب ، والكلمة بمعنى حامل الجوكان . عنه ، انظر .
صبح ، ٥ ص ٤٥٨ ؛

Persian - English Diet. cf : Steingass,

« الطباقي » . وربما تكون أيضا لعبة « الطيطاب » (١) ، وهي خشبة عريضة ، تشبه لعبة التنس الحالية ، التي ربما اشتق اسمها من البلدة المصرية تنيس ، التي اشتهرت بصنع قماش معين .

وغير ذلك من أصناف الرياضة عند العرب ، نذكر : السباحة ، التي كانت ضمن مقررات التلاميذ في المدارس ، والتجطيب (٢) - وهو لعبة مصرية قديمة - كانت من ضمن الرياضة في مصر ، ولعلها أصبحت المباراة في العصور الوسطى ، ويسمونها العرب اللبخة ، والجريد وهي حربة يلعب بها من على ظهر الخيل (٣) ، والقبق أو القباقي (٤) وهو اسم تركي للقرعة ، يضعونها أو يضعون فيها طيرا ، ويرمونها بالنشاب أو من على ظهور الخيل .

وقد ظهر نوع من التسلية بالمشاهدة - ربما منذ أيام الفاطميين ، وبخاصة على يد الأتراك - تدخل على طبيعتهم الاسيوية - مثل : مناقرة الديوك ، ومناطحة الكباش ، وتحريش الكلاب (٥) . وفي آخر دولة سلاطين المماليك في مصر ، ظهرت مصارعة الرجال لبعضهم ، بأن يتصارع الرجل مع خصمه ويرميه على الأرض ، ويركب فوقه ، حتى يكاد يعمره (٦) . كذلك في الأندلس كانت تقام حفلات مصارعة الرجال للثيران - ويسمونهم البقر الوحشي - ربما ورثوها عن القسوط (٧) ، وإن كان قبل المصارعة يطلق عليها الكلاب ،

(١) انظر . حتى ، العرب ، تاريخ موجز ، بيروت ١٩٤٦ ، ص ١٢٧ .
أوردها بدون مصدر .

(٢) انظر الشمراني ، لوائح الأنوار ، ترجمة عثمان الخطاب ، المتوفى سنة نيف وثمان مئة . أوردها أحمد تيمور ، خيال الظل واللعب ، ص ٤٠ .
Op. Cit., P. 206-210. : Mercier . انظر (٣)

(٤) الملوك ، ٢/١ ص ٥١٨ - ٥١٩ وهامش ٦ : الخطط ، ٢ ص ١٨٠ وما بعدها .

(٥) الملوك ، ١/١ ص ٤٠٦ ص ٣ : الأغاني ، ٦ ص ٧٥ : الخوارزمي ، مفه العلوم ، ص ١٠٨ .

(٦) ابن أبياس ، بدائع ، ٣ ص ٢٠٦ .

(٧) ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة « نسخة الاسكوريال » .

فتأخذ في نهشها واثارتها ، وقد اعتبرت هذه التسلية حراما ، ومن يشهدها يعتبر من الفاسقين .

وفى وقت متأخر من الحضارة الاسلامية ظهر نوع من التسلية فى مصر ، كان يستمتع به الكبار وغير الكبار أشبه بدار الخيالة الساذجة ، أو ما كان يسمى وقتئذ بشخص خيال الظل أو ظل الخيال أو طيف الخيال أو مسرح الدمى (١) . ومنشأ هذه اللعبة غير واضح وربما يكون أصلها هنديا ، وإن كان أول من نشرها هم الفاطميون ، ومن بعدهم انتشرت انتشارا كبيرا ، ولا سيما على يد المماليك والترك العثمانيين ؛ حيث بلغت أوجها فى القاهرة . وقد كان أساسها التمثيليات أو تقليد الناس ؛ ففى اذن أساس المسرح الشرقى . وفى سبيل ذلك استوعبوا من أجلها الادب الفصيح والعامى ، وظهر لها مؤلفون مشهورون (٢) . فكانت تقص الشخص اللازمة لهذه التمثيليات من جلود البقر أو الجاموس ، ويعالجونها حتى تصبح شفافة ، ويصبغونها بالألوان ، ويتركون فتحات فى مفاصلها . وكان العرض يتم فى المساء ؛ حيث يجلس الجمهور امام الستار ، وقد أطفئت الأنوار ، وعندما يبدأ اللعب تضاء الأنوار الداخلية خلف الشخص والستار . وقد يعمد من يقومون بها الى انشاد المدائح التمهيدية ، وفى النهاية يعاد التسميع وطلب الغفران ، ولعلمهم كانوا يفعلون ذلك ليتحاشوا تزلزل رجال الدين . وقد أصبح خيال الظل فى مصر أداة لمقاومة السلطان الجائر ؛ ولذلك

٢ ص ٦ - ٧ ؛ انظر . مختار العبادى ، مشاهدات ابن الخطيب ، نشر وتحقيق . ص ٦ هامش ٢ .

(١) ابن ابياس ، ١ ص ١٠٥ ؛ ابن دانيال ، خيال الظل ، حققه جمادة ، القاهرة ١٩٦٣ ؛ انظر . أحمد نيمور ، خيال الظل والنعب والتمثيل المصورة عند العرب ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٧ وما بعدها ؛ رشدى صالح ، مسرح خيال الظل فى العالم الاسلامى ، المجلة ، عدد ٣٣ ، سبتمبر ١٩٥٩ ، ص ٢٥ وما بعدها ؛ يونس ، خيال الظل ، المكتبة الثقافية عدد ١٣٨ ، أغسطس ١٩٦٥ . (٢) مثلا : ياول كاولة ، منارة الاسكندرية فى خيال الظل المصرى ، وهى مجموعة من الأرجال والقصص كانت تمثل فى خيال الظل فى العصر المملوكى ، قام بنشرها مع مقدمة ، ط . Stuttgart ، ١٩٣٠ .

كثيرا ما قاومه سلاطين الماليك واحرقوه . ومع ذلك ، فالحكام العادلون مثل صلاح الدين كانوا يرون فيه على حسب قولهم « موعظة عظيمة ، ودولا تمضى ، ودولا تاتى » .

وعن لعب الميرك ، فيذكر ابن اياس (١) ان شخصا من حلب هو بهلوان ، اسمه يوسف ، نصب له صواري وحبالا ؛ فلما صعد على الحبال اظهر اشياء غريبة فى صنعة البهلوانية ، وهو واقف على الحبال ، منها انه مشى على الحبل وفى رجله قبقاب ، وتحتة الواح صابون ، او وقف على سيوف مسلولة ، ومنها ايضا انه مشى على الحبال مقلوبا ، وهو مغمى العينين ، واظهر من هذه الألعاب العجائب والفرائب . ويبدو ان مصر كان لها باع طويل فى هذا النوع من الفنون ؛ حتى انه كانت البهلوانية معروفة لها منذ ايام السلطان برسباى ؛ وان كان يوسف هذا علم بعض عبيد مصر المشى على الحبال .

وحتى العرب فى جاهليتهم كانوا يعرفون اللعب بالدمى او العرائس او التماثيل ؛ حيث اطلقوا عليها الجوارى او البنات . فقد تحدث الشاعر امرؤ القيس عن ذلك ، حينما اثار ذكريات طفولته ؛ فقد كانت صاحبتة لها بيت جوارى للعب . وقد استمر اللعب بالدمى فى الاسلام ، وكان يوجد لها سوق خاص لصنعها فى بغداد . وقد جاء فى الاحكام السلطانية ان اللعب بالعرائس مباح للبنات (٢) ؛ اذ ليس القصد بها المعاصى ، وانما القصد بها الف البنات لتربية الاولاد ، وفيها وجه من وجوه التدبير . فعائشة زوج النبى ، كانت تلعب بالعرائس وهى صغيرة ؛ فاقرها النبى . كذلك اللعب بالمراجيح

(١) ابن اياس ، بدائع ، ٣ من ١٦٢ .

(٢) الماوردى ، الاحكام ، من ٢١٨ ؛ انظر . احمد تيمور ، خيال الظل ،

وجد عند العرب - لاسيما للأطفال - وان اعتبر على عكس الأول
مكروها (١) .

* * *

هذه هي بعض نواحي المجتمع في الحضارة الاسلامية ، نرى منه
مدى ترفهه وتأنقه وترفعه وبذخه .

(١) الخوارزمي ، مفيد العلوم ، ص ١٠٨ .

الفصل الثالث

الثقافة

مشكلة الأصول - دعائم الثقافة : اللغة والتعليم - العلوم الدينية - علم التفسير - علم القراءات - علم الحديث - علم الفقه - علم الكلام - علم التصوف - علم الأدب - النظم - النثر - علم التاريخ الاسلامى - العلوم العقلية - علم الفلسفة - العلوم الرياضية - علم الهيئة - علم الجغرافيا - علم الخرائط - علم الطب - علم الصيدلة - علم الكيمياء - علم الطبيعية - الفنون - الموسيقى .

تعودنا ان نربط الحضارة بالثقافة ، باعتبارها اهم وسيلة يمكننا بها حفظ تراث الانسانية ؛ وانها من صميم خصائص الحضارة ومخلقاتها . فكلمة ثقافة العربية من ثقف (١) : تقابلها فى اللاتينية كلمة Cultura من Cultus ، التى اشتقت منها الكلمات الاوربية الحديثة الدالة على الثقافة ، مثل : الكلمة الفرنسية Culture والانجليزية Culture والالمانية Kultur . وللثقافة معان متعددة منها على الاخص المعرفة الانسانية ومجهودها للاحتفاظ بكيانها ، او ما يحلى ويزيد بهجة الحياة . وهى فى رأينا تعنى ما قام به الانسان فى الاداب والعلوم والفنون ، والمستوى العقلى الذى وصل اليه على العموم . وحينما نتعرض للثقافة الاسلامية بالذات ، نقصد بها انواع المعرفة التى انشأها المسلمون انشاء ، او ادخلوها من الحضارات السابقة .

ولم تظهر الثقافة الاسلامية بظهور دولة الاسلام ؛ بسبب كون اغلب العرب فى طور البداوة (٢) ، يخيم عليهم الجهل الا من تسلك

(١) عنها ، انظر . المعاجم ؛ ثلاثى : « ثقف » ؛ انظر . Dozy

Suppl. I. P. 160-1.

(٢) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، استنبول ١٣١١ هـ ، ١ من ٢٥ .

العلوم الساذجة التي اكتسبوها من بيئتهم كعلم النجوم والعرافة والكهانة والانساب والقصص والشعر ؛ وقليل منهم من كان يعرف القراءة والكتابة ؛ حيث ظلوا قرونا طويلة لا يتداولون الكتب ؛ وان جبلوا على ملكة الحفظ (١) ، الذي أصبح الوسيلة الوحيدة في تحصيل ثقافة عصرهم المحدود . فكان الرواة يحفظون الأشعار ، والنسابون يحفظون الانساب ، والقصاصون يحفظون الأخبار والامسايطير . اما عن ثقافة حضاراتهم القديمة ؛ فهذه كانت قد نسيت ، ولم تفك الغازها الا حديثا . وما وصلنا من نصوص هذه الحضارات لا تظهر فيه الثقافة الا بقدر ضئيل ، انما اقلبه يدور حول تولية الملوك والضرائب . لذلك ظلت نواحي المعرفة في العصر الاسلامي الاول مهجورة من العرب ، وخاصة ان انشغال العرب بالفنوح ، وعدم الاستقرار السياسي بقيام الفتن ، ابعدهم عن صنوف الثقافة .

ولما تحولت الشعوب المغلوبة الى الاسلام في اواسط عصر الخلافة الاموية ، وهي التي تمتلك نواصي الحضارات السابقة ، بدأت تظهر بوادر الثقافة الاسلامية . وقد كُتبت الخلافة الاموية لا تنظر الى الشعوب المغلوبة نظرة تليق بماضيها ، وتعتبرها اقل درجة من العرب الفاتحين ؛ وتسميهم الموالي . فوجدت هذه الشعوب الاهتمام بالثقافة كوسيلة لارجاع مجدها القديم ؛ فكان ذلك داعيا الى ظهور بعض صنوف للثقافة الاسلامية . وقد لاحظ ابن خلدون ذلك ، فذكر في مقدمته فصلا بعنوان : « ان جملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم (٢) » . وقد كانت الحاجة الى الثقافة في تول عهدها بسيطة ، لا تتعدى الاهتمام بالعلوم الدينية والنقل عن الملف ، وذلك لحاجة المسلمين الملحة لضبط الشرائع ؛ فكللت علوم كثيرة اخرى مهجورة (٣) .

ولكن قيام الخلافة العباسية نتيجة لتأييد الشعوب المفتوحة

(١) نفسه ، ١ من ٢٥ - ٢٦ .

(٢) المقدمة ، من ٤٥١ ؛ حاجي خليفة ، ١ من ٣١ .

(٣) حاجي خليفة ، من ٢٦ ؛ ابن بياغد ، من ٤٧ .

أو ما عرف بحركة الشعوبية ، بقضائها على الخلافة الأموية أو دولة العرب ؛ فإن الخلافة العباسية صارت أشبه بدولة الموالى ؛ لذلك توسعت الثقافة الإسلامية ؛ لأن المولى كانوا هم حملة العلوم ، كما ذكرنا . وقد بدأ التوسع عن طريق النقل بالترجمة من علوم الأوائل كالفرس واليونان والهنود والصينيين (١) ؛ وإن اقتصر في أول الأمر على ترجمة ما يتفق وحاجتهم مثل الرياضيات والطب ، وبعد ذلك شملت الترجمة نواحي المعرفة المختلفة . وساعد على ذلك ، أن مراكز الثقافة في العالم القديم ، كان أغلبها ضمن دار الإسلام ؛ فكانت توجد في منطقة البحر الأبيض في الاسكندرية (٢) ، وفي الأماكن المجاورة في بلاد الجزيرة في حران (٣) ، وفي بلاد فارس في جند يسابور (٤) .

ونلاحظ أن الثقافة القديمة قد تركزت على أيام العرب في بلاد الجزيرة في حران على الخصوص ؛ بسبب أن مدرسة الاسكندرية قد ضعفت ، فضلا عن أنه ينسب إلى العرب وإلى غيرهم حرق مكتبته المضمخة (٥) « Bibliothèque » . كذلك كان أغلب الذين قاموا بالترجمة والنقل من المريان "Surianus" ، وهي لفظة أطلقها اليونان على عنصر مسيحي نسطوري في بلاد الجزيرة - يسكن بين نهري

(١) حاجي خليفة ، ص ٢٣ .

Meyerhof

(٢) المسعودي ، التنبيه ، ص ١٥٧ - ١١٨ ؛ انظر

La fin de l'école d'Alexandrie d'après quelques auteurs arabes. Le Caire, 1933.

(٣) القفطي ، تاريخ الحكماء ، تحقيق Lippert ؛ ط . Leipzig

ص ٣١١ عنها ؛ انظر ، معجم البلدان ، ٣ ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٤) باقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ١٤٩ - ١٥١ ، ٤٨٩ ؛ القفطي ،

ص ١٥٨ - ١٦٠ ، ٣٨٣ ؛ انظر ، بعده .

(٥) يظهر أن قصة حرق العرب هذه المكتبة لم يظهر إلا أخيرا ؛ ولعل البيزنطيين هم الذين بددوها ، كما أنها كانت احترقت حينما جاء يوليوس قيصر مطاردا بومبي . عن ذلك بتفصيل ، انظر ابن العبري . مختصر تاريخ الدول ، تحقيق جمال الحاني ، بيروت ١٨٩٠ م ، ص ١٧٦ ؛ انظر ، ملجود ، الدولة العربية ، ١ ص ٢٢٢ وهامش .

دجلة والفرات ، ولا سيما في حران - يتكلم لغة آرامية (١) تشبه في أصلها اللغة العربية ، وقريبة منها ؛ وإن كانت تغايرها ، بسبب كتابتها بحروف يونانية ، وأنهم استعملوا اليونانية في الصلاة . وقبل الإسلام كانت المريانية « Surave » لغة حضارية ؛ حتى أنها عرفت في مناطق بعيدة عن بلاد المريان في فرنسا ، في عهد الدولة الميروفنجية . فلما قامت حركة النقل كان هؤلاء المريان يترجمون بسهولة الآثار المريانية واليونانية الى العربية . ولكننا يجب ان نشير ايضا الى عناصر آسيوية ، ولا سيما من الفرس - وإن كانت قليلة - قامت بترجمة التراث الفارسي والهندي او غيرهما الى العربية ؛ فيذكر المؤرخون عظم هذا التراث الآسيوي ، الذي طرح العرب بعضه في النار او الماء ، لما استولوا على فارس (٢) . ولا ريب انه كان يوجد في دار الاسلام متعصبون لأحد الترائين : اليوناني او الآسيوي ، كما يوجد متعصبون لاي تيار ثقافي آخر ، في أي وقت .

ولدينا أسماء مترجمين كثيرين ؛ نكتفي بذكر بعض المشهور منهم . ولعل أول من ترجم من الفارسية هو عبد الله بن المقفع (٣) (ت ٧٥٧/١٤٠) ، وهو فارسي ، ترجم من الفارسية القديمة كتباً عديدة ، يوجد بعضها تحت أيدينا ؛ كما ترجم كتباً يونانية ، ربما من ترجمات فارسية ، وله كتب من تأليفه . كذلك فضل ابن نويخت ، الذي ولاء هرون خزائن كتب الحكمة ، وينقل من الفارسية الى العربية ما يجده فيها من كتب فارسية (٤) .

(١) عن ذلك بتفصيل ، انظر . مراد كامل والبسكري ، الادب السرياني ، ص ٥ .

(٢) المقدمة ، ص ٣٨٠ .

(٣) ابن صاعد ، ص ٤٩ . من كتبه : كيلة ودمنه ، وخدا ينامه وهو عن ملوك الفرس ، وأبين نامه أي الشرائع ، ومزدك والتاج في سيرة أنوشروان ، والادب الكبير ، والادب الصغير ، واليتيمة في طاعة السلطان . مروج ، ١ ص ١٠٩ ؛ الفهرست ، تحقيق Flügel ، ط . Leipzig ، ١٨٧١ ، ص ١١٨ . انظر . احمد أمين ، ضحى الاسلام ، ط ٢ ، ص ١٧٧ ، ١٩٥ وما بعدها .

(٤) انظر . Bibl. Arabio Hispana t1, p. 421 : Caffini .

أما جذاق المترجمين من الميريانية واليونانية الى العربية ، فنذكر منهم: أبو يعقوب حنين بن اسحق (١) (١٩٤ - ٨٠٩/٢٦٠ - ٨٧٣) ، الذي ولد في الحيرة ، ودرس الطب في مدرسة جند يسابور ، وارتحل الى بلاد الروم ، وتعلم اللسان اليوناني ؛ وأصبح فصيحا فيه ، ثم رجع الى العراق في عهد المأمون ، فترجم خمسة وتسعين كتابا للميريانية ، وتسعة وثلاثين كتابا للعربية ؛ فضلا عن تأليفه العديدة في الطب . وقد كان معه في الترجمة ابنه اسحق بن حنين العبادي النصراني (٢) (+ ٩١١/٢٩٨) ، الذي اشتهر هو الآخر شهرة أبيه . ويلي حنين في الشهرة أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني (٣) (٢٢١ - ٨٣٦/٢٨٨ - ٩٠١) ، وهو من هؤلاء الذين راجعوا وصححوا الترجمات العربية السابقة ، فضلا عن ترجماته - اذ كان هو الآخر يجيد اليونانية والميريانية والعربية - وعن تأليفه في الرياضه والفلك والطب والفلسفة ؛ فكان ما ألفه بالعربية حوالي خمسين ومائة بحث ، وبالميريانية خمسة عشر بحثا .

وقد بدأ النقل في عهد الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور ، الذي يقال انه كان اعلم من في عصره (٤) . ولكن النقل

(١) وفيات ، ١ ص ٢٩٨ ؛ ابن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء ، تحقيق Muller ، ط . القاهرة ١٨٨٢/١٢٩٩ ، ١ ص ١٨٤ - ٢٠٠ ؛ ابن القفطي ، ص ١٧١ - ١٧٧ ؛ ابن صاعد ، ص ٣٦ - ٣٧ ؛ الفهرست ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ؛ انظر . Meyerhof

New light on Hunain ibn Ishâq and his period. Isis VIII 1926. p. 685-724.

Ency. (art Hunain B. Ishâk) t2, p. 357; 2ed t2 p. 598 sqq.

أو ليري ، مسالك الثقافة ، ترجمة تمام حسان ، ص ٢٤٦ وما بعدها .

(٢) ابن أبي أصيبعة ، ١ ص ٢٠٠ ؛ ابن صاعد ، ص ٣٧ .

(٣) ابن صاعد ، ص ٣٧ ؛ وفيات ، ١ ص ١٧٧ - ١٧٩ ؛ ابن أبي أصيبعة ،

١ ص ٢١٥ وما بعدها ؛ انظر . أو ليري ، مسالك ، ترجمة ، ص ٢٥٧ ؛

Ency. (art Thâbit B. Kurra) t4, p. 770-1.

(٤) ابن صاعد ، ص ٤٨ ؛ المقدمة ، ص ١٤ .

بلغ أشده في عهد المأمون (١) ، الذي حرص على نقل التراث الهلنئى والشرقى الى العربية ؛ فكان يأخذ منه ما يتلاءم مع عقلية العرب . ولكى يتم هذا النقل على اكمل وجه انشأ فى بغداد ما سرف بدار الحكمة او دار العلم فى سنة ٢١٥/٨٣٠ ، جمع فيها عددا كبيرا من النساخ والمترجمين ، الذين اتقنوا عدة لغات والحق بها مكتبة . ومن أغرب ما وصل الينا من هذا الخليفة انه ترك الجهاد وتداخل مع ملوك الروم واتحفهم بالهدايا ؛ لقاء ان يرسلوا له بالمخطوطات ، مما يدل على اهتمامه بنشر الثقافة . ففى عهده ترجمت كتب اليونان الكبرى ، مثل كتب : افلاطون وأرسطو فى الفلسفة وأبقراط وجالينوس فى الطب ، وأقليدس وأرخميدس وبطلميوس فى الرياضيات ، وغير ذلك .

وبذلك توسعت الثقافة الاسلامية ونضج الفكر الاسلامى بالنقل ؛ سبب ما جد فيه من الثقافات الأجنبية ، وخاصة ان المسلمين اجادوا التلمذة ، وهضموا ما نقلوه . وقد كان الاسلام - على عكس اديان اخرى - لا يحرم علوم الآخرين ، ويحث على طلب العلم . يتبين ذلك من احاديث نبوية وغيرها (٢) ، فمن ذلك مثلا : « مداد العلماء عند الله خير من دم الشهداء » و « طلب العلم فريضة على كل مسلم » و « العلماء ورثة الانبياء » . ومن بعض الاقوال الماثورة « تعلموا العلم ؛ فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة » . ثم ان العرب هم اصحاب المثل القائل : « العلم نور » . ومع ذلك فمن وقت لآخر هوجم العلم بسبب التعصب الدينى ؛ فكانت كلمة زنديق تطلق على المفكر الحر . وكذلك ، بسبب الاختلاف فى المذهب ، مثلما

(١) نفسه ؛ نفسه ص ٣٠ ؛ انظر . Meyerhof

Transmission of Science to Arabs. Isl. Cult Vol VI, 1930

؛ احمد رفاعى ، عصر المأمون ، القاهرة ١٩٢٧ ، ٣٧٥ وما بعدها .

(٢) الفزالى ، احياء علوم الدين ، ط . الحلبي ١٣٤٦ هـ ، ١ ص ٥ - ١٧ .

حاجى خليفة ، ١ ص ١٥ ، ٣٩ .

فعلت السنة بحرق كتب الشيعة في مصر ؛ بحيث جعلت الكتب كيمانا
عرفت بتلال الكتب (١) .

وقد بقيت الحركة الثقافية متقدمة على الرغم من انفصام
وحدة المسلمين السياسية ؛ فبفضل تنافس دول الاسلام تعددت البيئات
الفكرية ، واصبح لكل دولة اسلامية شهرة في ناحية خاصة من الثقافة .
ولم تمنع الخصومات السياسية بين الدول الاسلامية التعاون الثقافي ؛
فكانت رحلة العلماء هي العامل الاساسي في نشر الثقافة من مكان
الى مكان (٢) . كذلك كان كل خليفة او امير يجمع اكبر عدد من
الكتب . ومع ذلك ، فان نظام المكتبات - في وقتنا - لم يكن قد
عرف وقتئذ ، وانما استخدموا الخزائن ؛ وحتى في اوربا كان
يستخدم لفظة خزانة ؛ « " Armortum " » (٣) . فمثلا : خزانة
الكتب عند خلفاء الفاطميين تكونت من اربعين حجرة (٤) ، من
جملتها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة - اي العلوم
الاجنبية - من مجموع مائتي الف كتاب ؛ هذا بالاضافة الى كتب دار
الحكمة ، التي جمعت في مبع عشرة خزانة ، ومكتبة الامويين في
الاندلس التي اشتملت على اربعمائة الف مجلد (٥) ، كما انشأ
البيهيون مكتبة ضخمة في بغداد (٦) .

ويمجىء المغول وعناصر الترك ، ظن الناس ان الثقافة
الاسلامية قد ضاعت ، نظرا لهمجية هؤلاء وقتئذ واحراقهم المدارس (٧) ،

(١) الخطط ، ٢ ص ٢٥٤ .

(٢) حاجي خليفة ، ١ ص ٣٢ - ٣٣ .

(٣) أنظر . عائور وانيس ، النوشات الأوربية ، ط ١٠ ، القاهرة
١٩٥٦ ، ص ١٠٥ ؛

(٤) الخطط ، ٢ ص ٢٥٣ - ٢٨٥ ؛

Ency. (art Kitābkhāna) ٢، p. 1105-8.

(٥) نفح الطيب ، القاهرة ١٣٠٢ هـ ، ص ١ ص ١٨٤ ؛ انظر . Ribera

Bibli ofilos y Bibliotecas en la Espana. Musulmana.

Saragossa 1896; (Disert. y. Opusc. TI). Madrid, 1928 .

(٦) معجم البلدان (مادة بغداد) .

(٧) ابن بطوطة ، رحلة ، ط . مصر ؛ انظر . بعدد .

وإن لغتهم ليست العربية . والواقع ان مجيء المغول لم يقض على الثقافة الاسلامية ؛ وان احدث حركة تنقل فى مراكزها . ولقد اصبحت القاهرة بعد سقوط بغداد فى ايدى المغول ؛ تحمل وحدها مشعل الثقافة الاسلامية فى دار الاسلام ، ولا سيما ان قرطبة سقطت هى الأخرى فى ايدى الفرنجة . ثم انه بعد اسلام المغول عادت الثقافة الاسلامية الى بغداد ، وان اصبحت مصبوغة أكثر بطابع اسبوى .



ونلمس دعامتين هامتين لنشر الثقافة الاسلامية ، هما : اللغة العربية والتعليم .

فاللغة العربية تديمة (١) ، ظهرت ابجديتها (٢) فى نقوش الملك البدوية السابقة على الاسلام مثل : اللحيانيين والشموديين والنبط فى شمال الحجاز ؛ مما جعل العلماء تفكر فى ان اللغة العربية انتشرت من الشمال الى الجنوب . ومع ذلك ؛ فان اللغة العربية كما وردت فى القرآن تحتوى على الفاظ حبشية ، فضلا عن اشتراكها فى القواعد والمفردات والابجدية مع لغة المسند - اللغة اليمينية القديمة - وكلتا اللغتين الحبشية والمسند من لغات الجنوب . كذلك يروى العلماء العرب بأن اول من كتب بها اسماعيل ابن ابراهيم (٣) - الذى ينسب اليه عرب الحجاز - وهو الذى تعلمها من ولد يعرب بن قحطان - جد اليمينيين - فلعل هذا يشير الى انها منقولة عن اليمينيين . ومن ناحية أخرى ، وردت فى اساطير رواة العرب ان رجالا من مكة - وهى فى وسط الجزيرة العربية - هم اول من وضعوا الخط العربى ، فعلى حسب قولهم وضبعها : اجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ، وغيرهم (٤) ؛ وان كنا لا نعرف

(١) هنا بتفصيل ، انظر .

Ency. (art'Arabiyya) 2ed t1, p. 561sq

(٢) المقدمة ، ص ٣٣١ وما بعدها ؛ انظر . يحيى نامى ، أصل الخط العربى وتاريخ تطوره ، بحث مستخرج من مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة ، ١٩٣٥ .

(٣) الزينة ، ص ٨٨ .

(٤) كشف الظنون ، ١ ص ٤٦٤ .

من هؤلاء شيئا ، وربما كانوا ملوكا . كذلك لم تصلنا للمخطوط العربي نقوش من قبل الاسلام ؛ فلعل هذا المخطوط العربي لم يكن قد تميز بعد ؛ على عكس المخطوط الأخرى في الجزيرة ، وايضا لأن طبيعة السكان في الحجاز لم تكن تميل الى الكتابة . فالنقوش القليلة التي بين ايدينا بالعربية مكتوبة بالمخطوط الباطني (١) ؛ حيث ان اقدمها نقش نمارة الخاضع بقبر الشاعر امرئ القيس ، وذلك من عام ٣٢٨ م ؛ فلعل هذا يؤكد ان النمط استولى على الحجاز ونقلت لغتها . كل هذا يجعل مشكلة اصل ظهور اللغة العربية غير معروف .

ومن المحقق ان قيمة اللغة العربية زادت بمجيء الاسلام ؛ وعلى الخصوص لما جمع عثمان القرآن في كتاب موحد ، وعرب عبد الملك بن مروان وابنه الوليد الدواوين ، وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية . فما لبثت العربية ان اكتسحت لغات الشعوب المفتوحة ، مثل (٢) : الفارسية والقبطية والبربرية والاندلسية واليونانية ، ولغات سامية مثل الميريانية والعبرانية ، واصبحت وحدها شائعة في دار الاسلام . ولا ريب ان اللغة العربية نالت هذه المكانة في الاسلام ؛ لأنها لغة الفاتح القوى ، ولأنها اللغة المقدسة التي نزل بها القرآن ؛ فكلما اقسرا معناها اقرا القرآن ، ثم لدقتها ومؤهلاتها ؛ فهي تحتوى على مترادفات كثيرة ؛ بحيث اعتبرت تامة الحروف (٣) ، تختص بحروف لا مثيل لها في أية لغة أخرى ، كاملة الالفاظ لم ينقصها شيء . حقا ان اللغة العربية قد اثبتت جدارتها قبل الاسلام بسيطرتها على معظم لغات الجزيرة العربية ؛ حتى اللغات الجنوبية او الشمالية ؛ اذ ان معظم سكان الجزيرة العربية قبل الاسلام كانوا يتكلمون العربية ، التي سماها القرآن : (بلسان عربى مبين ٢٦ : ١٩٥) . ومن ناحية أخرى ، كانت لغات الشعوب المفتوحة في فقر مدقع ، بينما كان اللسان العربى في

(١) انظر . Wiet و Sauvaget و Combe
Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t1, p. 14

(٢) كشف ، ١ ص ٤٩٤ .

(٣) الزينة ، ص ١٠ .

دروته ! فمثلا : اللغة الفارسية لكثرة حروب الفرس كانت مهمة ،
والقبطية مضطهدة ، والأندلسية ناشئة ؛ وحتى السريانية أو العبرية
فى مركز ضعيف . والواقع ان اللغة العربية ليست اول لغة سامية
دولية ؛ فقد سبقتها اللغة الآرامية فى القرن الثامن ق . م (١) ؛
فكانت لغة الحضارة فى آشور وبابل والشام ، وهى التى اكتسبتها
اللغة اليونانية ؛ وان بقى فى اللغة الآرامية رفق فى بقايا السريانية ،
التي وجدها العرب فى ديار الجزيرة .

ولم تكن اللغة العربية فى أول الامر سهلة فى قراءتها بالنسبة
للشعوب المفتوحة ؛ وذلك لأنها لم تكن منقطة ، فكانت حروفها
متشابهة ؛ ولذلك سعت الشعوب المتحضرة التى فتحها العرب الى ان
تجعلها مفهومة بايجاد نقط لها . وقد كلف الحجاج بن يوسف
الثقفى ، عامل الأمويين فى المشرق ، جماعة من الأعاجم بايجاد نقط
اللغة العربية ، فعرفت بالنقط الأعاجم (٢) .

كذلك سعت الشعوب المفتوحة الى ايجاد قواعد اللغة العربية
وهو ما اصطلح على تسميته بالنحو (٣) ؛ بمعنى القصد والحذو
الى مثل ما فى اللغات الأخرى من اشتقاق وتغيير ؛ او حتى بالاعراب
وهى العلامات الملزمة ؛ بقصد تقويم اللغة . ولا يعنى هذا ان
النحو او الاعراب مستحدث ؛ فاللغة العربية كما تظهر من الشعر
الجاهلى والقرآن الكريم تدل على أنها مكتملة القواعد . وقد
سدى ذلك فى عصر الحجاج أيضا ، وحينما نذكر أسماء بعض
الذين وضعوا قواعد اللغة العربية ، نجدهم أيضا من العجم .
والمسبب فى هذا هو ان علماء اجانب اسلموا ورغبوا فى تعلم العربية
على الوجه الصحيح ؛ وكانوا يسعون الى تلقيها من اهل البادية .
فلذا ذكر من النحاة المجيدين وأئمتهم (٤) : ابا الأسود الدؤلى (٥)

(١) انظر . مراد كامل والبكرى ، تاريخ الادب السريانى ، ص ٦ .

(٢) وفيات ، ١ ص ٢١٨ - ٢٢٤ .

(٣) الزينة ، ١ ص ٢٤ - ٢٨ ؛ المقدمة ، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ ؛ انظر
Ency. (art Nahw) 13 p. 894-5.

(٤) عن ذلك عموما ؛ انظر أيضا : الزينة ، ١ ص ١٨ وما بعدها .

(٥) عنه ، انظر . وفيات ، ١ ص ٤٢٩ - ٤٣٢ .

(ت ٦٨٨/٦٩) ، الذى عاش الى ايام الامويين ، ويقال ان على ابن ابي طالب هو الذى لقنه اصول قواعد لغة العرب ، وهو يعتبر واضع علم النحو ، والخليل بن احمد (١) (ت ٧٩١/١٧٥) ، فى ايام الرشيد ، فهدب ما كتبه ابو الاسود وبوبه فى كتابه المشهور بكتاب : العين ، وسيبويه (٢) (ت ٧٩٩/١٨٣) . وهى كلمة فارسية معناها رائحة التفاح ، اكمل ما كتب فى النحو ووضع كتابا عرف باسمه ؛ بحيث صار اماا لكل من تناول النحو بعده ، مثل : الكمالي (٣) (ت ٨٠٥/١٨٩) ، والاصمعي (٤) (ت ٢١٣/٨٢٨) ، والاخفش الصغير (٥) (ت ٩٢٧/٣١٥) ، والزجاجي (٦) (ت ٩٥٠/٣٣٩) ، وابن فارس (٧) (ت ١٠٠٠/٣٩٠) .

وبعد الاعراب لو علم النحو اهتم المسلمون بتحليل تراكيب اللغة لتصنع قواعد للقول البليغ ، وهو ما عرف بالبلاغة او البيان او البديع (٨) . فاذا كان النحو يعنى باللغة من حيث صحتها ؛ فان البلاغة او البيان او البديع تعنى باللغة من حيث

(١) عنه ، انظر ، نفسه ، ١٠ ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ؛ درويش ، المعاجم العربية ، القاهرة ١٩٥٦ .

(٢) عنه ، انظر . وفيات ، ٢ ص ١٠٣ - ١٠٥ ؛
Ency. (art Sibawaihi) t4, p. 412-413.

كتابه فى جزمين ، ط . مصر ١٣١٦ هـ .

(٣) عنه ، انظر . وفيات ، ٢ ص ٣ - ٥ ؛ انظر .
Ency. (art Kisāʿī) t2, p. 1096.

له رسالة فى لحن العامة تحقيق Bröckl ؛ فى :
—Zeitschr f. Assyriol XII(1899, p. 29-46.

Ency. (art al — Asmāʿī) t1, p 497 . (٤) عنه ، انظر .

(٥) وفيات ، ٢ ص ٧ - ٨ .

(٦) نفسه ، ١ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٧) نفسه ، ١ ص ٦١ - ٦٢ ؛ انظر .

Ency. (art Ibn Fāris) t2, p. 399-400.

له عدة كتب منها : الصحيح فى لغة اللغة ، وسنن العرب فى كلامها ، ط مصر ١٩١٠ م .

(٨) المقدمة ، ص ٤٥٧ - ٤٥٩ .

الحسن والجمال ؛ بتنسيق بسجع أو تجنيس أو تورية أو استعارة أو تشبيه . وأشهر من ألف في ذلك : الجاحظ (ت ٢٥٥/٨٦٨ - ٨٦٩) (١) ؛ والسكاكي (٢) (ت ٦٢٦/١٢٢٩) .

وحينما أصبحت اللغة العربية مفهومة ؛ اعتبرت أفضل اللغات ؛ بحيث أن غير المسلمين حرصوا على تعلمها ورغبوا فيها ، ونقلوا اليها كتبهم المقدسة مثل التوراة والانجيل والزبور ، وسائر كتب الأنبياء من الميرانية والعبرانية الى العربية . كذلك اصبحت لغة الكتابة "Les Belles Lettres" ، ونقلت اليها سائر العلوم من فلسفة وطب وفلك وحساب وهندسة ؛ مما يدل على قدرتها على مواجهة تطور الحضارة . ولما ضعف نفوذ العرب بظهور الفرس والترك ، قهرت ايضا لغاتهما ؛ واصبحت نسبة كبيرة من الفارسية والتركية من اصل عربي . بل غزت لغات اجنبية حتى خارج دار الاسلام ، مثل الاردية والمالوية في آسيا ، والسواحلية في افريقيا . والى وقتنا الحاضر - بعد زوال دولة العرب في العصور الوسطى - نجد شعوبا كثيرة تتكلم العربية وتكتب بها ، فان انتصار العرب ولا ريب هو قبل كل شيء انتصار لغة .



والدعامة الثانية لنشر الثقافة هي التعليم ، وقبل الاسلام لم يكن منظما لبداءة العرب وقلة العارفين بالكتابة ؛ وذلك على عكس ما وجد عند الشعوب المتحضرة ، التي كان يوجد فيها تعليم بلغ درجة التعليم الجامعي ، مثلما كان عند المصريين القدماء واليونان والفرس . ولما جاء الاسلام ظهر ميل للتعليم عند العرب ، وكان رجال القلم في اول الامر هم رجال الدين مثل القراء (٣) ، الذين يقرؤون

(١) عنه ، انظر . وفيات ٢ ص ١٠٨ - ١١١ ؛ خليل مردم ، الجاحظ ، دمشق ١٩٣٠ ؛ انظر . Pellat ؛

Le Milieu Baçrien et la Formation de Gâhiz. Paris, 1953.

Ency. (art al — Sâkkakî) ١٤. p. 83—4. انظر ، (٨) عنه ،

اشهر كتبه : مفتاح العلوم ، ط . القاهرة ١٣١٧ أو ١٣١٨ هـ .

(٣) المقدمة ، ص ٢٥٢ .

القرآن ، وكان النبی يرسلهم لتعليم المستعمرين قواعد الدين ، أي ان التعليم ظهر بظهور الاسلام .

ويبدو ان التعليم الابتدائي بدأ منذ عهد النبي ، الذي كان يطلق الأثرى على أساس ان يعلموا اولاد المسلمين ، ولا يعنى هذا ان تعليم الصبيان لم يكن موجودا قبلا ؛ فانه كان معروفا عند العرب اليهود (١) ، وكان من يعرف الكتابة فى الجاهلية يسمى : « كاملا » (٢) . وفى عهد عمر بن الخطاب بدىء فى تنظيم وتعليم الصبيان ؛ فنسمع عن الكتاب (٣) . وقد توسع فى هذا التعليم فيما بعد ؛ فظهرت كلمات عديدة تدل عليه ، ولا سيما فى عهد العباسيين ؛ فنسمع عن المكاتب - مفردا مكتب - او مكاتب الصبيان (٤) ، لو حتى حوانيت (٥) ، ومن يقوم به اسمه معلم لو مؤدب (٦) . بل سمعنا ان احد مؤدبي الصبيان كان عنده ثلاثة آلاف (٧) ، واخر كان عنده تسعمائة (٨) . وكذلك نجد ادراكا للنواحي التربوية - البيداغوجية - فى هذا التعليم الابتدائي ؛ فقد كانت الدولة تشرف عليه عن طريق المختص ، الذى كان من عمله ان ينذر معلمى المكاتب بان لا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا فى مقتل (٩) . وقد نص على انه يمكن ضربهم الى ثلاثة أسواط (١٠)

(١) فتوح البلدان ، ص ٤٧٣ .

(٢) ابن معد ، الطبقات ، ط . Leyden ، ٢/٢ ص ١٢٦ ، ١٤٢ .

١٤٨ وما بعدها ؛ انظر . الدالى ، الخطابة ، ١٩٨٠ ، ص ١٦ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ١٤٢ ؛ انظر . Tritton :

Materials on muslim education in the Middle Ages
London, 1957.

(٤) الخطط ، ٢ ص ٣٤٢ ، ٣٥ ، ٤ ص ٢٢٣ ص ٣ ؛ المقدمة ، ص ٤٨

Ency. (art Makatab) 13, p. 180 sqq انظر .

(٥) نهاية الرتبة ، ص ١٠٣ .

(٦) نفسه ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ؛ الخطط ، ٢ ص ٣٤٢ .

(٧) ياقوت ، ادباء ، تحقيق Margohouth ، ٤ ص ٢٧٢ وما بعدها .

(٩) النجوم ، ٥ ص ٦١ ص ٤ - ٥ .

(٨) الخطط ، ٢ ص ٣٤٢ .

(١٠) المقدمة ، ص ١٠١ .

أما إذا ضربوا بالعصا ، فإنه لا يكون بعضا غليظة وإنما يكون بعضا وسط (١) ، ويكون الضرب على اللوايا والأفخاذ وأسفل الرجلين ، كما أن استخدام الفلكة (٢) ، قد يكون غير مستجاز أحيانا ؛ وهي الأداة من الخشب التي فيها خروق كل خرق على قدر مسعة المساق يدخل فيهما أرجل المذنب ، الذي يستلقى على الأرض لضربه على بطن الرجل . ويبدو أن التهذيب الخلقى كان أهم جانب من هذا التعليم ؛ ولذا فإن مكان الدرس يسمى مجلس الأدب (٣) ، والمدرس يسمى مؤدبا كما ذكرنا .

ونعرف أيضا تفاصيل قليلة عن مقررات هذا التعليم ؛ التي - ولا ريب - أن أساسها التعليم الدينى ، ولا سيما تحفيظ القرآن والحديث . فيقول ابن خلدون أن التربية الدينية يجب أن تبدأ من من مبكرة ؛ ذلك لأنه فى هذه السن يكون الصبى مستعدا لقبول العقائد ، بمجرد الإيمان بها (٤) . كذلك الخط والحساب ورياسة بعض الشعر والسباحة هى جزء من المقررات ، وقد وجد فى زمن الماليك معلمون يتخصصون فى قوانين وأحكام وضع كل حرف (٥) .

ولدينا صورة عن هذا التعليم الأولى خاصة بإنشاء الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، الذى وضع بنفسه برامج دراستهم ، وهى تشمل العلم والخلق ؛ فقال لمعلمهم (٦) : « وعلمهم كتاب

(١) نهاية الرتبة ، ص ١٠٤ .

(٢) ابن سحنون ، آداب المعلمين عبد الوهاب ، تونس ١٩٣١ ، ص ٥١ ؛ انظر : Canari .

Falaqa. Arabica. Rev. d'Et. An. Ext, 11. Sept. 1954, Fasc 3, p. 333.

(٣) الأغاني ، ١٨ ص ١٠١ .

(٤) المقدمة ، ص ٤٤٧ .

(٥) نفسه ، ص ٣٣١ . وقبل ذلك ، ظهر ابن مقلة (حوالى ٣٠٠ هـ) ، الذى يعتبر المهندس الأول للخط المنسوب له لتناوبه فى أشكاله الهندسية المتقنة المجودة ، ونسبها الى امام من أئمة . الدالى ، الخطاطة ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٦) لدينا نصائح أخرى مشابهة من الرشيد لمعلم ولده الأمين . المقدمة ، ص ٤٥٠ .

الله عز وجل حتى يحفظوه ، وقفهم على ما بين الله فيه من حلال وحرام حتى يعقلوه ، وخسّهم من الأخلاق بأحسنها ، ومن الآداب بأجمعها ، وروهم من الشعر أعفاه ، ومن الحديث أصدقها ، وجنبهم محادثة النساء ، ومجالسة الأطفاء ، ومخالطة السفهاء ، وخوفهم بى ، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يفهموه ؛ فإن ازدهام الكلام فى السمع فضلة للفهم » .

وقد اهتم علماء المسلمين بتعليم الصبيان والتعليم عموما ، وخصصوا كتباً فى ذلك . فالف الفزالى (ت ١١١٢/٥٠٥) كتاباً سماه : « احياء علوم الدين (١) » ؛ بين فيه ان عملية التربية تتعاون فيها طبيعة التلميذ وبيئته ، وان دراسة المعلم لنفسية تلاميذه بقصد ايجاد الصلة العاطفية بين المعلم وتلميذه . ويرى ضرورة ان لا ترفع الكلفة مع التلميذ ، حتى لا يفسد خلقه ، وان يعتد به عن التدليل ، ويعود الخشونة ، حتى لا يظلب عليه الكسل . وينبغى ان يعود الاخلاق الكريمة ؛ فيقوم لمن فوقه ، ويعود ان لا يبصق فى مجلسه ولا يتمخط ولا يتثايب . كذلك لدينا كتاب عن هؤلاء المؤدبين اسمه : « آداب المعلمين » لابن سحنون (٢) ، يذكر فيه مؤلفه طرقاً عنهم ؛ فانهم كانوا يسرون بوقوع الجبر على تلاميذهم ؛ دلالة على اجتهادهم الشديد فى تعليم الصبيان .

بعد ذلك ظهر نوع من التعليم المتوسط متمثلاً فى شكل المدرسة (٣) ؛ وهى كلمة مأخوذة من درس ، ظهرت فى المشرق فى القرن الخامس الهجرى ، ولازم التدريس فيها المذهب المنى وحده . ويبدو ان هذا النوع من التعليم تقدم على الخصوص على يد الوزير نظام الملك (ت ١١٩٢/٤٨٥) ، الذى أنشأ فى

(١) طبعة الحلبي ، ١ ص ٦٣ « البسبب الاول » . انظر . ايضاً .
فتحية بهيج ، مذاهب فى التربية ، بحث فى المذهب التربوى عند الفزالى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٦ . للفزالى كتب أخرى مثل : ايها الولد ، وفتحة العلوم .
(٢) ط . تونس ١٩٣١ .

(٣) انظر . الخطط ، ٤ ص ١٩١ وما بعدها ؛ النعيمي ، المدارس فى تاريخ المدارس ، فى جزمين ، نشر جعفر الحسنى ، دمشق ١٩٤٨ - ١٩٥١ .

بغداد المدرسة النظامية فى عام ١٠٦٥/٤٥٧ ؛ وفرغ منها فى عام ١٠٦٧/٤٥٩ (١) ؛ وان كانت المدارس وجدت قبسه . ولدينا وصف احدى هذه المدارس ؛ فقد انشأ المستنصر العباسى المدرسة التى عرفت باسمه : المدرسة المستنصرية فى عام ١٢٣٤/٦٣١ (٢) ؛ وقد كانت اشبه بمدينة فيها اربعة اروقة ، كل منها يختص بمذهب خاص من مذاهب السنة ، وكان عدد طلابها ثلاثمائة ، موزعين على الأروقة يتلقون العلم داخليا وبالمجان ، ويعطى الطالب اعانة مالية . وقد ازداد عدد المدارس الى حد كبير فى بلاد الاسلام ، واستمر بناؤها طول فترة عصر الاسلام المزدهر ، وفى جميع دوله ؛ ينشئها الملوك والأمراء والتجار وحتى النساء (٣) . ويبدو ان بناء المدرسة المثالى هو ان يتكون من صحن اى فناء ، ومن ايوانات تحيط به عليها القباب ؛ كما كانت تلحق بها مكتبة ؛ ففى احدى مدارس مصر فى ايام المماليك ، التحقت مكتبة بها مائة ألف مجلد (٤) .

وكان للدروس فى المدارس مقرر يومية ينقسم الى قسمين : فيه جزء اجبارى هو القرآن والقراءة ، واختيارى هو الحساب والتاريخ والشعر والقواعد والبلاغة . ومن دراسة كتب برامج العلماء (٥) ، وهى تسجيل لما قراوه من مؤلفات فى مختلف

(١) عنها على الخصوص ، انظر : Talas :

La Madrasa Nnzamiyya et son Histoire, Paris. 1939

The Nizāmiyya and Bagdād Topography. J. R.A.S 1928 : Bowea.

(٢) ابن بطوطة ، رحلة ، ط . مصر ، ط ٢ ، ١ ص ١٢١ - ١٢٢

انظر على الخصوص كوركيس ، المدرسة المستنصرية ببغداد ، بغداد ١٩٤٥
جسين امين ، المدرسة المستنصرية ١٩٦٠ .

(٣) النعيمى (١٥٢١/١٢٧) ، تنبيه الطالب وارشاد الدارس ، تحقيق
iEncy. ٤3 p. 405 . وانظر . J. A 9ème Série فى Sauvair

(٤) الخطط ، ٤ ص ١٩٧ س ٩ .

(٥) مثل فورس بن خير الاندلسية وغيرها التى تذكر اسماء شيوخه .
من هذه البرامج ، انظر المقالة القيمة من الاهوانى : كتب برامج العلماء فى
الاندلس ، ونص برنامج ابن أبى الزبيع ، القاهرة ١٩٥٥ . وتوجد فهرس

العلوم ؛ نكتشف أى الكتب كان مفضلاً لدارسين وأسماء أسيادهم ، وقد غلب على هذه البرامج لفظة : ثبت أو معجم أو مشيخة أو فهرسة أو برنامج . ويبدو أن التعليم بهذه المدارس كان يختلف من مكان لآخر على حسب البلاد ؛ فيقال الطريقة القيروانية والقرطبية والبغدادية والمصرية (١) . وقد روى أن الطريقة الشرقية أفضل من المغربية ؛ لأنها تفصل فن الكتابة عن تعليم القرآن . كذلك اختلفت مدة الدراسة ؛ فكانت فى المغرب على أيام ابن خلدون ست عشرة سنة ، بينما هى بتونس خمس سنين ؛ وربما امتداد الأولى بسبب قلة الجودة فى التعليم . بيد أن أساس التعليم فى هذه المدارس كان الحفظ عن ظهر قلب ؛ ومازال هذا المنهج مأخوذاً به حتى عصرنا الحاضر ؛ فحتى فى أيامنا هذه نجد من الأدباء من يحفظ الآفا من الآيات . وكان من ينجح من التلاميذ يأخذ اجازة (٢) ، ولا يأخذها إلا إذا أحسن الاعتراض ويقول لأستاذه : « لم » ؛ وهى أنواع منها ما يؤهل للتدريس أو للفتوى أو للغة ؛ وهى تكتب بالنثر أو الشعر . ولدينا نص الاجازة التى منحها ابن خلدون لابن حجر العسقلانى (٣) ؛ يظهر منها أنها أشبه بتقرير من الأستاذ عن تلميذه الناجح .

متعددة بأسماء الكتب فى كل علم أشهرها : الفهرست لابن اللديم « ق ٤ » ؛ ومفتاح السعادة لطائى كبرى زاد « ق ١ » ، وكشف الظنون لحاجى خليفة « ق ١١ » ، وثلاثتها مطبوع .

(١) المقدمة ، ص ٤٤٢ .

(٢) صبح الأعشى ؛ ١٤ ص ٣١٢ - ٣٢٦ ؛ تاج العروس ، ٤ ص ٢٢٠-٢٢١ ؛ بخارى ، اجازة ، باب ١٦ ؛ انظر . Ency (art Idjaza) t 2, p. 473-4 . أحمد بدوى ، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٨٩ وما بعدها . قد تتعدد ، وتكون تحريرية أو شفوية ، كما أن لها معنى آخر ، يظهر فى كتب الفهارس ، فقد تعنى أن يأخذ التلميذ رخصة أو إذن عن أستاذه أو شيخه ، لنقل علومه .

(٣) وذلك فى منتصف شعبان سنة ٧٩٧ / يونية ١٣٩٥ ؛ ونصها فى كتاب ابن حجر ، الذكرة الجديدة ، الجزء السادس ، مخطوطة فى مكتبة أيا صوفيا باستنبول ، برقم ٣١٣٩ ، انظر النص فى كتاب : عنان ، ابن خلدون وحياته وتراثه الفكرى ، ط ٢ ، ص ٦٠ وما بعدها .

ونجد من يقوم بالتعليم فى المدارس هم المدرسون والمعيدون (١) : فالمدرس هو من يتصدى لتدريس العلم ، وكان أحيانا يعين بسجل من الخليفة : كما يحدث لكبار الموظفين ، أما المعيد فيلى رتبة المدرس . والأصل فيه أنه اذا لقى المدرس الدرس وأنصرف أعاد المعيد على الطلبة ما القاه المدرس اليهم ليفهموه ويحسنوه ؛ وقد يتعدد عدد المعيدين . أما كلمة أستاذ (٢) : فهو على ما يبدو لقب شرفى ؛ ليعنى أنه حريف أو سيد أو معلم ، فهى كلمة من أصل فارسى ، وإن كان هو اللقب الذى بقى حتى الآن . ويبدو أن المدرسين كانوا نقابة (٣) ؛ مما يدل على مدى نفوذهم .

ومن الطريف أن نذكر أن طلب الأجر لقاء التعليم لم يكن أمرا مقبولا فى المجتمع الإسلامى ، ومن يقبل من المعلمين المال لا يجد الاحترام الكافى . فيشير الفزالى الى ذلك بقوله (٤) : « أن من طلب بالعلم المال ، كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل المخدم خادما والخادم مخدوما » . فكان المعلم يحصل غالباً على المال عن طريق الهبات ؛ كما نظم أجرة المدرس فى عهد الأيوبيين والمماليك ، فهو فى أيام صلاح الدين أربعون ديناراً (أى حوالى عشرون جنيهاً) للمدرس ، وعشرون ديناراً للمعيد ، وكل يوم له ستون رطلا من العيش (٥) ، هذا غير كعك ولحم فى عيدى الفطر والأضحى ، وكان يطلق على أجرة المعلمين وغيرهم فى أيام المماليك جامكية ، جمعها جوامك .

أما عن التعليم العالى ؛ فإنه نهض على الخصوص لما اهتم الخلفاء العباسيون بحركة النقل ؛ فأنشأ المأمون دار العلم ومرصدها وزودها بمكتبة ، وهذه كانت أساسا للتعليم العالى ؛ وكان

(١) صبح ، ٥ ص ٤٦٤ ؛ الخطط ، ٤ ص ٢٦١ ص ١٢ .

(٢) ياقوت ، معجم الأدياء ، تحقيق Margoliouth ، ١ ص ١١٣ ،

٢٠٩ ، ٧ ص ٢٧١ ، ٥ ص ٣٥٣ ، ٣٥٨ .

(٣) زبدة ، كشف الممالك ، ص ٩٢ ص ٦ - ٧ .

(٤) أحياء ، ١ ص ٥٠ .

(٥) القفطى ، تاريخ الحكماء ص ٩٨ ؛ الفهرست ، ص ٢٤٣ .

الطلبة يقيمون بها . وقد قلد حكام المسلمين هذه في كل مكان ،
فمثلا نجد الفاطميين ينشئون دار الحكمة أو حتى دار العلم (١) ،
التي كانت أشبه بعدة كليات لدراسة الطب والرياضيات وغير
ذلك . ويبدو أن مثلها تعددت في عهد الحاكم بأمر الله في
الفسطاط ، حتى بلغت ثمانمائة مكان كل منهم يسمى دار العلم . ويجب
أن نشير إلى أنه كانت تقام دراسات على مستوى عال في الجوامع
الكبرى ؛ حيث كان لها مفيل في الجامع الأزهر ، الذي أنشأه
الفاطميون لتعليم الرجال والنساء المذهب الشيعي ، وجعلت له
جماعة خاصة تكون نواة لهيئة التدريس فيه ، تتكون من خمسة
وثلاثين شخصا (٢) ، أنشئت لهم مساكن بجوار الأزهر . وكانت
طريقة التعليم في الجوامع عن طريق التحلق بأقامة حلقات -
مفردها حلقة - أو تسمى أيضا بالمجالس ، فكانت هذه الحلقات
تتعدد في الجامع الواحد ، حتى تبلغ أكثر من بضع وأربعين
حلقة (٣) . ونظن أن التعليم في الجوامع لم يكن إلا في العلوم
الدينية ، وأن العلماء كانوا هم القصاص والخطباء والقضاة
والفقهاء ، وحتى الوزراء . ومثل هذا التحلق وجد منذ أيام
النبي ، الذي قام بتلقين الحديث للصحابية (٤) . فكان هذا التعليم
العالي سابقا على ما ظهر في القرن الثاني عشر الميلادي في أوروبا
من نظام الجامعات (٥) Universitas » ، وهو الذي كان
يتناول الدراسات اللاهوتية على الخصوص .

كذلك عرف المسلمون نوعا من التعليم العسكري ظهر في القرن

(١) عنها ، انظر . الخطط ، ٢ ص ٣٣٤ وما بعدها . لمس الأزهر
ملاحقة في ٩٦٩/٣٥٩ . فأخذ طلاب العلم يتوافدون إليه ، وكانوا من بلاد
متعددة ، يلزمونه ليلا ونهارا ، بلغوا سبعمائة وخمسين ، ما بين حجم ومقاربة ،
ومن أبناء القرى البعيدة عن القاهرة ، ولهم أرزاقهم .

(٢) نفسه ، ٤ ص ٤٩ .

(٣) رحلة ابن حبير ، ص ٢١ .

(٤) البخاري ، علم ، باب ٨ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٢ .

(٥) انظر . عاشور ، أوروبا في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٥٩ ، ٢

ص ١٣٦ وما بعدها ؛ عاشور وأنيس ، النهضة الأوربية ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٦ ،

ص ١٧٨ وما بعدها .

الرابع الهجرى فى شكل نظام الحجر فى عهد الفاطميين ، ونظام الطبايق فى عهد المماليك . وهذه الحجر أو الطبايق اشبه بمدارس حربية (١) ، يعلم فيها الملتحقون القراءة والكتابة ، والتربية العسكرية .

ومن المفيد ان نعرف شيئا عن تعليم النساء المسلمات ؛ وان وجدنا اول نداء لتعليمهن من قبل النبى ؛ حيث اعتبرت روجته عائشة حجة فى الدين الاسلامى . كذلك الغزالى يرى ان العلم واجب على الرجال والنساء على السواء . وقد وجدنا نساء شاعرات واديبات وقابلات ، وهن اللاتي كان وجودهن ضروريا لشئون الولادة (٢) . كذلك كانت تلقى دروس خاصة للسيدات الفاطميات ، فى مكان مخصص لهن فى قصر الخليفة يعرف بالمحول (٣) ؛ ليتعلمن شئون العقائد الفاطمية . كما كان النساء يحضرن مجالس الوعظ ، وتكون بينهن وبين الرجال ستارة (٤) . ولكننا لم نسمع عن وجود مدارس للفتيات أو وجود تعليم مهنى لهن فى بلاد الاسلام ، أو حتى فى البلاد المسيحية فى العصور الوسطى ؛ مما يدل على ان تعليمهن كان خاصا .



ويجب علينا بعد هذا ان نلقى نظرة عامة على صنوف الثقافة الاسلامية من العلوم والفنون . فمن العلوم نعرف ان الدين كان يرتبط بها اشد الارتباط ؛ بحيث ان اغلب العلوم كانت مستمدة من الدين . ولكن بظهور الترجمة ظهرت علوم متعددة لا علاقة لها بالدين ، وقد ظهرت بدافع الحاجة . وفى اول الامر نجد العلوم

(١) عن الحجرية ، انظر . الخطط ، ٢ ص ٣٠٩ - ٣١١ ؛ صبح ، ٢ ص ٥٠٧ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ٩٧ - ١٩٩ . عن الطبايق ، انظر . الخطط ، ٣ ص ٣٢٧ - وما بعدها .

(٢) المقدمة ، ص ٣٢٧ - ٣٢٩ .

(٣) الخطط ، ٢ ص ٣٢٤ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٨٦ .

(٤) نهاية الرتبة ، ص ١١٠ ص ١ - ٣ .

متداخلة بعضها في بعض ، ولكن بتقديم الحضارة الاسلامية ، أصبح هناك تخصص .

وقد أخذت العلوم الدينية المكان الاول لارتباطها بالاسلام ، وعرفت بالعلوم الشرعية أو النقلية أو الوضعية أو الطبيعية (١) ؛ لأنها مستمدة من الدين أو منقولة عنه ، واعتبر القائلون بها من أهم العلماء ؛ بحيث أن صفة العلم كانت تقتصر عليهم دون غيرهم ؛ لقد كان أول علماء الاسلام هم القراء . وعلى الرغم من أن حضارتنا للحديث قد غيرت الوضع فسوت بين العلماء الدينيين وغير الدينيين - بل رفعت من شأن هؤلاء - فإنه لا يزال في الشرق يطلق اسم العالم على العالم الديني . والعلوم الدينية اصناف ؛ فالغزالي يقسمها الى اربعة : الاصول والفروع والمقدمات المتممات ؛ فالاصول القرآن والحديث ، والفروع الفقه ، والمقدمات هي الآلات التي لا غنى عنها في دراسة الاصول كعلم اللغة والنحو ؛ والمتممات مثل القراءات والتفسير . ونحن منعرضها على الوجه الآتي ، دون أن نخرج بها عن المنطوق الذي وضعه الغزالي .

(٢) ولنبدأ الكلام عن علم التفسير (٣) ، وموضوعه كلام الله . ولم يكن العرب في أول الامر بحاجة الى تفسير القرآن ؛ ذلك لأنه نزل بلغتهم وعلى أساليبهم ، وكانوا على علم بمناسبات نزول آياته ومقاصدها ؛ فكانوا يفهمونه ويدركون معانيه . ثم انهم في أول الامر لم يكونوا يسمحون بتفسير القرآن ، اعتمادا على قول النبي : (من قال في القرآن برأيه ، فليتبوا مقعده من النار) . كذلك كانوا يتخرجون في الاقدام على تفسير الفاظ القرآن ويبحثها على ضوء ما ورد منها في نصوص أخرى شعرية أو نثرية . ولكن العلماء المسلمين تخلصوا من هذا الحرج في أواخر القرن الثالث الهجري ، بسبب انهم بعدوا عن وقت ظهور القرآن ؛ مما جعل مقاصد الفاظ

(١) المقدمة ، ص ٣٤٥ ؛ الغزالي ، احياء ، ١ ص ١٣ ، ١٥ - ١٦ ؛ انظر Ency. (ar'Ulum) 12, p. 498-9.

(٢) عنه بمقتضى عامة : المقدمة ، ص ٣٤٧ - ٣٤٩ ؛ كشف الظنون ، ١

القرآن مبهمة (١) ، وخصوصا على الذين انلموا من الشعوب غير العربية ؛ بحيث كانوا فى حاجة ملحة الى تفسير نص القرآن .

وقد لجأوا فى مسيل ذلك الى الطريقة ذاتها التى لجأوا اليها فى الحديث النبوى بالنقل عن النبى والصحابه التابعين وتابعى التابعين ؛ وأصبح علم التفسير جزءا من علم الحديث ، وأن استقل عنه فيما بعد . وقد تعرض هذا النقل لكثير من التشويش والدس ودخله القصص اليهودى والمسيحى ، وأصبح موضع نزاع بين المفسرين ، وهذا النقل هو ما عرف بالتفسير النقلى او التفسير بالمأثور . وبعد ذلك ، ظهرت طريقة أخرى للتفسير تعتمد على اللغة ومعانى الالفاظ ؛ مما كان سببا فى ظهور معاجم اللغة ؛ مما لم يعرف له مثل من قبل فى أى لغة سابقة ؛ فكان يبحث عن احوال الالفاظ ومفردات الايات وما ورد فيها من معان ، وشرح غوامض الاعراب ، والتعرض للآية وسبب نزولها ؛ مما جعل التفسير يحتاج فى الواقع الى علوم متعددة ؛ وقد سمي هذا التفسير تفسير الدراية او الراى او العقل ؛ فلقد أصبح تفسير القرآن يحتاج الى اجتهاد ومنهج خاص (٢) .

ولكن الشيعة حفظا لتفسير القرآن من الدس لجأت الى نقله عن طريق ائمتهم وحدهم ، وادعوا ان الائمة ورثوه عن النبى ، من كتب وغيرها كان اورثها النبى لعلى ، ونقلوا عن النبى قوله (٣) : انا صاحب التنزيل وعلى صاحب التاويل ولقد اطلق الشيعة على تفسير القرآن كلمة تاويل ، وهى تفعيل من اول - يؤول ، او حتى العلم اللدنى بسبب وراثته عن النبى ؛

(١) مثلا ، انظر . الراغب الاصفهانى « المائاة الخامسة » ؛ المفردات فى مرآئب القرآن ، مصر ١٣٢٤ هـ .

(٢) مثلا ، انظر : الماوى « مصطفى » ، منهج الزمخشري فى تفسير القرآن وبيان اعجازه ، ط . دار المعارف بالقاهرة ؛ مصطفى مندور ، مذاهب التفسير الاسلامى ، خوليات كلية آداب عين شمس ، المجلد ٩ ، ١٩٦٤ ، ص ٩-٤٠ .

(٣) سيرة المؤيد فى الدين - أحد المعاجم - تحقيق محمد كامل حسين

القاهرة ١٩٤٩ ، ص ١٧ ؛ انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ١ ص ١٧٩ .

لما أعداؤهم فقد أطلقوا على تفسير الشيعة علم الباطن ، ظننا منهم انهم احدثوا التفسير الذى وضعوه محل الشريعة (١) ، واطلقوا على الشيعة بسبب ذلك الباطنية . وقد تميز التفسير الشيعى على الخصوص ، باستخدام علم الكلام او ما عرف عندهم بعلم الحقائق (٢) ، الذى كان من شأنه ان يهب المدارس قوة فى الاستدلال ، وقدره على البحث فى حقيقة الدين .

ومن اشهر المفسرين ومؤلفاتهم نذكر : الطبرى (ت ٣١٠ / ٩٢٢) : جامع البيان فى تفسير القرآن (٣) ، واليغوى (ت ٥١٦ / ١١٢٢) : معالم التنزيل (٤) ، والزمخشري (ت ٥٣٨ / ١١٤٤) : الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٥) ، والرازي (فخر الدين) (ت ٦٠٦ / ١٢٠٩) : التفسير الكبير (٦) ، والبيهضاوى (ت ٦٨٥ / ١٢٨٦) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٧) ، وابو حيان (ت ٧٥٤ / ١٣٥٢) : التفسير الكبير (٨) .

علم القراءات (٩) ، وهو من علوم الدين التى تبحث فى كيفية قرأة الفاظ القرآن ، وذلك لأن تبين لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة ، أوجد اختلافا فى النطق بحروف

- (١) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، القاهرة ١٩١٠ ، ص ٢٨٠ .
- (٢) الشهرستانى ، الملل والنحل ، تحقيق Gureton ، ط London ١٨٤٦ ، ص ١٤٧ .
- (٣) فى ٣٠ جزءا ، ط . بولاق ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ وما بعدها ؛ و ط دار المعارف .
- (٤) فى جزئين ، ط . بومباى ١٣٠٩ / ١٨٩١ ؛ وبولاق ١٢٩١ ؛ والقاهرة فى ١٣٠٨ و ١٣٤٨ هـ .
- (٥) فى جزئين ، ط . مصر ١٣٠٧ هـ ؛ وفى ٤ أجزاء ، مصر ١٣٦٥ / ١٩٤٦ وتحقيق Lees ، كلكتا ١٨٥٦ .
- (٦) فى ٦ مجلدات ، القاهرة ١٢٧٨ / ١٨٦٢ ؛ وفى ٨ أجزاء ، ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ .
- (٧) فى جزئين ، بولاق ١٢٨٣ / ١٨٦٥ - ٦ ؛ وتحقيق Fleischer فى جزئين ، Lipsiae ، ١٨٤٦ - ١٨٤٧ .
- (٨) فى ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ / ١٩١٠ - ١٩١١ .
- (٩) عنه بمقفة عامة : المقدمة ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

القرآن . ثم ان القرآن يشتمل اصلا على الفاظ القبائل العربية المختلفة بما فيها من عدنانية وقحطانية (١) ؛ وان كانت الفاظ قريش هي الغالبة تليها هذيل وكنانة وحمير وغيرهم من قبائل الجزيرة . ولذلك اتفق بعد البحث والاستقصاء على قراءات معينة ، او ما سمي ايضا بالتجويد ، ايدت باحاديث نبوية ، وروايات للصحابه والتابعين ، وقصد من تنوعها التسهيل . وقد يكون اساس التنوع ايضا ؛ بسبب اختلاف القراء في قراءة القرآن من مصاحف الصحابة قبل ان يصطهم مصحف عثمان ، الذي كان خاليا من النقط والشكل ؛ حتى ان عثمان اطلق للناس القراءة على اى حرف ، اى لهجة (٢) . وقد اصبحت هذه القراءات علما مدونا توضع فيه المصنفات ؛ التى ربما صاحبها الرسم لاوضاع الحروف ، واعتبرت المعرفة بها فرضا . كذلك تناول علماء كثيرون فى جميع ارجاء البلاد الاسلامية هذه القراءات بالشرح ، وابرار قواعدها واحكامها ؛ اذ كانت كل بلد تاخذ من القراءات ما يلائم طبع اهلها ، مثل المذاهب تماما .

وقد اختلف فى عدد القراءات ، فبعضهم جعلها سبع قراءات ، وبعضهم جعلها خمسا وعشرين قسراءة ؛ وان رجحت سبع قراءات (٣) ، واصبح يعرف اصحابها باصحاب القراءات ؛ وهى نافع من المدينة ، وابن كثير من مكة ، وابن عامر من الشام ، وابى عمر من البصرة ، وعاصم وحزمة والكسائى من الكوفة ، واعتبر نافع اهمهم بسبب ان مالك مؤسس المذهب المالكى كان يقرأ على نافع (٤) . وهؤلاء ادوا القراءات موافقة لنص مصحف عثمان ؛ ولكل منهم رجال نقلوا عنهم . ومع ذلك ؛ فقد اضيف اليهم ثلاثة

(١) اسماعيل بن عمرو ، كتاب اللغات فى القرآن ، صححه صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٤٦/١٣٦٥ .

(٢) ابن ابي داوود ، كتاب المصاحف ، تحقيق Jeffery ، ط . Leliden ، ١٩٣٧ ، ص ٣٦ .

(٣) ابو عمرو الدانى ، التيسير فى القراءات للمبج ، نشر Pretzel

ط . استنبول ١٩٢٠ .

(٤) انظر ابن بربى ، شرح المارغنى ، الدرر اللوامع فى اصل مقرء الامم

نافع ، ١٢٣١ هـ .

وأصبحوا عشرة (١) وهم : حفص وأبو جعفر ويعقوب ؛ أما ما عداهم فقد اعتبر شاذاً (٢) .

أما القراءة بالألحان وهي ما تعرف أيضاً بالتلاوة ، وهي التي يسير عليها معظم القراء في وقتنا ؛ فقد اختلف في وقت ظهورها ؛ فقليل أنها بدأت في عهد النبي ، أو ظهرت في القرن الرابع الهجري ؛ كما اختلفت المذاهب في استجارتها ؛ فمالك لم يجز القراءة بالتلحين ، بينما أجازها الشافعي (٣) .



علم الحديث ، (٤) ونقصد به ما صدر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير - بمعنى استحسانه شيئاً - وهو ما اصطلاح على تسميته أيضاً بالسنة ، أي طريقة سلوكه « Usus » ، ولله حججه مثل القرآن . وكان بعض الحديث قد كتب في صحائف تعرف بصحائف الحديث ، وأن حفظ أغلبه في صدور الصحابة والتابعين . وكان العرب يفضلون أن يبقى الحديث محفوظاً في الصدور ؛ وإن لا يجمع كالتقرآن ، خوفاً من التباس الحديث بالقرآن ، فنقلوا عن النبي أحاديث تنهى عن كتابة أي شيء غير القرآن .

(١) ابن الجوزي ، الفتر في القراءات العشر ، دمشق ١٣٤٥ هـ .
(٢) ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، تحقيق Bergsträsser ، مصر ١٩٣٤ . مثل قراءة الحسن البصري وابن مسعود .
وأي بن كعب .

(٣) المقدمة ، ص ٣٣٧ .

(٤) عنه بصفة عامة مثلاً : المقدمة ، ص ٣٤٩ وما بعدها ؛ حاجي خليفة ، ص ٤٢٢ وما بعدها ؛ صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٦٥ ؛ انظر .

Etudes sur : Coldziher ; Ency. (art Hadith) t2, p. 201 sqq.

la tradition islamique. Extraites du tome 11 des " Mudemmedanische Studien " , traduites par Léon Percher Paris, 1952.

منها (١) : « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه ، وحدثوا عني فلا حرج » .

وقد ظهرت محاولات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لتدوين الحديث ؛ ولكنه رفض ان يقوم بذلك ، وقال : « واني والله لا البس كتاب الله بشيء (٢) » . ولما كتب بعض الناس عن ابي موسى الأشعري ، أخذ ابو موسى ما كتبه وغسله ، وقال لهم : « احفظوا عنا كما حفظنا » . وكان مروان بن الحكم عامل معاوية على المدينة قد اراد ان يدون الحديث بالحيلة ؛ فدعا المحدث المشهور ابا هريرة (٣) (ت ٥٧ او ٦٧٦/٥٨ - ٦٧٨) ، الذي كان يجلس للنبي ويلزمه ليستمع اليه بينما يذهب الناس الى عملهم ؛ بحيث أنه لكثرة ما استمع اليه ينسب اليه خمسمائة وثلاثة آلاف حديث صحيح ؛ فآخفى مروان بجانبه أحد الكتاب ، وطلب من ابي هريرة ان يحدثه ، ولكن ابا هريرة ادرك السبب ، فتوقف عن مرد الحديث .

وينسب الى عمر بن عبد العزيز انه هو الذي دون الحديث لأول مرة (٤) ؛ ومنذ ذلك الوقت أخذ في تدوينه . وقد كان تدوين الحديث يعتمد على نقله من صدور الحفاظ ؛ فكان لابد من ايجاد طريقة لضبط صحته ، فلجأوا الى الاسناد او الأسانيد جمع سند ، بمعنى رفع القول الى قائله ، وهي التي أصبحت جزءاً من الحديث ، وذلك بنقل متن الحديث من فلان عن فلان ، أو ما عبر عنه ايضاً بالعنعنة . كذلك كان لابد من الارتحال للبحث عن

(١) صحيح مسلم ، ٨ ص ٢٢٩ ؛ أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ط ١ ، القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٣٥٠ .

(٢) انظر . أحمد أمين ، فجر ، ص ٢٦٥ . روي ذلك عن الزهري .

(٣) منه : إسد الغابة ، ط . مصر ١٢٨٥ هـ ، ٥ ص ٣١٥ ؛ أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ، ١ ص ٣٧٦ وما بعدها ؛ عساج ، أبو هريرة ، رواية الاسلام ، اعلام العرب ٢٣ أكتوبر ١٩٦٣ ؛ انظر .

Ency. (art Abū Huraira) t1, p. 96.

كنى هكذا بهرة صغيرة كان يلعب بها صغيراً .

(٤) ابن سعد ، ص ٢٧٦ .

الحفاظ ، ولا سيما فى الحجاز أو فى الأمصار التى انتقل اليها العرب ، والنقل عنهم بحضورهم ؛ وإن استجيز بعد ذلك جمع الحديث دون مقابلة الشخص الذى ينقل عنه الحديث . وفوق ذلك ، ظهرت عدة طرق أخرى لضبط الحديث ، منها علم التاريخ (١) ، الذى أول ما ظهر كعلم مساعد يضبط تاريخ نقل الحديث وأحوالهم ووجودهم أيام النبى والصحابة والتابعين وتابعى التابعين ، وإيضاً علم الجرح والتعديل ، الذى يبحث فى أنساب الرجال والحفاظ ودرجة اتصالها أو انقطاعها وسلامتها .

ولقد ظهرت اصطلاحات عديدة تدل على مدى صحة الحديث ، لم تظهر دفعة واحدة ، وإنما اتفق عليها بالتدريج . فمنها بالنسبة لصحة الحديث بصفة عامة : الصحيح الذى ليس به علة إطلاقاً ، والحسن أى أن أسناده ليس صحيحاً تماماً ، والضعيف الذى يمكن نقضه من داخله ومن أسناده ، والغريب أو الشاذ أى فى داخله غرابة وشذوذ . ومنها بالنسبة لقيمة الحديث ، مثل : مدرج أى يشتبك فيه قول النبى بأحد أقوال النقلة كشرح له ، ومتروك أى لا قيمة له ، وموضوع أى مخترع . ومنها بالنسبة لبعد الحديث عن النبى ، مثل : المرفوع الذى يصل إلى النبى مباشرة ، والموقوف الذى يصل إلى الصحابة ، والمقطوع الذى يصل إلى التابعين فقط . ومنها بالنسبة للأسناد فى ذاته ، مثل : الممتد الذى نقله كثيرون ، والعالى إذا كان نقلته قلة إلى حد ما ، والمرسل إذا اتصلت سلسلة أسناده ، والمنقطع وهو العكس ، والمعضل وهو القليل فى نقلته ، إذ هم اثنان أو أكثر ، والمبهم إذا نقل عن رواية مجهولين . ومنها ما هو بالنسبة لطريقة جمع الحديث ، مثل : المتواتر أى جميع بصحة من مصادر وطرق متعددة ، والمشهور الذى جمع من ثلاثة أشخاص على الأقل ، والعزیز الذى جمع من شخصين أو من أحاد ، أى من شخص واحد . هذا بالإضافة إلى ما عرف بالحديث القمى (٢) ، وهو غير الحديث النبوى ؛ يشتمل على كلمات الله ، وليس له أسناد ؛ نقله النبى عن طريق الإلهام والرؤية .

(١) السخاوى ، الإعلان بالتوبيخ ، دمشق ١٣٤٩ هـ ، ص ١٢٩ .

(٢) انظر . بتفصيل .

ومن أشهر جامعى الحديث ستة وصلوا القمة فى جمعه ،
فنذكر فى المقام الاول اثنين هما : محمد بن اسماعيل البخارى (١)
(ت ٨٧٠/٢٥٦) ، وهو مشهود له بالاجتهاد فى جمع الحديث ،
حتى سمى امام المحدثين ، لجمعه عددا كبيرا منه ، اذ جمع
مائتين وتسعة آلاف حديث ، منها ثلاثة آلاف حديث متكررة ،
وابو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢) (ت ٨٧٥/٢٦١) ،
الذى اظهر هو الآخر نشاطا كبيرا فى جمع الحديث ، وان حذف
منه المكرر . ثم نذكر الباقى وهم : ابن ماجه (٣) (ت ٨٨٦/٢٧٣) ، وابو
داود (٤) (٨٨٨/٢٧٥) ، والترمذى (٥) (٨٩٢/٢٧٩ - ٣) ،
والنسائي (٦) (ت ٩١٥/٣٠٣) . ولاهمية جمع هؤلاء الستة ؛
فقد عرفت مصنفاتهم عموما بالصحاح الستة ؛ وان خصص اسم
الجامع الصحيحين على الاولين ؛ اما الاربعة الباقون ، فانه نظرا
لاقتصارهم فى جمعهم على الاحاديث التى تمتد الى النبى وحده ،
فان كتبهم عرفت باسم : السنن ، وفى هذه المصنفات جميعا ، وزعت
الاحاديث على ابواب .

وبعد هؤلاء الستة الكبار ، ظهرت جمساعة لم تهتم بجمع
الحديث ، وانما بشرحه وتلخيصه والتعليق عليه ؛ مثل : البغوى
(ت ١١١٦/٥١٠) : مصابيح السنة (٧) ، والنووى (ت ٦٧٦ /
١٢٧٧) شرح النووى على صحيح الامام مسلم (٨) ، والعسقلانى

(١) كتابه : الصحيح ، فى ٤ اجزاء القاهرة ١٨٦١/١٢٧٨ ؛ فى ٨ اجزاء .

ط . بولاق ١٢٩٦ هـ .

(٢) كتابه : الجامع الصحيح ، فى مجلدين ، بولاق ١٨٧٣/١٢٩٠

وفى ٨ اجزاء ، القاهرة ١٣٢٩ - ١٣٣٢ هـ .

(٣) كتابه : السنن ، فى مجلدين ، القاهرة ١٨٩٥/١٣١٣

(٤) كتابه : السنن ، القاهرة ١٨٦٤/١٢٨١

(٥) كتابه السنن ، فى مجلدين ، بولاق ١٨٧٥/١٢٩٢

(٦) كتابه : السنن ، فى مجلدين ، القاهرة ١٨٩٤/١٣٢٢

(٧) ط . مصر ١٢٩٠ هـ .

(٨) فى ٥ مجلدات ، ١٢٨٣ هـ . وعلى هامش كتاب القسطلانى . انظر .

بعده . كان النووى ينوى كتابة شرحه فى مائة مجلد ، ولكنه اختصره هكذا .

(ت ١٤٤٩/٨٥٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخارى (١)
والعيني (ت ١٤٥١/٨٨٥) : عمدة القارىء فى شرح صحيح
البخارى (٤) ، والميوطى (ت ١٥٠٥/٩١١) : جمع الجوامع
او الجمع الصغير (٥) ، والقسطلانى (ت ١٥١٧/٩٢٣) : ارشاد
السارى لشرح صحيح البخارى (٤) .

واخيرا نلاحظ أن كلمة شيعة وسنة ، لا تعنى أن الشيعة ليس
لها احاديث ؛ فقد روى اهل الشيعة احاديث كثيرة ، مثل تلك
التي عند السنة ، وهو ما عرف عندهم بالأخبار (٥) ، ردها الى
اثنهم زيادة فى الحيطة . ومن اشهر جامعى اخبار الشيعة عن
اثنهم هم : الكليني (ت ٩٣٩/٣٢٨) ، والنعمان بن حيسون
(ت ٩٧٤/٣٦٣) ، والطوسى (محمد بن الحسن) (ت ٤٦٠)
(١٠٦٧) ، ونجم الدين المحقق (ت ١٢٧٧/٦٧٦) .



علم الفقه (٦) : وهو العلم الذى يتناول القرآن والحديث
بقصد الفهم واستخراج الاحكام لما يعن للمسلمين من مشاكل دينهم
« عبادات » او دنياهم « معاملات » ؛ وهو بذلك يرادف التشريع ،
ومن يقوم به يسمى فقيها جمعا فقهاء . كذلك يسمى بعلم الفروع ؛
أن علماء الدين فى الاسلام جروا على تشبيه التشريع بشجرة لها
عصول وفروع . ويقابل هذا العلم عند اللاتين - وهم من الشعوب

(١) فى ١٣ جزءا ، مصر ١٩٢٩/١٣٤٨ ؛ ١٣٠١ هـ .

(٢) فى ١١ جزءا ؛ ط . القسطنطينية ١٣٠٩ - ١٨٩١/١٣١٠ - ١٨٩٣

(٣) بولاق ١٢٨٦ هـ .

(٤) فى ١٢ جزءا ، مصر ١٣٢٦ هـ ؛ وفى ١٠ اجزاء ، ط . بولاق ١٣٠٤ هـ .

(٥) انظر . قبله : النعمان ، دعائم ، ١ ص ٦٤ ؛ انظر . بعده .

(٦) المقدمة ، ص ٣٥٩ وما بعدها ؛ الشوكانى ، كتاب ارشاد الفحول الى

تحقيق الحق من علم الاصول ، القاهرة ١٣٢٧ هـ ، ص ٣ وما بعدها ؛ والغزالى ،

كتاب المستقصى من علم الاصول ، بولاق ١٣٢٢ هـ ، ص ٤ وما بعدها ؛ والنمى .

كشف الاسرار ، بولاق ١٣١٦ هـ ، ص ٦ وما بعدها ؛ انظر .

التي اهتمت بالتشريع - كلمة « *Jurisprudencia* » ، بمعنى العلوم الالهية .

ولم يظهر الفقه كعلم فى اول الامر لوجود الصحابة والتابعين ، ولكن لما تعددت مشاكل الاسلام ، وبعد العهد بظهور الاسلام ، احتيج الى ضبط الشرع . وقد ظهرت عدة طرق فقهية ، وهى ليست فرقا ، وانما دراسات دينية ؛ لذلك اطلق عليها مذاهب ، وهى تسير فى دائرة الاسلام ؛ بحيث يمكن لاتباع احداها ان ينتقلوا الى اخرى . ونلاحظ ان بعض المذاهب الاسلامية لم يعمر طويلا بسبب انها لم تجار التطور الدائم فى المجتمع ، او انها لم تترك مؤلفات تحتوى على اتجاهاتها ، مثل : الازاعية نسبة الى عبد الرحمن الازاعى (١) (ت ٧٧٤ / ١٥٧) ، التى ظهرت فى الشام والاندلس ، والثورية نسبة الى سيفان الثورى (٢) (ت ١٦١ / ٧٧٨) ، التى ظهرت فى الشام ، وبقيت الى القرن الخامس الهجرى فقط (٣) . كذلك اغلب الفقهاء اصحاب المذاهب لم يؤلفوا فى مذاهبهم ، وانما ما ورد عن مذاهبهم كان من تسجيل تلامذتهم ؛ وربما يكون السبب هو تخرجهم من ان فتواهم تقع فى غير موقعها ؛ فينقل عن احدهم - وهو ابن حنبل - قوله : « لا تقلدنى ولا مالكا ولا الشافعى ولا الثورى ، وخذ من حيث اخذوا (٤) » . ومع ذلك ؛ فيجب ان نذكر اربعة مذاهب سنية هامة ، تركت مؤلفات ، صار الفقهاء مقيدون بها ؛ لاجماع الامة الاسلامية عليها ، والرضى بها .

اولا : مذهب ابنى حنيفة (٥) (٨٠ - ١٥٠ / ٦٦٩ - ٧٦٧) ،

(١) عنه : وفيات ، ١ ص ٤٩٢ - ٣ ؛ انظر .
Ency. (art al—Awzā'i) t1, p. 533.

(٢) عنه : وفيات ، ١ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ؛ انظر .
Ency. (art Sufyān al—Thawrī) t4, p. 523 sqq.

(٣) النجوم ، ٤ ص ٢٣٨ .

(٤) ابن القيم ، اعلام الموقعين ، ٣ ص ١ .

(٥) وفيات ، ٣ ص ٨٠-٧٤ ؛ انظر . ابو زهرة ، أبو حنيفة ، القاهرة ١٩٤٧
Ency, (art Abū Hanīfa) t1, p. 92-3.

الذى ولد فى العراق ، واعتمد على تحكيم الراى فى النص للحصول على حكم شرعى . وينسب الى ابيه حنيفة نفسه الكتاب المسمى : مسند الامام الاعظم او الفقه الاكبر (١) ، كما لدينا كتاب بدائع الصنائع فى فقه ابيه حنيفة لعلاء الدين الكاشانى (٢) (ت ٥٨٧ / ١١٩١) ، وكتاب شرح فتح القدير لابن همام الحنفى (٣) (ت ١٢٨٢/٦٨١) ، وكتاب كنز الدقائق فى فروع الحنيفية للنمفى (٤) (ت ١٣١٠/٧١٠) .

ثانيا : مذهب مالك (٥) (٩٧ - ١٧٩/٧١٥ - ٧٩٥) ، الذى ولد فى الحجاز ، واعتمد فى استخراج الاحكام على ظاهر النص ، فسمى اتباعه بالظاهرية ؛ لانهم جعلوا احكامهم منحصرة فى النصوص بالاجماع ، وهو ما عرف ايضا بالمصالح المرسلة ، اى كل مصلحة ضرورية للمجتمع يحصل بها نفع او تدرا ضررا ، ولا تعارض النص . ولمالك كتاب فى الفقه اسمه « الموطا » ، وهو اقسم ما الف فى الفقه ، سمي (٦) هكذا لانه صنفه بناء على امر الخليفة العباسى المنصور ووطاه للناس ، اى انه اوضح الشرع لهم ، او لان فقهاء المدينة واطنوه عليه اى وافقوه . وهذا المذهب المالكى تلازم مع عقلية اهل الحجاز والمغاربة والانديليين ، وبصفة عامة مع سكان المناطق التى لم تكن اهل جدل ونظر . وقد ظهرت كتب كثيرة تناولت مذهب مالك بالشرح ، منها على الخصوص : « المدونة الكبرى » ، لسحنون بن سعيد (٧) (ت ٨٥٤/٢٤٠) ،

(١) فى ٤ اجزاء ، ط . الهند .

(٢) ط . القاهرة ١٩١٠ .

(٣) فى ٨ اجزاء ، بولاق ١٣١٥ هـ .

(٤) شرح معين الدين المعروف بملامكين ، فى ٣ اجزاء ، ط . اولى ،

القاهرة ١٢٨٧ هـ .

(٥) عنه : وفيات ، ٢ من ٢٠٠ - ٢٠٢ ؛ انظر .

Ency. (art Malik b. Anas) 13, 218 sqq.

(٦) المقدمة ، ص ١٤ ، طبع فى : دلهى ١٢١٦ هـ ، ولاهور ١٢٨٩ هـ ،

والقاهرة ١٢٨٠ هـ (فى ٤ اجزاء) .

(٧) عنه : وفيات ، ١ من ٥٢٢ - ٥٢٤ ؛ الدباغ ، محالم الايمان فى طبقات

كما ظهرت للمذهب ملخصات ، مثل : « المختصر فى الفقه على مذهب الامام مالك (١) » ، لخليل بن اسحق (القرن ١٤/٧) .

ثالثا : مذهب الشافعى (٢) (١٥٠ - ٧٦٧/٢٠٤ - ٨٢٠) .
وهو صاحب مالك فى الحجاز ، وارتحل الى العراق ، وجمع بين الطريقتين الحجازية والعراقية ، اى بين ظاهر النص وطريقة الراى ؛ فتميز بمذهب خاص . ولقد اعتبر الشافعى بحق واضع علم اصول الفقه اى طريقه ؛ اذ كان الفقهاء قبله يجتهدون من غير ان تكون بين ايديهم حدود مرسومة . فجاء الشافعى فوضع الحدود والرسوم ، وضبط القواعد والموازين ؛ بحيث قال الرازى الفيلسوف عنه (٣) : « ان نسبة الشافعى الى علم الاصول كنسبة ارسطو الى علم المنطق » . فظهرت عنده وعند اتباعه صنوف فى علم الفقه (٤) ، منها : الاجتهاد فى البحث بقصد الحصول على حكم شرعى بالاستنباط من النص ، والقياس وهو النقد ، والاستحسان لوجهة نظر قوية ؛ والتقليد لما حدث ، والنظر او النقد بالتعمق ، وخاصة الاجماع اى اتفاق راى جملة من المجتهدين؛

=

فقهاء القيروان ، تونس ١٢٢٠ - ٥ ، ٢ ص ٤٩ وما بعدها ؛ انظر .

Ency. (art Sahnûn) t4, p. 66-67.

عن المدونة نفسها ، انظر طبعتها فى ١٦ جزأ ، مصر ١٢٢٢ - ١٣٢٤ .

(١) طبع Paris فى ١٨٥٥/١٢٧٢ ، وترجمه الى الفرنسية

Code Musulman. Constantine, 1878 Selgnette ، بعنوان :

الى الطليانية Guildi ، بعنوان :

il Mukhtaser. Hoepli. 2 Vols. Milano, 1919.

(٢) عنه : وفيات ، ٢ ص ٢١٤ - ٢١٨ ؛ ابو زهرة ، الشافعى ، القاهرة

١٩٤٨ ؛ انظر .

؛ Ency. (art al -Shâfi') t4, p. 261-263

Imâm, Esch-Schafi'î. 3 Vols. Gottingen, 1870. Wust

(٣) ابو زهرة فى كتابه : الشافعى ، ص ١٧٨ ؛ الرئيس ، النظريات السياسية

الاسلامية ، ط ٢ ، ص ٨٦ .

(٤) الجرجاني ، كتاب التعريفات ، انظر .

فكان الاجماع « Consensus » - فى رأى المستشرقين - (١)
 تشبه بصوت شعبى « Vox Populi » ، أو رأى حبر
 Liverum veto . ولدينا من الشافعى عدة كتب ، منها : كتاب
 « الام » جمع البلقينى (٢) (ت ١٤٠٣/٨٠٥) ، ورسالة (٣) نظمت
 فيها مسألة الرأى ، وكتاب : « الفقه الأكبر فى التوحيد » (٤) .
 كما لدينا شروح مثل : الوجيز للغزالي (٥) (ت ١١٢/٥٠٥) ،
 والاشباه والنظائر فى الفروع للسيوطى (٦) (ت ١٥٠٥/٩١١) .

رابعا : مذهب ابن حنبل (٧) (١٦٤ - ٧٨٠/٢٤١ - ٨٥٥) ،
 الذى ولد فى بلاد المشرق ، ووجد فى المذاهب السابقة لبسونة ،
 رأى أن يكون الفقه على حسب « ظاهر » النص ، وكره الجدل
 والنقاش . وقد تلاعب مذهب مع البيئات الحديثة فى الاسلام ؛
 فانتشر بين الأتراك ، ودخل فى مصر مع الماليك ، وفى أسية
 الصغرى مع العثمانيين . ولدينا من أحمد بن حنبل نفسه كتاب :
 « المند (٨) » جمع فيه من الأحاديث أربعين ألف حديث ، مرتبة
 بحسب الرواة ؛ بحيث اعتبر أول من استثن الرحلة فى مسجبل
 جمعها . كما لدينا عن مذهب شروح مثل : خصائص المغنى فى فقه
 الحنابلة للموفق (ت ١٢٢٣/٦٢٠) ، وشرحه الكبير لابن قدامة
 المقدسى (ت ١٢٨٣/٦٨٢) (٩) .

(١) انظر . Gardet

La Cité Musulmane. Vie Sociale et politique. Paris, 1954.

p. 122-4

. عن الاجماع خاصة ، انظر . مقالة .

Ency. (art Idjmā) t2, p. 475-6.

(٢) فى ٧ أجزاء القاهرة من ١٣٢١ - ١٩٠٣/١٣٢٥ - ٧ .

(٣) تحقيق القباني ، ط ٢ ، مصر ١٣١٢ هـ .

(٤) طبعة الأزيكية ، على نفقة أحمد محمد .

(٥) فى جزعين ، مصر ١٣١٧ هـ .

(٦) مكة ٣٣١ هـ .

(٧) عنه : وفيات ، ١ ص ٢٨ - ٢٩ : انظر . أبو زهرة ، ابن حنبل .

القاهرة ١٩٤٧ .

(٨) فى ١٠ أجزاء ، تحقيق محمد شاکر ، ط . دار المعارف ١٩٤٦-١٩٥١ .

(٩) فى ١٠ أجزاء ، ١٢٤٢ هـ وما بعدها .

واخيرا ، مذاهب الشيعة ، التى بلغ عددها حوالى ثلثمائة فرقة (١) ، اشتهرت منها : الامامية - الاثنا عشرية او الجعفرية - والاسماعيلية . ويرى معظمها ان الفقه من اختصاص الامام وحده (٢) ، ولقبوه بالمجتهد المطلق بسبب ما غذاه الله من العلم اللدنى او ما عرف ايضا بالتاويل ، اما غيره من الفقهاء فهو مجتهد مقيد (٣) . معنى هذا ان المذاهب الشيعية فى مجموعها لا تختلف عن المذاهب السنية التى تقول بالاجتهاد ؛ وان جعل النصيب الاكبر منه للامام . وقد انتشرت المذاهب الشيعية فى المناطق التى كان لها تراث سابق فى الأخذ بمبدأ الحق الالهى المقدس مثل ايران ، التى احتفتت - ولا تزال - مذهب الاثنا عشرية ؛ كما ان المذهب الاسماعيلى دخل مصر والشام والمغرب مع الفاطميين . ولدينا من كتبهم كتاب الفقه الاسماعيلى المشهور : دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام ، والقضايا والاحكام ، عن اهل بيت رسول الله وعليهم افضل السلام ، للفقير النعمان بن حيون (٤) (ت ٩٧٤/٣٦٣) ، الذى اشترك فى تأليفه الامام المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ - ٩٥٢/٣٦٥ - ٩٧٥) . كما لدينا من الفقه الامامى كتاب الكافى للكنى (٥) (ت ٩٣٨/٣٢٨) ، وكتاب النهاية فى الفقه للطوسى (محمد بن الحسن ت ١٠٦٧/٧٦٠) ، وكتاب شريعة الاسلام فى مسائل الحلال والحرام ، لنجم الدين الحقيق (٦) (ت ١٢٧٧/٦٧٦) ؛ وغيرها .

●
علم الكلام (٧) ، وهو يتناول العقائد الايمانية بالادلة

(١) الخطط ، ٤ ، ص ١٧٣ من ١٣ ، يقول ان المشهور منها عشرون فرقة .

(٢) تاج العقائد ، ص ٤٧ ؛ انظر . نظم الفاطميين ، ١ ، ص ١٣٨-١٣٩ .

(٣) انظر . Le Califat, p. 63. : Sanhoury .

(٤) انظر . تحقيق فيضى ، ط . القاهرة .

(٥) ط . طهران ، ١٢٨١ هـ .

(٦) عن هؤلاء ، انظر . Query .

Droit musulman. Recueil de lois Concernant les Musulmans Schyites. 2 Vols. Paris, 1871.

وهو ترجمة فرنسية لشرائع الفرق الامامية .

(٧) المقدمة ، ص ٣٠٣ وما بعدها ؛ الاشعرى ، الابانة عن اصول الديانة .

للعقلية . ولم يظهر هذا العلم بظهور الاسلام ، ولكنه ظهر لما انتشر الاسلام بين الشعوب المتحضرة . ولم يكن فى العهد الاسلامى الاول من يجسر من العرب المسلمين على الكلام فى العقائد ؛ ولكن الشعوب المتحضرة ، التى اسلمت عسلت على التكلم فيها ؛ لانها رأت ان العقل فوق النفس ، وآمنت بالتحرر من القيود بحكم تحضرها . كذلك قد يكون ظهور هذا العلم بسبب الهجوم على الاسلام ؛ حيث كثر النقاش حوله بين معتنقى الاديان الاخرى (١) ، فظهر للدفاع عن الاسلام ، والسرود على الاديان الاخرى . وهو بذلك قد سبق الاوربيين ، الذين استباحوا لانفسهم فى العصر الحديث فقط الكلام فى العقائد . يضاف الى ذلك ، ان علم الكلام سبق علم الفلسفة فى الاسلام (٢) ، الذى اشتق من فلسفة اليونان ، بل كان له اثره فى ان الفلسفة دارت فى فلك عقائد الاسلام . فظهور علم الكلام الاسلامى هو اكبر انقلاب فكرى فى تاريخ العقيدة بصفة عامة .

ولعل هذا العلم يسمى علم الكلام ؛ لان اهم مسألة وقع فيها الخلاف هى مسألة كلام الله - اى القرآن - او انها صفة لله او لذاته ، او لان موضوعه كلامى صرف ، او لان المتكلمين تكلموا حيث كان السلف يسكت عما تكلموا فيه ، او لانه اشبه بالمنطق فى طرق استدلاله . فكان هذا العلم يتناول مسائل عقيدية دقيقة ، مثل : التوحيد والاخرة وحقائق الصفات الالهية والقدر والخير والشر وحقيقة النبوة وخلق القرآن .

ط . حيدر آباد ١٣٢١ هـ / ١٩ ٣ / ١٩ ، ص ٢٢ وما بعدها ؛ لسان ، ١٥ ص ٤٢٧ و ط بعدها ؛

: Ency (art Kalâm) t2, p. 712-717.

Die philosophischen, : Horten.

Systeme der Spekulativen Theologen im Islam.

Bonn, 1912.

Islamstudien, Leipzig, 1924, p. 432-449. : Becker

Essai sur les Mo'tazélites. : Galland

Paris, s. d.

(١) انظر .

(٢) انظر .

وقد تكلمت فرق دينية كثيرة فى هذه المواضع ، ويكفى لنرجع الى كتب العقائد لنعرف اسماء هذه الفرق العديدة ، مثل : فرق الشيعة للنويختى (١) (٣ هـ / ٩ م) ، والفرق بين الفرق للبغدادى (٢) (ت ١٠٣٧/٤٢٩) ، والفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم (٣) (ت ١٠٦٤/٤٥٦) ، والملل والنحل للشهرستانى (٤) (ت ١١٥٣/٥٤٨) ، واعتقادات فرق المسلمين والمشرىكين لفخر الدين الرازى (٥) (ت ١٢٠٩/٦٠٦) .

فمن اشهر الفرق المتكلمة : فرق الشيعة ولا سيما الفاطمية ، التى تكلمت فى طبيعة الله ووصفوه بالعقل الأول ، وفى الوحي ، وفى الرجعة ، وغير ذلك ، وسموا مثل هذا الكلام علم الحقائق (٦) . لغوصه وراء المعرفة الدينية ، والمعتزلة التى نفت صفات الله وايدت خلق القرآن ، والمرجئة الذين تكلموا عن العذاب وهونوا منه ، والقدرية التى تقول بحرية الارادة ، والجهمية التى تقول بالجبر . وغير هذه الفرق فرق وطوائف دينية كثيرة تكلمت فى هذه المواضع وغيرها ، مثل : اخوان الصفا والصوفية والحنابلة .

اما اشهر المتكلمين من السنة ، فهم : التستري (ت ٢٨٣ / ٨٩٦) : المعارضات والرد على اهل الفرق (٧) ، والباقلانى (حوالى ٤٠٣ / ١٠٦٣) : اعجاز القرآن (٨) ، والرد على الملحدة

(١) صححه محمد صادق ، النجف ١٣٥٥/١٩٣٦ .

(٢) مصر ١٩١٠/١٣٢٨ .

(٣) فى ٥ اجزاء ، القاهرة ١٣١٧ هـ .

(٤) تحقيق Cureton ، ط London ، ١٨٤٦ .

(٥) تحقيق النشار ، القاهرة ١٣٥٦/١٩٣٨ .

(٦) الملل والنحل ، ص ١٤٢ .

(٧) هو مخطوط باستنبول ، انظر .

Ency. (art Sahl al — Tustarī) t4, p. 65

(٨) ط . القاهرة ١٣١٥ هـ . عن الباقلانى ، انظر . وفيات ، ٢ ص

٢٧٨ - ٢٧٩ !

Ency (art al - Bākillānī) t 1, p. 616.

والمعطلة والرافضة والمعتزلة (١) ، والأشعرى (ت ٩٣٥/٣٢٤) -
 امام المتكلمين (٢) - الابانة عن اصول الديانة (٣) ، ورسالة في
 امتحان الخوض في الكلام (٤) ، ومقالات الاسلاميين (٥) ،
 والغزالي (ت ١١١٢/٥٠٥) : فيصل التفرقة بين الاسلام
 والزندقة (٦) ، والمنقذ من الضلال (٧) ومشكاة الأنوار (٨) ،
 والنسفي (ابو المعين ت ١١١٤/٨٠٥) : بحر الكلام (٩) ،
 والتفتازاني (١٢) (ت ١٣٨٩/٧٩١) : شرح عقائد النسفي (نجم
 الدين ت ١١٤٢/٥٣٧ - ٣) .

أما أشهر المتكلمين من الشيعة ، فهم : المسجستاني
 (ت ٨٤٥/٢٣١) : اثبات النبوة (١١) ، وأبو حاتم الرازي
 (ت ٩٣٥/٣٢٣) : اعلام النبوة (١٢) ، والقاضي النعمان بن حيون
 (ت ٩٧٤/٣٦٣) : المجالس والمسايرات (١٣) . وحמיד الدين

(١) مخطوط في باريس ، برقم ٦٠٦٠ .

(٢) هذه : وفيات ، ١ ص ٥٨٦ - ٥٨٧ : انظر .

ency (art al - Ash'ari) t1 p. 487-488.

(٣) ط ، حيدر آباد ١٩٠٣/١٣٢١ .

(٤) ط ، حيدر آباد ١٣٢٣ هـ .

(٥) تحقيق Ritter ، استنبول ١٩٣٠ م .

(٦) القاهرة ١٩٠١/١٣١٩ .

(٧) دمشق ١٩٣٤/١٣٤٣ .

(٨) القاهرة ١٣٢٢ هـ .

(٩) ط ، مصر ١٩١١/١٣٢٩ . عنه ، انظر .

للقاهرة ، ١٣٢١ هـ . عن التفتازاني ، انظر .

Ency. (art al-Nasafi) t3., p. 905.

(١١) الكتاب نفسه ، نشره Cureton . أما كتاب التفتازاني ط ،

القاهرة ، ١٣٢١ هـ . عن التفتازاني ، انظر :

Ency. (art al-Taftāzānī) t4, p. 634 sqq.

(١٢) معظم كتبه توجد في مكاتب الشيعة الخاصة ، انظر . حسين

الهمداني ، الصليحيون ، ص ٢٥٣ هامش (١) .

(١٣) نشر أجزاء منه على يد Kraus في مجموعة :

Razina II. Orient. V

(١٣) ثلاثة مجلدات ، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة ، برقم ٢٦٠٦٠ .

ولها طبعة حالية من تونس .

الكرمانى (ت ٤١١ / ١٠٢٠) - شيخ علماء الشيعة - : راحة العقل (١) ، وناصر خسرو (حوالى ١٠٥٢/٤٤٤) : خـوان الاخوان (٢) ، والمؤيد فى الدين (ت ١٠٨٧/٤٧٠) : المجالس المؤيدية (٣) .

*

علم التصوف (٤) : ويعنى العكوف على العبادة ، والزهد فيما يقبل عليه الناس من متاع الدنيا ، وليس بمعنى الرهبنة ؛ والانقطاع عن الدنيا . وهى كلمة غير معروفة الأصل ؛ فهى اما مأخوذة من لباس الصوف الذى يتزيا به من يعكف على العبادة - لمخالفة من لبسوا الثياب الفاخرة - او من الصفاء وهو صفاء النفس ؛ او من الصف الاول من المؤمنين ، او من صفة مسجد النبى لانه حوى الفقراء ، وربما يكون اصلها هنديا ، حيث ان الأفكار البوذية فى اليوجا - وهى السيطرة على النفس - قد دخلت الاسلام . ويقابل الصوفى لفظة فقير ، او اخوان ، او حتى مجذوب اى وله باله ، او الكثرة الفارسية درويش اى فقير ، كما وجد اللفظ المغربى مرابط " Marabqur " ؛ اى ان يعيش عيشة العكوف والزهد فى الرباط .

والتصوف بهذا المعنى كان معروفا عند اتقياء المسلمين من الصحابة والتابعين ، وحض القرآن عليه لما فيه من تقرب لله واطمئنان للنفس (٥) . ولكن اقبال الناس على الدنيا فى القرن

(١) تحقيق محمد كامل حسين ومصطفى حلمى ، القاهرة ١٩٥٢ .

(٢) حققه يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٠ (ط . المعهد الفرنسى بالقاهرة) .

(٣) فى ١ جزء ، توجد فى مكاتب الشيعة الخاصة . الصليحيون ، ص ٢٦١ وما بعدها .

(٤) المقدمة ، ص ٣٧٠ وما بعدها ؛ وكتب التصوف ، انظر . بعده الكاشى ، مصطلحات الصوفية ، تحقيق Sprenger ؛ المخطوط ، ص ١٧١ وما بعدها ؛

Ency. (art Tasawwuf) t4, p. 717 : (art Madjdhub) t3, p. 99

(٥) القرآن : ٣ : ١٤ ؛

Essai sur les origines du , : Massignon

Mystique Musulmane. Paris, 1922.

؛ زكى مبارك ، التصوف الاسلامى ، القاهرة ١٩٣٨ .

الثاني الهجرى وما بعده ، جعل جماعة تحل مكان الصحابة والتابعين ، واصبحت لها طرق خاعة فى اخذها الحياة ، اطلق عليها التصوف ، ويقال لواحدهم متصوف أو صوفى . كذلك ما لبثت هذه الطرق ان تطورت الى علم مدون ؛ عمل اناس كثيرون على الكتابة فيه .

وقد كان اساس التصوف البعد عن العالم الدنيوى بما فيه من منكوحات ومطعومات ، والتحكم فى النفس ، حتى تموت الفرى الحمية . فقد كان الوجود فى رأيهم خيالا وسرابا ؛ والهدف من الحياة هو تطهير النفس ومحاولة السمو بها شيئا فشيئا ؛ حتى تتشبه بالعالم الالهى . فمنهم من لا يأكل الا ما يملك عليه رمقه ، ومنهم من يتزوجون او ان يتزوج فى الظاهر وهو ما عرف بالزواج المصوفى بان يطلق قبل الدخول ، او ان بعضهم ياتى بأفعال غريبة مثل حلق راسه ولحيته وحاجبيه ورموش عينيه ؛ حتى ينفر منه الناس ، ويتهيا له الابتعاد التام عن الماديات . وكان معظمهم يتبعون نظام المحاسبة على اعمالهم ؛ والغزالي يسمح باستخدام الجريدة ؛ بقصد المحاسبة وكتابة اعماله اليومية من حسنات وسيئات . كذلك كانوا عموما يلبسون الخرقة المعروفة بخسرة التصوف لانها من الصوف ؛ دلالة الزهد ، كما يضعون على رؤوسهم فوطة (عمامة) .

وقد كان سبيلهم الى ذلك فيما عبروا عنه « بالارتياض » ، او « الرياضة » او « المجاهدة » - أى اخذ النفس بشدة - ويكون ذلك على عدة مراحل « مقامات » ، اساسها صفات عالية من ثوبة وصبر وثوكل ورضاء ، وتزكية للنفس . كما ان بعضهم يرى ان الجنون بمعنى الحماس الفياض "Enthousiasmos" ، أو طغيان الشعور على العقل ، هو اقصى ما يصل اليه الصوفى الوله بالله . فكان ذلك بقصد الاتحاد بالله أو الحضرة الالهية (١) ، أو ايضا « الفناء » فى الله ، أو « البقاء » بالله ؛ بحيث لا يصبح هناك تمييز بين النفس والله ، وهو ما عبروا عنه بالوصول الى الحقيقة ، وهى صفات

الله ، أو الحق (١) ، وهو ذاته . وقد يؤدي بهم الوصول الى هذه الدرجة الى ما يعرف بالتجلى أو الكشف أو كشف المحجوب - أى تجلى الذات على نفسه - مما قد يؤدي بالتالى الى الكرامات أو الخوارق . وقد نعى المعتزلة على المتصوفة اتحاد المخلوق مع خالقه - الحلول - ؛ مما يوجد للخالق صفة « تشبيح » .

وقد ظهرت لآل جماعة متصوفة طريقتها - جمعها طرق - فى ايجاد الهيام الصوفى ؛ منها طائفة كان يصحبها التفكير فى حجرة مظلمة ، وطائفة ترى التصوف بالتعذيب بأن لا ينام افرادها الا نادرا ، وطائفة تقوم بانشاد الادوار والاحزاب وهى ادعية دينية ، تتخلل اغلبها عبارات ذكر الجلالة ، مثل : يا لطيف أو الله ، بالقلب أو باللسان ، وهو ما عرف بالذكر (٢) . وقد صاحبها التغنى بحب الله أو الموسيقى أو حركات للجسم مما يقضى بهم الى الرقص ، وهو ما عرف عندهم بالسماع . فبذلك دخلت الموسيقى العبادة الاسلامية ؛ كما هو الحال بالنسبة للمسيحية ؛ أما الرقص فكان عند قدماء المصريين ، أو حتى عند البدائيين . ولا ندرى متى ادخل الصوفية الرقص المقدس ؛ وان سمعنا عنه فى مصر زمن الفاطميين ؛ فقد كانوا يرقصون والمجاير بالالوية موضوعة بين ايديهم والشموع الكثيرة . وقد كان العوام من كثرة رقص الصوفية يظنون ان مذهب الصوفية يقتصر على الرقص ، ويعيبون عليهم ذلك ؛ حتى انه صدر فى أيام المماليك قرار يعارض رقصهم (٣) . كذلك كانت للصوفية سبحة أو سبحة (٤) ، وقد انتشرت بينهم قبل انتشارها بين عامة الناس ؛ قصد التمسح أو الدعوات .

(١) انظر . Ibid. (art Hakk) tI, P. 240; 2ed t3, P 84 - 85 .

(٢) القرآن ٢٣ : ٢١ ؛ الخطط ، ٤ من ٢٢٢ ، انظر ،
Ency. (art Dhikr) tI, P. 983 - 4 .

(٣) السخاوى ، القبر المنبوك ، بولاق ١٨٩٦ ، من ٢٢٠ . وذلك فى

سنة ١١٤٨/٨٥٢ .

(٤) انظر . الترمذى ، دعوات ، باب ١١٣ ، Gold; Le rosaire dans ,
L'Islam R. H. R. Vol XXI'295 suiv;
Ency. (art Subha) t4, P. 515 .

كذلك كان للتصوف الاسلامي شعرا يشهره ما ورد في شعر المتصوفة الايرانيين والترك . فقد كانت الغزليات والخمريات لعب المنظومات لشعراء الصوفية ، وهي تتناول احلام الصوفية من حب وخمر . فقد كان في رأيهم ان عشق الله هو العشق الحقيقي ؛ بينما ان اى شيء آخر هو عشق المجاز . فكانوا يعبرون عن ذلك بمختلف المعانى ؛ حتى عرفوا باهل المعانى . وهذا تطور للعلاقة بين الله والانسان ؛ فلم تعد الخشية هي حبه الله ، وانما حبه لذات الله ؛ بقصد الوصول الى الانسان الكامل (١) ، الذى يجمع في نفسه الله والكون . ويصحب هذه الغزليات والخمريات وصف الصوفية بانهم قوم متهاكون على الشهوات الحسية واللذات العملية (٢) . لكنها تم كاذبة تلقى دائما لرجال التقوى ؛ فان الالفاظ الغزلية والخمرية ما هي الا رموز للحب الالهى ؛ اذ كلامهم بالله ولله ومع الله . كذلك جاء الهجوم عليهم من المتزمتين مثل الحنابلة ، الذين كانوا ينعون عليهم التأمل اكثر من العبادة .

وقد كان للمتصوفة اماكن للعزلة وطمانينة البال تشبه الاديرة ؛ عرفت باسماء اشهرها : المصاطب في عهد الفاطميين ، والتكايا والخوانق - او الخوانك - في عهد الايوبيين والمماليك - وهما كلمتان فارسيتان بمعنى مكان العكوف - او حتى باسم الرباط والزوايا والصوامع . والفرق في اصل هذه التسميات هي على حسب المكان الذى توجد فيه ؛ فمثلا في المغرب غلب عليها اسم رباط ، ولا يوجد بها اسم خانقاه . وقد انتشرت اماكن الصوفية في كل مكان ابتداء من القرن الخامس الهجرى ؛ حتى انه كان في المغرب منها حوالى سبعمائة (٣) . وقد اصبحت لمثل هذه

(١) ابن العربي ، فصوص ، فصل (١) ؛ انظر .

Ency. (art al - Insân al - Kâmil) t2, p. 542-3.

(٢) عبد الله الحمينى ، النزاع بين الصوفية والفقهاء ، رسالة ماجستير

القاهرة ١٩٤١ .

(٣) المقدسى ، احسن التقاسيم (B.G.A. 1877) ، ص ٢٣٨ س ١٥ .

الاماكن نظام معمارى خاص (١) ؛ فهي تشتمل على الخلوات مفردتها خلوة ، ويوجد بها الجامع ، والمطبخ ، والحمام ، ومكان برسم ضيافة الواردين . وربما كان فى بعض الخوانق فساد ؛ اذ لدينا ذكر وجود حمام للنساء فيها (٢) . كذلك اصبحت لهذه الاماكن نظام متدرج خاص على حسب تقواهم ، على راسه شيخ يسمى : قطب أو شيخ الشيوخ أو شيخ السجادة دليل تقواه ، يأتى بعده المريدون والاخوان وغيرهم ؛ كما يوجد ايضا الخدم والقراء والجند . وقد كانت الدولتان الايوبية والمملوكية تهتمان بهذا النظام وتغدقان عليه ؛ فتصرف للمتصوفة فى كل يوم طعاما ولحما وخبزا وحلوى وكسوة وأردية ؛ وفى رمضان تبيض لهم القدور .

ومن الطرق الصوفية المشهورة (٣) ، نذكر : القادرية أو الجيلانية أو الكيلانية نسبة الى عبد القادر الجيلانى أو الكيلانى (٤) (ت ١١٦٦/٥٦٠) ، والكيلانية نسبة الى ابن ثابت المصرى (٥) (ت ١١٦٧/٥٦٢) ، الذى كان يعمل الكوز ، وقد انتشرت فرقته فى مصر ، والرفاعية نسبة الى أحمد الرفاعى (٦) (ت ١١٨٣/٥٧٨) ، والشاذلية نسبة الى على الشاذلى التونسى (٧)

(١) مثلا : الخطط ، ٤ ص ٢٨٥ ؛ السلوك ، ٢ ص ٢٦١ س ٩ - ١١

انظر . فرأى ، فى الثقافة الاسلامية ، جمع خلف الله ، ٣٥٦ وما بعدها .

(٢) الخطط ، ١ ص ٢٨٦ ص ٣ . كذلك كان لبعض الصوفية نساء . ابن

تغرى بردى ، مورد اللطافة ، ص ٧٦ .

(٣) انظر . Ency. (art Tarīka) t4 p. 700 — 705

(٤) الشطنوفى ، بهجة الاسرار ، القاهرة ١٣٠٤ هـ . انظر

Ency. (art Kādiriyā) t2, p. 647 sqq.

(٥) النجوم ، ٥ ص ٣٦٧ - ٨ (يقول سنة ٥٦٠ هـ) ؛ وفيات ، ٢ ص

٣٩١ ؛ انظر . كامل حسين ، بين التشيع وادب الصوفية بمصر ، فصله من مجلة

كلية الآداب ، الجزء الثانى ، المجلد ١٦ ، ديسمبر ١٩٥٤ ، ص ٥٣ وما بعدها .

(٦) أبو الهدى الرفاعى ، تلوير الابصار ، القاهرة ١٣٠٦ هـ ؛ انظر

Ency. (art al-Rifāʿī) t3. p. 1236 — 7 .

(٧) عنه ، انظر . Ency. (al - Shādhilī) t4, p. 256.

Ency. (art Shādhiliya) t4, p. 256 — 9.

(ت ١٢٥٣/٦٥١) ، والمولوية أو الجلالية أسماها الشاعر جلال الدين الرومي (١) (ت ١٢٧٣/٦٧٢) ، ويسميهم الأوربيون المتجولين أو الراقصين أو الدائرين ، والأحمدية نسبة إلى أحمد البدوي (٢) (ت ١٢٧٦/٦٧٥) ، والنقشبندية الذين ينتسبون إلى بهاء الدين نقشبند (٣) (ت ٧٩١ / ١٣٨٩) ؛ أو لأنهم كانوا يضعون النقش في جسمهم ، أو من النقش الأبدى ؛ وغير هؤلاء كثيرون

ولدينا أعداد كبيرة من أسماء المتصوفة ، حتى أن أحد المؤلفين المتقدمين جمع أسماءهم إلى وقته في عشر مجلدات (٤) . ومع ذلك نذكر منهم أشهرهم من أصحاب الأسماء الالامعة مثل : الحسن البصري (٥) (ت ١١٠ / ٧٢٨) ، ورابعة العدوية (٦) (ت ٨٠١/١٨٥) ، وأبو يزيد البسطامي (٧) (ت ٨٧٤/٢٦١) ،

(١) جلال الدين الدين الرومي ، مناقب العارفين ، ترجمة Huart

بحلوان :

; Les Saints Derviches Tourneurs, Paris, 1918 — 22

Ency. (art Mawlawly) t3, p. 479-481 ; (art Galāl al-Din)

t1, p. 1033 — 4.

(٢) الخفاجي النفحات الاحمدية والجواهر الصمدانية ، القاهرة ١٣٢١ هـ

انظر .

Ency. (art Ahmed al-Badawi) t1. p. 196 — 9.

(٣) عبد الماجد الخاني ، الحقائق الوردية في حقائق أجلاء القشبندي

القاهرة ١٣٠٦ هـ ؛ انظر .

Ency. (art Nakshband) t3, p. 899 — 900.

(٤) أبو نعيم الاصبهاني (ت ٤٣٠ / ١٠٣٨) ، كتاب حلية الاولياء .

وطبقات الاصفياء ، تحقيق مصر ١٣٥١ / ١٩٣٢ وما بعدها .

(٥) وفيات ، ١ ص ٢٢٧ — ٢٢٩ ؛

Ency. (art al-Hasan) t2, p. 290.

(٦) نفسه ، ١ ص ٣٢٣ — ٣٢٥ ؛ انظر .

Ibid (art Rābi'a) t3. p. 1163 — 7.

(٧) الرسالة القشيرية ، ط . مصر ١٣١٥ ، ص ١٤٠ .

والحلاج (١) (ت ٩٢٢/٣٠٩) ، وابن الفسارضى المصرى (٢)
(ت ١٢٣٥/٦٣٢) ، وابن العربى (٣) (١٢٤٠/٦٨٣) ، وجمال
الدين الرومى (٤) (ت ١٢٧٣/٦٧٢) ، وغيرهم .

كذلك عمل اناس كثيرون على الكتابة فى علم التصوف ،
واخذ بيده شخصيات اسلامية كبرى ؛ ليس فقط من بين المتصوفة ،
وانما ايضا علماء من كل لون ، ولا سيما من علماء الكلام والفلسفة ،
الذين كانوا يرون ان التصوف مذهب عقلى (٥) . فنذكر منهم :
الحلاج (ت ٩٢٢/٣٠٩) : كتاب الطواسين (٦) ، والطوسى (ت ٣٧٨/
٩٨٨) : اللمع فى التصوف (٧) ، والهجويزى (ت ١٠٧٢/٤٦٥) : كشف
المحجوب (٨) ، والقشيري (ت ١٠٧٢/٤٦٥) : الرسالة القشيرية
فى علم التصوف (٩) ، والغزالى (ت ١١٢/٥٠٥) : المنقذ

(١) وفيات ، ١ ص ٢٦١ - ٢٧١ ؛ انظر .

Ibid, (art al-Hallâdj) t2, 254-255.

(٢) له ديوان ، ط . مصر ١٢٨٩ هـ . عنه ، انظر . وفيات ، ٢

ص ٩٩ - ١٠٠ ؛

Ency (art 'Omar B 'Ali) t3, p. 1047 — 8.

(٣) له ديوان باسم : ترجمان الاشواق ، تحقيق وترجمة Nicholson

ط . London ، ١٩١١ ، وله طبعة بولاق ١٢٧١ هـ ، وبومباى ١٩٨٠ .

عن ابن العربى ، انظر .

Ency. (art Ibn al-'Arabî) t4, p. 383 — 4.

(٤) انظر . قبله .

(٥) مثلا ، انظر : عبد الحليم ، التصوف عند ابن سينا ، القاهرة .

انظر : تاريخ الشعرانى ، ذيل لواقع الانوار القدسية فى طبقات العلماء الصوفية ،

مخطوطة بدار الكتب برقم ٤٩٣ (تاريخ) .

(٦) تحقيق Massignon ، ط . Paris ، ١٩١٣ .

(٧) تحقيق وترجمة Nicholson ، ط . Leiden ، ١٩١٤ ؛

رحققة عبد الحليم وطه عبد الباقي ، القاهرة .

(٨) هو نص فارسى ، تحقيق ، Shukovcki ، ١٩٢٦ ، وترجمة

Nicholson ، ١٩١١ .

(٩) ط . القاهرة ١٣١٥ هـ .

Al-Kuschairî Darstellung, : Hartmann

انظر .

des Sôfîmtus. Berlin, 1914.

من الضلال (١) ، والمهروردي (ت ١٢٣٤/٦٣٢ - ٥) : عوارف المعارف (٢) ، وابن العربي (ت ١٢٤٠/٦٣٨) : فصوص الحكم (٣) ، وغيرهم .

علم الأدب ، وهو أيضا من العلوم الثقيلة ؛ لأن العرب عرفوه قبل الاسلام ، واعتبر من العلوم المباحة لاستيحائه من القرآن . ولا نستطيع أن نتبع بداية الأدب العربي ، حيث أنه أقدم من النصوص التي وصلتنا ، بينما من الممكن تتبع بداية آداب أخرى كاللاتينية والفارسية . ومع أن المسلمين أخذوا من اليونان علوما كثيرة ؛ إلا أنهم لم يأخذوا شيئا هاما من أدبهم ، على الرغم من روعة الأدب اليوناني ؛ كما أن الأدب العربي لم يتأثر بالطابع اليوناني ؛ وإن اطلعوا على بعض الكتب الأدبية اليونانية مثل كتاب الشعر لأرسطو وسموه بوطيقا (٤) ، وإن الإلياذة والأوديسا - ملحمتي اليونان المعروفتين - قد ترجمتا إلى العربية منذ وقت مبكر (٤) . وعلى العكس ؛ فإن الأدب العربي كان له اثره في الآداب الأوروبية ، التي تفرعت من الأدبين اليوناني واللاتيني . ولا ريب ؛ فإن الأدب يعبر عن روح الأمة ؛ فالأدب العربي هو كذلك من صميم الروح العربية والإسلامية .

- (١) تحقيق عبد الحليم مصود ، القاهرة ١٩٥٢ .
 (٢) هو نص فارسي ، ترجمة انجليزية من Keahani ، ط London ، ١٨٩١ . عن السهروردي ، انظر . وفيات ، ١ ص ٥٣٥ ؛ ويونج . مطبوعا على هامش أسماء للغزالي ، القاهرة ١٣٠٦ هـ .
 (٣) نشره وعلق عليه أبو العلا عفيفي ، القاهرة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ . ولاهمية هذا النص له شرح من عبد الغني النابلسي بعنوان : شرح جواهر النصوص في حل كلمات النصوص ، مطبعة الزمان ١٣٠٤ هـ .
 (٤) ترجمة أبو بشر متى (٦٤٠/٣٢٨) ، حققه Margoliouth بل لدينا عنه شروحا من كبار المسلمين ، مثل شرح ابن رشد . انظر . Lasinio : 11 commento medio di Averroes alla Poetica di Aristotele, 1872.

انظر أيضا : المقدمة ، ص ٤٨٢ . يذكر شعراء اليونان بمن فيهم هو ميروس

(٥) ترجمتا في عهد المهدي العباسي ، انظر .

Islamic Culture, p. 11. : Fyze .

وأصل كلمة أدب محبولة ؛ فضلا عن تطورها خلال العصر الاسلامى : بسبب ان العرب غيرت حياتها باتصالها بالبلاد المفتوحة التى كانت لها آداب سابقة ، وبانتشار الاسلام بين أهالى هذه البلاد . فكان لكلمة ادب فى أول عهد الاسلام معنى دينى يدل على السنة ، ثم أصبح يدل على الأسلوب فى أى عمل ، ثم على الثقافة العامة والأخذ من كل علم بطرف ؛ وإن كان آخر الأمر اقتصر - بصفة عامة - على الاجادة فى فنى النظم والنثر (١) .



فعن النظم ، ونقصد به الكلام الموزون على روى واحد ، أى الحرف الأخير من القافية ، وهو الشعر (٢) . وكلمة شعر مأخوذة من شعر (٣) ، بمعنى علم أو عرف ، أو شعر بما لا يشعر به غيره . ولقد قدم الشعر عند العرب ، اعتبر من أعظم معارفهم . ومنذ زمن بعيد تطور عندهم ؛ ذلك لأن اللغة العربية كانت مستعدة لمثل هذا التطور ؛ بما فيها من المتوارد والمترادف . وربما يكون الشعر العربى بدا بالأمثال ، ثم جعل المثل شطرين . وعلى العموم الشعر الذى وصلنا من الجاهلية له قواعده المشدودة والموزونة ، ونظمه العرب بأنواعه المختلفة ، التى سميت فيما بعد : بالرجز والهز والقريض والمقبوض والمبسوط (٤) . وكان العرب فى الجاهلية يعقدون لشعرائهم الاسواق فى مواعيد محددة يجتمع فيها الفحول لالقاء قصائدهم ، ومن ينبغ منهم تعلق قصيدته بأركان الكعبة (٥) ، وتسمى معلقة . وقد عرفنا أسماء أخرى لقصائد فى الجاهلية غير المعلقة مثل : الجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمحجمات ؛ وإن كنا لا نستطيع أن نحدد سبب هذه التسميات .

(١) المقدمة ، ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٢) نفسه ، ص ٤٧ وما بعدها ؛ الزينة ، ١ ص ٣٠ وما بعدها .

(٣) لسان ، ٦ ص ٧٧ وما بعدها ؛ انظر . جرجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ط ٢ ، ١٦ ص ٥١ - ٥٢ . تطورت هذه الكلمة فى معناها ، فهى تعنى الكلام المقفى .

(٤) ابن هشام ، سيرة ، تحقيق Wust ، ١ ص ١٧١ .

(٥) المقدمة ، ص ٤٨١ .

وكان الشاعر الجاهلي يستفتح قصيدته عادة باللوعة والبكاء على دار الأحبة واطلالها ورسومها شوقا إلى السكان . وإن لم يكن الشعر الجنسى من سمات الشعر العربي ؛ بل كان الشعر العربي على العكس مدرسة عالية تحوى مشاعر نبيلة . فلم يقف شعراء الجاهلية عند جمال المرأة الجسدى ، وإنما فطنوا أيضا إلى جمالها المعنوى وما تتحلى به من شيم وخصال كريمة . وبعد ذلك ينتقل الشاعر إلى الكلام عن جمال الطبيعة ؛ فيذكر الأبار والمراعى والنار التى مر بها ، وهو الذى عرف من جمال باديته ، وحركت حيواناتها خياله ؛ بحيث كان بعضهم يعيب على العرب سكنى الحضر . ومع ذلك ؛ فقد خص الشاعر الجاهلي ناقته بالوصف المسهب ، حتى شبهها بالقصر ، وقوائمه بالأعمدة ، أو بالمفينة ، ويديها بيدي السابح . وأخير يعرض الشاعر إلى موضوع قصيدته حسب مزاج شاعريته ؛ وإن كانت موضوعاته محددة تعبر عن بيئته ، وتدور على تمجيد حياة القبائل ومعاركها وكرائم أخلاقها .

ويختلف المؤرخون فى عدد موضوعات الشعر العربى القديم ؛ فبعضهم يقسمها إلى تسعة أو ستة أبواب ، منها : الفخر والمديح والإهزاء والمرأى والوصف والنسيب والتشبيب . ونحن لا نستطيع أن نرتب موضوعات الشعر الجاهلى ترتيبا تاريخيا ؛ كما أن ظهورها قد يعلل بأساس دينى ؛ إذ يربط القرآن بين الشعر والمحر . وعلى كل حال إبرز موضوعات الشعر فى الجاهلية هى : المفاخرة ، التى يقال لها أيضا المفاخرة والمخاجلة ، ويقصد بها المباهاة والتمدح بالعصبية من نسب وحسب - أى خلال الأبناء - التى تبين طبيعة العرب . وقد كانت المفاخرات تقع بحضور حكيمين فى الغالب أو طرف محترم ، ويقال لمثل هذه الايام يوم المفاخرة ويوم الفخار . وفى الكتب العربية امثلة كثيرة من المفاخرات التى وقعت فى الجاهلية بين شعراء القبائل ، وهى بالذات كانت تؤدى إلى وقوع حروب وسفك دماء ؛ بحيث أن الاسلام كان قد حاربها بما نص عليه فى قوله : (والله لا يحب كل مختال فخور

ومن اهم الشعراء العرب الجاهلين : مهلهل ، وامروء القيس
ابن حجر ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن ابي مسلمي ، وعنترة بن
شداد ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة بن عبدة ، وعامر بن الطفيل ،
والاعشى ، وابيد بن ربيعة ، وامية بن ابي الصلت ؛ كما عرفنا
ايضا شاعرات ، مثل هند ، والخنساء .

ولكن مجيء الاسلام اوقف نهضة الشعر ، ذلك لان هدف الشعر
قبل الاسلام كان هو القبيلة كما ذكرنا ، وبخاصة تقاليدھا من
عصبية ، وهى التى جرت الى تفرقة العرب والحرب فيما بينهم .
ولما كان الاسلام جاء ليوحّد العرب ويقضى على تقاليدھم الشاذة
كالعصبية ، لم يجد الشعر مع الاسلام نهضة فى اول الامر ، وخصوصا
ان القرآن اتهم الشعراء بانھم يستوحون قصائدهم من الجن اعداء
الله ، فنزلت آيات قرآنية بتهجين الشعر وتكذيبه منها : (وما علمناه
الشعر وما ينبغى له ٣٦ : ٦٦) ؛ (والشعراء يتبعهم الغاؤون ،
الم تر انھم فى كل واد يھيمون ؛ وانھم يقولون مالا يفعلون ٢٦ :
٢٢٤) ؛ كما ان النبى كان يقول : « لست بشاعر » . ومع ذلك ؛
فان تفسير هذه العبارات الدينية الاسلامية المعادية للشعر والشعراء ؛
قد لا تعنى الا الشعراء المشركين وحدهم ؛ ولا سيما ان العرب
كانوا يعتبرون الشعراء بمنزلة الانبياء فى الامم (١) ؛ كما لم يصل
اليينا ان النبى منع الشعر ، وعلى النقيض وصلنا قوله : « ان
من الشعر لحكمة (٢) » ، وان الشعر « ديوان العرب (٣) » ، اى
سجلھم . ومع هذا ؛ فانه من الغريب ان الشعر فى ايام الاسلام
الاولى لم يتاثر بالدين - كما كان ينتظر - وانما معظم القصائد التى
وصلتنا كانت فى مدح الرسول فقط . كذلك لا نعرف من شعراء
عصر الاسلام الاول الا عددا قليلا ، معظمهم من المخضرمين اى

(١) الرازى ، الزينة ، ١ ص ٤٢ ، ٤٣ - ٤٤ .

(٢) نفسه ، ص ٤٨ ؛ ابن رشيق ، العمدة ، حققه عبد الحميد ، القاهرة

١٩٥٣/١٩٥٤ ، ص ١٣ .

(٣) المقدمة ، ص ٤٨١ ؛ القرشى ، كتاب جمهرة اشعار العرب ، بولاق

١٣٠٨ هـ ، ص ١٧ من ٢٥ .

الذين عاصروا الجاهلية والاسلام ، مثل : عثمان بن ثابت ، وكعب
ابن مالك ، وكعب بن زهير ، وعبد الله بن ربيعة ، والجاهلية .

ولكن فى النصف الاول من العصر الاول للهجرى حدث تطور فى
المجتمع الاسلامى الجديد لرجع دولة الشعر فى مكة والمدينة ،
مهدى الاسلام ؛ لان هاتين المدينتين قد اعتلتا بسبب الفتوح وما جلبته
من الغنائم والثروة ، وبسبب كثرة الزوار للجهاج ؛ مما اوجدت
فيهما جيلا جديدا يرمى الى التمتع بالثروة ، وخصوصا ان الحروب
اصبحت مشغلة اهل مدن الامصار فى العراق والشام ؛ ثم لان
للعلوم لم تكن معروفة فى ذلك العهد . وقد ساعد للتفتح بالحياة
فى هاتين المدينتين رجوع دولة الشعر ؛ وان ظهرت فى شكل جديد
يلئم المجتمع الجديد ؛ فاصبح من اهم مقامه الغزل فى النساء ؛
بحيث ان الغزل بعد ان كان فى الجاهلية يشغل جزءا صغيرا من
القصيد ، خصصت له القصائد الطوال ، وهو ما اصطلى على تسميته
بالغزل العذرى ، ويطلق عليه ايضا التشبيب او التسبيب لى الغزل ،
وهو الغزل العف . ووجدنا من الشعراء فى ذلك الوقت ، من
برح به العشق الى درجة الموت به ؛ كما ظهر عند هؤلاء الشعراء
مرض عرف بلوثة العشق (١) ؛ ولدينا كتاب اسمه : مصارع
العشاق يتناول مصارعهم (٢) . ومن اشهر شعراء النسيب هؤلاء :
عمر بن ابي ربيعة المخزومي ، وكثير عزة ، وجندب بنية ،
وقيس بن الملوخ (٣) ، الذى عرف بالجنون ؛ لانه فقد عقله بسبب
العشق .

كذلك حدثت نهضة جديدة للشعر نتيجة لانتقال الخلافة من
الحجاز الى الشام على يد معاوية بن ابي سفيان ؛ ولا سيما ان
الخلفاء لامويين تولوا الخلافة بحد السيف ، ولم يعتمدوا فى توليتهم

(١) الاغانى ، ١٤ من ١٦٨ من ٤ .

(٢) احمد بن المراج ، كتاب مصارع العشاق ، تحقيق نجاشى ومشالى

القاهرة ١٩٥٦ .

(٣) الاغانى ، ١ من ١٦٧ وما بعدها ؛ انظر .

Endy. (art Madjoun) t3, p. 99 — 100.

على انهم من الصحابة مثل الراشدين قبلهم ؛ لذلك شجعوا الشعراء ليدافعوا عن حقهم فى الخلافة ، التى جعلوها وراثية فى امرتهم ؛ بحيث نما ضرب من الشعر السياسى . فمن قول معاوية : اجعلوا الشعر اكبر همكم ، واكثر آدابكم (١) . وساعد ايضا على نهضة الشعر فى عهد الامويين انتقال الحجازيين الى الشام نتيجة لحركة الفتوح ؛ فعادت مقاصد الشعر العربى القديمة . ومن اشهر شعراء العصر الاموى هؤلاء : الاخطل ، وجريز ، والفردق ، وذو البرمة ، وابن قيس الرقيات ، وليلى الاخيلية .

ولكن دولة الشعر العربى مرعان ما تغير طابعها بمقووط الخلافة الاموية ، التى اقتصرت فى حكمها على العنصر العربى ، ومجىء الخلافة العباسية ، التى اعتمدت على شعوب غير عربية ؛ فارسية ثم تركية ؛ ولذلك سميت هذه الخلافة اعجمية ، بينما الاموية سميت عربية (٢) . فترتب على ذلك تطور فى الشعر ومقاصده ؛ ليتلائم مع الشعوب المسلمة ، التى كانت ازدادت معرفتها بسبب حركة النقل والترجمة . كذلك اخذ علماء مسلمون فى دراسة الشعر - وهو ما لم يحدث قبلا - فوضع الخليل بن احمد (٣) (ت ١٧٠ / ٧٨٦) ، قواعد للشعر ، تعطى له موازين محددة تعرف بالبحر ، حصرها فى خمسة عشر بحرا ، وان زاد عليها الاخفش الاوسط (ت ٢١٥ او ٢٢١ / ٨٣٠ او ٨٣٦) بحرا واحدا (٤) ، وهو ما عرف ايضا بعلم العروض . وهذا لا يعنى أن الاوزان لم تكن موجودة من قبل ؛ وانما امثال الخليلوالاخفش حددوها ؛ وان كانوا ايضا ربما زادوا فيها . وفوق ذلك جمع الشعر ودون ، بعد ان كان يروى فقط ؛ فقد كانت العادة ان يصحب الشاعر راوية ؛ وان

(١) انظر . جرجى زيدان ، التمدن ، ٣ ص ١٠٣ .

Lévi-Prov

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، تحقيق

Colin ، ط . Leiden . ١٩٤٨ - ١٩٥١ ، ٢ ص ٦٤ م ٤ .

(٣) الزينة ، ص ٢٧ ؛ المقدمة ، ص ٤٧٣ . عنه ، انظر . وفيات ، ١

ص ٣٠٧ - ٣١٠ .

(٤) عنه ، انظر . نفسه ، ١ ص ٣٧١ .

كان كل راوية قد لا يكون شاعراً (١) . وينسب لحمد الراوية (٢) (ت ٧٧٢/١٥٥) ، أنه أهم ناقل للشعر ، وقد عاصر آخر الخلفاء الامويين . وقد ظهرت افراض الشعر لم يكن يخاض فيها من قبل الا عفواً ، مثل : الخمر ومجالس الانس والزندقة والتصوف ؛ دلالة على التحرر الفكرى . ومن اشهر شعراء العصر العباسى هؤلاء : بشار ، وابو الغيثية . وابو نواس ، والبحتري ، والمنتبى ، والمعري . فمثلا ابو نواس - وهو شاعر هرون الرشيد - كان فى شعره يمتخف بكل شيء « الا ابالية » ، ويمجد الحياة والنساء والخمر ؛ اما المعري فانه تكلم فى لزومياته عن الحياة والموت بشكل لم يسبق من قبل .

فكان نمو القوميات بمجىء الخلافة العباسية سببا فى ظهور شعر اخذ طابعا محليا (٣) . ففى فارس ظهر شعر باللغة الفارسية ، وهى التى أصبحت لغة حضارية اسلامية تنافس العربية ؛ وان كان لكل منهما فى الاخرى يشبه اثر اللاتينية على الفرنسية . ونلاحظ ان الفرس - على حسب ملاحظة العرب - لم يكن لهم شعر قبل ذلك ، وانما كلام بين الشعر والنثر ، ودليلهم على ذلك ان الشاعر لا يوجد له اسم فى الفارسية . وقد امتاز الشعر الفارسى الاسلامى بالقصائد الطويلة ، التى لم يعرف لها مثل من قبل فى الشعر العربى ، وتشبه ملاحم الشعر اليونانى القديم ؛ فتعرض لحياة القروس وتاريخهم قبل الاسلام ، كما تتناول احلام الصوفية وغزلياتهم . ولقد اصطنعوا لهذا الشعر بحورا جديدة لم تعرف قبلا فى الشعر العربى ، كالمجتث والمضارع والمقتضب ، ولا سيما المنفوى (٤) ، الذى هو نسبة الى كلمة مثنى ، وشرطه ان يكون الشطران من روى واحد ، لا يلتزم فى بقية المنظوم . فنظم

(١) الاغانى ، ٧ ص ٧٨ .

(٢) زبائنا ، ١ ص ٢٩٢ - ٢٩٤ ؛ Ency. t2, p. 267.

(٣) الزينة ، ١ ص ٦٩ وما بعدها .

(٤) عنه ، انظر . Ency. (art Mathnawi) t3, p. 465 - 6 . وسمى

المزدوج ايضا . ولعله عربى الاصل ؛ فقد اشتهرت من قبل مزدوجة أبى العتاهية . انظر - اسعاد ، فنون الشعر الفارسى ، ط ١ ، ١٩٧٥ .

شعراء الفرس المسلمون في هذه المثنويات شعرهم القصصى وملاحظهم المطولة وشعرهم الصوفى ؛ ذلك لان هذا النوع من المنظومات كان اطلع ما يكون للشاعر ، واعون له على امتداد النفس . وكان مما يلتزم به الشاعر الفارسى المسلم ان يذكر اسمه الشعرى في البيت الاخير ، وهو ما عرف بالـ *Nom de plume* . فنذكر من شعراء المثنويات المشهورين : الفردوسى (ت ٤١١ او ٤١٦/١٠٢١ او ١٠٢٥) ، والخيام (ت ١١٣٢/٥٢٧) ، ونظامى (ت ١١٨١/٥٧٦) ، والعطاس (١٢٣٠/٦٢٧) ، والرومى (١٢٧٣/٦٧٢) .

ولعل اشهرهم هو الفردوسى ، الذى نظم ما يعرف بالشاهنامه (١) ، اى كتاب الملوك ، الذى يبدو انه اعتمد فيه على كتاب قديم فى سير ملوك الفرس اسمه : خدائى نامه ؛ كان ابن المقفع قد ترجمه الى العربية ، بعد ان كان قد جمع نثرا فى لغته الاصلية الفهلوية ، كما اطلع على غيره . فتعرض الشعراء لنظم هذه المسيرة ؛ بحيث جمع الفردوسى فى الشاهنامه اكثر من عشرين ومائة الف من المثنوى المنظوم ، اى اكثر مما قيل فى الاللياذة والاوذيسة مجتمعتين (٢) . فكانت الشاهنامه تشتمل على امجاد اربع دول فارسية قديمة ، اثنتان خرافيتان مأخوذتان من الاساطير الواردة فى الافستا - كتاب الفرس المقدس ، او ما يسميه العرب الابستاق - . والاثنتان الاخرتان هما عن البارثيين والساسانيين من دول الفرس قبل الاسلام - فعلى عكس الملاحم المعروفة لا تدور الشاهنامه على بطل واحد او أسرة واحدة - كما هو الحال فى الملاحم اليونانية - . وانما تتناول بالاولى تاريخ امة الفرس حتى العصر الاسلامى ؛ مما يجعلها لا نظير لها عند امة اخرى . وقد ترجمت

(١) نشر Mohl ، ط . Paris ، ١٨٣٠ - ١٨٧٨ ، ونشر Macdonald : ط . ككتا ، ١٨٢٩ . عن الفردوسى ؛ انظر .

Ency. (art Firdaws) t2, p. 116 - 7.

(٢) عن هذا القول ، انظر : Risler : La civil. arabe, p. 90.

شاعريته المعروفة نقرأ منذ زمن مبكر على يد أبي الفتح البغدادي (٢) (حوالي ١٢٢٣/٦٢٠) ، وقد أصبحت مصدر الهام الكثير من شعراء الفرس المتأخرين .

ونجد للمشعر في الاندلس وفي بلاد إسلامية أخرى ، هو الآخر قد أخذ شكلا خاصا . فقد ظهر في الاندلس ما أطلق عليه فن الموشح (٣) ، ومن يقول به يسمى وشاح ، وقصيدته تسمى بالموشحة جمعها موشحات . وتتألف الموشحة من نحو ستة أبيات تضم كل منها ثلاثة أبيات متفقة القوافي ، وتسمى الأسماط أو الأقفال ، وقوافي كل بيت تخالف قوافي البيت الآخر وتسمى للأقصان : فهي بذلك ليس لها وزن واحد يلتزم به ، ولكن يصح التصرف في حدود . ويطلق ابن خلدون أسماء (٤) أخرى على فن الموشح ظهرت في المغرب وغيرها ، بعضها لا يخرج فيه عن الأعراب ، وبعضه لا يلتزم الأعراب . كذلك ظهر في الاندلس والمغرب وغيرها الزجل أو الشعر الزجلي (٥) ، ويكون بلغة حارجة ، وذلك بتكرار القافية ، دون الالتزام بالأعراب ، وهذا يتناسب مع حالة المسلمين الجديدة ، وربما يكون ظهوره لضرورته في الغناء . كذلك ظهر في المشرق وبخاصة في مصر الموالي - جمعها الماويل ، وايضا المواليات بتسمية ابن خلدون - ليعنى

(١) اكمل هذه الترجمة في مواضع وصححها عبد الزهراء هزام ، ط ١ في جزمين ، القاهرة ١٩٣٢/١٣٥٠ . ولها ترجمات أوربية كثيرة منها : الترجمة الفرنسية من Mohl بعنوان :
Le livre des rois. 7 Vols. Paris, 1876 — 8.

(٢) المقدمة ، ص ٤٩١ وما بعدها : انظر .
Ency. (art Muwashshah) t3, p. 849 — 851.

اول من قاله ابن خفاف من الاندلس (٨٣ / ٨٩٠ م) .
(٣) المقدمة ، ص ٥٠٢ - ٥٠٥ . منها عولرض البسند والمزودج والكاري والملمبة .

(٤) نفسه ، ص ٤٩٧ . أشهر من قال فيه ابن قزمان امام الزجاليين ، وهو حرطيس الدار . المغرب في حلى المغرب ، ١ ص ١٦٧ .

هو الآخر اغنية ، وهو شعر مبسط ، كان يختم بكلمة
« وأمواليه » (١) .

والواقع ان نمو القوميات وانقسام وحدة المسلمين ، لم تقلل
من قيمة الشعراء ودورهم فى المجتمع العربى . ونجد انه بعد
ان كان الشعراء يعيشون على الهبات فقط ، اصبحوا موظفين
يتناولون مرتبات ثابتة . ففي الدولة الفاطمية مثلا كان الشعراء
يكونون طبقة متميزة فى قصر الخليفة الفاطمى (٢) . كذلك
كان لهم فى الدولة العباسية زى خاص ، يجعله الجاحظ نمسجا
مطرزا بالحريير وعباءة سوداء او اى رداء آخر يلفت النظر (٣) ،
كما ان بعضهم كان يتلقب بأسماء الطيور . كذلك كان لهم يوم
خاص من كل اسبوع يدخلون فيه على الخلفاء . وكان من
التقليد السائد انه يجب على الامير ان يمنح العطايا والهبات للشعراء .
ومع ان الشعراء كانوا فى الجاهلية بمنزلة الانبياء فى الامم كما
ذكرنا ؛ الا انه بسبب استعمال الملق ؛ قلت قيمتهم ، واستهان بهم
الناس (٤) .



اما عن النثر ، فهو الكلام غير الموزون ، واعتبر ايضا من
علوم العرب قبل الاسلام . وقد جاء الاسلام بأول كتاب معجز
هو القرآن ، فيه خصائص نثرية ؛ مما مهد لنهضة النثر عند
العرب .

ونحن نعرف ان العرب كانت عندهم ملكة الخطابة ، وهى
غير ملكة الشعر . وقد بقيت الخطبة اسلامية ، وجمعت فى شكل

(١) المقدمة ، ص ٥٠٥ - ٥٠٦ ؛ انظر .

Ency. (art Mawwāl) ١2, p. 476 — 7.

(٢) صبح ، ٣ ص ٢٩٧ ؛ عمارة « ديوان » ، Derenbourg ، تحقيق ،

ص ٨٦ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ، ٣ ص ٢٦ .

(٣) البيان والتبيين ، القاهرة ، ١٣٣٢ ، ٣ ص ٦٠ .

(٤) انظر ملاحظة ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٨٢ .

خطب الخلفاء وكبار القوم والقواد ، وبخاصة خطباء الجوامع ،
لذين أشهرهم على الاطلاق ابن نباتة (١) (ت ٩٨٤/٣٧٤) ،

ومع ذلك ؛ فان النثر كعلم - وهو ما عبر عنه بالنثر الفنى -
لم يظهر الا بعد تعريب الدواوين فى عهد الأمويين ، حيث ارتبط
لرابطا شديدا بديوان الانشاء وكتابة الرسائل ، واعتبرت هذه
الاخيرة ذات اهمية كبرى كالدواوين بالنسبة للمؤرخين ، وان كتابتها
قد وجدت منذ زمن النبى (٢) . ومع ذلك ، فان نهضة النثر
تحدثت بظهور كاتب معين من كتاب ديوان الانشاء هو عبد الحميد
الكاتب (٣) (ت ٧٤٩/١٣٢) ، فى اواخر عهد الأمويين ، الذى
وضع اسس الكتابة الفنية ، وترك مجموعة منها ، وبلغ الاعجاب
به حدا قيل فيه ان الكتابة بدئت بعبد الحميد . وقد بلغت الكتابة
الديوانية أوجها فى القرن الرابع الهجرى - وهو العصر الذهبى
للكتابة الديوانية - على يد ابن العميد (٤) (ت ٩٧١/٣٦٠) ،
وقيل ختمت الكتابة بابن العميد . ويظهر الاهتمام بالكتابة الديوانية ؛
مما ألفه عنها المؤلفون فى قواعدها مثل : ادب الكاتب لابن
قتيبة ، وادب الكاتب للمولى ، وكتاب الكتاب لابن درستويه ،
وهيج الاعشى فى صناعة الانشاء للقلقشندي .

كذلك نشط النثر عند المسلمين نتيجة لتحول الشعوب
المفتوحة الى الاسلام ، واتقانها اللغة العربية ، وقيام حركة
الترجمة ، التى ظهر أثرها فى ترجمة الآثار الادبية الهامة ، على

(١) عنه : وفيات ، ١ من ٥٠٧ - ٥٠٩ ؛ انظر .

Ency. (art Khatīb) t2, p. 979-981.

(٢) مثلا ، انظر . مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة

الراشدة ، جمعها حميد الله الحيدر آبادى ، القاهرة ١٩٤٥ .

(٣) عنه : وفيات ، ١ من ٥٥٠ - ٥٥٢ ؛ المقدمة ، ص ١٩٦ من ٢

وما بعدها ؛ الجهماري ، ص ٧٢ وما بعدها .

(٤) عنه ، انظر : وفيات ، ٢ من ٤٦٣ - ٤٧٠ .

لخصوص كتابين : أحدهما : كليلة ودمنة ، والآخر ألف ليلة وليلة .
 فالأول (١) ، ترجمة خرافات هندية - بانكاكنترا Pankatantra —
 جاءت على لسان حيوانات تنطق ، ألفها بالسسكريتية المسمى
 بسيدبا الهندي حوالى سنة ٣٠٠ ب.م - فى قشمبر - أو كشمير - ، ثم
 ترجمها الى الفهلوية المسمى برزويه - طبيب كسرى انو شروان -
 بعد الزيادة فيها ، ثم ترجمت الى المريانية ، ثم ترجمها عبد الله
 ابن المقفع (ت ٧٥٧/١٤٠) الى العربية . اما الكتاب الثانى (٢) .
 فقد ظهر فى القرن الرابع الهجرى كترجمة لكتاب فارسى قديم
 اسمه هزار افسانه - اى الاف خرافة ؛ حيث المترجم غير معروف ،
 وهو يشتمل على قصص قديمة ، فارسية وهندية ، ثم اضيفت له
 قصص اخرى عراقية ومصرية ، منذ أيام هرون الرشيد ، ولا سيما
 من أيام المماليك . وقد قلده الجهشيارى (ت ٩٤٢/٣٣١) ؛ فالف
 اكثر من اربعمائة سمر ، وقد كان يريد ان يكملها الى الف .

وقد ظهر اثر هذه النهضة فيما ظهر من فنون فى النثر ؛ فى
 شكل حكايات او قصص او مقامات ؛ وان لم تصل الى حد الرواية
 "Roman" ، فهى ليست تراجيديا او كوميديا . والواقع ان
 الفرق بين التعابير الثلاثة غير محدد ، وكل منها قد عرف حتى
 قبل الاسلام ؛ فيما عدا المقامات التى عرفت بعد ظهور الاسلام .

(١) عنه . انظر . ابن صاعد ، ص ١٤ ، له عدة طبعات . عن ذلك ايضا .
 مقالات شيعية : عبد النعيم ، كليلة ودمنة بين الفارسية والعربية ، حوليات كلية
 الآداب ، سنة ١٩٥٩ ، ص ١ وما بعدها ؛

; Ency. (art Kalila wa Dimna) t2. p. 737 — 741.

Les versions persanes des contes d'animaux. Musse

L'ame de l'Iran. p. 129 sqq.

ظهرت أول ترجمة له فى أوروبا ، فى القرن الثالث عشر الميلادى ،
 بالامبانيّة ، لآلفونسو الحكيم ، ثم ترجم بعد ذلك الى أربعين لغة . انظر .
 Op. Cit., p. 82. Risler

(٢) له هذه طبعات وترجمات أولها فى باريس عام ١٧٠٤ م . عن
 ذلك ، انظر .

Ency. (art Alf Laila wa Laila) t1, p. 255 sqq.

فالحكايات (١) مفردة حكاية ، ومن يقوم بها يسمى حكاوي لو حكوي ، وهي أشبه بالخرافات ، وليس لها وجود حقيقي ؛ ولعل أشهرها هي ما اندمجت في كتاب ألف ليلة وليلة ، مثل : الأميرة ذات الهمة ، وفيروز شاه ، وعلى الزبيق ، وأحمد الدنف ، وبدر نار ، وقمر الزمان ، وسنذباد ، ولا سيما نوادر جحا التي تبعد فارسية الأصل (٣) . والقصص (٣) مفردة قصة أو اقصوصة ، ومن يقوم بها يسمى قاص ؛ وهي الجملة من الكلام التي تتبع امرا مستقرا ، فيه عنصر الحركة والمفاجأة . وقد أصبح هناك عند المسلمين نوعان من القصص (٤) : نوع يعرفه بقصص الخاصة ، الذي يلقي في المساجد أو القصور ، ونوع من القصص الشعبي المشالي "Folklore" - أي قصص العامة - يتغنى به في السوق والمقاهي ، ويشمل الأبطال والحب ، كما أن بعضه قديم قبل الإسلام . وقد اظهرت الطبقة الأرستقراطية أو الحاكمة كراهية لهذا القصص الأخير ، ربما خوفا من فتح أذهان العامة . ولعل أشهر ما قيل في ذلك قصص عنتر أو هنتر ، أحد الفرسان السود لقبيلة عيس ، وسيف بن ذي يزن من أبطال اليمن ، وأبى زيد الهلالي من أبطال حرب المغرب ، والظاهر بيبرس سلطان مصر ، وبطل الحروب الصليبية والمغولية . أما المقامات (٥) ، ومفردها مقامة - فتعني قديما المجلس أو الندوة - فهي أحدث ما ظهر في فن النثر ، وذلك في القرن الرابع الهجري ، تتناول كلاما متصلا بقصد الموعظة ؛ فيبدي الكاتب رأيه في شكل قصص

(١) عن هذه الكلمة ، انظر . لسان العرب ، ١٨ ص ٢٠٧ وما بعدها ؛

Ency. (art Hikāya) t2, p. 321 sqq; 2ed t3, p. 379 sqq.

(٢) القهرست ، ص ٣١٣ .

(٣) لسان ، ٨ ص ٣٤١ ؛ انظر .

Ency. (art Kissa) t2, p. 1101 sqq.

(٤) الخطط ، ٤ ص ١٧ .

(٥) انظر المقالة الشيقة :

Ency. (art Makāma) t3, p. 170 — 173.

متفرقة تدور حول اشخاص اذكىاء ، وان لم يكن لها عقدة الرواية ، ومع ذلك فهي فى أسلوبها قريبة من الاسلوب التمثيلى (١) ولعل أول من ابدع فى هذا الفن هو بديع الزمان الهمذانى (ت ١٠٠٧/٣٩٨) ، الذى املى اربعمائة مقامة (٢) ، تدور حول بطنين احدهما عيسى بن هشام ، وثانيهما ابو الفتح الاسكندراني . ثم ابن ناقيّة (ت ١٠٩٣/٤٨٥) ، الذى نسج على منوال الهمذانى : وان لم يتبق من مقاماته غير تسع مقامات مخطوطة ، لم يلق عليها الضوء بعد (٣) . واخيرا الحريرى (ت ١١١٢/٥١٦) ، الذى تناولت مقاماته مغامرات ابى زيد المروجى والحارث بن همام وكلاهما رجل واسع الذكاء (٤) .

ويجب ان نشير الى الامثال ، التى احبها العرب منذ قبل الاسلام ، كما اشتمل الشعر على اقوال الحكماء . والامثال جمل قصيرة ، تكون فى نثر غالبا ؛ تتناول امورا متعددة لاسيما خلقية ، حتى انها تعتبر فلسفة الشعب . وقد جمعت مجموعات هائلة من الامثال العربية ؛ مما لا يعرف لها مثل من قبل او من بعد عند امة اخرى . ومن أشهر الجامعين : الميدانى (٥) ، (ت ٥١٨ / ١١٢٤) فى : مجمع الامثال (٦) ، الذى جمع فيه نيفا وستة آلاف مثل ، مرتبة على حروف المعجم ، تمتد من عصر الجاهليسة وعهد النبى والخلفاء الراشدين ، وتبوء هلال حسن العسكرى (ت

(١) انظر . A Literary Story of Arabs. London, 1923 : Browne .

P. 328 — 9 .

(٢) ط . بيروت : عن الهمذانى ، انظر . وفيات ١ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٣) وهى توجد فى مخطوط باستنبول برقم ٤٠٩٧ ؛ انظر .

Ency. t3, p. 171.

(٤) ط . مصر ١٣٠٦ هـ ؛ ونشرها Silvester de Sacy ، فى Paris

١٨٢٢ ؛ كما نشرها Daremberg و Reinand ، فى Paris ، ١٨٤٧ -

١٨٥٣ . عن الحريرى ، انظر . ياقوت ، معجم الادباء ، ط . Margoliouth ،

٦ ص ١٦٧ - ١٨٥ .

Ency. (art al-Hariri) t2, p. 284 — 5.

(٥) ياقوت ، معجم الادباء ، تحقيق - أحمد رفاعي ، ٥ ص ١٥ - ٥

(٦) ط . القاهرة ١٣١٠ هـ .

١٠٠٤/٣٩٥ - ٥) فى : جمهرة الامثال (١) ، والزمخشري (ت
١١٤٣/٥٣٨) فى : نوابغ الكلم (٢) .

ومن ناحية اخرى تطورت اساليب النثر العربى ، فظهر
فيه السجع (٣) ، وهو نوع من النثر الوثنى او لغة الكهان ، وهو
ذوق فى الكتابة يميل الى التوازن والتوازن (٤) ؛ فقد اصبح
الذوق فى ذلك الوقت يميل الى البهرجة والفخفة فى كل شىء حتى
فى الادب . ولعل هذا الاسلوب يظهر على الخصوص فى اسلوب
الجاحظ (ت ٨٦٩/٢٥٠) - وهو الراقد الاول لفن النثر العربى
الجديد - وان بلغ غايته فى اسلوب المقامات ، بل اصبح فى كل
شىء فى الكتابات الديوانية وخطب الجمعة . وهذا الاسلوب اصبح
اقصى ما تصل اليه المقدرة الكتابية .



علم التاريخ الاسلامى ، هو ايضا من العلوم النقلية ، بسبب
اتصاله الاول بعلم الحديث (٥) . ومن الحق ان العرب فى
جاهليتهم واولائل الاسلام لم يقوموا بتدوين التاريخ ؛ وانما كانوا
يحفظونه فى ذاكرتهم ؛ ولم يكن ذلك لانهم كانوا يجهلون الكتابة ؛
ولكن لتحبيذهم الحفظ على الكتابة (٦) ؛ فهذه الاخيرة لم تكن
وقتذاك لتعطى صاحبها تفوقا فى المجتمع اكثر مما تعطيه ملكة
الحفظ . فكان تاريخ العرب الاول ، وهو عبارة عن : وقائع وايام
وغزوات محفوظة فى الذاكرة يرددونه على السنتهم ، واعانهم على
حفظه بيئتهم الصحراوية الطليقة ، التى ليس فيها تعقيد .

(١) يوجد على هامش الطبعة السابقة .

(٢) انظر دراسة لها على يد J.A. 7me Série tVI. : de Meynard

(٣) الجاحظ ، البيان ، القاهرة ١٢٣٢ ، ص ١٥٦ ؛ انظر .

Ency. (art Sadj') 14. p. 45-6.

(٤) انظر . ديمومبين ، النظم الاسلامية ، ترجمة عربية ، ص ٢٦١ .

(٥) انظر . قبله .

(٦) كشف الظنون ، ص ٢٥ - ٢٦ .

ولكن بعد أن ابتعد العرب عن بيئتهم وتفرقوا فى الأرض للفتح والغزو بين شعوب لا تتكلم لغتهم ، ضعفت ملكة الحفظ عندهم وظهرت حاجتهم الى التدوين . وفى اواخر القرن الثانى واوائل الثالث الهجرى ، كان العرب فى حاجة ملحة الى ضبط ونقل احاديث النبى والسير والاحوال ؛ ليصلح الناس فى أمور دينهم ؛ وكان هذا بداية تدوين التاريخ الاسلامى . وان كان التدوين فى التاريخ لم ينتشر الا حينما اقبل اهل البلاد المفتوحة على الاسلام ، واقبلوا على تعلم العربية ؛ حيث كانت حضاراتهم السابقة تساعدهم على تذوق التاريخ . فكان معظم المؤرخين الأوائل فى الاسلام هم المستعربون من العجم ؛ لأن العرب - فى اول الامر - كانت تلحقهم انفة من انتحال العلم ، لكونه من جملة الصنائع (١) ، كما ذكرنا .

وقد كان اول ما دون فى التاريخ الاسلامى - بطبيعة الحال - يعتمد على الذاكرة الانسانية ، لبعده التدوين عن أخبار الجاهلية والعصر الاسلامى الاول . وان من يقرأ ما دون من الذاكرة العربية يتجلى له ان اغلب التاريخ العربى الاول مستمد من السماع والملاحظة . ولذا لجأ المؤرخون الأوائل الى تدوين ما استوعبته الذاكرة بالنقل من فلان عن فلان من الحفاظ الموثوق بهم ، وهو ما عرف « بالأسانيد (٢) » ، جمع « سند » ، بمعنى رفع القول الى قائله . فكان الحفاظ هم الوسطاء بين الخبر والمؤرخ ؛ وهى طريقة للاجماع على صحة الخبر - وهذه الطريقة عينها فى التاريخ كانت قد اتبعت عند جمع الاحاديث النبوية ، ليطمئن جامعو الاحاديث الى اتصال الاحاديث بالرسول (٣) ؛ مما يبين ان التاريخ اخذ طريقة الحديث فى اوائل تدوينه (٤) ، بل ان التاريخ كان يجمع من نفس رواية الحديث فى سلسلة من الاسناد الموثوق بهم (٥) . ومن ناحية أخرى ، اعتبر التاريخ نفسه من

(١) نفسه ، ١ ص ٢٢ ؛ المقدمة ، ص ٢٤ ، ٤٥١ - ٤٥٣ .

(٢) المقدمة ، ص ٤٥٢ س ١١ .

(٣) كشف الظنون ، ١ ص ٤٢٢ .

(٤) نفسه ، ١ ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

(٥) مسلم ، صحيح القاهرة ١٣٢٩ - ١٣٣١ ، ١ ص ٢٤ .

وسائل الحديث فى « الجرج والتعديل (١) » ، بالكشف عن اقوال رواة الحديث والتمييز بين أهل الغفلة والوهم وسوء الحفظ والكذب والاختراع فى الحديث . ويبين المؤرخ السخاوى (ت ١٠٢٢ / ١٤٩٧) هذه الصلة بين التاريخ والحديث فى قوله : انه لم يستعن على الكذابين فى الحديث بمثل التاريخ (٢) .

ولكن بعد انتشار التدوين وتمكن التاريخ فى النفوس ، لم تعد الرواية الممنوعة - التى اعتبرت فى أول الامر من الدين (٣) - تكفى فى نقل الحقيقة التاريخية (٤) : لانها لم تكن تحمل من الحقيقة الا مدها ، دون أن تحيط بظروفها لضعف طاقة الذاكرة الانسانية . وعلى هذا تحول المؤرخ الإسلامى من مجرد « اخبارى » - كما كان يطلق عليه فى أول الامر (٥) - غرضه استيعاب الاخبار والمحافظة على كيفية اتصالها من حيث روايتها ، الى البحث عن الخبر فى ذاته ، زيادة فى تحرى الحقيقة . وهكذا وجد تطور جديد فى كتابة التاريخ ؛ اذ تخلص التاريخ من طريقة الحديث الى مجال اوسع مستقل ازدهر فيه منهجه . فابن خلدون يهاجم المؤرخين الأوائل (٦) : لاعتمادهم على مجرد نقل ما راوه أو سمعوه ، وهم ثامل الحقيقة فى ذلتها ومناقضاتها واضطرابها هلا واسبابا (٧) . ولم يعد التاريخ - فى رأيه - لخبارا وحوليات ، ولكنه نقد للحقائق ويبحث عن أسبابها ؛ ولقد

(١) المقدمة ، ص ٢٩ .

(٢) السخاوى ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دمشق ١٣٤٩/١٩٣٠ .

ص ٩ .

(٣) مسلم ، صحيح ، ١ ص ١٢ .

(٤) المقدمة ، ص ٢٧ وما بعدها .

(٥) البخارى ، ص ٤٨ ؛ انظر . هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمة وازافة

العيسى ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٥٧ .

(٦) المقدمة ، ص ٣ و ٧ وما بعدها . نذكر ممن هاجمهم : ابن سحوق

(ت ٧٩٩/١٥٢) ، والطبرى (ت ٩٢٣/٣١٠) ، والمسعودى (ت ٢٥٩/٢٤٦) ،

وابن عبيد ربه (٩٦٠/٢٤٩) ، والتمالي (ت ١٠٣٧/٤٣٩) ، والبكرى

(ت ١٠٩٤/٤٨٧) .

(٧) المقدمة ، ص ٢ ، ٢٢ .

مساعدة بهذا الرأى على إبراز شخصية المؤرخ وذاتيته . ولذا
معتبر ابن خلدون أول كاتب فى العالم عالج موضوع : فلسفة
التاريخ (١) .

ولم تستتب التحول من جمع الخبر الى الخبر فى ذاته ،
تغيرا أيضا فى أسلوب التاريخ ؛ فبعد ان كان التاريخ يجمع
معظمه فى هيئة شعر ، لأن الذاكرة كانت أقدر على حفظه ،
أو فى جمل قصيرة جافة ، الواحدة بجانب الأخرى بدون ربط ،
أصبح أسلوبه مرصلا يكاد يخلو من الشعر فيه حلاوة
وطلاوة (٢) . ومع ذلك ؛ فإن المؤرخين المتأخرين لم يكونوا
يستطيعون ان يكتبوا التاريخ وذن أن يذكروا المصادر التى استقوا
منها معلوماتهم ، وبدلا من قولهم فلان وفلان ، ذكروا الكتب التى
أخذوا منها حقائقهم (٣) ، وظهر بدل العنونة ما يعرف بأسانيد
الكتب ؛ وهذه أصبحت التهميش فى وقتنا . وهذا الذى ذكرناه
يدل على فضل المسلمين - ولا ريب - فى وضع أسس هذا العلم
والإسهام فى تطوره ؛ كما وضعوا أسس غيره من العلوم .

هذا - وفى الواقع - لم يشتغل بالتأليف فى التاريخ
كالمسلمين ، ذلك لأنهم اعتبروه من أحسن العلوم وأشهاها (٤)
فألف فيه فحول المؤرخين آلاف الكتب التى أعطوها عناوين
مختلفة ، تدل على محتوياتها . وقد كان أغلب ما ألف فى التاريخ ،
فى أول الأمر ، بقصد المنفعة والعبرة (٥) ، والحصول على ملكة

(١) انظر . عنان ، ابن خلدون ، ص ١٦٨ .

(٢) انظر . Carra de Vaux .

Les penseurs de l'Islam. Paris, 1921, I, p. 85.

قارن مثلا سيرة ابن هشام (ت ٢١٣ / ٨٢٨) ، بمقدمة ابن خلدون
(ت ٨٠٨ / ١٤٠٦) .

(٣) نجد أن مؤرخا كالسوطى (ت ١٥٠٦ / ٩١١) ، يذكر فى مقدمة
مصنفه الكتب التى اعتمد عليها فى تأليف كتابه : « حسن المحاضرة فى أخبار
مصر والقاهرة » ، فى جزئين ، القاهرة ١٣٢٧ / ١٩٠٩ .

(٤) السخارى ، ص ٢٩ .

(٥) نفسه ، ص ٢١ .

التجارب (١) ؛ حيث كانوا يرون في كتاب الله مثلا يقتدى به ، فقد قص القرآن كثيرا من اخبار الامم الماضية للتفكرة والعبرة . لذلك كانت المؤلفات الاولى يتوسع فيها لبدء الارض (٢) ، وغير ذلك من امور الامم ، وقصص الانبياء ، وميزة الرسول الذي حمل رسالة الاسلام ، بقصد الفائدة ، واحوال القيامة ومقدماتها . واغلب هذه المؤلفات العامة المناهج ، من لحن البدء (٣) ، نجدها - على الاخص - بعناوين : « اخبار » و « مسير » و « مغازى » و « تاريخ » و « فتوح » ، ومعظمها مرتب على الحوليات والموضوعات .

وفيما بعد ظهرت رغبة عند المؤرخين المسلمين في تقصير هذه المؤلفات العريضة العامة المناهج ، والتصرف فيها بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان ، ولان اغلبها مطول يحتوى على تكرار ضائع ، وعلى سلسلة من الاسانيد المفصلة التي لا لزوم لها . كما ظهرت الرغبة في العدول عن الاطلاق في الاخبار والنظرة الشاملة الى التقييد والاختصار على جزء معين من التاريخ . وان كانت هذه الكتب لم تلق قبولا في نفوس بعض علماء المسلمين القدامى ؛ بحيث انه شبه من يقدم على ذلك : بمن اقدم على خلق سوى ؛ فقطع اطرافه ، وتركه اثل اليدين ، ابتر الرجلين ، اعمى العينين ، اصم الاذنين ، او كمن سلب امرأة حليها فتركها عاطلا (٤) . ونجد اغلب الكتب المختصرة - على الاخص - بعناوين : « مختصر » و « ذيل » و « شرح » و « حاشية » ؛ لتدل على اعتمادها على مصدر سابق .

ومن ناحية اخرى ، كان التاريخ يكتب لابقاء الذكر ؛ بحيث

(١) نفسه ؛ كشف الظنون ، ١ ص ٢١٢ .

(٢) البخارى . ص ٧ ؛ السيوطى ، كتاب الشارح في علم التاريخ ، تحقيق

Seybold ، ط . Leiden ، ١٨٩٤ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، القاهرة ١٣٢٣/١٩٠٦ ، ١ ص ١١ .

(٤) مروج ، ط . مصر ، ١ ص ٣ .

انهم ردّدوا عن النبى قوله : « من ورخ مؤمنا ، فكانما احياء (١) »
 كما اعتبروا انفاق الملوك والاعنياء على المصانع والحصون لا يعادل
 ابقاء الذكر فى التاريخ (٢) ؛ مما يزيد من فضل هذا العلم . ونجد
 اغلب الكتب التى تختص بهذا القصد بعنوانين : « الانساب »
 و « التراجم » و « الطبقات » و « الوفيات » و « المعجم » ؛ ومعظمها
 ينظر فى المواليد والوفيات .

وربط المسلمون التاريخ بكل العلوم ، مثل : الادب والسياسة
 والاجتماع والفقه والجغرافيا والرحلات ؛ فكان يحق علم العلوم .
 ويتبين من اسماء الكتب التالية صلة التاريخ الواسعة بالعلوم ، التى
 قد لا تكون دائما من صميم التاريخ ، مثل : « غرائب »
 و « تحفة » و « عقود » و « در » و « نزهة » و « روضة »
 و « حديقة » و « حسن » و « حقائق » و « خريدة » و « خطط » .
 وقد كانت هذه الصلة العامة سببا فى ان صار للتاريخ اعداء
 بالغوا فى الزرابة عليه ، وادعوا انه ليس بعلم محدد المنهج ،
 وان غاية فائدته : « انما هو القصص والاخبار ، ونهاية معرفته
 الاحاديث والاسمار (٣) » . ولكن انبرى من المؤرخين من دافعوا
 عنه ؛ مثل المؤرخ السخاوى الذى الف رسالة بعنوان : الاعلان
 بالتقويخ لمن ذم التاريخ .

ونعرف طبقات عديدة من المؤرخين (٤) ، ظهرت طول
 فترة حضارة الاسلام ، مع انه فى العالم القديم كان المؤرخون
 يعدون على الاصابع . منها طبقة اولى ظهرت على الخصوص
 ايام التدوين التاريخى فى القرن الثانى الهجرى ، لم يصلنا
 معظم ما دونته ؛ وان اعتمدت الطبقات التالية على ما كتبوه ،
 وهى فى السيرة النبوية والمغازى والفتوح ، وهى موضوعات

(١) السخاوى ، ص ٢٨ .

(٢) نفسه ، ص ١٧ .

(٣) نفسه ، ص ٥٠ .

(٤) لن نذكر مؤلفاتهم لكثرتها ؛ ويمكن الرجوع لكتاب الفهرست لابن النديم .
 وكشف الظنون لحاجى خليفة .

امتهوت مؤرخي الاسلام الاوائل ، الذين نذكر أشهرهم (١) :
عروة بن الزبير (ت ٧١٢/٩٤) ، الف فى السيرة ، ووهب ابن
منبه (ت ٧٢٨/١١٠) ، الف عن ملوك حمير ، وابن شهاب
الزهرى (ت ١٢٤ / ٧٤٢) ، تكلم فى المغازى ، وابن اسحق
(ت ١٥٠ / او ٧٦٧/١٥١ - ٨) ، الذى استحق لجدارته فى كتابه
السيرة النبوية على حسب تسمية ابن خلدون لقب الاستاذ (٢) ،
وابن أبى مخنف (ت ٧٧٤/١٥٧) ، وهذا الاخير وصلتنا نكف
من كتبه .

طبقة فى القرن الثالث الهجرى ، أغلبهم تناول نفس المواضيع
السابقة وزادوا فيها ، واعتمدوا على الاوائل كل الاعتماد ، ووصلتنا
منهم كتب كثيرة مثل : الواقدي (ت ٢٠٦ او ٨٢١/٢٠٧ او ٨٢٣) ،
وابن الكلبي (٨١٩/٢٠٤ او ٨٢٢/٢٠٦) ، وابن هشام (٢١٣/
٨٢٨ او ٨٢٤/٢١٨) ، وابن سعد (ت ٨٤٥/٣٣٠) ، ، وابن
عبد الحكم (ت ٨٧١/٢٥٧) ، وابن قتيبة (ت ٨١٩/٢٧٦) ،
والبلاقرى (ت ٨٩٢/٢٧٩) ، والدينورى (ت ٨٩٥/٢٨٢) ،
واليعقوبى (ت ٨٩٨/٢٨٣) ، والنوبختى (الثالث / التاسع) .

طبقة فى القرن الرابع الهجرى ، شديدة الخصب ، نذكر منهم :
ابن جرير الطبرى ، (ت ٩٢٣/٣١٠) ، وابن البطريق (ت ٣١١/
٩٢٣) ، وابن عبد ربه (ت ٩٣٩/٣٢٧) ، والصولى (ت ٣٣٥ او
٩٤٦/٣٣٦) ، وقدامة (حوالى ٩٤٨/٣٣٧) ، والمسعودى (ت
٩٥٦/٣٤٦) ، والكندى - أبو عمر - (ت ٩٦١/٣٥٠) ، والأصفهاني
(ت ٩٦٧/٣٥٦) ، والخوارزمى - أبو عبد الله - (حوالى ٩٧٦/٣٦٦) ،
وابن القوطية (ت ٩٧٧/٣٦٧) ، وابن النديم (ت ٩٩٣/٣٨٣) ،
وابن زولاق (ت ٩٩٧/٣٨٧) .

(١) انظر - Buri : A Study on the Beginnings of History ,

Writing in Islam. Bull. of the Sch. of Or. and African Studies
Vol XIX. Part 1., 1957, p. 1 sqq.

(٢) المقدمة ، ص ٧٥ من ٩ ، ص ١١ .

طبقة فى القرن الخامس الهجرى ، لا تقل فى انتاجها عن السابقة ، نذكر منهم : ابن حزم (حوالى ٤١٨/١٠٢٧) ، والمبجى (ت ٤٢٠/١٠٢٩) ، وابن مسكويه او مسكويه (ت ٤٢١/١٠٣٠) ، والعتبى (ت ٤٢٨/١٠٣٦) ، والبغدادى (ت ٤٢٩/١٠٣٧) ، والثعالبى ، (ت ٤٢٩/١٠٣٨) ، والصابى (ت ٤٤٨/١٠٥٦) ، والماوردى (ت ٤٥٠/١٠٥٨) ، والقضاعى (ت ٤٥٥/١٠٦٢) ، ويحيى بن سعيد (ت ٤٥٨/١٠٦٦) ، وابن صاعد - صاعد - (ت ٤٦٢/١٠٦٩) ، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣/١٠٧١) ، وابن حيان (ت ٤٦٩/١٠٧٦) ، والبيهقى - ابو الفضل - (ت ٤٧٠/١٠٧٧) ، ونظام الملك (ت ٤٨٥/١٠٩٢) ، والروذراورى (ت ٤٨٨/١٠٩٥) .

طبقة فى القرن السادس الهجرى : منهم : اسامة بن منقذ (ت ١١١٨/١٥١٢) ، وابن منجب - الصيرفى - (ت ١١٤٧/٥٤١) ، والشهرستانى (ت ١١٥٣/٥٤٨) ، وابن القلانسى (ت ١١٦٠/٥٥٥) ، وابو صالح (حوالى ١١٧٢/٥٦٨) ، وابن عساكر - على - (ت ١١٧٦/٥٧٣) ، وابن بشكوال (ت ١١٨٣/٥٧٨) ، وابن الجوزى - فرج - (ت ١٢٠٠/٥٩٧) ، وعماد الدين (ت ١٢٠١/٥٩٨) .

طبقة فى القرن السابع الهجرى ، منهم : ابن الاثير (ت ٦٢٠/١٢٣٣) ، وابن الجوزى - سبط - (ت ٦٤٤/١٢٤٦) ، والقفطى (ت ٦٤٦/١٢٤٨) ، وابو شامة (ت ٦٦٥/١٢٦٧) ، وابن ابى اصبيحة (ت ٦٦٧/١٢٧٠) ، والمكين - ابن العميد - (ت ٦٧٢/١٢٧٣) ، وابن ميسر (ت ٦٧٧/١٢٧٨) ، وابن خلكان (ت ٦٨١/١٢٨٢) ، والجوينى (ت ٦٨١/١٢٨٢) ، والقزوينى (ت ٦٨٢/١٢٨٣) ، وابن سعيدالمغربى (ت ٦٨٥/١٢٨٦) ، وابن العبرى Barhebraeus - (ت ٦٨٥/١٢٨٦) ، وابن واصل (ت ٦٩٧/١٢٩٨) ، وابن الطقطقى (ت ١٣/٧) ، وابن عذارى (ت ١٣/٧) .

طبقة فى القرن الثامن الهجرى ، منهم : رشيد الدين (ت ٦١٨/١٣١٨) ، وابو الفسدا (ت ٧٣٢/١٣٣١) ، والنويرى (ت ٧٣٢/١٣١٨) .

(١٣٣٢) ، وابن الوردي القرشي (ت ١٣٤٣/٧٤٤) ، والذهبي (ت ١٣٤٧/٧٤٨) ، والكتبي (ت ١٣٦٣/٧٦٤) ، وابن أبيه (ت ١٣٦٣/٧٦٤) ، والصفدي (ت ١٣٦٣/٧٦٤) ، ولسان الدين ابن الخطيب (ت ١٣٧٤/٧٧٦) ، وابن حبيب - بسدر - (ت ١٣٧٧/٧٧٩) .

طبقة في القرن التاسع الهجري ، منهم : ابن الفرات (ت ١٤٠٥/٨٠٧) ، وابن خلدون (ت ١٤٠٦/٨٠٨) ، وابن دقماق (ت ١٤٠٧/٨٠٩) ، والقلقشندي (ت ١٤١٨/٨٢١) ، والمقريزي (ت ١٤٤٢/٨٤٥) ، وابن حجر العسقلاني (ت ١٤٤٩/٨٥٣) ، وابن عريشاه (ت ١٤٤٥/٨٥٤) ، والعيني (ت ١٤٥١/٨٥٥) ، وأبو المحاسن - ابن تغري بردي - (ت ١٤٦٩/٨٧٤) ، وابن أبياس (ت ١٥/٩) .

طبقة في القرن العاشر الهجري ، منهم : السخاوي (ت ٩٠٢/١٤٩٧) ، وميرخند (ت ١٤٩٨/٩٠٣) ، والسيوطي (ت ٩١١/١٥٠٥) .

طبقة في القرن الحادي عشر الهجري ، منهم : الشيخ أبو الفضل (ت ١٦٠٢/١٠١١) ، والمقري (ت ١٦٣٣/١٠٤١) ، وخاجي خليفة - ملا كاتب جلي - (ت ١٦٥٧/١٠٦٧) ، وأبو الغازي بها دور (حوالى ١٦٦٣/١٠٧٤) ، والبكري الصديق (ت ١٠٨٧/١٠٧٦) .

* * *

أما العلوم العقلية (١) ، فهي لم تظهر بظهور الاسلام او انها نقلت عن العرب ؛ وانما هي علوم الشعوب المفتوحة وغيرها من شعوب الأرض منذ وجد الانسان ؛ فهي علوم المصريين والهنود والفرس واليونان وغيرهم ؛ ولذا فهي تسمى ايضا علوم العجم او العلوم القديمة او علوم الاوائل (٢) . وقد قامت نهضة العلوم

(١) مثلا : المقدمة ، ص ٣٧٩ وما بعدها .

(٢) ابن أبي أصيبعة ، ١ ص ١١٣ .

العربية العقلية بالرجوع الى علوم اليونان على الخصوص ؛ كما ان نهضة العلوم في اوربا مأخوذة ايضا اساسا بالرجوع الى علوم اليونان . ويرجع السبب في هذا الى ان علوم المصريين القدماء وغيرهم ، كانت عملية في أغلبها ؛ بينما اليونان هم الذين قدموا لتعلم خطوات الى الامام (١) ، ووضعوا له المناهج ؛ بخاصة في مدرسة الاسكندرية منذ زمن البطلمة . ولعل السبب في هذا ايضا جهلنا بعلوم المصريين على الخصوص ؛ لقلة ما وصلنا عنها ؛ وان كان من المتفق عليه ان اعظم علماء اليونان مثل طاليس وفيثاغورس وافلاطون هبطوا مصر ؛ فضلا عن قيام مدرسة الاسكندرية اليونانية في مصر ، وهي التي ظلت فيها الى وقت الفتح الاسلامي (٢) . وقد كان عمل العرب حينما نقلوا هذه العلوم اليونانية ان نسقوها كما فعل الرومان من قبل ؛ وان اضافوا اليها بمحاولتهم التوفيق بينها وبين الشريعة ؛ فساعدوا على تقدمها .



فنذكر من هذه العلوم الفلسفة ، وهي كلمة يونانية الاصل معناها الحكمة ، وفيلسوف معناها محب الحكمة . وقد كانت الفلسفة قديما وايام العرب لا يقصد بها دراسات الحكمة وحدها - التي هي يونانية الاصل - وانما يقصد بها ايضا المعرفة بالرياضيات والطب والفلك والموسيقى (٣) ... الخ .

وهذا العلم لم يعرفه العرب الا في عصر متأخر في الاسلام ، في العصر العباسي الاول ، وليس قبل ذلك ؛ فهو لم يظهر الا بقيام حركة الترجمة . وقد مهد لذلك وجود كتب فلاسفة اليونان منتشرة في مناطق البحر الابيض بين الاسكندرية وانطاكية وحران ، فضلا

(١) انظر . ميلى ، العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمى . نقله الى العربية النجار ويوسف موسى ، ص ٣٩ .

(٢) ابن أبى أصيبعة ، ١ ص ١١٦ ؛ حاجى خليفة ، ١ ص ٢٤ س ٢٣ .

(٣) مثلا : حاجى خليفة ، ٢ ص ٢٠٣ ؛ المقدمة ، ص ٣٧٩ - ٣٨١ ؛

عن ابن المأمون داخل ملوك الروم (١) - وهم البيزنطيون -
 واتهمهم بالعدول وأوقف الجهاد ضدهم ؛ كل ذلك لكي يحصل
 على الكتب والمخطوطات ، لا سيما كتب الفلسفة ، اذ كانت
 القسطنطينية - عاصمة الروم - تعرف بمدينة الحكمة (٢) . فبعث
 اليه الروم بكتب الفلسفة وغيرها ؛ كما استجاب للمأمون مهرة
 المترجمة ، فقلما بتعريبها لو نقلها بنصوصها عن طريق الترجمات
 المريانية ؛ اذ ان المريان قبل مجيء العرب كانوا قد ترجموا
 كتبها كثيرة في الفلسفة اليونانية ؛ ويكفي ان نذكر اشهر مترجميهم
 مثل : سرجيوس وسفرونيوس وسويرس .

ولكن العرب اضافوا الى ما ترجم شروحا وافية (٣) . كذلك
 حاولوا ادخال الفلسفة اليونانية في شرح الدين الاسلامي ، وجعلوها
 سنداً للعقيدة ؛ اذ وجدوا ضرورة اتفان العقيدة مع العقل ؛ ولذا
 كان يطلق على الفيلسوف الاسلامي : امام . فقد كان الاسلام يترك
 الحرية في دراسة الفلسفة ، على خلاف اديان اخرى مثل المسيحية ،
 التي كانت تعتبر التكلم في الفلسفة اليونانية رجوها الى الوثنية
 الاخرية . فالى العرب وحدهم يرجع الفضل في ازدهار فلسفة
 اليونان ؛ فهم الذين اذاعوها في العالم ؛ فضلا عن انهم يمثلون في
 الفلسفة عبيراً جديداً في الفكر . وقد لاحظ مؤرخو الاسلام ان
 الفلسفة عند الروم كانت قد تلاشت ؛ بينما هي في اوربا لم تلتعش
 الا في القرن ٨ هـ / ١٥ م ؛ وذلك بعد ازدهارها في الشرق (٤) .

ومن الطريف ان نذكر ان هم الفلسفة الاسلامية هو معرفة
 فلسفة ارسطو طاليس "Aristoteles" - وهو ارسطو - (٣٨٤ -

(١) المقدمة ، ص ٣٨١ ؛ ابن صاعد ، ص ٤٨ ؛ وقبله .

(٢) معجم البلدان ، ٧ ص ٨٧ .

(٣) عن ذلك ، انظر المقالة القيمة :

Ency. (art Falsafa) t2, p. 51 — 55.

وايضاً : The History of philosophy in Islam. : de Boer
 London, 1903.

(٤) المقدمة ، ص ٣٨١ .

٣٢٢ ق م) ؛ فهم اهتموا به أكثر من اهتمامهم بأى فيلسوف آخر (١) ؛ وإن جاء بعده فى المرتبة التالية افلاطون (٢) "Platon" (٤٢٧ - ٣٤٧ ق م) ، واعتبروهما من مدرسة واحدة ؛ وإن كانوا عرفوا معظم فلاسفة اليونان الآخرين بمن فيهم سقراط ؛ وحتى مذهبهم الفلسفية المختلفة (٣) . فالى أرسطو نسبوا فنونا كثيرة ، وعرفوا عديدا من كتبه التى نقلوها الى العربية . ويبدو أن ميزته لهم أتت من المنطق السليم الذى استخدمه ، وكان له عدة كتب فيه ، ترجموا بعضها (٤) ؛ بحيث كان ينظر اليه على أنه المعلم الأول وسيرا على منواله ، استخدم فلاسفة الاسلام المنطق وطوره على يدهم الى علم بقصد استخلاص الحقائق ، واستخدموه فى جميع علومهم (٥) .

وليس من السهل ايجاد مذاهب خاصة لفلاسفة الاسلام او معرفة الفروق بينهم (٦) ؛ اذ أننا لا نعرف كل مؤلفاتهم ، التى قد ضاع أغلبها أو أنه يوجد مجهولا فى المكتبات ، يضاف الى ذلك صعوبة فهم أسلوبهم الفلسفى . الا ان الثقة تبدو فى مؤلفاتهم ؛ وهم جميعا كانوا يعرفون لغة اليونان ، التى ساعدتهم على فهم الفلسفة اليونانية . وهم تعرضوا لمسائل دقيقة مثل : خلق العالم والزمن والعقل والنفس والخير والشر ؛ فهم بذلك وسعوا فى التفكير الاسلامى والعالمى .

(١) ابن صاعد ، ص ٢٤ - ٢٧ (انظر أسماء كتبه) ؛ عبد الرحمن بدوى ، أرسطو عند العرب ، القاهرة ؛ انظر :
Ency. (art Aristotélès) t1. p. 438 — 440 .

(٢) ابن صاعد ، ص ٢٣ ؛ انظر .
—Ency. (art Aflâtûn) t1, p. 177 — 9.

(٣) ابن صاعد ، ص ٢٣ ، ٢٢ ، مثل الكلبين والماشين . الخ .
(٤) ترجمة اسحق بن حنين ، نص وتقديم Pollak ، ط . Leipzig ١٩١١ . كذلك يذكر أن ابن المقفع قد ترجم كتبه المنطقية . ابن صاعد ، ص ٤٩
(٥) المقدمة ، ص ٣٨٧ وما بعدها . انظر . حافظ طوفان ، النزعة العلمية فى التراث العربى ، فى مجلة المعهد المصرى بمصر ، العدد ٣ ، المجلد ١

سنة ١٩٥٥/١٣٧٤ ، ص ٧٧ وما بعدها .
Les penseurs de l' Islam, IV, p. 2. : Carra de Vaux (٦) انظر :

وأول من اعتنى بعلم الفلسفة عهد الله بن المقفع الفارسي (ت ٧٥٧/١٤٠) (١) ، الذي كان كاتب الخليفة ابي جعفر المنصور للعباسي ، وترجم كتب ارسطو الفلسفية ربما عن الفارسية ، وان لم يظهر لابن المقفع آراء فلسفية ، كما ان ترجماته لم تقع بين ايدينا .

بعد ذلك ، جاء ابوه يوسف يعقوب الكندي (حوالي ٢٦٠ / ٨٧٢) (٢) الذي كان اجداده من ملوك كنده في جنوب الجزيرة العربية ، وابوه اميرا على الكوفة للمهدي والرشيد ؛ فكان الكندي من العرب . وقد سماه المسلمون فيلسوف العرب ؛ اذ كانت له آراء بلغية عن فلسفة ارسطو وافلاطون ، اى الفلسفة اليونانية الكلاسيكية . فقد الف الكندي - الذى كان على علم باليونانية والسريانية - خمسين تاليفا فى اكثر العلوم ، بعضها فى الفلسفة - حيث ذكرها المؤرخون - ونعرفها فقط بالاسم ، مثل : كتاب التوحيد المعروف بفهم الذهب ، وكتاب اثبات للنبوة . واما ما تبقى من كتبه الفلسفية بين ايدينا فهو قليل ، بعضه لا يزال مخطوطا (٣) ، ولم يشر منه بالعربية الا القليل (٤) ، كما توجد له آراء فلسفية واضحة فى ترجماته لاتينية (٥) ، وقد اشتهر الكندي بين الاوربيين كفيلسوف ، وعرف لهم باسم : « Alkindius » .

- (١) ابن صاعد ، ٤٩ ؛ ابن القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٢٠ .
 (٢) نفسه ، ص ٢٧ ، ٥١ - ٥٢ ؛ نفسه ، ص ٣٦٦ - ٣٧٠ ؛ انظر .
 فؤاد الالهوانى ، الكندي ، فيلسوف العرب ، اعلام العرب ٢٦ ، فبراير ١٩٦٤ ؛
 Flugel

Al - Kindi genannt der philosoph der Araber; ein Vorbild, seiner Zeit und seiner AKMI, Volkes. Leipzig 1857.

Ency. (art al-Kindi) ٢, p. 1078 — 9. ;

G. A. Litt I. Leiden, 1943, p. 230 — 231. : Brock (٣) انظر :

مثلا : رسالة فى القول فى النفس ، المختصر من كتب ارسطاطاليس وافلاطون
 وسائر الفلاسفة ، المتحف البريطانى ، برقم ٨٠٦٩ .

(٤) انظر : مثلا : رسالة فى كمية كتب ارسطو طاليس وما يحتاج اليه
 فى الفلسفة ، تحقيق Guidi وغيره ، Roma ، ١٩٣٨ .

(٥) عله ، انظر :

Die philosophischen Abhandlungen des : Nagy

Ja'qûb ben Ishâq al-Kinîdî, zum ersten male herausgegeben.

وبعد ذلك ظهرت طبقة من الفلاسفة قائمة بذاتها لتمثل فى الفارابى وابن سينا ، وكلاهما له تأليف نفيسة فى الفلسفة ؛ وذهبنا نهوفا كبيرا ؛ بحيث قيل ان الحكماء اربعة اثنان قبل الاسلام هما سقراط وبقرات ، واثنان بعد الاسلام هما الفارابى وابن سينا . فعن الفارابى (١) (٢٥٩ - ٨٧٢/٣٣٩ - ٩٥٠) ، فهو ابو نصر محمد من اصل تركى ولد بفاراب على نهر جيحون ؛ وانتقل الى بخسداد فنشأ فيها ، ورحل الى مصر والشام واتصل بسيف الدولة ابن حمدان ، وتوفى بدمشق . وكان الفارابى زاهيدا الا فى العلم ، لا يحفل بأمر مسكنه او ملبسه ، ومن حساسيته وشاعريته انه لم يكن يوجد الا عند مجتمع ماء او مشبك رياض . وقد قيل ان الفارابى كان يعرف سبعين لغة ، وتصانيفه فى الفلسفة على نسق كتب ارسطو ؛ ولذلك اطلق عليه المعلم الثانى ؛ حيث ان المعلم الاول هو لرسطو . وعلى يد الفارابى وصلت الفلسفة الارسطوطاليسية الى اقصى ما تصل اليه من ازدهار ؛ وان كان قد اهتم ايضا بفلسفة افلاطون ، واشتهر بين الاوربيين باسم : "Alfarabius" . فبفضل شروحه وافكاره واسلوبه تمكن من تقريب الفلسفة اليونانية الى الفكر الاسلامى ؛ مما لم يعرف قبلا على يد الكندى ، حتى سمى ابن ساعد فيلسوف المسلمين بالحقيقة . واهم مصنفاته كتاب فى مبادئ اهل المدينة الفاضلة (٢) ، التى تحتاج الى قاموس نبوى - اى من قبل الوحي - ؛ حيث تأثر فيها بأراء ارسطو وافلاطون ، لا سيما هذا الأخير الذى كان له رأى فى المدينة الفاضلة . فبين فيها تكوين المجتمعات من الاسرة والعشيرة والقبيلة وما يسودها من تضامن ، كما اسهب فى الكلام عن غرائز الصراع "Homo homini Lupus" "Struggle for life" . كذلك له رسالة فصوص الحكم (٣) ، تعرض

Beltrage zur Gesch der Phil des Mitt. Munster. 1897.

Op. Cit., IV, p. 7 ssq. : Carra de Vaux

(١) عنه : ابن ساعد ، ص ٥٣ - ٤٥ ؛ ابن الفطى ، ص ٢٢٧ ؛ انظر .

La Place d'al-Fârâbî dans l'école , : Madkonr

: philosophique musulmane. Paris 1934.

Ency. (art al-Fârâbî) t2, 57 — 59 ;

Op. Cit., IV, p. 7 ssq : Carra de Vaux.

(٢) تحقيق Dieterici ، ط . ١٨٩٥ ،

(٣) حققها مع غيرها Dieterici ، ط . ١٨٩٠ ،

فيها لموضوعات فلسفية عديدة مثل : الاحساس والقصور والسعادة والمادة والانسان . كذلك لدينا منه مصانيف أخرى في الفلسفة وشروحا بنصوصها العربية والعبرية واللاتينية (١) .

اما ابن سينا (٢) (٣٧٠ - ٤٢٨ / ٩٨٠ - ١٠٣٧) : فهو ابو علي عبد الله ، من اصل تركي ايضا ؛ حيث يتمسك الترك باصله هذا . ولا تقل شهرة ابن سينا الطبيب عن شهرته كفيلسوف ؛ حتى انه لقب بالشيخ الرئيس ، وعرف بالمعلم الثالث بعد ارسطو والفارابي . ولابن سينا كتب كثيرة في فلسفة ارسطو وافلاطون والافلاطونية الحديثة - نسبة الى افلوطين المصري - "Platonius" - (٢٠٥ - ٢٦٩ م) ؛ تشهد بالبراعة في صناعة الفلسفة وتطورها على يديه ؛ حيث ترجم بعضها الى اللغات الاوربية ، ولدا اشتهر عند الاوربيين باسم : "Avicenna" . واهم مصنفاته الفلسفية : الشفاء (٣) ، الذي استوعب فيه علوم الفلسفة ، يليه النجاة الذي هو مختصر الشفاء (٤) ، والاشعار والتنبية (٥) ، وتمع

(١) انظر : G.d. ar. Litt. I. 282 — 230. : Brock

(٢) ابن ابي اصيبعة ، ص ٢ وما بعدها الشهرستاني ، الملل والنحل ، Cureton ، ص ٣٤٨ - ٣٧٩ ؛ انظر . العقاد ، الشيخ الرئيس ، مجموعة قرا ، رقم ٤٦ تحقيق سبتمبر ١٩٤٦ ؛

Ency. (art Ibn Sina) t2, 444 — 6;

Op. Cit., IV. p. 18 sqq. : Carra de Vaux;

The philosophy of Avicenna, : Golchen

Translated by. S. Khan. Delhi, 1969.

(٣) تحقيق القاهرة ١٩١٣ ، وله شرح ، كما له ترجمة المانية من Horten ؛ بعنوان :

Avicenna das Buch der Genesung der Seele. Leipzig

1907 — 1909.

ترجمة الاوربيون باسم : "Sufficiencia"

(٤) نشر روما ١٥٩٣ ؛ وتحقيق القاهرة ١٩٣٨ له ترجمات جزئية ، انظر .

عبيلى ، ص ٢٠٠ - ٢٠٨ .

(٥) تحقيق وترجمة Forget ، بعنوان : Ibn Sina. Le livre des

Théorèmes et des Avertissements. Leyde, 1892.

توجد مخطوطة في B.N ، برقم 6833 ، من حبيب الله مرزاجان ،

بعنوان : شرح الاشعارات .

(١٥ - الحفارة)

رسائل في الحكمة (١) ، وغير ذلك (٢) .

ومن ناحية أخرى ظهر في أقصى المغرب الاسلامي والاندلس
فلاسفة عظام مثل فلاسفة الشرق ، منهم : ابن باجه (ت ٥٢٣ /
١١٣٨) ، من مرقسطة ، وهو الآخر من شراح فلسفة ارسطو ،
وعرف للاوربيين باسم : "Avempace" ، وكتابه : تدبير المتوحد
نم يصلنا ، وان وصلتنا منه شروح فلسفية بالعبرية (٣) . وابن
حبريول (ت ١١٥٨/٥٥٣) ، الذي لقب بأفلاطون اليهود ، وله
كتاب اسمه : ينبوع الحياة (٤) . وابن طفيل (ت ١١٨٥/٥٨١) ،
ويعرف للاوربيين باسم ابا بامر " Abu Bacer" ، وهو تحريف
لابى بكر ، له كتاب حى بن يقظان (٥) - وهو كل ما تبقى مؤلفاته - من
احسن ما تفخر به الفلسفة العربية ؛ وان كان فلاسفة آخرون من
المشرق قد تناولوا « حى » هذا ؛ الا ان ابن طفيل جعل منه اثرا
من اعظم ما اوجدته فلسفة العصور الوسطى ؛ بحيث يعتبر ما ورد
عنه الافلاطونية الجديدة الاسلامية . فهو يرسم حياة طفل وجد

(١) ط . القسطنطينية ، ١٢٩٨ هـ .

(٢) انظر . Brock . G. d. Ar Litt I, p. 452.

(٣) وصلنا شرح بالعبرية عمله أبو بكر بن الصائغ (١٤م) نشره Herzog فر
Die Abhandlungen des Abû Bekr Ibn al-Séig. Berlin, 1896.
نملك برلين ٢٤ رسالة من ابن باجه في الفلسفة والطب درسها
عننوان :

El filosofo Zaragozano Avempace. Rivistaer de Aragon.
aout, 1900.

(٤) نشره Baumkr ١٨٩٥ . انظر ايضا Munk :

Mélange de Philosophie Juive et Arabe وانظر مبيلى ، ص ٣٥٨ .

ن ترجمه الاوربيون باسم : Fon Vitas

(٥) ط ١٢٩٩ هـ . انظر . أحمد أمين ، حى بن يقظان لابن سينا وابن
طفيل والمهروردى ، دار المعارف . كذلك نشر وترجم في اوربا باللاتينية عام
١٦٧١ ، على يد Pococke ، ثم نقل الى معظم لغات أوربا مثل الهولندية
عام ١٦٧٢ ، والفرنسية ، عام ١٩٠٠ ، والروسية ١٩٢٠ ، والاسبانية ١٩٣٤ .
عن ابن طفيل ، انظر .

Ency. (art Ibn Tufail) t2. p. 450 ; (art Hayy b. Yakzân)
Op. Cit., IV, p. 56 sqq. ; Carra de Vaux ; 2ed t3, p. 341 — 345

فى جزيرة نائية ، التقطته ظبية وحنث عليه ، فلما شب استطاع
بذامله ن يصل الى معرفة الله وحقائق الوجود ؛ فهو تحس عقى
من الظلام الى معرفة العالم ، او مناظرة بين قوى الانسان وعقله .
وابن رشد (١) (ت ١١٩٨/٥٩٥) ، الذى يعتبر من اعظم شراح
فلسفة ارسطو ، حتى انه عرف باسم : الشارح ؛ فهو الذى ميز بين
تعاليم ارسطو وافلاطون ، كما تميز بالتمحيص الكبير حتى انه
لم يرتض كثيرا من آراء ارسطو ، التى لا تتفق مع الدين ، على
عكس سابقه الذين كانوا ينظرون لارسطو نظرة تقديس . وقد
بلغت شهرة ابن رشد كل انحاء العالم المتنور ، وعرف للأوربيين
باسم : "Averroës" ومن تاليفه الهامة : فصل
المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال (٢) ؛ كما توجد
نه شروح فلسفية فى ترجمات لاتينية وعبرية (٣) . واخيرا موسى
بن ميمون الامرائيلى (٤) (ت ٦٠١ / ١٢٠٤) ، الذى اشتهر
للأوربيين باسم "Maimonide" وله مؤلفات فى الفلسفة

- (١) عنه ، انظر . عدة مقالات مثل : Renan
Averroës et l'avroisme. J. R. A. S. July, 1934.
محمود قاسم ، الفيلسوف المقترب عليه ابن رشد ، الانجلو المصرية ؛
Ency. (art Ibn Rushd) t2, p. 435 — 438.
Ency. of Religion and Ethics, éd. Hastings (art Averroës).
(٢) نشر فى القاهرة بعنوان : كتاب فلسفة ابن رشد ، ١٩١٣ م و ١٩٢٨ هـ .
(٣) عن ذلك ، انظر . Bouyges
Inventaire des textes arabes d'Averroës, Mélanges de l'Univ
de Beyrouth, 1922.
(٤) عنه انظر . وفلسف ، موسى بن ميمون ، حياته ومصنفاته ،
القاهرة : ١٩٣٦ .
; Ency. (art Ibn Maimûn) t2, p. 424 — 5.
; The Jewish Ency. Vol. IX, p. 73 — 86.
: Julius Guttman.
Die Philosophie d's Judentums. München, 1933.

اشهرها : دلالة الحائرين (١) ، الذى ترجم للاتينية باسم :
 "Doctor Perplexorum" يتناول فيه بالنقد الوحى والفلس .

واخيرا ؛ فقد اثار ادخال الفلسفة فى الدين عداوة بعض
 رجال الدين مثل الغزالى (ت ٥٠٥ / ١١٦٢) - عرف للأوربيين
 باسم : "Algazel" - الذى عاداها والف ضدها :
 "تهافت الفلاسفة" (٢) - اى سقوطهم - و « مقاصد الفلاسفة » (٣) .
 وربما تكون سبب عداوة الغزالى للفلسفة هو انه كان ضد الشيعة ،
 التى استخدمت الفلسفة فى عهده على نطاق واسع ؛ اذ ان الغزالى
 يعتبر واضع اسس السنة . ولكن الفلاسفة انبروا للدفاع عن انفسهم ؛
 وعن ربط الفلسفة اشد الربط بالدين ، ولا سيما ابن رشد ؛ الذى الف
 كتاب : تهافت التهافت (٤) « ، وشبه الغزالى بالجاهل الشرير .

العلوم الرياضية (٥) أو الرياضيات . نعرف ان الشعوب
 القديمة كان مجهودها قليلا فى الرياضيات ؛ فلم تكن تعرف منها
 الا المبادئ فالحساب كان متقدما عند الهنود من الناحية العملية ؛
 وعند اليونان الذين سموه الارتماطيقى (٦) : "Arithmatika"

(١) وهو نشر على يد Munk بعنوان :
 Guide des Egarés. 3 vols. Paris, 1856 — 1866.

(٢) ط . مصر ١٣٢١ هـ ، و ١٣٠٣ هـ . مع تهافت ابن رشد .

(٣) تحقيق سليمان دنيا ، القاهرة ١٩٦٢ .

(٤) انظر قبله ، وتحقيق Bouyges ، بيروت ١٩٢٧ ، كما
 نشره Muller ، مع ترجمة المانية فى Munich ١٨٧٥ ، وله
 ترجمة ايطالية من "Florence Lasinio" ١٨٧٥ - ١٨٧٨ ؛ انظر : ايضا :
 Gauthier

La Théorie d'Ibn Rochd sur les rapports, de la Religion et de
 la Philosophie. Paris, 1909.

(٥) عن ذلك بتفصيل ، انظر ، Sédillot :

Matériaux Pour servir à l'histoire comparée des sciences
 mathématiques chez les Grecs et les Orientaux. Paris, 1845.

(٦) المقدمة ، ص ٢١٢ .

كذلك عرف المصريون للقدمات مبادئ الجبر (١) ؛ وإن كانت كلمة جبر نفسها قد يكون أصلها بابليا ، وأن اليونان لم يكونوا يعرفونه . أما علم الهندسة فكان متقدما من الناحية العملية في مصر ، ومن الناحية العلمية في اليونان ، وإن كانت الكلمة نفسها فارسية الأصل (٢) .

ولكن يرجع الفضل للعرب في تقدم العلوم الرياضية ، بحيث أسهموا فيها بفروعها المختلفة . فهم الذين نقلوا إلى العالم المتحضر طريقة الحساب بالأرقام (٣) ، وهى طريقة العد المعروفة الآن ، فسميت لهم بالأرقام العربية . ويقال أنهم نقلوها من الهنود (٤) ، الذين أخذوا الصفر من الدائرة ؛ والواحد من الخط المستقيم ، والعرب يذكرون ذلك في كتبهم ؛ وإن كنا لا نعرف إن كانوا قد أخذوها من الهنود عند فتحهم لبلاعم ؛ أو إنها انتقلت إليهم عند فتح فارس ، كما أنهم قد يكونون هذبوها . ومع ذلك ؛ فالعدد بالأرقام لم ينتشر بين العرب إلا في القرن الرابع الهجرى ، لما قبل ذلك فأنهم كانوا يستعملون للحروف في العد ، وحتى بعد معرفة الأرقام استعملوا الحروف أحيانا . وعلى العكس ؛ فإن أوروبا لم تعرف طريقة العد بالأرقام إلا عن طريق العرب ؛ وفلك في القرن الخامس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، ويدل على ذلك اشتقاق الكلمات

(١) مثلا بربدية Blind في عهد أئمنجعت الثالث ، انظر Vogel : Die Grundlagen der Agyptischen Mathematik, München, 1929 .

(٢) هى من أندازيدان أو أنداختان، انظر . قال العرب علم الجو مطرقى Ency. (art Handasa) t2, p. 272.

(٣) المقدمة ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ ؛ مروج ، ط Paris ، ١ ص ١٤٨ -

١٥٠ .

Ency. (art Hisâb) t2, p. 234 — 6; (art Adad) ti, p. 125-7.

(٤) عن ذلك ، اقرأ : Woepeke :

: Mémoire sur la propagation des chiffres indiens. J.A. Paris, 1893.

Op. Cit., 11, p. 102 sqq. : Carra de Vaux. ;

الأوربية الدالة على صفر العربية (١) ، بمعنى خال ، مثل : " Ciphre " أو " Ziffer " أو " Chiffre " أو حتى " Zéro " أما قبل ذلك ؛ فانهم استخدموا طريقة العد الرومانية - فبهذه الطريقة سهل العرب طريقة العد بتغيير قيمة الرقم حسب وضعه فى خانة الأحاد أو العشرات أو المئات أو الألوف أو الملايين وعلى عكس الحروف التى لا تتغير بسهولة أو الأرقام الرومانية - كذلك وضع العرب أسس الحساب من جمع وطرح وضرب وقسمة وكسور ، وعرفوا استمرار الأرقام .

ومجهود العرب فى الجبر (٢) ، ويقصد به استخراج المجهول من المعلوم ، فيرجع اليهم الفضل فى تقدمه ، اذا لم نقل ان هذا العلم من أسامه من اختراع العرب ، اذ الواجب أن يعترف بمجهود العرب فيه . فقد ظهرت له على ايديهم نظريات لم تعرف قبلا ، وذكروها بتعبيرهم مثل : الحط - النزول - ، والمقابلة - اى المقارنة - ووضعوا له رموزا اصطلاحية ساعدت على تقدمه ، مثل : (ج) للجذر ، و (م) للامس ، و (م) لربع المجهول ، و « ك » لكعب المجهول . وقد بقيت كلمة جبر "Algebra" ؛ باقية فى كل لغات الدنيا حتى وقتنا الحاضر ؛ لتدل على هذا العلم .

أما مجهودهم فى الهندسة (٣) ، فتميز على الخصوص من

(١) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، تحقيق Van Vloten ، ص ٥٨ ؛

Ency. (art al — Cifr) t4, p. 425.

(٢) المقدمة ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ . عن ذلك بتفصيل : Ruska ؛

Zur Altesten Arabischen Algebra und Rechenkun st,

Heidelberg, 1917 ؛ طوقان ، العلوم عند العرب ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٥٥

وما بعدها ؛

Sur le sens exact du mot al — djedr. : Carra de Vaux

Bib. Math d'Enestrom, 1897, nol..

(٣) المقدمة ، ص ٣٨٤ وما بعدها ؛ ابن صاعد ، ص ٢٨ - ٢٩ ؛ انظر .

Ency. (art Handasa) t2, p. 272. ؛ وبعده . يذكر المؤرخون العرب كتب

المليونان . ، مثل : المخروطات لأبولونيوس (حوالى ٢٥٠ ق م) . والأركان

الناحية النظرية ، ويرجع ذلك الى اطلاعهم على كتب يونانية عديدة ترجموها لابولونيوس "Apollonios" واوقليدس "Eukleides" وديوفانتوس "Diophantos" وهيرون "Heron" وبابوس "Pappos" وارشميدس "Archimides" وغيرهم ، او لترجمتهم كتباً هندية او فارسية ، اذ كلمة هندسة او فارسية الاصل كما فكرنا (١) . وقد بدأ العرب معرفة هذا العلم في اوائل العصر العباسي زمن المنصور ، وان اضافوا شروحا لما ترجموه عنها . اما الهندسة العقلية ، فهي تقبل في تقدمهم فيما كانوا يسمونه بعلم الميكانيكا التي ربما يكون اصلها يونانياً - اذ ترجموا كتب اليونان عنها ، (٢) وجعلوها في خدمة بعض صناعتهم (٣) ؛ واشهرها عمل الساعات المائية والمزاول ، حيث ان اختراع الرقاص او البندول هو اختراع عربي (٤) .

ولدينا اسماء لامعة في علوم الرياضيات ، اشهرها علي الاطلاق محمد بن موسى الخوارزمي (ت حوالي ٨٤٠/٢٢٦) ، الذي عرف للاربيين في العصور الوسطى باسم الغوريتموس

والاقول في الهندسة لاوقليدس (حوالي ٣٠٠ سنة ق م) ، وهذا الاخير ترجمه ابو عثمن الدمشقي ، ط . Paris ، من ع .ت . عن ارشميدس بالذات ، كان مهندساً بارعاً نظم امور قري مصر بعمل الجصور والروم وقت الفتيان . (١) انظر . قبله .

(٢) مثلاً كتاب ، هيرون ، انظر . نص وترجمة ، Traité de Vaux

بعضوان :

Les Mécaniques au l'Élève de Héron d'Alexandrie J.A. IXe Série t1, et 11.

(٣) المقدمة ص ٣٢٦ . فعلاً اوقليدس كان نجاراً .
(٤) أشهرها ، كتاب ابن الرذاذ الجزري (ت ١٢٠٥/٦٠٢ - ٦) ، كتاب في معرفة الحيل الهندسية ، مخطوطة باستنبول . انظر . يوجد كتاب من رضوان بن محمد الساعاتي (ت ١٢١٦/٦١٧) ، بعنوان : الساعات في العمل بها ، تحقيق دهمان ، دمشق ١٩٨٢ . تحدث منه عن الساعات العربية ، مثل ساعة المسجد الأموي .

"Algorithmus" ، واليه أصبح ينسب علم الرياضيات باسم :
 اللوغاريتمات "Logarithme" . ونحن لا نعرف شيئا عن
 الخوارزمي غير انه عاش في عهد المأمون ، وإن معظم كتبه العربية
 التي شملت علومها عديدة ضاعت ، إلا أن بعضها لا يزال يوجد في
 ترجمات لاتينية . فالي الخوارزمي يرجع الفضل في وضع طريقة
 الحساب بالأرقام ، وهو ما عرف للأوروبيين بطريقة العد الهندية ،
 التي نقلها الخوارزمي "Algoritmi de numero indorum" ،
 كما أنه أول من تكلم في الجبر والمقابلة واعتبر مخترعه ؛ إذ له
 كتاب فيه وصلنا (١) ، الفه بناء على طلب المأمون ، بقصد
 أن يعرف الناس أحكام معاملاتهم ؛ وذلك بالاعتماد على كتب سابقة ؛
 لاسيما الكتب الهندية .

ولدينا أسماء شهيرة لعلماء آخرين اشتغلوا بالرياضيات ،
 يتميزون بثقافات متعددة ، نذكر منهم : أبا كامل شجاع (ت حوالي
 ٩٠٠/٢٨٧) ، لم تصلنا من كتبه الهندسية إلا ترجمة عبرية (٢) ،
 وأبا الوفاء البوزجاني (٣٢٨ - ٩٤٠/٢٨٨ - ٩٩٨) ، الذي ترجم
 وشرح كتاب ديوفانتس ، وزاد في بحوث الخوارزمي في الجبر ،
 وله كتاب في الحساب لم يصلنا ، وإنما وصلنا ملخص فارسي له (٣) ،
 وأبا بكر محمد الكرجي (ت ٤١٠ أو ١٠١٩/٤٢٠ - ٢٩) ، وهو
 الذي أصلح في جبر الخوارزمي ، وله كتاب في الجبر والمقابلة
 عرف بالفخري (٤) ، لأنه أهداه للوزير البويهى فخر الملك ، وفيه

(١) تحقيق مصطفى مشرفة ومحمد عيسى ، ١٩٣٧ ؛ نشر وترجمة Rosen
 بعنوان :

The Algebra of Mohammed ben Musa. London, 1831.

(٢) نشرها . Suter . Bibl. math 3série, 10 Vols, p. 15 --- 42.

(٣) انظر Woepcke في J. A. Ext. 1855. Paris, p. 89 عنه ، انظر

ابن الففطى ، ص ٢٨٧ ؛ انظر :

Ency. (art Abûl — Wafā') t1, p. 115.

(٤) لم يبق إلا قسم منه له خلاصة من Woepcke ، بعنوان :
 Ext du Fakhri. Paris, 1853.

انظر : Brockl Op. Cit., p. 219.

يستون مسألة تتعلق بالجبر ، فحاول فهمها تصديق الاجتهاد وحساب المعلومات والمجهولات ، وله كتاب آخر اسمه الكافي في الحساب (١) ، يعالجه دون استخدام الارقام ، واحمد النسوي (حوالي ١٠٤٠/٤٢٣) ، الذي له كتاب المقلع في الحساب الهندي ، والصغير في الحساب (٢) ، والسموئل المغربي (حوالي ١١٧٥/٥٧٠) ، وهو يهودي اسلم ، ألف كتابه القيم : الباهر في الجبر (٣) ، وبهاء الدين العاملي (٩٥٤ - ١٠٣٢/١٥٤٧ - ١٦٣٢) ألف خلاصة الحساب ، ويبدو فيه شغفه لهذا العلم ، فهو يحوى اصوله وفوائده مستخلصا اياه من كتب المتقدمين ، ويقدم الامثلة والجدول (٤) ، وغيرهم (٥) .

علم الهيئة (٦) ، ويعرف بأسماء مختلفة مثل علم التنجيم أو الافلاك ؛ وان كانت كلمة تنجيم قد انحصرت في قراءة الطالع بالتنبؤ بالحوادث المستقبلية ، وهذه اطلق عليها صناعة ، وبذلك فتصل بين علم الهيئة والتنجيم . وعلم الهيئة نظري وعملي ، يرمى الى رصد

(١) وهو مخطوط بمكتبة جوتة ، له ترجمة ألمانية من Hochelm ، بعنوان: Kafi f i — 1 — Hiaff). Halle, 1870 — 80.

انظر . ميبلر الترجمة ، ٢٢٠ . الحرجي ، انظر .
Ency. (art la-Karkhi) t2. p. 812.

(٢) كلاهما مخطوط . عنه ، انظر . Suter :
Bibl. Math 3e série, 7e Vol. 1906. 2e Vol. 1901.

(٣) تحقيق وتحليل صلاح أحمد رشدي ، دمشق ١٩٧٢ . عرفه الاوربيون .
Essenz der Rechen : Nesschmann ، بعنوان :
Kunst-Berlin, 1843 . كما لدينا نشر له من Woeckke ط .

كلكتا ، ١٨١٢ .

(٥) مثل قسطنطين لوفيا البعلبيكي الشامي (ت ٩١٢/٢٠٠) ، الذي ألف كتابا لم يصلنا اسمه : المدخل الى الهندسة . ابن صاعد ، ص ٢٧ ؛ ابن القفطي ، ص ٢٦٣ .

(٦) المقدمة ، ص ٣٨٦ - ٣٨٧ . بالتفصيل ، انظر .
Ency. (art Astronomie) t1, p. 504-8; (art Astrologie) t1, p. 502 — 5 .

Hist, de l'art — au moyen âge. Paris, 1819. : Delambre C.

حركات الكواكب ، لأهميتها فى تحديد الوقت والمواقيت ، وفى الحياة العملية مثل السير فى الصحارى والبحار .

وقد كانت مبادئ علم الهيئة معروفة عند العرب الحضرة مثل اليمانيين والكلدانيين رسموها فى هياكل معابدهم ، أما فى البداية فاقترص على ما تورثته الأجيال بما يدرك بالعين ، فوجدنا أسماء الكواكب فى قصائد الشعراء ، وجاء القرآن يؤيد هذه المعرفة (١) ، لكن العرب تلقت علم الهيئة الحقيقى ، نحو منتصف القرن الثانى الهجرى فى عهد العباسيين ، وذلك بالاتصال بالحضارات المختلفة ، بنقله من كتب الهنود واليونان وغيرهم . فاعتمدوا على مصدر هندى أشهره : السند هند (٢) ، وهى كلمة عربية محرفة عن السنسكريتية لاسم : السدهانت "Siddhanta" ، أى مقاله الأفلاك لأحد مؤلفيه فراهميرا "Varahamhira" (حوالى ٥٠٥ م) - الذى يسميه العرب كنكة الهندي - وكان زار الدولة العباسية فى ٧٧٣/١٥٦ - صبارة عن عدة كتب ، كما اعتمدوا على مصدر يونانى اسمه المجسطى "Almagistus" أى الأعظم ؛ وهو مكون من ثلاث عشرة مقالة ، والهيئة ، لمؤلفهما بطليموس (٣) "Ptolemaios" و "Ptolemeius" (حوالى ١٦٨ م) ، الذى اشتهر عندهم بالقلوذى أو القلوذى ، ربما تحريفا لاسم قلوديس "Claudius" .

(١) مثل : [والسما ذات البروج ٨٥ : ١] و [ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ٩ : ٣٦] .

(٢) ابن صاعد ، ص ١٣ ، ٤٩ - ٥٠ ؛ البيرونى ، كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، ط . London ، ١٨٨٧ ، ص ٢٠٨ ؛ حاجى خليفة ، ١ ص ٢٢ . وان كان الخليفة المنصور لم يأخذه كما هو ، وانما امر أن يؤلف منه كتابا تتخذة العرب أصلا فى حركة الكواكب - انظر . Bibl. Arab Hisp, tI, p. 429 ، كذلك ذكروا كتابا هندية أو فارسية أخرى ، منها كتاب اسمه : طمطم - المقدمة ، ص ٣٩٢ ؛ انظر . مييلى ، العلم ، الترجمة العربية ، ص ٣٠ .

(٣) مثلا : ابن صاعد ، ص ٢٩ - ٣١ . كما أطلعوا على كتب غيره من الفلكيين مثل :

Hypsikles و Aristarque و Autolykus و Ménélao و Theodosios.

ولكن العرب لم يكتفوا بالنقل أو الترجمة ، وإنما عملوا على تقديم علم الهيئة بما أضافوا إليه من معلومات جديدة ؛ بحيث إن علم الهيئة يعتبر العلم العربى الذى ظل يتداول حتى وقت ظهور الطباعة ، بل ما زالت اضافات العرب فى هذا العلم تثير الاندهاش فى وقتنا الحاضر . فقد اصلحوا المقاييس الفلكية القديمة ، وقاموا بدراسة الكسوفات والخسوفات ، وعرفوا بدقة النصبه الفلكية ومواضع النجوم ومجموعاتها ، ووجدوا تعابير فلكية اغنت علم الفلك وجعلته ثمرنا ، وقد نقلت هذه التعابير الى اللغات الاوربية ، مثل (١) : الطائر "Altair" ، والارنت "Ar nab" ، والذئب "Hakrabi" ، وقرن الثور "Taurt" ، والسحوت "Azimuth" (Sommet) ، واهتموا على الخصوص بالتقويم القمري ، ووضعوا له منازل . بشكل لم يعرف قبلا . وقد نشأت عنه مشكلة تحديد يوم الصيام ؛ وان حلها الفاطميون بان جعلوا الحساب وحده كافيا لتحديد اول شهر الصيام ، وذلك بثبوت الرؤيا بالحساب ، اما الصلاة فجعلت على اساس التقويم الشمسى .

ومن ناحية اخرى اسهم العرب فى تقدم هذا العلم بالتجربة التى جاءتهم من الملاحظة بانشاء المراصد - مفردا مرصد - فى كل مكان ؛ اذ كان انقسام وحدة دولة المسلمين سببا فى تعدد المراصد . وقد ساعدتهم على ذلك معرفتهم بآلة فلكية اسمها الاسطرلاب او الاطرلاب (٢) "Astrolabium" ، الذى كان قد اخترعه الاغريق ،

(١) عن ذلك ، انظر . Globus Coelestis arabicus. : Dresdensi Lipsiae, 1865.

(٢) من أوائل من ألف عنها من العرب على بن عيسى ، نشره شيخو ، بيروت ١٩٩٣ انظر . ميبل ، العلم ، ترجمة عربية ، ص ١٥١ . كذلك ، انظر . ابن الصفار ، العمل بالاطرلاب وذكر آلاته وأجزائه ، تحقيق Millas ، فى مجلة المعهد المصرى فى مدريد ١٨٥٥ ، نص ص ٤٦ وما بعدها ، ترجمة ص ٣٥ وما بعدها ، بصفة عامة ، انظر . Ency. (art Astrolab) 1ed, t1, p. 508 — 510; 2ed, t1, p. 744 sqq. ، مختار صبرى ، الاطرلاب ، البحث فى مجلة الهندسة ، جامعة القاهرة ، ١٩٤٧ ؛

وهي كلمة يونانية معناها ميزان النجم أو موازنة النجم ، وإن ادخل العرب عليها بعض التحسينات . فكانت هذه الآلة لا تقتصر فقط على رصد الكواكب والنجوم ، وإنما استخدمت كذلك في تحديد اتجاه الأجسام ، ومن كان ينبغي في صنعها أو استعمالها وعرف بالآسطرلابي (١) . وعرفوا منها أنواعا : أشهرها المسطح أو المسطح ، وهو الذي سموه ذات الصفائح ، ويتكون من كرسى وقطب وصفيحة وحجرة وحلقة ، وعرفوا الآسطرلاب الكرى (٢) . كذلك عرفت آلة أخرى باسم ذات الحلق ، وهي يونانية الأهل - يبدو أنها تتكون من حلقات نحاسية ، أول ما صنعت في أيام المأمون (٣) . كما عرفوا الصفيحة الزرقالية (٤) - وهو أسطرلاب جديد به الكثير من التحسينات - نسبة إلى الزرقلي مخترعها . وكان أشهر المرصد هو مرصد الخليفة المأمون العباسي ، الذي بنى في دمشق (٥) ، ومرصد عضد الدولة البويهى في بغداد (٦) ، والمرصد الذي أنشاه الفاطميون أيام الحاكم ، وفي أيام الوزير الأفضل على جبل المقطم (٧) .

A Note on an Early Treatise on the Astrolabe, : Darbey
Geographical Journal. February, 1935,

Sédillot : Mémoire sur les instruments astronomiques des Arabes
Paris, 1841.

(١) النجوم ، ص ٥ ، ٢٧٥ . مثلا البديع الأسطرلابى (ت ١١٤٤/٥٣٩)

الذى نبغ في عمل الأسطرلابات .

(٢) أنظر . امام ، تاريخ الفلك عند العرب ، المكتبة الثقافية ، نوفمبر

١٩٦٠ ، ص ٤١ - ٤٢ . ربما يكون واضح تصميمه أبو البتاني . أنظر . بعده .

(٣) المقدمة ، ص ٣٨٦ .

(٤) من ذلك ، أنظر . Vallicrosa :

Estudios sobre Azarquiel et Tratado de la azafea. Archeion,

XIV. 1932 p.p. 392 — 412 . هو ابن يحيى النقاش من فلكيي الاندلس .

وأيضا : امام ، تاريخ الفلك ، ص ٤٦ ؛ ميلى ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ؛ أنظر . بعده .

(٥) ابن صاعد ، ص ٥٠ . وذلك في سنة ٨٢٩/٢١١ .

(٦) ابن القفطى ، ص ٢٢٩ .

(٧) وفيات ، ص ٨٥ - ٨٦ .

والمرصد الذى انشاه هولانو (هولاجو) فى مراقبة باذريجهان (١) .

ولدينا طوال الفترة الاسلامية أسماء فلكيين بلغ هبتهم اوربا ، وحازوا درجة كبيرة من الشهرة . وقد كانت مؤلفاتهم تسمى عادة باسم زيج لو زيجة ، جمعها ازياج لو زيجات ، وهى كلمة من اصل فارسي « زيك » . ولهم معانها للكتب التى تتناول علم الهيئة فقط ، ولكن ايضا الجداول الفلكية (٢) ؛ فقد كان للفرس ازياج اطلع عليها العرب من الافلاك .

واول طبعة كانت فى عهد الخليفة العباسي المنصور ، اى فى اوائل العصر العباسي ، اعتمدت على الخصوص على علم الفلك الهندي ، نذكر منها (٣) : محمد بن ابراهيم الفزاري ، الذى عاش زمن المنصور ، وهو الذى يعتبر اول فلكي اسلامي ترجم كتاب السند هند ، كما انه ألف كتابا فى علم الفلك سماه : السند هند الكبير ، واول من استخدم الاسطرلاب . فمن كتبه : السند هند الكبير ، والعمل بالاسطرلاب ، والزيج على سنن العرب . ثم نذكر يعقوب ابن طاروق (حوالى ت ٧٩٦/١٨٠) ، وهو الآخر ترجم كتاب السند هند ، وله جداول وضعها على اساس هذا الكتاب المترجم .

بعد ذلك فى عهد المأمون جاءت طبعة ثالثة ظهرت ابحاثها نتيجة للعمل فى مرصد المأمون ، ومن ترجمة الكتب اليونانية لاسيما المجسطي ، منهم : سند ابن على (٤) ، الذى اشرف على بناء المرصد ، وله جداول لعلها من عمل عديد من الفلكيين ، ومحمد بن موسى الخوارزمي (ت ٨٥٠/٢٢٦) عالم الرياضيات المعروف - الذى لخص

(١) انظر . Jourdain :

Mémoire sur l'Observatoire de Mérajah. 1810

(٢) بتفصيل عن هذه الكلمة ، انظر مثلا : نيلبو ، علم الفلك ، ترجمة

عربية ، ص ١٤ ؛ امام ، ص ٢٤ .

(٣) ابن مسعود ، ٤٩ - ٥٠ ؛ القفطى ، ص ٢٧٠ ؛ امام ، ص ٢٣ ؛

Les Penseurs, 11, p. 197 sqq. : Carra de Vaux.

(٤) ابن ماعد ، ص ٥٠ - ٥١ .

جداول الفزارى وعمل منها زيجة (٢) ، وعُدل كتاب السند هند ،
 واحمد بن كثير الفرغانى ، الذى كان معاصرا للخوارزمى ، واعتبر
 من كبار الفلكيين وعرف للأوربيين باسم "Alfraganus" واشهر كتبه :
 الحركات السماوية وجوامع علم النجوم فى ثلاثين فصلا (٢) : فند
 فيه اخطاء بطليموس ، وتكلم عن سبب الخسوف والكسوف وغيايب
 الشمس عند القطب .

اما الطبقة الثالثة ، فاشهرها على الاطلاق عالم اسمه محمد
 ابن سنان المعروف بالبتانى (ت ٩٢٩/٣١٧) ، نسبة الى بتان قرية فى
 حدود حران ، الف عدة كتب فى الفلك سماها الزيج ، اشهرها كتاب
 الزيج الصابى (٣) ، وهو أحد الجداول الفلكية الهامة ؛ حيث
 استخدم الرسومات الهندسية الدقيقة ، واقتفى مثل غيره من كبار
 فلكي العرب تعيين النصب الفلكية ، كما اصلح بعض الأرصاد . وبذلك
 ساعد البتانى على تقدم علم الفلك ، ولذا يعتبر طبقة كاملة فى علم
 الفلك ، واشتهر فى أوربا باسم : "Albateguns" ؛ حيث ترجم كتابه
 الى اللاتينية والأسبانية منذ زمن مبكر . ويمكننا أن نذكر بجانب
 البتانى ابن يونس المصرى (ت ١٠٠٩/٣٢٩) ، من فلكي العزيز
 والحاكم الفاطميين فى مصر ، وعرف زيجه باسم : « الزيج الكبير

(١) نفسه ، ص ٥٩ ، ٥٤ . لدينا النص اللاتينى وترجمته الألمانية من :

Die Astronomischen Tafeln. Björnbo und Besthorn
 köpenhawn, 1914. بعنوان :

(٢) ابن صاعد ، ص ٥٤ - ٥٥ ؛ امام ، ص ٣١ - ٣٢ . كتابه يوجد
 مخطوطا ، وترجم مرتين الى اللاتينية ، فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ثم طبعت
 هذه الترجمات فى أوربا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر .

(٣) نشر فى أوربا عدة مرات فى ١٥٣٧ و ١٦٤٥ م . حققه Nallino
 وهو نشر للنص وترجمة لاتينية ، وله مقدمة ، بعنوان : Opus Astronomicum
 Roma. 1899 — 1907, 2Vols.

Op. Cit., 11, p. 208 sqq. : Carra de Vaux . انظر .

اختصر البتانى كتاب المحطى ، ويوجد منه نص معروف باسم : الاختصار
 Bibl Arab. His p. 1. : Caffri . انظر . مكتبة الاسكوريال .

الحاكمي » ، لأنه أهده الى الخليفة الحاكم الفاطمي ، اوزيغ ابن يونس (١) ، وقد بسط فيه القول والعمل ، اذا اعتمد على الآلات الصحيحة ، كما انه اشرف على انشاء المرصد في عهد هذا الخليفة .

ثم بعد ذلك ، نذكر البيروني (ت ١٠٤٨/٤٤٠) ، الذي ألف : القانون المسعودي في الهيئة والنجوم (٢) ؛ لأنه أهده الى سلطان غزنة مسعود بن محمود الغزنوي ، اورد فيه كل المعلومات الخاصة بالفلك ، يحتوى على اثنين واربعين ومائة باب ، يبدو انه اعتمد فيه على كتاب الخازن (ت ٩٦٠/٣٤٩) ، الذي له كتاب : الآلات العجيبة رصدية (٣) . ونذكر الزرقلی (ت ١٠٨٧/٤٨٠) ، المعروف للأوربيين باسم ارزخال ^{Arzakhā} ، له كتاب مشهور اسمه : الأزياج الطليطلية (٤) ، جمع فيه ما بلغه علم الفلك في الاندلس من تقدم ، كما نبغ في صناعة الأسطرلاب .

بعد ذلك ، لم يافل علم الهيئة بمجىء المغول ؛ فقد ظهر هالم كبير في عهدهم هو نصير الدين الطوسي ، الملقب بالحقق (ت ١٢٧٤/٦٧٢) ، وهو شيعي اسماعيل ، عمل رئيسا للمرصد الذي انشاه هو لا جو في المراغة بأذربيجان ، وزوده بمكتبة قيل فيها

(١) لم يبق منه غير قسم ، بينما يذكر ابن خلكان انه كان في أربعة مجلدات . انظر نص وترجمة له من Caussin ، بعنوان :

Le livre de la grande table Hakemite. Paris, 1804.

عن ابن يونس : وفيات ، ٢ ص ٨٥ - ٧٦ ؛ انظر .

Ency. (art Ibn Yûnus) t2, p. 454 — 5.

(٢) نشرت وترجمت بعض اجزائه ، انظر . Wright :

The book of construction in the elements of astrology, written in Ghazna 1029 A. D. Text. translation. London 1934.

(٣) الفهرست ، ص ٢٢٦ ، ٢٨٢ ؛ انظر .

Ency. (art Khâzin) t2, p. 992 — 3 .

(٤) لا يوجد بالعربية ، ولما باللاتينية ، ترجمها Zinner ، بعنوان

Die Tafeln von Toledo. Osiris. 1, 1932.

؛ انظر . موبلي ، ص ٣٥٩ ، ٢٦٢ ؛

Op. Cit., 11, p. 227 sqq. : Carra de Vaux.

أربعمئة ألف مجلد ، وظهر له كتاب اسمه الزيج الإيلخاني (١) ،
الذى فيه جداول فلكية ، نسبة الى إيلخان المغول .

علم الجغرافيا : وقد كان معروفا عند المصريين القدماء
وانيونان ؛ وان لم يتخذ الطريق العلمى الا على يد اليونان ؛ فكلمة
جغرافيا هى كلمة يونانية ، تعنى وصف الأرض بما فيها من تضاريس
وأجواء . وقد بدأ اهتمام العرب بعلم الجغرافيا بمثل ما فعلوه بالنسبة
للعلوم الأخرى ، وذلك عن طريق الترجمة والنقل لما كتبه اليونان
مثل بطليموس "Ptolemaios" - الفلكى السابق - الذى اشتهر عندهم
بالقلوذى أو القلوذى كما ذكرنا ، وعرفوا له كتباً جغرافية عديدة
أهمها كتاب : « الجغرافيا (٢) » . ولكن هذا العلم تقدم على يد
العرب ؛ بسبب امتداد رقعة الاسلام ، وبسبب النشاط التجارى سواء فى
البر أو البحر ، وسيطرة المسلمين على ممالك التجارة العالمية ،
وبسبب الحج الذى كان يهيم للمسلمين المعرفة الجغرافية ، وبسبب
الرحلة التى اعتبرت فناً اسلامياً سبقت عصر الرحلات الأوروبية ، إذ
أحبوا السياحة والجولان .

والواقع ان تقسيم الجغرافيا - كما نعرفها الآن - ، لم تظهر
الا فى العصر الحديث ؛ فقبس ذلك كان الجغرافيون يتكلمون عن
الجغرافيا بصفة عامة . ومع ذلك بشائر التخصص ، فى الجغرافيا
وجدت ، والجغرافيا التى اقبل عليها العرب ، هى بالأولى الجغرافيا
الوصفية ، التى تتناول وصف البلاد والمدن والأنهار والجيال وحالة
السكان ، وذلك بقصد تسهيل تحصيل ضربتى الجزية والخراج ، ومن
ثم كانت كتب المسالك والممالك ، أو كتب تقويم البلدان ، من أقدم

(١) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً - أنظر .

: Suter : Ency, (art al Tûst) t4, p. 1032 sqq,

Die Mathematiker und Astronomen der Araber; und ihrer Werke.
Leipzig., 1900. j. 148 — 53.

؛ أنظر . ميبلى ، العلم ، ص ٢٩٧ ، ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٢) أول ترجمة عربية له من ثابت بن قرة .

الكتب في الجغرافيا العربية . كذلك هناك لون من الكلام في الطبوغرافية ، الذي أتى من الكلام عن المدن وخطوطها . كما ظهرت في أيام العرب بعض محاولات للتكلم عن الجغرافيا الرياضية ، وهي الخاصة بتحديد خطوط الطول والعرض ، ومسافات البلدان ؛ وفي سبيل ذلك ، استخدموا معلوماتهم في علوم الهيئة والرياضيات . ومنذ عهد المأمون سعى إلى معرفة طول الأرض ، التي قسموها سبعة أقاليم بين المشرق والمغرب - وكلمة إقليم كلمة عربية ، تعنى الجزء لمعلوم من الأرض التي تتأخمه أى المقطوع (١) - وهذا التقسيم بنوه على درجة الحرارة بالبعد والقرب من خط الاستواء - أو خط وسط الأرض - حيث يعتبرون الإقليم الرابع ، الذي به دار الإسلام أفضل الأقاليم . أما عن الجغرافيا الجيولوجية (٢) ، فنجد أن بعض الجغرافيين العرب يتحدث عن تغييرات في القشرة الأرضية ، وكيف أن تكونها كان بطيئا ، وأن الجزيرة العربية مثلا كانت بحرا قبل أن تكون برا ؛ وأن الحفريات تمثل كائنات حية تعيش في الأزمنة القديمة ، وهو ما نسميه بالعصور الجيولوجية . كذلك أدركوا أن شكل الأرض كرى - وأن عرف اليونان ذلك أيضا - وأنها محفوفة بعنصر الماء ، الذي سموه البحر المحيط ؛ ولهم تشبيهات لطيفة في ذلك ، منها أن الأرض كعنبه طافية على الماء (٣) . أما عن الجغرافيا الجوية ؛ فانهم تحدثوا كثيرا عن الجو والرياح والأمطار .

ونعرف طبقات عديدة من الجغرافيين المسلمين ، ظهرت طوال فترة الحضارة الإسلامية . فمنها طبقة أولى وصلتنا أخبارها ، أغلبها تختص بالرحلات (٤) ؛ وهذا يدل على أهمية الرحلة بالنسبة

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ ص ٢٤ وما بعدها .

(٢) أنظر ما كتبه البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرغولة ، نشر Leipzig ' Sachau ، ١٨٨٧ .

(٣) المقدمة ، ص ٣٥ .

(٤) عن ذلك ، أنظر . نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، القاهرة ١٩٥٦ ؛ زكى حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى . Ferrand :

=

للجغرافيا الاسلامية . فنذكر سليمان السيرافي (٨٥١/٢٣٧) ، الذي وصف لنا البحار حتى الصين ، وان وصلنا وصفه بتسجيل آخر اسمه ابي حسن السيرافي (حوالي ٩٠٣/٣٠٨) ، ثم سلام الترجمان (حوالي ٩/٣) ، ويظهر انه كان على معرفة بعدة لغات ، وذهب الى القوقاز ونهر اتل (الفلجا) ، ثم ابن فضلان الذي ذهب الى بلاد البلغار في سنة ٩٢١/٣٠٩ . وقد وصلنا وصف رحلة هؤلاء الثلاثة في كتب المتأخرين (١) ؛ وان قيل ان اول من كتب في الجغرافيا هو الكلبى (٢) (ت ٨٠٢/٢٠٤) - وهو مؤلف لعدة كتب لم تصلنا - او الكندى (٣) (ت ٨٧٣/٢٦٠ - ٤) - الفيلسوف السابق الذكر - الذي ترك لنا مؤلفا جغرافيا بنصه اللاتيني المترجم .

بعد ذلك ظهرت طبقة هامة جدا ، منها الخوارزمي (في ايام المأمون) ، وله كتاب : صورة الأرض ، وهو ترجمة لكتاب بطليموس القلوذي (٤) ، وابن خردذابه (حوالي عام ٨٤٦/٢٣٢) ، له كتاب

=

Relation des voyages et Textes géographiques arabes, persane et turcs relatifs à l'extrême Orient du VIII au XVII Siècle. 2 Vols Paris. 1913 — 4.

Relation des voyages, faits par, : Langlès et Reinaud: les Arabes et les Persans dans l'Inde et à la Chine ed. et trad 2 vols. Paris. 1845.

(١) نشرت رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخرور والروس والصقالية سنة ٩٢١/٣٠٩ ، حققها سامي الدهان ، دمشق .
(٢) معجم الادباء . ط ، رفاعي ، ٢٩١ . له كتب لم تصلنا ، منها : البلدان الكبير ؛ والبلدان الصغير ، وكتاب الأنهار ، وكتاب الاقاليم . انظر نفيس ، جهود المسلمين في الجغرافية ، ترجمة فتحى عثمان ، (سلسلة الالف كتاب (٢٧٢) ، ص ٤٢ .

(٣) مروج ، ط . Paris ، ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ؛ انظر : متر ، الحضارة الاسلامية ، ٢ ص ١ . لدينا منه مؤلفات بنصها اللاتيني المترجم . انظر . ميلى ، العلم ، ص ١٥٣ .
(٤) تحقيق Hans Mazik ، ط . Leipzig ، ١٩٣٦ .

الممالك والممالك (١) ، والبيقوي (ت ٨٩٧/٢٠٤) ، وله كتاب :
البلدان (٢) ، والجيهاني (او آخر ٣ / ٩) وكتابه لم يصلنا الا على
يد ابن الفقيه (حوالى ٩٠٣/٢٩٠) الذى له كتاب : مختصر كتساب
البلدان (٣) ، وان رسته (حوالى ٩٠٣/٢٩٠) ، له كتاب : الاعلام
النفسية (٤) .

ثم طبعة اخرى منها : قدامة بن جعفر (ت ٩٢٢/٣١٠) ، له
كتاب : الخراج وصفة الارض (٥) ، والبلى (ت ٩٣٤/٣٢٢) ،
له كتاب : صور الاقاليم (٦) ، وهو من رسامى الخرائط ، والنهمذاني
(ت ٩٤٥/٣٣٤) ، له كتاب : صفة جزيرة العرب (٧) ،
والاصطخرى (حوالى ٩٥١/٣٤٠ - ٢) ، له كتاب : مسالك الممالك ،
والمسعودى (ت ٩٥٦/٣٤٥) ، الذى بسبب رحلاته العديدة ودقة
وصفه قورن بالرحالة اليونانى بلينيوس "Plinius" ، وله عدة كتب
منها : التنبيه والاشراف (٩) ، وابن حوقل (حوالى ٩٧٧/٣٦٦) ،
له كتاب : المسالك والممالك (١٠) ، والمقدسى (حوالى ٩٨٨/٣٧٨)

-
- (١) تحقيق وترجمة de Goeje ، ومعه كتاب الخراج لقدامة ، فى
مجموعة B.G.A. ، ط . ، Leyden ، ١٨٨٩ .
- (٢) ومعه كتاب ابن رسته : الاطلاق النفيسة ، فى مجموعة B.G.A. ،
ط . ، Leyden ، ١٨٩١ - ١٨٩٢ .
- (٣) تحقيق de Goeje ، فى مجموعة B.G.A. ، ١٨٨٥ .
- (٤) انظر . هامش (٢) .
- (٥) انظر . هامش (١) .
- (٦) اورد حاجى خليفة اسم هذا الكتاب عنه ، انظر .
Ency. (art al-Balkh) t1, p. 638.
- (٧) تحقيق Muller ، ط . ، Leyden ، ١٨٩١ .
- (٨) تحقيق de Goeje ، فى B.G.A. ، ط . ، Leyden ،
١٨٧٠ - ١٨٩٣ .
- (٩) تحقيق de Goeje ، فى B.G.A. ، ط . ، Leyden ،
١٨٩٤ ، وله ترجمة فرنسية من Carra de Vaux ، بعنوان :
Le Livre de l'avertissement et de la revision. Paris, 1897.
- (١٠) فى B. G. A. ، ط . ، Leyden ، ١٨٩٣ - ١٨٩٤ .

له كتاب : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (١) .

ثم طبعة أخرى منها البيرونى (ت ١٠٤٨/٤٠٧) ، له عدة كتب مثل : الآثار الباقية عن القرون الخالية (٢) ، وكتاب الهند ، وناصر خسرو (ت ١٠٦١/٤٥٣) ، له كتاب : سفرنامه (٣) ، والبكرى (ت ١٠٩٤/٤٧٨) ، له كتاب : معجم ما استعجم (٤) ، والممالك والممالك (٥) .

ثم طبعة منها : الادريسي (ت ١١٦٦/٥٦٢) . له كتاب : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق (٦) ، ويعرف ايضا باسم كتاب رجار ، يمتاز عما سبقه بما كتبه عن اوربا ؛ بحيث أطلق عليه استرابون "Strabo" العرب ، وابو حامد الغرناطى (ت ١١٦٩/٥٦٥) ، له عدة كتب مثل : تحفة الألياب ونخبة الاعجاب (٧) ، وابن منقذ (ت ١١٨٨/٥٨٤) ، له كتاب : الاعتبار (٨) .

ثم طبعة منها : الهروى (ت ١٢١٤/٦١١) ، له كتاب : الاشارات الى معرفة الزيارات (٩) ، وابن جبير (ت ١٢١٧/٦١٤) له كتاب : رحلة (١٠) ، وياقوت (ت ١٢٢٩/٦٢٦) ، وقد اعتمد

-
- (١) تحقيق de Goeje ، فى مجموعة B.G.A. ، ط . Leyden ، ١٨٧٠ - ١٨٩٣ . وله ترجمات انجليزية وفرنسية .
 (٢) ط . Leipzig ، ١٨٨٧ ، ترجمة Sachau ، ط London ، ١٨٩٧ . عن كتاب الهند ، انظر . قبله .
 (٣) تحقيق يحيى الخشاب الى العربية ، القاهرة ١٩٤٥ ، وترجمة Schefer ، الى الفرنسية ، ط ، Paris ، ١٨٨١ .
 (٤) تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ١٩٤٠ .
 (٥) لدينا جزء منه قد نشر ، هو : كتاب العرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق de Slane ، ط . Paris ، ١٩١١ ، ط . الجزائر ، ١٨٥٧ ، وطبعة حديثة ١٩١١ - ١٩١٣ .
 (٦) ط . Roma ، ١٩٥٢ .
 (٧) (فى B. G. A.) ، ط . Leyden ، ١٨٨٥ .
 (٨) نشره فيليب حتى ، Prinston ، ١٩٣٠ .
 (٩) ط . سنة ١٩٥٣ ، نشر Sourdel .
 (١٠) مثلا تحقيق نصار ، مصر ١٩٥٥ .

على كتب عديدة لم تصلنا ، له كتاب : معجم البلدان (١) ، والمشارك
وضعا والمفترق صعقا (٢) ، والبغدادى (ت ١٢٣١/٦٢٩) ، له
كتاب الافادة والاعتبار ، والثقفة السفينة فى اسماء البلاد
المصرية (٣) ، والقزوينى (ت ١٢٨٣/٦٨٢) ، له كتاب : ضفة
الارض (٤) ، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، وابن سعيد
(١٢٨٦/٦٨٥) : المشرق فى حلى المشرق والمغرب فى حلى
المغرب (٥) ؛ والعبدى (حوالى ١٢٨٩/٦٨٨) - وهو يشبه
ابن بطوطة - كتب عن الرحلة المغربية (٦) .

واخيرا طبقة منها : الدمشقى (ت ١٣٢٧/٧٢٧) : نخبة
الدعوى صجائب البر والبحر (٧) ، وابو الفدا (ت ١٣٣١/٧٣٢) :
تقويم البلدان (٨) ، وابن فضل الله العمري (ت ١٣٤٧/٧٤٨) :
مسالك الابصار فى ممالك الامصار (٩) ، وابن بطوطة
(ت ١٣٧٧/٢٧٩) . تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب

(١) تحقيق الشقنيطى ، ٨ اجزاء ، القاهرة ١٩٠٦/١٢٢٣ ، تحقيق
Wust ، ط . Leipzig ، ١٨٦٦ . له ترجمت انجليزية .
(٢) تحقيق Wust ، ط . Gottingen ، ١٨٩٦ .
(٣) تحقيق Moritz ، القاهرة ١٨٩٨ ، ترجمة وتعليق De Sacy ،
بمصر :
Reletion de l'Egypte, par. Abdal — Lattif. Paris, 1810.

(٤) تحقيق Wust ، فى مجلدين ، ط . Gottingen ، ١٨٤٨ .
١٨٤٩ .

(٥) اجزاء منه نشرها Vollers و Leide Tallquist
١٨٩٩ . له ايضا كتاب مختصر جغرافية ، مخطوط بباريس ، برقم ١٩٠٥ .
(٦) هى مخطوطة بجامعة الجزائر ، برقم ٢١٠٧ . عنه انظر
Ency (art al - 'Abdari) II, P. 69 — 70.

(٧) ط . Petersbourg . ١٨٦٦ ، وترجمت على يد Mehren
Copenhagen ، ١٨٧٤ .
(٨) تحقيق Schier ، ط . Drisdn ، ١٨٤٠ . وله ترجمته
لاتينية قديمة من Reiske ، ط . Leyde . ١٧٧٠ - ١٧٧١ .

(٩) تحقيق زكى باشا ، الجزء الاول ، ط . دار الكتب ١٩٢٤ . وله ترجمة
لبعض اجزائه من Demombynes ، ط . Paris . ١٩٢٧ . يوجد
بقية مخطوطا بدار الكتب برقم ٢٥٦٨ .

للإسفار (١) وابن الوردى - سراج الدين (ت ١٤٥٧/٨٦٢) : جريدة
العجائب وفريدة الغرائب (٢) .



علم الخرائط : ولول من قام برسم الخرائط المصريون القدماء ؛
وعلى الرغم من قلة معلوماتنا عن خرائطهم ؛ فإن النصوص التاريخية
وبعض النقوش على جدران المعابد ، تدل على أن المصريين القدماء
رسموا خرائط لأرض مصر وما يجاورها ؛ تظهر فيها الأودية بما فيها
من الجبال والحجارة (٣) . وقد أخذ اليونان خرائط المصريين
القدماء - بملاحظة جغرافيين المسلمين (٤) - وتوسعوا فيها وأضافوا
إليها هم والرومان من بعدهم فنا جديدا ، وساعدهم على ذلك اتساع
معارفهم ؛ بسبب تكين امبراطوريات شاسعة الأرجاء فى عهد الاسكندر
الأكبر والبطالمة والرومان : فقد رسموا خرائط على أساس تقسيمها
الى مناطق حرارية ، موزعة بين خطوط وهمية متساوية فى الطول
مختلفة فى العرض ؛ حتى يتمكنوا من ضبط مواقع البلاد .

وقد ورد فى كتب المسلمين أسماء أشهر رسامي خرائط اليونان
والرومان ، نذكر منهم : هبارقة "Hipparchus" (ت ١٥٠ ق م) ،
وبليينى "Plinius" (١٣ - ٧٩ م) ؛ ومارينوس الصورى "Marinus"
(٧٠ - ١٣٠) (٥) ؛ إلا أن أشهر من رسم الخرائط فى العصر
القديم ؛ هو ولا ريب بطلميوس القلوذى "Ptolemaios"
(٩٠ - ١٦٨ م) ، الذى يعتبر آخر جغرافى قديم ، قدم إلينا خرائط
يعتد بها ؛ وقد بقيت خرائط بطلميوس هذا أصلا يرجعون إليها فى
رسم خرائطهم ؛ وهو معروف عندهم بمؤلفاته التى أهمها :
« الجغرافيا » ، و « المجسطى » ، و « الهيئة » و « تسطيح الكرة » .

(١) مثلا ، القاهرة ١٩٢٨ ، فى جزئين ، ترجمة إلى الفرنسية
Defremeny Sanguinetti

(٢) نشر وترجمة لاتينية من Hylander ، ١٨٢٢ ، ونص وترجمة لا تينية
لاخرى من Tornberg ، ١٣٥٠ . وله طبعات مصرية .

(٣) مثلا برهية تورينو المعروفة ببرهية الذهب ، أنظر .

(٤) القتيبة ، ص ٣١ .

(٥) نفسه ، ص ٢٥ .

ويبدو أنهم اعتمدوا على هذا الكتاب الأخير ، فى ظهور علم تسطيح الكرة (١) ، ويقصدون به رسم الكرة الأرضية على الورق ؛ بحيث جعلوه فرعا من علم الهندسة . ولم تصلنا النسخ الأصلية لخرائط بطلميوس بسبب تطاول الزمن ؛ وإنما وصلتنا فى خرائط المسلمين ، أو فى خرائط لاتينية عن طريق بيزنطة فى وقت متأخر فى القرن الخامس عشر الميلادى (٢) .

حقا ان خرائط اليونان والرومان ، اعتبرت اساما لرسم الخرائط عند المسلمين فى العصور الوسطى ؛ الا ان المسلمين لم يقلدوها تقليدا اعمى . فقد اضافوا اليها واصلحوا فيها كثيرا ، وساعدتهم على ذلك اتساع رقعة املاكهم شرقا حتى حدود الصين وشمالا قرب باريس ؛ مما جعل لخرائطهم طابعا يختلف عن خرائط القدامى ، بحيث انه بعضى الوقت وجدنا للمسلمين خرائط ذات طابع اسلامى محض ، بعيدة عن التأثير بخرائط اليونان والرومان . فلا يستطيع العلم ان ينكر فضل المسلمين على تطور رسم الخرائط ؛ فقد بدأت تظهر فى خرائطهم - لأول مرة - العلامات الأرضية ، التى تمثل الجمال والغابات والأنهار وغيرها من مظاهر سطح الأرض ، وهى عناصر تعتبر مكممة للخريطة . فكان الجغرافيون المسلمون يرسمونها كما يراها الناظر فى الطبيعة ، او كما يراها من جانب واحد ؛ وذلك على عكس ما اتفق عليه فى الوقت الحاضر ، يرسمها فى خطوط على سطح افقى ، يرسم الجيلال مثلا بما يعرف بالخطوط الكنتورية . وكذلك اصلحوا جداول بطلميوس للمدن ، واصلحوا اليها اسماء كثيرة ، وكانوا يدلون عليها برسمها فى شكل دوائر . وكذلك اظهروا اتصال اجزاء من العالم لم تكن معروفة فى العهد اليونانى والرومانى ، مثل اتصال الهند بالصين . وكانت خرائطهم ترسم

(١) كشف القلون ، ١ ص ٢٨٢ .

(٢) انظر . La Mer Rouge. Mém de la Soc. Roy : Kammerer. de Geog. d'Eg. t. xv. Le Caire, 1929, p. 36.

لدينا فى مكتبة جامعة القاهرة ترجمة من اللاتينية لكتاب الجغرافيا وخرائطه لبطلميوس باللغة العربية ، ولا نعرف - لسوء الحظ - اسم المترجم ولا تاريخ الترجمة ؛ التى تظهر فى غاية الركاكة والقموض .

بصفة خاصة على اساس تقسيم الأرض الى سبعة اقاليم ، شمال خط وسط الأرض ، كل واحد منها آخذ من الغرب الى الشرق على طوله . ومن الطريف ان نذكر ملاحظة المسعودي الخاصة بخرائط المصريين القدماء ؛ فهم الذين جعلوا الاقاليم فى الجنوب سبعة كما فى الشمال (١) . كذلك نذكر هنا ، ان خرائط المسلمين تجعل الشمال فى الجنوب ؛ والجنوب فى الشمال ، والغرب فى الشرق ، والشرق فى الغرب ، وهى طريقة خصه بهم لرسم الخريطة .

هذا التفوق فى رسم الخرائط عند المسلمين ؛ لم يظهر الا بعد ان توطدت اقدام المسلمين فى البلاد التى كانت تتمتع بحضارات سابقة ؛ وذلك فى العصر العباسى الاول ؛ حيث ترجمت كتب اليونان وغيرها كما ذكرنا . بل ان الخليفة العباسى المأمون (١٩٩ - ٢١٨/٨٣٣) ، امر برسم صورة يظهر فيها العالم بأجوائه ونجومه وقاراته وبحاره ومواطن سكناه وصحاريه ومدنه ؛ بحيث أن الخريطة التى عرفت باسم الصورة المأمونية (٢) ، اجتمع على صنعها عدة من جغرافى عصره ، فاقت كل الخرائط التى رسمها ماريونوس وبطلميميوس وغيرهما من القدامى ، وكانت مصورة بانواع الاصباح .

وكانت اول طبعة من الجغرافيين العرب متأثرة - بطبيعة الحال - الى حد كبير بخرائط بطليميوس على الخصوص ، وذلك كما يظهر من الخرائط ، التى استخرجها محمد بن موسى الخوارزمى (حوالى ٢٠٦/٨٢١) - العالم الرياضى والفلكى المشهور - من كتاب الجغرافيا ، الذى ألفه بطليميوس (٣) . ولكن بعد ذلك ظهرت للجغرافيين المسلمين ، خرائط تتميز بما اضيف اليها من معلومات

(١) التنبيه والاشراف ، ص ٣١

(٢) نفسه ، ص ٢٧ ، ٣٣ ؛ الزهدى ، كتاب الجغرافيا وخريطة الفزارى ،

B. E. O. tXXI, Damas, 1968.

تحقيق محمد حاج ، فى Hans ، ط . Leipzig ، ١٩٢٦ ، بعنوان :

(٣) أنظر . تحقيق Hans ، ط . Leipzig ، ١٩٢٦ ، بعنوان : صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار ، استخرجه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمى من كتاب جغرافيا ، الذى ألفه بطليميوس القلاؤدى .

جديدة من بلاد المسلمين وما يحيط بها ؛ تعتبر مرحلة فى تطور رسم الخرائط . ويكفى أن نلقى نظرة على خرائط أبى اسحق الاصطخرى (حوالى ٣٢٣ او ٩٣٤/٣٤٠ او ٩٥٢) ، وابن حوقل (حوالى ٩٧٧/٣٦٦) ؛ لنقرر وجود خرائط اسلامية محضة ، لا اثر فيها لخرائط بطلميوس وغسيرة . وقد كان اغلب الجغرافيين المسلمين يخصصون لكل اقليم فصلا ، ولكل فصل خريطة ، قد تكون ملونة ، وان لم يخرجوا بخرائطهم عن العدد واحد وعشرين (١) : ابتدعوها ببلاد الاسلام ، ثم ديار العرب ، ثم بحر فارس ، ثم المغرب ، ثم مصر ، ثم الشام ، ثم بحر الروم ، ثم الجزيرة ، ثم العراق ، ثم خوزستان ، ثم فارس ، ثم كرمان ، ثم المنصورة وما يتصل بها من بلاد السند والهند . ثم اذربيجان ، ثم كور الجبال فى المنطقة الشمالية فى فارس . ثم الديلم ، ثم بحر الخزر ، ثم المفازة التى بين فارس وخراسان ، ثم سجستان ، ثم خراسان ، ثم ما وراء النهر .

والواقع ان رسم الخرائط فى العصور الوسطى اصبحت من الامور الشائعة فى الدول الاسلامية . وقد اهتم ملوك المسلمين انفسهم - حينما تعددت دولهم - بهذا الفن ، ولولوه العناية الفائقة - فنسمع ان الخليفة المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ - ٩٥٢/٣٦٥ - ٩٧٥) قد امر برسم خريطة ملونة من الحجم الكبير ؛ انفق عليها اثنين وعشرين الف درهم . ويصف المقرئ هذه الخريطة فى كتابه الخطط ، فى عبارة عن : مقطع من الحرير الأزرق ، غريب الصنعة ، منسوج بالذهب ، وسائر ألوان الحرير ، فيه صورة اقاليم الارض وجبالها وبحارها وسدنها وانهارها مسالكها ، وفيه صورة مكة والمدينة مبنية للناظر ، وقد كتبت على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير ، كما كتب عليها : « ما امر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله ، واشهارا لمعالم رسول الله ، فى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة » . كذلك وجد فى

(١) الاصطخرى ، مسالك الممالك ، تحقيق (B.G.A.) de Goeje
Leyden ، ١٨٧٠ ، ص ٤٣ . هذه الخرائط مصورة فى اطلال Miller :
Islam Atlas, Stuttgart, 1920, t3 cf.

خزائن خلفاء الفاطميين بقصورهم بالقاهرة المعزية مئات من مستور
الحرير المنسوجة بالذهب ، فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها ؛
مكتوب على صور كل واحد اسمه ومدة أيامه ، وشرح حاله (١) .

ولكن في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، حدث
تطور جديد في رسم الخرائط عند المسلمين ، لم يعرف له مثيل من
قبل ، وذلك على يد أشهر جغرافي معروف ، هو العلوي الادريسي
الحمودي (١) (ت ١١٦٦/٥٦٢) . فهذا الجغرافي الكبير ، الذي
ولد في سبتة « Ceuta » في عام ١١٠٠/٤٩٣ ، وينتمي الى الأسرة
الادريسية العلوية في مراكش ، كان قداضطّر للهروب الى صقلية عند
الملك المسيحي النورمانى روجر الثاني « Roger II » وهو الذى
يسميه العرب رجار بن رجار ؛ وقد استضافه هذا الملك فى بالرمو
(بالرم) « Palermo » وقربه منه ، وجعله يرسم له خرائط
العالم . وقد رسم الادريسي اثنتين وثمانين خريطة تعتبر من ادق
ما وصلنا من خرائط ، رجع فى رسمها الى المصادر الاسلامية وغيرها ،
والى ما وصل اليه الغربيون فى اوربا ؛ فلم يقتصر فى رسم خرائطه
على البلاد الاسلامية ، وانما رسم بلاد العالم وعلى الاخص اوربا .
ونظرا لاهتمام روجر الثانى بالجغرافيا ؛ فان الادريسي اهدى اليه
كتابه المعروف : « نزهة المشتاق فى اختراق الافاق » ، وسماه بالكتاب
الروجارى . وقد بقيت خرائط الادريسي عدة قرون ؛ الاساس الذى بنى
عليه رسم الخرائط فى عصر النهضة الاوربية . كما ان طبقة الجغرافيين
المسلمين - الذين اتوا بعد الادريسي - لم يضيفوا خرائط جديدة ، يمكن
ان تستدل بها على تطور جديد لرسم الخرائط .



(١) الخطط ، ٢ من ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٢) المقدمة ، من ٤٢ ؛ انظر : Miller

Mappae Arabicae (Idrisi Atlas). Stuttgart. 1927, VI. cf.

Ency. (art al-Idrisi) t2., p. 479.

علم الطب : (١) وهو العلم الذى يدل على نهضة العرب فى العصور الوسطى ، مع أن معرفة العرب به قبل الاسلام لم تتعد بعض افراد لحاجة الناس اليهم فى شئون صحتهم ؛ وذلك على عكس الشعوب التى فتحها العرب ، وكانت على معرفة جيدة بهذا العلم .

وقد نهض هذا العلم على ايدى المصريين القدماء من قبل ؛ ولدينا برديات عديدة محفوظة فى متاحف لندن وبرلين ونيويورك على ان المصريين القدماء كانوا على علم باصناف الطب وما يلحق البشر من امراض ، وانهم الفوا فيه الكتب (٢) ، ويكفى ان نذكر ان امحوتب هو اله الطب . وقد اخذ اليونان علم المصريين بالطب ، و اضافوا اليه معلومات اخرى ؛ وان كان الاساس فى علمهم به مستمدا من المصريين ؛ فهو ميروس يذكر فى الاذيمسة علم المصريين بالطب . ونذكر من اطباء اليونان العلماء واشهرهم (٣) : بقراط « Hippocrates » (٤) (٥) ٢٥٧ ق م) ، وجالينوس « Galenos » (٦) (٧) ٢ و ٣ م .) ، وكلاهما له مؤلفات عديدة فى الطب . وقد انتشر طب اليونان قبل مجيء العرب

(١) بمصفا عامة ، انظر . Browne :

Arabian Medicine. Cambridge, 1921 ، ترجمه الى الفرنسية Reintaud ؛ بعنوان : La médecine arabe. Paris, 1933 ، وايضا Campbell ؛ بعنوان : Arabian Medicine and its influence on the Middle ages. 2 Vols. London, 1926.

(٢) انظر . Papyrus Edwin Smith, Chicago, 1930. : Breasted ؛ Coup d'oeil sur la médecine égyptienne. Archeion, : Rey ؛ IX, 1928, p. 19-30.

La Médecine Egyptienne. Paris, 1917. : Deca

(٣) ابن ابي أصيبعة ، عيون الانبياء فى طبقات الاطباء ، تحقيق . Muller ، ط . Konigsberg ، ١٨٨٢/١٢٩٩ ، ص ٢٤ وما بعدها ، ص ٧١ وما بعدها ؛ ابن ساعد ، ص ٢٧ - ٢٨ ؛ انظر . Ency. (art Bukrât) tI, p. 804.

اعتبر العرب ان بقراط جاءه وحى من الله . ابن ابي أصيبعة ، عيون ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٣ .

فى مدرسة الاسكندرية فى مصر (١) ، وفى حران من ارض الجزيرة ،
وحتى فى جنديسابور بفارس (٢) .

هذا العلم عرفه المسلمون بالنقل فى اول الامر وذلك فى العصر
العباسى ؛ حيث كان اغلب النقلة من الذين تعلموا فى مدرسة
جنديسابور بفارس ، التى كانت باقية الى ذلك الوقت ؛ وان انتهت بعد
قيام الخلافة العباسية بوقت قليل . ومع ذلك فلم يأخذ العرب الطب عن
الفرس ، وانما اخذوه من كتب اليونان مباشرة ، وهى التى كانت تدرس
فى هذه المدرسة او فى غيرها ، ومن اشهر ناقلى كتب الطب : يوحنا
ابن ماسويه (٣) (ت ٨٥٧/٢٤٢) ، وحنين بن اسحق (٤)
(ت ٨٧٣/٢٦٠) ، وثابت بن قرة الحرانى (٥) (ت ٩٠١/٢٨٨) ،

(١) انظر . Meyerhof :

La fin de l'école d'Alex d'après quelques auteurs arabes. Archeion, XV,
1983, p. 1-16.

(٢) عنها : معجم البلدان ، ٣ ص ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٣ ص ١٤٩ - ١٥٠ . هذه
المدينة - جنديسابور - بناها مابور ذو الاكتاف ، واسس فيها انوشروان مدرسة
الطب . انظر . Zur Quellenkunde der Persischen Medizin. : Fonahn.
Leipzig, 1910.

(٣) ابن ابى اصبيحة ، ١ ص ١٧٥ ؛ ابن صاعد ، ص ٣٦ - خدم فى صناعة
الطب هرون الرشيد والمأمون ، وبقي الى أيام المتوكل ، وترجم كتباً عديدة من
اليونانية ، وله تكليف عظيمة فى الطب ، منها : كتاب فى طب العيون اسمه : دغل
العيون ، وهو مخطوط . عنه ، انظر . Meyerhof and Preuefer :

Die Augenheilkunde des Juhanna ibn Māsawaih. Der Islam Vol. VI,
1915, p. 217-256.

شهرته عند الفرنجة Mesue Maior .

(٤) ابن صاعد ، ٣٦ - ٣٧ ؛ وفیات ، ١ ص ٢٩٨ ؛ ابن ابى اصبيحة ،
ص ١٨٤ . له ترجمات وكتب عديدة مخطوطة ، منها : العشر مقالات فى العين ،
تحقيق . Meyerhof - الذى زوده برسوم شائقة - القاهرة ١٩٢٨ . عن كتبه ،
انظر . الفهرست ، ١ ص ٢٩٤ ؛ Brock: G. A. L. I., p. 205. توجد مخطوطة
من ابن ابى صادق (٧١٨ /) ، بعنوان : شرح مسائل حنين بن اسحق فى
الطب ، انظر . B. N. ، برقم 6654 .

(٥) ابن صاعد ، ص ٣٧ ؛ ابن ابى اصبيحة ، ١ ص ٢١٥ . مثلاً ، له

وقسطا بن لوقا البعلبكي (١) (حوالى ٩١٤/٣٠٢) ؛ ولا سيما ان بعضهم كان من الاطباء ، ولهم مؤلفات طبية .

ولم يقف علم الطب عند العرب على النقل وحده ، وانما تقدم على ايديهم تقدما كبيرا ، نتيجة للتجربة والملاحظة . فادرك العرب الفروق بين امراض كثيرة متشابهة لم يكن القدماء على علم بها ، مثل الحميات ذات البثور ؛ كالفرق بين الجدرى والحصبة ، اذ لدينا رسالة فى ذلك (٢) ، وعرفوا الدورة الدموية الصغيرة (٣) والسكنة ومعالجتها بضرب الكعب بالعصا . كما ظهر متخصصون فى نواحى الطب ولاسيما طب العيون (٤) ، الذى بلغ عند العرب فى القرنين الرابع والخامس

=

كتاب : الذخيرة فى علم الطب ، تحقيق صبحى ، القاهرة ١٩٢٨ ، وكتاب فى أوجاع الكلى والمثانة وأوجاع الخمر ، وكتاب فى النفس ، ومقالة فى تشرح بعض الطيور . انظر . Bibl. Arab Hispana, p. 389 sqq.

(١) ابن أبى أصبهمة ، ١ ص ٢٢٤ ؛ ابن القفطى ، ١ ص ٢٩٢ ؛ الفهرست ، ٢٩٥ ص ؛ انظر . Ency. (art Kosta B. Lókâ) t2, p. 1114-46 . دخل بلاد الروم ، وحصل على تصانيفهم .

(٢) الرازى ، كتاب فى الجدرى والحصبة . وقد ترجم الى اللاتينية عدة مرات : فى البندقية عام ١٤٩٨ ، وفى باريس عام ١٥٤٨ ، وفى لندن عام ١٧٦١ . كما لدينا ترجمات حديثة انجليزية والمانية وحتى فرنسية أيضا : الاولى من Greenhill (London, 1848) ، والثانية من Karl Oplitz (Leipzig, 1911) .

والثالثة من Jacques Poulet (Paris, 1763) ، وايضا من Leclerc et Lenoir (Paris, 1866) . انظر . ميبل ، تاريخ العلم ،

ص ١٢٧ .

(٣) ننسب معرفتها الى ابن النفيس من تلاميذ ابن سينا ، وهى وردت فى احدى كتبه ، التى تشرح تشرح ابن سينا . انظر . نص وترجمة من Meyerhof ، عنوان : Ibn an-Nafis und seine Theorie des Lufthgenkreislaufs, (Berlin, Quellen u, Studien z, Gssch, d. Nat. u Med IV 1935, p. 37.

؛ انظر . ميبل ، تاريخ العلم ، ص ٢٢٩ .

(٤) مثلا : خليل بن اسحق ، انظر . الهامش قبله . وعلى بن عيسى (حوالى ١٠٠٩/٤٠٥) ، المعروف لاروبيين باسم Jesu Haly . وله تنكرة الكحالين ، وهو مخطوط ، انظر . الترجمة من Hirahberg und Lippert : Alf ibn Isa, Erinnerungsbuch Für augenärzte. Leipzig, 1904.

من الهجرة مرتبة سامية تدعو الى الدهشة ؛ بحيث لدينا عنه ما لا يقل عن اثنين وثلاثين كتابا (١) ؛ بحيث اخترعت الابرة المجوفة ، التى تمتص ماء العين (الكتاركتا « Cataracta ») (٢) . وقد استمر علم الطب مزدهرا عند المسلمين طوال فترة العصور الوسطى ، واهب علمنا وفنا تخصص له المعاهد (٣) ؛ بحيث عرفوا عنه كل شىء تقريباً قبل اختراع المجهر .

ومن الطريف ان نذكر انواع الامراض ، التى عرفها العرب بسمائها العربية وهى عديدة ، تبين اطلاعهم الواسع فى علم الطب منها : الصداغ ، والارق ، والنسيان ، والمالنخوليا ، والفالج ، والتشنج ، والرغشة ، والنزلات ، والعطاس ، والسعال ، ومقووط الشعر ، والقروح ، والبثرة ، والاورام والسرطان ، والذبحة ، والبحة ، والسل ، والقلب ، والكبد ، والتخمة ، والطحال ، والبواسير - بواسير المقعدة - والرحم ، وييس الطبع ، وتعمر الولادة ، واوجاع المفاصل ، والنقرس - يصيب الاقدام - وداء الفيل ، والجربة ، والحكة والبرص ، وامراض الاسنان والاذن والانف واللهاة والرمد .

وقبل ان يزدهر هذا العلم عند المسلمين ، كان العلاج يختلط بالرقى والتمايم والاحجية (٤) . كذلك لدينا كتب تتناول ما يعرف بالطب النبوى (٥) ، تتعلق بالامراض والعلاجات ومنافع النبات ومضارها ؛ فمثلا استشهد بالحديث النبوى للعلاج من عدوى الطاعون : « اذا وقع الطاعون فى بلد وانتم به ، فلا تخرجوا منه ، واذا كان ببلد

(١) مثلا ، انظر . ابن ابي اصيبعة ، ومقدمة كتاب العشر مقالات لحنين ابن اسحق ، وانظر Die Arabischer Lehrbücher der Augen-Hirschberg. heilkunde. Leipzig, 1905.

(٢) انظر . كتاب المنتخب فى امراض العيون لعمار بن على الموصلى وشهرته عند الفرنجة Canamusli ، لم ينشر النص العربى .

(٣) الخطط ، ٤ ص ٢٦٠ - ٢٦١ :

(٤) انظر . Ency of Religion & Ethics. ed Hastings.

(٥) انظر . Charms, and Amulets (Muhammeden). Edimbourgh, 1908.

(٥) ابن قيم الجوزية ، كتاب وطب النبوى ، حلب ١٢٤٦/١٢٢٧ .

ولا تدخلوه » ، ولكن لما ظهرت قواعد علمية صرفة للعلاج نتيجة لحركة النقل ، وبناء على الملاحظات التجريبية ؛ فإن طرق تشخيص الأمراض عند العرب تقدمت تقدما كبيرا . فكانوا - مثل قدماء المصريين - يربطون الأمراض من الرأس الى القدمين ، ووضعوا لكل مرض علاجا .

اما الجراحة - وهى ما كان يعبر عنه ايضا بالعلاج بالحديد (١) - فهى لم تتقدم على ايدى المسلمين الا قليلا ، ذلك لأن الاسلام مثل بقية الأديان السماوية الأخرى ؛ بمنع تشريح جسم الانسان . ولكن لم يمنع هذا أن يعرف المسلمون أشياء كثيرة عن جسم الانسان ؛ بتشريح الحيوان ، وبما نقلوه عن اليونان فى التشريح ، ولاسيما عن كتاب التشريح لجالينوس (٢) . فكان الجراحون المسلمون موجودون فى معظم مدن الاسلام (٣) ؛ تجمعهم نقابات كسائر الصناعات . فمن أنواع الجراحة التى نبغوا فيها : قطع العروق ، والكى والحجامة ، وتجبير الكسور ، وجراحة الحصة من المثانة ، وجراحة العيون ، والعنق ، والولادة ، والفتق . وقد كانوا يستخدمون لتخفيف آلام الجراحة المرقد - وهو البنج - بما فيه الأفيون والحشيش وست الحسن ؛ فكانوا أول من استعملوه ؛ حيث عرفوه فى مصر أولا . كذلك استخدموا أدوات جراحية عديدة ، لدينا عنها كتب بتفصيلها ورسومها ، مثل (٤) : مبضع ، ومروود ، وانبوبة ، وجفت ، وجبيرة ، وسكين ، وصنارة ، وفاس ، وكلاب ، ومبرد ، ومبخرة ، ومحمجة ، ومحقن ، ومكواه .

ونعرف من الأطباء طبقات مثلما يوجد فى كل العلوم الأخرى . ولدينا أسماء كثيرة منهم ، حتى أنهم بلغوا فى بغداد زمن الخليفة

(١) عن ذلك ، انظر Ency. (art Dawá) 11 p. 954

(٢) انظر . المؤلف الضخم ، نشر وترجمة Max Simon ، يعنسون : Anatomie des Galens. 2 Band. Leipzig. 1906.

(٣) نهاية الرتبة ، ص ٩٧ .

(٤) انظر . نفسه ، ص ٩٨ - ٩٩ ؛ أحمد عيسى ، آلات الطب والجراحة والكحالة ؛ Beiträge zur geschichte der Chirurgie , : Sudhof ، وخليفة بن أبى المحاسن (١٢/٧) ، in Mittelater, Leipzig, 1918.

له كتاب : الكافى فى الكحل ، الذى زوده برسوم لآلات جراحات العين .

المقندر (٢٩٥ - ٩٠٨/٣٢٠ - ٩٣٣) ثمانمائة ونيفا وستين رجلا (١) ،
سوى من كان فى خدمة الخليفة . ونجد اسماءهم على الخصوص فى
كتاب : عيون الأطباء لابن أبى أصيبعة (٢) (ت ١٢٧٠/٦٦٨) -
مؤرخ الطب العربى الكبير - الذى ترجم لثمان وستين وثلاثمائة طبيب
مشهور ، وكتاب : تاريخ الحكماء للقفطى (ت ١٢٤٨/٦٤٦) ، وكشف
الظنون لحاجى خليفة (ت ١٦٥٧/١٦٠٧) . ونجدهم من أديان
مختلفة من المسلمين واليهود (٣) والنصارى ، ومن جنسيات مختلفة .
ومن كان يقوم منهم بالمهنة يؤخذ عليه قسم بقراط اليونانى (٤) ؛
بان يحفظوا كرامة المهنة واسرارها ، يأخذ عليه المحتسب ،
الذى كان من عمله مراقبة المهنة . وكان اشتهار بعض
الأطباء كاشتهار الخلفاء والملوك ، ويعرفون فى أوروبا . وهم يوجدون
فى كل بلاط ، نذكر منهم فى بلاط العباسيين بالعراق أسرة
بختيشوع (٥) ، وفى بلاط الأمويين بالاندلس بنى زهر (٦) ، الذين
اشتهروا للأوربيين باسم « Avenzoar » ، وفى بلاط الفاطميين بمصر
كونوا طائفة ، كان لها رئيس (٧) .

ومع ذلك ، لا يهمننا فى طبقات الأطباء الا الأطباء العلماء ، الذين

-
- (١) ابن أبى أصيبعة ، ٢ ص ١٤٠ ؛ انظر . طوقان ، العلوم عند العرب ،
القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٩ .
(٢) عنه ، انظر .
(٣) مثلا ، انظر . Meyerhof ؛
Ency. (art Abi Usaibi'a) t2, p. 379-380.

Mediaeval Jewish Physician in the Near East from Arabic Sources.
1936.

- (١) نهاية الرتبة ، ص ٩٨ .
(٥) ابن صاعد ، ص ٣٦ ؛ انظر . مقالة غنيمه ، ببختيشوع طبيب وأسرته ،
المشرق ، ٨ : ١٠٩٧ . لبعضهم مؤلفات مثل : جبرائيل بن ببختيشوع طبيب المامون
(ت ٨٢٩/٢١٤) ، الروضة الطبية ، لصحيح بولس سنباط ، القاهرة ١٩٣٧ .
(٦) عنهم ، انظر . مقالة Colin : Avenzoar, sa vie et ses oeuvres .
Ency. (art Ibn Zuhri) t2, p. 456. vres. Paris, 1911.

ولبعضهم مؤلفات مثل أبى العلاء - وهو أشهرهم - تذكرة أبى العلاء ، نشر وتحقيق
Colin ، ط . Paris ، ١٩١١ .
(٧) صبيح ، ٣ ص ٤٩٦ .

اسمهموا في تقدم علم الطب ، وهم كلبيرون ، فننكر أهمهم . فمنهم محمد ابن زكريا الرازي (١) (٢٥٠ - ٨٦٤/٣٢٠ - ٩٣٢) ، الذي ولد في الري ، وكان في اول امره يضرب العود ، واستمر حتى سن الثلاثين ، وبعد ذلك اقبل على تعلم الطب وبلغ فيه المحققى اشتهر للخراب باسم جالينوس العرب ، واصبح رئيسا لمستشفيات الري وبغداد ، ثم عمى في آخر عمره ، وعرف للأوربيين باسم « Rhazes » . وقد ألف الرازي أكثر من مائة مؤلف (٢) ، ومنها في الطب اثنان هاما اشتها في أوروبا شهرة كبيرة ، وهما : كتاب الحاوي ويسمى الجامع الخاص لصناعة الطب « Liber Continens » ، الذي جمع فيه كل ما عرف من صناعة الطب ، وان كان يبدو انه اكمله تلامذته ، وطبع وترجم في أوروبا عدة مرات (٣) ، ومع ذلك فلا يزال النص العربي مخطوطا مبعثرا في مكتبات أوروبا ، والكتاب الموسوم بالنصوري في الطب « Liber Almanzor » : لأنه قدمه للمصور اسحق امير خراسان ، واحد المحسنين اليه (٤) . ويذكر من تفوق الرازي انه اول من استخدم الماء البارد في علاج الحميات ، فله رسالة في الجدرى

(١) ابن أبي أصيبعة ، ١ ص ٣٠٩ - ٣٢١ : القفطي ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ : ابن صاعد ، ص ٥٢ - ٥٣ : أنظر .

Ency. (art al-Râzi) t3, p. 1213-5.

The life and works of Rhazes. London, 1913. : Ranking.

Histoire de la Médecine arabe t2, p. 82 sqq : Leclerc

C. L. A. I., P. 234-235. : Brockl . أنظر . (٢)

(٣) هو في عشرين مجلدا ، وان لم يتبق منه غير عشر مجلدات مبعثرة بين مكتبات الأسكوريال ، وليننجراد ، وبرلين ، ولندن ، وترجم في ١٢٧٩ م ، نقله فرج بن سالم الامراتلي برعاية ملك صقلية ، وطبع باللاتينية عام ١٤٦٨ ، بعنوان : Liber Dictus Elhawî. Brescia, 1468 : أنظر . ميلى ،

للعلم ، ص ١٧٤ .

(٤) في عشر مجلدات ، له ترجمة لاتينية في Milano ، ١٤٨١ . أنظر ،

نص وترجمة بعض فصوله ، من Koning بعنوان :

Trois traités d'Anatomie arabe. Leide, 1903.

ميلى ، ص ١٢٦ .

والحصبة (١) ، كما أنه تكلم عن الحصى فى الكلى والمثانة بعده
متناهية (٢) .

ومنهم أيضاً المشيخ الرئيس أبو على بن سينا (٣) (٣٧٠ - ٤٢٨ /
٩٨٠ - ١٠٣٧) ، الذى ولد فى بلخ ، وانتقل الى بخارى ، وخدم
ملوك السامانيين وكان وزيراً لهم ، وهو من الشيعة . وقد ألف ابن سينا
فى علوم عديدة ، أشهرها ما ألفه فى الطب مثلما ألف فى الفلسفة ،
ولا سيما كتابه المعروف : القانون فى الطب (٤) ، الذى يعتبر خلاصة
تجاربه وقراءاته فى الطب . فهذا الكتاب عبارة عن قاموس فى الطب
والصيدلة والتشريح ، فيه خلاصة أبحاث اليونان والفرس والكلدان
والهنود والعرب ، ويتكون من خمسة كتب : الأول يشمل الكليات أى
المبادئ العامة النظرية والعلمية ، والثانى يتكلم فيه عن الأدوية ،
والثالث عن أمراض كل عضو من الرأس الى القدم ، والرابع عن أمراض
لا تختص بعضو ، والخامس فى تركيب الأدوية وآلات الطب . وهذا
الكتاب لأهميته ظهرت له عدة شروح وتلخيصات من علماء متأخرين ،
وقد ذاع فى أوربا باسم : « Canon Avicennae » .

ومنهم فى المشرق على بن حزم ، الملقب بابن النفيس (٥) (٦٠٧-٦٨٧/
١٢١٠-١٢٨٨) ، الذى اشتهر بعمله فى مارستان السلطان قلاوون فى
القاهرة ؛ حيث كان هذا المارستان أشبه بكلية للطب ، وألف فى الطب

(١) أنظر . قبله .

(٢) نشر وترجمة Koning ، بعنوان :

Traité sur le Calcul dans les Reins et dans la Vessie. Leyde, 1896.

(٣) أنظر . قبله .

(٤) فى ٣ أجزاء ، القاهرة لى ١٢٩٤/١٨٧٧ . له طبعة فى ميلانو عام
١٤٧٣ ، وببادوا عام ١٤٧٦ ، وطبعات فى البندقية عام ١٤٨٣ و ١٥٢٧ و ١٥٩٩
و ١٦٠٨ ، وله ترجمات عبرية فى ليلى عام ١٤٩١ - ١٤٩٢ ، بل رسائل مكتورة
فجعت فيه . أنظر . ميبل ، ١٩٧ - ٢٠٠ .

(٥) فهو اكتشفها قبل وليم هارفى William Harvey . انظر .
La découverte de : Meyerhof . برقم ٤٦ طب . وانظر .
La circulation pulmonaire par Ibn an-Nafis. Médecin arabe du Caire.
XIII e Siècle, 1951.

موسوعة : لا تقل عما لقيه الرازي ولبن سينا ، فاهتموا الى العورة الدموية الصغرى .

وكذلك ظهر في الاندلس لطبيب مشهورون ، ففكر منهم على الخصوص ابا القاسم الزهراوى (ب ١١٠٦/٥٠٠) ، الذى اشتهر فى اوربا باسم : « Abulcasis » ، ونجح فى الجراحة : ولا سيما فيما يتعلق بالولادة ؛ وتفتيت راس الجنين اذا كان ضخما ، واخترع منظار المهبل (١) . وكان خبيرا فى ربط الشرايين فى الجراحات ، وعلاج النزيف بالكي ، واستئصال حصى المثانة . واخترع كثيرا من آلات الجراحة ، وعرف كتابه باسم : التصرف لمن عجز عن التأليف ، وهو مزود برسوم عن آلات الجراحة ، وطبع باللاتينية بعنوان : « Liber Azaragui de Cirurgia » .



علم الصيدلة (أو الصيدنة) : وقد اشتهر بين العرب بهذا الاسم ، والقائم به يعرف بالصيدلى أو الصيدلانى (أو الصيدناني) ، كما سمي ايضا بعلم المفردات ، أو العقاقير - جمع عقار - أو الادوية (٢) ، وهذه الاخيرة نقلت للأوربيين باسم « Drogue » . ولدينا كتب متعددة عنه ، نستطيع بفضلها ان نقول ان علم الصيدلة تقدم على ليدى العرب تقدما كبيرا .

وقد كانت معظم العقاقير والادوية توجد فى قصور الحكام ، وهى التى عرفت بخزانة الشراب عند الفاطميين ، والشراب خاناه عند الماليك . ونفس كلمة شراب هذه انتقلت عند الأوربيين ودخلت فى لغاتهم ، مثل كلمة « Sirop » الفرنسية . كذلك كانت العقاقير توجد فى دكاكين العطارين (٣) ، التى تحتوى على نباتات ضرورية فى صنع

(١) نشر بالعربية واللاتينية فى Oxford ، ١٧٧٨ م ، وله ترجمة فرنسية على يد Leclerc ، بعنوان : La chirurgie d' Abulcasis. Paris, 1861. Ency. (art Drogue), tI, p. 954. (٢) انظر .

(٣) مثلا : أبو نصر الطاهر ، كتاب منافع الدكان ومختصر الامتحان فى اصناف وتركيب الادوية النافعة للأبدان ، القاهرة ١٢٨٧ هـ .

العقار ؛ إذ كانت أغلب العقاقير تخضر من الأعشاب الطبيعية . ولدينا مقالات اسلامية عديدة فى كيفية تركيب الادوية واستعمالها ؛ لذلك عرفت على حسب تركيبها بالادوية المركبة او الادوية البسيطة او ايضا المفردة، وان كانت تسمى كذلك الاقرباذينات (١) - مفردا اقرباذين - وهى كلمة من اصل يونانى . كذلك سميت ايضا الادوية - بانثرها فى العلاج - مثل : مسخن ، ملطف ، مخشن ، هاضم ، لاذع ، قابض ، عاير ، الخ . فكان تحضيرها وتركيبها بعدة طرق . منها : السحق ، والدق ، والنخل ، والطبخ ، والتقع .

ومن الطريف ان نذكر بعض اسماء العقاقير التى ورد ذكرها فى كتب المسلمين ، وهى لا تزال تجرى على سنتنا باسمائها الى الآن ، وتعددتها دليل على تقدم هذا العلم ، مثل : اللعوقات ، والحبوب ، والاقراص ، والسفوف ، والمعاجين ، والمرام ، والدهن ، والكحل ، والافيون ، والخشخاش ، وست الحسن ، والتلج ، والسعوط ، والفرة ، والمضمضة ، والترياق ، والاشربة ، والحقنة ، والفيلة المسيلة ، والضما ، والطلاء .

وقد تقدم علم الصيدلة على يد الوزير ابن وافد الطليطى ، وهو ابو المطرف اللخمى ، المعروف للاوربيين باسم Aben Nuffit (ت ١٠٧٤/١٠٦٧) ، وهو اسباني من طليطله ، كان عارفا بكتاب ديسقوريدوس Dioskryrides (ت ٦٠ م) ، وكان درس على ابي القاسم الزهراوى الطبيب ، وله كتاب اسمه : الادوية المفردة (٢) . كذلك ابن البيطار (٣) بخاصة (ت ١٢٤٨/٦٤٦) - الملقب بضياء

(١) ابن مينا ، القانون ، ٣ ض ٣٠٩ وما بعدها ؛

Ency. (art Akribadhin) t1, p. 246 ; (art Adwiya) t1, p. 146-7.

(٢) ابن صاعد ، ص ٨٤ - ترجم اللاتينية والعبرية والقطلاندية . انظر .

El libre de les medecines particulares. Barcelona, 1945. : Farando
من المترجمين اللاتين الاوائل له Gerardo de Cremona : Liber Albenguefit. :
Estraburg. 1531. طبع فى البندقية

(٣) ابن ابي اسبيبة ، ٢ ص ١٢٣ ؛

Noticia et. : Leclerc ; Ency. (art Ibn a-Boithar) 2, p. 388-9
extraits des manuscrits de la Bibli N. Ibn el-Boithar, introd. t23 Parth.
Paris, 1877

الدين - وهو إسباني أيضا، من مالقة، كان ابنه بيطريا، زار بلاد اليونان وعاش في مصر في عهد الايوبيين ، والتحق بوظيفة رئيس سائر العشابين ، او كبير الصيدلة ، والف كتابه : الجامع الكبير لقوى الادوية والاعذية الشهير بمفردات او جامع المفردات (١) ، جمع فيه اكثر من اربعمئة و الف دواء مرتبة على حروف المعجم ، منها ثلثمائة لم توجد في اى كتاب آخر . ومنها ما عرف من قبل لليونان ، ولا سيما ماورد منها في كتاب ديسقوريدس (٢) . Dioskryides الذى شرحه ابن البيطار بنفسه ، ومنها ما ورد في كتاب هندي عرف باسم : سر مردندان (٣) . ومع ذلك ؛ فان ابن البيطار لم يعرفه للاوريين في العصور الوسطى ؛ بسبب ان العرب في ذلك الوقت كانوا في اقوال او عدااء .

*

علم الكيمياء (٤) ، وهو العلم المصرى ، الذى اشتق اسمه من اسم مصر القديم (٥) « كمت » - اى الارض السمراء - ليعنى النظر في المادة ، ويقابله ايضا علم الاكسير - وهى المادة - والاشتغال به يسمى

(١) نشر في اربعة اجزاء ، القاهرة ، ١٢٩١ هـ . وقد لخصه الملك المظفر في كتابه : المعتمد في الادوية المفردة ، صححه وفهرسه مصطفى النفا ، ط ٣ ، ١٩٥١/١٣٧٠ ، وللكتاب ترجمة فرنسية من Leclerc ، بعنوان : *Traité des simples, par Ibn al-Beitar. Vols 23, 24, 26. Paris, 1877-1882.*

كذلك له ترجمة ألمانية من Sontheimer بعنوان : *Grosse Zusammenstellung St. 2 Vols. Stuttgart. 1870-71.* انظر ايضا : *Materiae Medicae Ibn Beitharis. Lipsiae, 1833. : Dietz* لابن البيطار كتاب آخر اسمه : المغنى في الادوية المفردة ، لم يطبع ولم يترجم بعد - انظر - ميبل ، العلم ، ص ٤١٦ .

(٢) انظر . الشهابي ، تفسير كتاب ديسقوريدس لابن البيطار ، في مجلة معهد المخطوطات العربية ، مايو ١٩٥٧ ، ص ١٠٥ - ١١٢ . فيه اكثر من مئاة عشب .

(٣) اليعقوبى ، تاريخ ، ١ ص ١٠٥ .

(٤) المقدمة ، ص ٤٢٠ وما بعدها ؛ انظر ،

Ency. (art al-Kimiya') t2, p. 1069.

(٥) انظر .

Das Alte Agypten. Heidelberg, 1920, p. 14. : Wiedmann

صنعة الكيمياء أو صنعة للاكسير أو فقط الصنعة - وهي أشهرها - ، ومن ثم يقوم به يسمى كيمي أو كيمائى أو كيموى أو صنعاوى أو كيميرى . وهذا العلم لم يزد عليه اليونان أو اللاتين من بعدهم غير مقدار من أفكار غريبة عن العناصر - مثل ما ذكره أرسطو - وهي الحرارة والبرودة واليوسمة والرطوبة ؛ حيث أطلقوا على مجموعها الهبولى ، أى المادة الأولية .

ولقد بدأ العرب يهتمون بهذا العلم عن طريق النقل عن تراث اليونان ؛ حيث يذكر المؤرخون أن النقل بدأ منذ وقت مبكر على يد أحد الأمويين هو خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٧٠٤/٨٥) ، الذى عاش معظم حياته فى مصر ؛ إذ لدينا بعض كتب تنسب إليه ترجمتها (١) ؛ وأن كانت لا قيمة لها من ناحية الكيمياء الحقيقية - كذلك اتخذ هذا العلم منذ وقت مبكر مظهرا متصلا بعقائد الشيعة ؛ فقد تناولها امام الشيعة جعفر الصادق (٢) ؛ وأن كان ما ورد عنها منه هو الآخر لا علاقة له بالكيمياء الحالية، وإنما القصد منها هو تطهير الروح . ومع ذلك، فإن خلدون يرى أنه لا يمكن أن تكون الترجمة فى هذا العلم ، قد بدأت مبكرة هكذا على يد خالد أو غيره ؛ إذ العرب كانت إلى وقتئذٍ مشغولة بالفقن والفتوح وفى طهور البداوة ؛ ولن خلافا بالذات كان منغمرا فى العصبية .

ومع ذلك ؛ فقد عرف العرب كثيرا من مبادئ الكيمياء النظرية ؛ التى ستكون قواعد علم الكيمياء الحالية . فكانوا يعتبرون المعادن - وهي الفلزات بللغة الكيمائية - عناصر حية تولد وتعيش وتموت ، وهي عندهم سبعة مثل الكواكب السبعة : الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والزئبق . واعتبروا المعادن ناقصة الا معدن الذهب ، الذى هو المعدن الكامل ، وكان مهم تحويل المعادن اليه ؛ وأن كان بعضهم يرى استحالة ذلك ، وأنه لا يوجد والفضة الا فى

(١) عن ذلك : أنظر . Ruska :

Arabische Alchemisten, I, Chālid ibn Yazid. Heidelberg. 1924.

(٢) تنسب إليه رسالة فى علم الصناعة والحجر المكرم . أنظر . نص

الرسالة وترجمتها من Ruska :

Arabische Alchemisten, II. Ga'far al-Sādiq. Heidelberg, 1924.

المناجم . وتكلموا كثيرا عن طبيعة الذهب ؛ فقللوا ان طبيعته حارة
تشبه الدم ، وإن له لونا وطعما وذوقا وملمسا وليونة ولعنا . كذلك
عرفوا أشياء كثيرة عن طبيعة الأحجار ؛ ولا سيما الكريمة منها ، على
الخصوص من اليونان ؛ إذ ترجموا كتب أرسطو عن الحجارة (١) ،
ونذكروا لنا أنواعا كثيرة منها ، لا تزال بعض أسمائها بالعربية ، مثل :
الزرقون Zircon ، والزمرد Emerald ، والقوريد Corundum ،
والفلمبار Felspar .

ومن ناحية أخرى ، كانت الكيمياء العملية متقدمة ؛ فقد اخترعوا
لتجاربهم الكيميائية عدة آلات ، مثل : الأنبيق (٢) ؛ التي تتكون من
فرعة وانبوية وقابلة . وعرفوا عدة وسائل كيميائية ، منها : التصعيد
والتقطير والتكليس والعقد والتنقية والتنشيف والتقليب والفهر
- للصلب - والترخيم بتصعيد الماء . وادخلوا الميزان وضرورة مراعاة
العلاقات الوزنية ؛ حتى أنهم سموا هذا العلم أيضا بعلم الميزان ، بحكم
النسب بين المواد . وحليل تقدمهم فى الكيمياء العملية أنهم استخدموا
البارود ، وهو تركيب كىماوى ، مثلما استخدموا الفلر للأغريقية ؛ فإذا
كانت هذه الأخيرة من اختراع اليونان ؛ فإن الأولى من اختراع
المصريين ؛ إذ ان كلمة بارود العربية انتقلت الى لغات عديدة ، مثل :
Poudre و Powder . كذلك برعوا فى استخراج الروائح
العطرية وماء الورد ، وعرف الشرق بروائح الطيبة ؛ كما عرفوا
صناعة الحبر أو المداد ، ونبغوا فى صنع اللباب ، وكونوا أحماضا متعددة
مثل : الكبريتيك والأزوتيك والنيترك ، وتكلموا عن القلويات التى
دخلت اللغات الأوروبية باسمها العربى Alkali ؛ كما تمكنوا من
استخراج معادن الذهب والفضة نقية .

(١) أنظر . Ruska :

Das Steinbuch des Aristoteli mit Literaturgeschichtlichen,
Untersuchungen nach der arab. Heidelberg, 1912.

(٢) فيه النص العربى ؛ التيفاشى أحمد (ت ١٢٩٣/٦٥١) ، لزهارة الأفكار فى
(فيه النص العربى) ؛ التيفاشى (ت ١٢٩٣/٦٥١) ، لزهارة الأفكار فى جواهر
جواهر الأحجار ، نشر وترجمة . Mollet ، فى J. A. ١٨٦٨ .
(٢) عنها : الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ، تحقيق . Volten ، ص ٢٥٧ ؛
ط . القاهرة ١٣٤٢ هـ ، ص ١٤٦ . أنظر . Ency. (art Alambic) tI, p. 253 .

وقد كان الفلاسفة هم الكيميائيون (١) : ولكن أشهرهم على الإطلاق هو جابر بن حيان (٢) (حولى ١٦٠/٧٧٦) ، كيموق العرب الأول ، الذى ينسب الى اسمه أكثر من مائة كتاب ؛ بحيث ارتبط اسمه بهذا العلم فى الشرق والغرب ، وترجمت بعض كتبه الى اللاتينية ، واشتهر بين الأوربيين باسم : " Geber " . وقد استخدم التدريبات الكثيرة - أى التجارب - وتمكن من استخراج الأحماض والقلويات ؛ واشهر ما كتبه : الخواص الكبير (٣) ، واحد عشر كتابا فى علم الأكسير (٤) وكتاب الملك (٥) ، وكذلك نذكر مسلمة المجرى (ت ١٠٠٧/٣٩٨) فى كتابه : رتبة الحكيم (٦) .



علم الطبيعة ، ويسمى الفزياء ؛ نقله العرب عن اليونان بعسد اضافات صائبة ؛ فنقلوا عنهم رأيهم فى انكسار الضوء ، والمرآيا المحرقة ، والجاذبية ، والفعل النوعى ، والقوانين المائية التى تحكم العيون والنباتات والآبار الأرتوازية . يضاف الى ذلك اهتمام العرب

(١) مثلاً ليعقوب بن اسحاق الكندى ، كتب كيمائية . انظر . GL. A. 1. 231 : Brock
Leipzig ، برقم ٣٦٦ .

(٢) عنه بتفصيل ، انظر . Ruska .

Arabische Alchemie. Archeion XIV, 1932, p. 425-435 ;

Ency. (art Diâbir B. Haiyân) II, p. 1015-6 ;

زكى نجيب ، جابر بن حيان ، اعلام العرب ، رقم ٣ ، القاهرة ١٩٦١ ؛ احمد صالح ، جابر بن حيان ، مجلة الرسالة ، ١٩٤٠ ، عدد ٣٦٨ ، ص ١٢٠٤ وما بعدها .
(٣) نشره . Kraus ، فى كتابه مختارات رسائل جابر بن حيان ، تحقيق ، ط . Paris ١٩٣٥ . من كتب ابن حيان التى وصلتنا باسمائها اللاتينية ، حيث أن اسماءها العربية مفقودة :

- | | |
|------------------------------------|------------------|
| 1 — Summa Perfectionis Magettri | يعنى الجمع . |
| 2 — De Investigatione Perfectionis | يعنى الاستتمام . |
| 3 — De Investigatione Veritatis | يعنى الاستيعاد . |
| 4 — Liber Foranacum. | يعنى التكليل . |

(٣) طبع محمد الشيرازى ، القاهرة ١٩٢٧ .

(٤) نشره . Brethelot فى La chimie arabe. tIII. Paris, 1893

(٥) المقدمة ، ص ٤٣٧ .

بالحركة والمكون ومركز الثقل وجز الأثقال بالقوة المتغيرة ، فكل ميزان يتكون من عمود أو قسبة ، يلف حول محور ، عليه زمانة ، وله كفة ، وقد يكون المحور مرقما . فعرفوا الميزان العادي ، والميزان القديم أو الروماني المسمى قرسطون (١) - الجضع قرسطونات - لفظها مخرفة عن القرسطون وهي كلمة يونانية ، يميزان اسمه القبان (٢) أو الكفان ، وهي كلمة فارسية ، ومن يقوم به يسمى قبانى ، ومنه أنواع الرومى - أى اليونانى - والقبطى (٣) ، بأن يعلق على رأسه الطويل ثقل قليل ، وعلى رأسه القصير ثقل كبير ؛ ليحصل التوازى ؛ ولديهم تعابير كثيرة عن الموازين ، لا يوجد لها مثيل فى لغة أخرى ، مثل : القناطر ، والأرطال ، والمثاقيل ، والدراهم (٤) . كذلك وضعوا قانون الذبذبة ؛ بحيث اخترعوا الرقاص أو البندول ، وظهرت الساعات (٥) أو المزاول ، وبلغت درجة كبيرة من الاتقان .

ويتضح مدى التقدم الذى حازه العرب فى علم الطبيعة على يد الهيثم (٦) ، الذى ولد فى البصرة عام ٩٦٥/٣٥٤ ، وجاء مصر فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ، وتوفى بها فى ١٠٣٩/٤٣٠ ، وله أكثر من مائتى مؤلف (٧) ، ترجم بعضها إلى اللاتينية ، وعرفه الأوروبيين باسم " Alhazen " . بل كان ابن الهيثم أول من أراد أن ينظم فيضان النيل ، ويقيم المد العالى ؛ بحيث أن الحاكم الفاطمى أرسل معه البعثة إلى

(١) الجاحظ : الحيوان ، تحقيق : هارون ، ١ ، ص ٨١ ؛ أنظر -

Ency. (al-Karastūn) t2, p. 802. 5.

(٢) البخط ، ٣ ، ص ١٥٥ (آخر الصفحة) . يقال أن زمانة القبان من

اختراع الهنود . العقد ، ٢ ، ص ١١ .

(٣) نهاية الرتبة ، ص ١٩ .

(٤) نفسه ، ص ١٥ .

Ency. (art Sā'a) t4, p. 1-2

(٥) أنظر .

(٦) ابن أبى أصيبعة ، ٢ ، ص ٩٠ - ٩٨ ؛ ابن القفطى ، ص ١٦٥ - ١٦٨ ؛

Ency. (art Ibn al. Haitham) t2, p. 408.

أنظر .

(٧) من ذلك ، أنظر . جدول مجموعة تكليفه فى الاجتماع التعليمي لذكرى

ابن الهيثم فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٩ ، القاهرة ١٩٤٠ . كان يهتم بنسخ كتب الفلك والمجسطى ، وصل فهرست لخزانة الكتب الفاطمية بالقاهرة ، وكان يأخذ مائة

وخمسين دينارا مصرها . أنظر . Bilbli. Arabi Hispana. tI p. 4, 15-6.

اسوان ، وان لم يتمكن ابن الهيثم من القيلم بشيء لصعوبة تحقيق ذلك في وقته (١) . فلدينا منه كتابه المشهور : المناظير (٢) ، الذي تكلم فيه عن الضوء او الضياء وهو النور ، وانها جسيمات تحمل حرارة ونارا ، ولها مرعة زمنية ؛ وقد ترجم الى اللاتينية ، وبعض رسائل منها : في المرايا المحرقة بالقطوع (٣) ، وفي كيفيات الاظلال (٤) ، وفي المرايا المحرقة بالدائرة .

ونذكر البيروني (ت ١٠٤٨/٤٤٠) ، الذي الف في كل شيء ، واعتبر اعظم عقل عرفه التاريخ العلمى ، حتى عرف بالشيخ او الاستاذ ، وان لم يكن معروفا لبنة لاوريين في العصور الوسطى . وقد اعتبر البيروني من اكابر علماء الطبيعيات؛فهو الذى حدد الثقل النوعى (٥)؛ لعدد من المعادن والاحجار الثمينة ، تحديدا دقيقا يقترب من التحديد الحديث في وقتنا ؛ كما يظهر من جداول البيروني مقالة في النسب . وقد استعمل في سبيل ذلك آلة مخروطية صنعها وصورها وبون لنا طريقة استعمالها ؛ وذلك بان تملأ بالماء الى حد معين ، ثم يوضع فيها مقدار معلوم الوزن من المادة المراد معرفة ثقلها النوعى ؛ فيخرج بدخولها قدر من الماء خلال انبوبة الجهاز ؛ فيسقط في الكفة ويوزن .



(١) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، تحقيق صالحاني ، بيروت ١٨٩٠ ، ص ٣١٦ وما بعدها .

(٢) Baermann فى Z.D.M.G, XXXVII, 1882, 195-237. انظر .

(٣) نشر وترجم الى اللاتينية فى ١٥٧٢ ، على يد Risner فى Bale .
(٤) طبع . Heiberg و Wied فى Bibl. mathem, 3e Série, 10e Vol, فى Wied (1910), p. 201-237 ، والثانى ترجمة نفس المصدر ، ص ٢٩٣ - ٣٠٧ .

(٥) ترجمت اجزاء منه الى اللاتينية على يد Wiedemann فى مجموعة : Beitrage Z. Gesch de Naturwissensch, XIII, Vol. 39 (1907), p. 226 suiv.

(٥) نشر هذا النص وترجم الى الفرنسية
Pesanteur spécifique de diverses substances minérales, procédé pour l'obtenir d'après, Aboul R. Albirouny. ext. J. A., 1858.

كذلك يعتبر الفن مظهرا آخر من مظاهر الثقافة ؛ وكما وجدنا اثر العرب فى العلوم ، وجدنا اثرهم ايضا فى الفنون . وقد ترك الاسلام فى فن العصور الوسطى اثرا هائلا ، مثل الذى تركه لنا العالم القديم ؛ فالفن مرآة ناصعة للحضارة . ولذا يعكس الفن الاسلامى الروح العربية وروح الشعوب التى دخلت الاسلام ؛ بحيث تعددت تسميته بالفن الاسلامى او العربى او الشرقى . كما ان الفن الاسلامى كان اوسع الفنون انتشارا واطولها عمرا - الا اذا استثنينا الفن المصرى القديم - فقد كان الفن الاسلامى يمتد من الهند الى الاندلس ؛ واستمر باقيا طوال العصور الوسطى ، وحتى العصر الحديث .

وقبل مجيء الاسلام كان الفن السائد هو الفن المسيحى ؛ لان للفن الرومانى كان آخر عهده فى الشرق بالقرن الثالث الميلادى ؛ لتحول الشرق الى المسيحية . والفن المسيحى الذى وجدته الاسلام كان يتجه معظمه الى رسم الاشخاص المقدسين والصور الدينية المسيحية . والذى نجده فى الفن الاسلامى هو انه فى اول الامر كان يجمع مع شخصيته اساليب فنية مسيحية ، واستمر الحال على ذلك الى لوائل عهد العباسيين . ولكن سرعان ما اخذ الفن الاسلامى يبتعد عن المؤثرات الخارجية باسلام الشعوب المفتوحة ، ويكون لنفسه شخصية تدل عليه ؛ بحيث نستطيع ان نميزه ؛ كما نميز الفن الفرعونى او اليونانى .

ومنذ اول الامر نجد الفن الاسلامى يرتبط اشد الارتباط بالدين ؛ اذ الفن ولد فى خدمة الدين . فمثلا بالنسبة للمسيحية ظل الفن قرونا يصور تاريخها وحوادثها ، ولم يتحرر من اثر الدين الا فى عصر النهضة . كذلك بالنسبة للفن الاسلامى فانه طبع بطابع الدين الاسلامى ؛ فقد اصبحت آيات القرآن وسوره توضع على كل شيء ، على الاولانى والحوائط والاسوار . ولا ريب ؛ فالفن الاسلامى - مثل سابقيه من الفنون الاخرى - يدرك صلة النفس بالكون .

ثم انه ايضا فى اول امره يعتبر فنا غير شعبى يتبع الاحكام ، وكل عمل فنى لا يكون الا لهم . ولكن فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، نجد الفن الاسلامى بدا ياخذ الصبغة الشعبية ،

وأصبحت يهوت للناس وما فيها من مظاهر فنية. تهل على هذه الصيغة الشغفية . ومن ناحية أخرى لم يكن الفن الإسلامى يقتصر على ذاتية الفنان دون تأثير المجتمع ، ولكنه أصبح فى خدمة الجماعة عن طريقه التأثير عليها ، والوصول الى غايتها .

كذلك تعددت الأساليب الفنية بانقسام وحدة المسلمين ؛ فقد حدث تنافس شديد كان عاملا على انتشار الفن الإسلامى ، بل فنون الإسلام . ومع ذلك ؛ فإن روح الإسلام كانت توجد للفن فى كل بلاد الإسلام قالبا متجانسا . كذلك الذى جعل الفن الإسلامى يبلغ غايته من الرقى ، هو أن الفنان المسلم كان يبذل غاية جهده فى اخراج العمل الفنى كما يجب ، كما أن ظهور نظام الانقلابات ، أوجد نوعا من التفانى فى الفن ؛ بحيث وجدنا متخصصين فى فروعه ، ومدارس له .

ولدينا صور متعددة للفن الإسلامى تبين تطوره ومدارسه وأساليبه فى مختلف البيئات الإسلامية ، تظهر على الخصوص فى فن :

العمارة ؛ ونقلوا أساليب هذا الفن من أمم غير إسلامية ، وأن أخذوا منها ما يتفق والعقيدة الإسلامية ؛ فأخرجت من الفن العمارى طرازا إسلاميا خاصا . وأهم شيء يتناوله الفن العمارى الإسلامى هو الأعمدة ، التى اتخذت تيجانا وحفودا مدببة وروابط خشبية ، حتى أنه ظهر ما يعرف بعلم عقود الأبنية (١) . وقد أصبحت اقواس حدوة الفرس « Hores-Shoc » تدل على الفن العمارى الإسلامى ؛ وأن وجدت الأقواس قبلا ؛ إلا أنه تغير شكلها على يد المسلمين . كذلك كانت المقرنصات (٢) ، من أبرز خصائص الفن العمارى العربى ، تعنى الأجزاء المتخلية من السقف ، ولعلها من الأصل اليونانى ؛ « كورنيس Cornith » ، ثم حرفت الى مقرنص ، أو لعلها جاءت من الكلمة العربية « مقرنص » ، أى يجلس القرفصاء .

(١) كثف الظنون ، ١ ض ٢٢ (فى أسفل الصفحة) .

(٢) مرزوق ، الفن الإسلامى فى العصر الأيوبي ، المكتبة الثقافية ١٠١

وكذا بناء القباب والمآذن العاليه دليل بوضوح على الفن الاسلامى . كما
كان من مظاهر الفن المعمارى الاسلامى الظاهرة بناء مسربيات (١)
البيوت مخروطة او مزخرفة ، صمى قبة اذا كانت مستديرة ، او
شمسية اذا كانت غير مستديرة ، او حتى شمسى ، وهى من خشب خروط
مستأخر للنواظ ، تخفف حدة الضوء ، ويمكن النساء مشاهدة من
بالخارج دون ان يراهن أحد ، واصبح ذلك طابع البيوت الاسلامية .

نوع آخر من الفن الاسلامى هو الزخرفة بالخط . وهذه اصحبت
فنا له تتميز خاص ؛ اذ تطور الخط العربى على اسس انه خلق للزينة
والزخرفة . فقد لفت نظرس فناني المسلمين الحروف العربية برموسها
وسيقانها وقواسمها ونقطها ومدياتها . فاصبح الخط العربى يوضع على
كل شىء ، ليس فقط على المبانى ، وانما على التحف وغيرها ، وان
كانت غالبا ما تقتصر على تكرار كلمات معدودة ؛ وهى تكون مدهونة
خالها بماء الذهب والفضة . ولا ريب انه كان يوجد للخط العربى شكل
او اشكال معينة قبل الاسلام ؛ بدليل ان النبى - صلى الله عليه وسلم - كتب عهدها بيده
وبين قريش (٢) ، كما ظهرت انواع من الخطوط العربية فى اوراق
البردى وعلى العملة . ولكن المسلمين عموما اتفقوا على اسلوبين فى
الخط العربى : الحروف المستقيمة ذات الزوايا الحادة ، والحروف
الليينة المقوسة ؛ وقد عرفت الاولى بالخط الكوفى نسبة الى الكوفة
بمصرها ، ولعلها تطورت للخط الحميرى القديم ، الذى كان منتشرا
فى هذه المنطقة ، وانه نزل عن خط المسيند الحميرى فى جنوب
الجزيرة ، والثانية النسخ او النسخى ، وهو ابتكار مورى .

وقد تفرعت من هذين النوعين عدة خطوط اخرى - نستطيع
ان نرى انواعها بالمتاحف - لحيثما منها اسماء اثني عشر قلما

(١) لينبول ، سيرة القاهرة ، الترجمة العربية لحسن وعلى ابراهيم ،

ط ٢ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) انظر . de Sacy

Nouveau aperçus sur l'Histoire de l'Ecriture chez les Arabes.
du Hédjaz, Paris, 1827.

مختلفة (١) ، وأكثر من عشرين شكلا ؛ أشهرها : الخط المشرف والاندلسى والأفريقى ، والثالث الذى على ما يبدو مشتق من خط كبير اسمه للطومار - لا نعرف سبب تسميته هكذا - وسمى كذلك لأنه ثلثه ، والرقعة ، والديوانى . وقد بلغ الخط العربى من الدقة الى أن أصبحت هناك قوانين واحكام فى وضع كل حرف ، وللمسلمين فى ذلك تعابير خاصة ، مثل : القافية من انحناء وانبطاح ، والتمام من قصر وطول ورقة وغلظة ، والانكباب - ربما الانحناء - والارمال باطلاق اليد ، كما تلاعبوا بالتشكيل ووصل الحروف . ولدينا أسماء خطاطين مشهورين ، ولعل أشهرهم على الإطلاق الوزير ابن مقلة ، وعلى بن هلال ، وخاصة ياقوت (ت ١٢٩٩/٦٦٩) ، الذى كان كاتب المستعصم آخر الخلفاء العباسيين ؛ حيث وضع القواعد للثلث والنسخ .

نوع آخر من من الفن الإسلامى يتصل بالنوع السابق ، هو النحت ، الذى بلغ الغاية وأرى . ولما كان الإسلام دين وحدانية يمنع نحت للتماثيل ، فنجد النحت الإسلامى اتجه الى نحت الحروف أو صور النبات وهو ما عرف بالتوريق ، أو التفريعات الهندسية مثل المكعبات والمربعات ؛ ولا شك أن ذلك كان شبه ثورة على الفن الفاضح فى النحت اليونانى والرومانى . وكان عند الفنان المسلم كراهية الفراغ ؛ فظهر التكرار وأصبح يدل على طابع الفن الإسلامى . وقد عرف الفنان المسلم النحت المقعر والنحت البارز . ومع ذلك ، لم يمنع هذا ، من نحت الفنان المسلم لصور الحيوانات أو حتى الأشخاص ؛ وإن كان نحتهما حائرا فى الفن الإسلامى .

أما فن التصوير للأشخاص أو للحيوان ؛ فقد وجد فى الإسلام ، وإن كان مشكوكا فى تحريمه كما فى النحت . حقا أن النبى - ﷺ - قد أزال الصور من البيت حين فتح مكة ؛ إلا أنه استخدم ومن بعده الخلفاء العملة وعليها الصور مما يدل على كراهية فقط ، وليس تحريما . كذلك اختلف الفقهاء فى مسألة الحل والتحريم ، وإن اتفقوا بالاجماع

(١) مثلا : المقدمة ، ص ٢٢١ - ٢٢٤ ؛ كشف ، ١ ص ١٦٨ ؛ مبح ، ٣ ص ٥ وما بعدها .

على منع تصوير كل ما له ظل ووجوب ازالته (١) . ومع ذلك ، قبل
الفنان المسلم على التصوير ، حتى اننا وجعنا من يؤلف عن المصورين
وطبقاتهم (٢) . وقد جعلت كراهية التصوير الاستيحاء من الطبيعة
قليلًا ؛ فكان أغلب ما صور هو من صور الادميين والحيوانات . كذلك
ربما تخرج المسلمون من التصوير ؛ مما جعل أغلب المصورين من اهل
الذمة ؛ فمثلا صورة صلاح الدين التي لدينا هي من تصوير القبط (٣) .
ونحن لا نعرف كيف بدأ التصوير في الاسلام ؛ فيبدو ان ظهوره
كان في عهد الامويين ، الذين رسموا في عواصم الصحراوية كثيرا من
الصور (٤) وربما عرفوه عن طريق الصور التي وجدوها في الحمامات ؛
بحيث نجد المسلمين قد جروا هم ايضا على زخرفة حوائطها بالصور .
فلدينا زخارف بالصور لحمام في القسطنطينية من عهد الفاطميين ، توجد
بالمتحف القبطي المصري . وقد شاع رسم الصور في الحمامات ، حتى
ان الفقهاء حثوا على ازلتها ؛ فقال ابن حنبل : « ان الانسان اذا دخل
الحمام ورأى فيه صورة فينبغي ان يحكها ؛ فان لم يقدر خرج » (٥) .
بل أصبح للمصورين مدارس مثل المدرسة البغدادية (٦) ، او مدرسة
هراة بافغانستان (٧) ، ونقصد بها عددا من الصور ينظمها أسلوب

(١) البخاري ، باب التصوير ؛ انظر . Chauvin :

La défense des images chez les Musulmans, dans Annales de
l'Acad d'Arch. de Belgique, 4^{ème} série, ; VIII, 229 suiv ; X, 403
suiv.

Painting in Islam. Oxford, 1928.

: Arnold

Ency. (art Taswir) t4, p. 728-8 ; (art Sûra) t4, p. 588-590

(٢) أورد ذلك المقرئ . الخطط ، ٤ من ١٢١ من ٩ .

(٣) انظر . مثلا : احمد زكي باشا ، طاس صلاح الدين ، مجلة رعمسيس ،

العدد التاسع ، السنة الخامسة . انظر . ماجد ، صلاح الدين ، ص ١٥٠ .

(٤) عن ذلك ، انظر Les Chateaux, Arabes, : Jaussen et Savigniac

(Miss. Arch. en Arable), tIII. Paris, 1922 ;

L'Art de l'Isl, p. 26 sqq :

: Marçais

(٥) انظر . قبيله .

(٦) انظر . زكي محمد حسن . مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي ، مثل

مجلة سومر ، المجلد ١١ ، الجزء ١ .

(٧) خير من يمثلها بهزاد المصور (٩ هـ / ١٥ م) . لدينا منه صور في

المتحف الاسلامي .

معين ، يميزها عن غيرها . وقد استهوت شخصيات المقاصات - مثل مقامات الحريري - المصورين ، ولدينا صور منها على الورق أو المخطوطات . كذلك يذكر المقرئ (١) ، انه كانت في خزائن المعز لدين الله الفاطمي في مصر صور لكل ملوك الدول ، وان الامر الفاطمي اقام في بركة الحبش - وهي استراحة له - رسوما صور له فيها عددا من الشعراء (٢) ، وكتب فوق كل صورة أبيات من شعر كل منهم في مدح الخليفة . بل من العصر الفاطمي (٣) ؛ نسمع عن مباريات بين المصورين ؛ فنسمع عن اثنين احدهما اسمه قصير والآخر اسمه عزيز ، تنافس كلاهما في رسم صورة راقصة في قوس . ويعد ان كان التصوير لا يحرم على تصوير حكام الاسلام ، اصبح يتجه ايضا لتصويرهم - دون الخلفاء - (٤) ؛ فمثلا لدينا صورة لصلاح الدين وصور لسلطين المماليك ، وخلفاء آل عثمان ، على اساس انهم من السلاطين .

اما فن صناعة الخزف ، فهي قديمة ، ونستبعد ان تكون متأثرة بصناعة الخزف الصيني ؛ وان كان اصلها على العموم في الشرق ، ولا سيما في مصر القديمة ؛ واصبحت تدل على تفنن الفنان المسلم . فلدينا حاليا صناعات من خزف جميع العصور الاسلامية ، التي اتخذت اساليب مختلفة ، ودخلها البريق ، وتلون بالوان متعددة ؛ وبلغ من لطفها انه اذا وضعت يدك من الخارج ، ظهرت من الداخل ، ومن جمالها تباع بالوزن (٥) . وقد كان ازدهار صناعة الخزف ؛ بسبب ان الاسلام يحرم اتخاذ الاواني من الذهب والفضة (٦) .

ويتصل بصناعة الخزف صناعة الصيني ، وهي الاخرى دخلتها الالوان ، ووصلت صناعتها الى درجة متقنة جدا . فنسمع بصناعة صحنون صيني تبلغ في ارتفاعها قامه رجل ، واجاجين - وهي اواني

(١) الخطط ، ٢ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٢) نفسه ، ٢ ص ٣٧٩ .

(٣) نفسه ، ٤ ص ١٢١ .

(٤) لدينا صورة للخليفة المتوكل على بردية ، توجد في متحف البريتينا بفيينا .

(٥) سفر ثامه ، ص ٦٠ .

(٦) انظر . مرزوق ، الفن المصري الاسلامي ، سلسلة اقرا ، ١١٤ ، ص ٣٧ .

لعمل الثياب - لها أرجل على صورة الوحوش ، ومرايا من الصينى ،
وازار ، وجماجم اى قوارير (١) .

كذلك تقدمت صناعة الزجاج ، وهى قديمة ؛ اذ من المؤكد ان اول معرفتها ظهرت فى مصر فى عصر ما قبل التاريخ ؛ وان ازدهرت ازدهارا كبيرا على ايدى المسلمين . ومما ذكره المؤرخون المسلمون انه كان يصنع بمصر زجاج شفاف عظيم النقاوة يشبه الزمرد . كذلك دخلت صناعة الزجاج لأول مرة فى عهد الفاطميين الزخرفة بالكتابة والرسوم ، ويموه بالمينا وهى مادة كالزجاج . كما ان الزجاج المسمى الفسيفساء ، وهو زجاج يستخدم فى الزخرفة ، يكون ملونا مثل اصفر واخضر وذهبى (٢) . ولدينا فى متحف الآثار العربية مصابيح او مشكاوات زجاجية مزخرفة ، على بعضها اسماء صناعها ، مصورة بأنواع النبات والطيور .

ومن الفنون الاسلامية صناعة التحف البللورية ، وهى هذه على ما يظهر تقدمت تقدما كبيرا فى القرن الرابع الهجرى ؛ بحيث انه فى عهد الفاطميين خصصت لها خزانة خاصة تسمى خزانة البللور (٣) ؛ اذ البللور يوجد فى مصر عند بحر القلزم (الاحمر) ، او انهم يأتون به من المغرب (٤) . فقد كان البللور يخرج من ايدى صناعه فى غاية الصفاء ؛ فضلا عن انه كان ينقش ويلون . ووجدنا من خلفاء الفاطميين مثل العزيز ، من كانوا يتذوقون هذا الفن ويقدرونه ؛ بحيث اعتبر هذا الخليفة خبيرا فى هذه الصناعة . كذلك تقدمت صناعة الرخام من تحف وتهيروا ، على طول العصور الاسلامية منذ عهد الامويين ، وهى من مختلف الالوان ، تفتنوا فى ترتيبها .

وهناك صناعة المعادن والجواهر ، وهى لا تقف عند صنع الاوانى والفريات والشمعدانات - يشهد بذلك ما يوجد منها فى دار الآثار

(١) الخطوط ٢ ، ص ٢٦٤ ؛ انظر . نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٩ .

(٢) معجم البلدان ، ٤ ص ٧٧ ص ١١ .

(٣) الخطوط ، ٣ ص ٢٦٢ ؛ انظر . نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٨ - ١٩ .

(٤) سفرنامه ، ص ٦٠ .

العربية - ولكن صنعوا منها تحفا وزخرفوها بالجزء - وهو أبسطها -
 أو بتنزيل الذهب والفضة والمعادن الثمينة ، وذلك بالصاقها أو تليبستها ؛
 وهو ما أطلق عليه التزميك أو التكتفيت (١) ، أى التطعيم . وقد ذكر
 لنا المؤرخون وجود بعض التحف المعدنية بالقصر الفاطمى ، ويبدو أنها
 كانت فى غلبة الروعة مثل (٢) : تمثال لطاووس من الذهب المرصع
 بنفيس الجواهر وعيناه من الياقوت الأحمر ، وريشه بالذهب على ألوان ريش
 الطواويس ، وديك من الذهب ذى عرف كبير مفروق من الياقوت ،
 وغزال مرصع بنفيس الجواهر ذو بطن أبيض منظوم بالدر ، وسفينة
 نيلية من الفضة ، ويستأن من الفضة مزروع بأنواع الشجر ، كله من
 المعدن . ويبدو أن القاهرة استمر لها أسلوب خاص فى صنع النحاس ،
 الذى صنعوا منه تحفا مختلفة ؛ بحيث أن أى بيت أصبح لا يخلو من قطع
 نحاس مكفت ، منها : الأباريق والمباخر والثريات والطائيات والمسارج
 والأوانى والموائد ؛ وأن كان المقرئ يرى أن هذا الفن فقد قيمته أيام
 المماليك (٣) ؛ بحيث أن من كانوا يعملون بها سموا العجم أو
 الأزميون (٤) .

وقد تقدمت صناعة الحفر على الخشب ، ولا سيما حفر خشب
 المناير والمقصورات ومساند الصحف والصناديق والأثاث وواجهات
 المنازل بقصد تزيينها ؛ فكانت ترسم فيه زخارف من تفريعات أو
 توريقات ، أو حتى صور الأشخاص وحيوانات وطيور (٥) . وقد بلغت
 هذه الصناعة على يد المسلمين درجة كبيرة من الاتقان ؛ بينما الطريقة
 السابقة على الإسلام لم تخرج عن تلوينه وحفره . ولكن بعد ذلك
 استخدمت الحشوات العاجية أيضا - مفردا خشبوة - وهى تكون
 بالتطعيم أو التجميع أو الترصيع ، ولا تزال أمثلتها توجد فى الشرق
 إلى الآن . وكان للحفر على الخشب سوق خاصة فى عهد المماليك هى
 سوق خان الخليلى المشهورة .

(١) الخطط ، ٣ ص ١٧٠ .

(٢) نفسه ، ١ ص ٢٦٦ ؛ انظر . نظم الفاطميين ، ٢ ص ١٩ .

(٣) نفسه ، ٣ ص ٢٧١ .

(٤) لينبول ، سيرة القاهرة ، ترجمة ، ص ٢٣٤ .

(٥) انظر . لوحات خشبية توجد بالمتحف الإسلامى بالقاهرة .

أما صناعة المنسج : فقد دخلتها الزخرفة ، التي تقمعت على ليدى المسلمين ، وكان الصناع يستخدمون طرقاً معينة فى ختم الزخارف وطبيعتها على المنسوجات ، منها استخدام الواح الخشب التى كان يعرفها القوط ؛ واتخذوا زخارفها من التوريقات ، أو من كلمات تجرى مجرى الفال ، أو من أسماء الحكام والقابهم ؛ على عكس ما كان سابقاً : فقد كان ملوك العجم يجعلون الطراز بصور الملوك وأشكالهم أو بصور معينة (١) . كذلك برع المسلمون فى استخدام الخيوط بأنواعها ، ولاسيما الخيوط الذهبية . وقد بلغت المنسوجات الإسلامية من الرقة ؛ بحيث كان من الممكن سحب عباءة أو ثوب كامل خلال حلقة خاتم (١) .

يتصل بالصناعة السابقة صناعة الأبسطة والسجاجيد والكلمة . وهذه التعابير الثلاثة تختلف فى مدلولها ؛ فالأبسطة يعنى ما بسيط أى مد (٣) ، وهى كلمة وردت فى القرآن ، والسجاد أو المساجيد أو المواجيد تمتاز بأشكالها الدينية (٤) ؛ وأن كنا لا نستطيع أن نقول أنها عرفت للعرب من أيام النبى - ﷺ - ؛ فقد كان يصلى هو وأصحابه على التراب ، وينسب فرش المسجد من أيام الأمويين (٥) ، أما الكلم فهى كلمة فارسية دخلت اللغات الأوروبية . كذلك وجدت تعابير أخرى تعنى هذه الصناعة ، منها : كلمة الفرش من فرش ، حتى أن خزانة للفاطميين سميت خزانة الفرش (٦) ؛ وهى التى كانت تحتوى على الأبسطة وغيرها ، وكلمة الأنماط أو الأنمطة - مفردتها نمط - تعنى الحصر (٧) ، وكلمة حصير وهى تقابل السجاد من سعف النخيل ؛

(١) المقدمة ، ص ٢١٠ .

(٢) انظر . المقالة القيمة من Wiet :

Tapis égyptiens. Arabica. Jan, 1959.

Fasc. I, tVI, p. Isqq.

(٣) ابن سيده ، المخصص ، ٤ ص ٧٢ ؛ انظر .

On certain arabic Terms for Rug. Ettinghausen :

Ars Islamica I, pp. 219-222 ; II, pp. 65-68.

Suppl, I, p. 84-6. : Dozy

Ency. (art Sadjada) t4, p. 47 sqq .

(٤) انظر .

(٥) الخطط ، ٤ ص ٨ .

(٦) نفسه ، ٢ ص ٣٦٦ وما بعدها ؛ ابن سيده ، المخصص ، ٤ ص ٧٣ -

(٧) النجوم ، ٤ ص ٩٢ ؛ انظر Suppl, 2, p. 726. : Dozy

وكلمة فروة وهى جلد حيوان مصبوغة ؛ وكلمة لطع وتعنى انما من الجلد (١) ؛ وكلمة طنفسة وهى من اصل يونانى Tapetion » ، تعنى بساطا صغيرا للجلوس (٢) ، وكلمة وطاء تعنى انه بساط للأرجل ، وكلمة مخمل تعنى بساطا من قطيفة ، والتمارق مفردتها التمرق او التمركة ، وهى تعنى بساطا او وسادة (٣) . وفوق ذلك ، وجدت انواع سميت باسماء البلاد التى صنعت منها ، مثل : بساط خسروانى ، فهو جدير بخسر وملك الفرس ، لاشتهار صناعته فى فارس ، ويقال ايضا ملكى ، وبساط طبرستانى اى من طبرستان ، وبساط قالى تعنى بساطا كبيرا من بلدة قاليقلا ، وبساط ارمنى .

وهذه الصناعة كانت تعمل من الصوف او الحرير او الحرير ؛ وغالبا ما تزين برسوم وزخارف من مشاهد الصيد والحداثق ، وهى تكون خفيفة او سمكة ؛ بحيث انه كان يوجد ما يسمى بالبساط المحفور اى السميك او ذات الخمل ؛ وقد كانت مراكز هذه الصناعة فى فارس ومصر على الخصوص . وهذه الصناعة استكثر منها فى قصور المسلمين وبيوتهم ؛ حتى انه على حسب قول المؤرخ أبى الفدا بلغ عددها فى قصر احد الخلفاء خمسين ألف بساط متنوع (٤) . كذلك اشتهر بعض المسلمين بجمع مجموعات منها ؛ حتى ان احد امراء المماليك جمع حوالى مائة وثمانين زوج بسط (٥) ، منها ما طوله من اربعين ذراعا الى ثلاثين ذراعا .

كذلك بلغت صناعة الجلود (٦) ، غايتها على يد المسلمين وتفننوا فيها ؛ بحيث انه بسبب شهرة صناعة الجلود فى قرطبة ، انتقلت كلمة كردوانى اى قرطبى الى اللغات الأوربية باسم « Cordouannerie »
 « Cordonnerie » ؛ لتدل على صانع الاحذية ، ولا تزال هذه الكلمة

Ibid, 2, p. 683.

(١) الاغانى ، ٥ ص ٢٤٦ ؛ انظر .

Ibid, 2, p. 63.

(٢) نفسه ، ٦ ص ٧٦ ؛ انظر .

(٣) ابن سيده ، المخصص ٤ ص ٧٤ .

Op. Cit., p. 128. : Rissler

(٤) نقلها .

(٥) الخطط ، ٣ ص ١١٧ - ١١٨ .

(٦) بعلمه ، انظر .

مستعملة الى الآن . فقد تفننوا في صناعة للنعال ، فكانوا يحضرون جلد يقر من الحبشة يشبه جلد النمر (١) ، ويعملون منه النعال المتقازة . كذلك فن التجليد ، نقل الاوربيون خصائصه عن المسلمين ، ولا يزال اللسان المعروف في التجليد الاسلامي يوجد في بعض الكتب الاوربية ؛ كما لجأوا الى زخرفة الكتب وتزيينها بالرسوم والالوان (٢) ، ولا سيما تذهيبها . وفوق ذلك اهتموا بصناعة السروج ؛ اذ يذكر المقرئ سوقا له في مصر اسمه سوق اللجميين ؛ حيث كانت تعمل ملونة ما بين اصفر وازرق ، فضلا عن تطعيمها بالذهب والفضة (٣) .

واخيرا نذكر صناعة الورق ، التي اسهم العرب في تطويرها (٤) . ولم يكن يعرف قبلا غير ورق البردى الذي يكتب عليه المصريون القدماء ، او الجلود او الخشب او العظام او قطع الخزف او الحجارة او اى شيء ؛ مما كان العرب يكتبون عليه ، ثم اتخذوا القباطى وهي نسج مصرى ؛ ثم الورق من القطن . وربما يكون العرب عرفوا صناعة الورق من الصين بعد فتحهم بلاد ما وراء النهر ، او بالصلة المباشرة ، ولذا سمي الورق الصينى ، وهو يصنع من الحشائش او من الكتان (٥) . وقد تأسست اول صناعة له في بلاد الاسلام في بغداد في عهد هرون الرشيد ، وانتشرت في انحاء البلاد العربية ، ووجدت لها حوانيته تعرف بحوانيت الورق . فكان الورق لا يستخدم فقط في الكتابة ؛ وانما عرف منه انواع مثل الورق القوى (٦) ، وقد مهد ظهور الورق الى ظهور الطباعة في العصر الحديث .

(١) سفر دنامه ، من ٦٠ .

Peintures des manuscrits arabes, : Blochet (٢) انظر .
persanes et turcs de la Bibl. N. Paris, cf.

(٣) الخطوط ، ٢ من ١٥٩ .

(٤) الاصطخرى ، من ٢٨٨ ؛ المقدمة ، من ٢٢٦ - ٢٢٥ ؛ انظر -

Das arabische Papier Eine historisch antiquarische : Karabacek
Untersuchung, 1887.

(٥) الفهرست ، من ٢١ .

(٦) الخطوط ، ٢٥٠ من ٢٢٥ .

من هذا يتبين أن الفن ظاهرة حضارية ، اسهم فيها المسلمون
اسهاما كبيرا .



ويعتبر الغناء والموسيقى من الفنون التي عرفها العرب في
حضارتهم الاسلامية ، مثل بقية الشعوب . وكما وجد اثر العرب في
نواحي متعددة ؛ فانهم تركوا اثرهم أيضا في الغناء والموسيقى ، فوضعوا
الآلحان ودرسوها ، واخترعوا الآلات .

فالعرب في جاهليتهم كان عندهم من الآلحان ما يوافق سذاجتهم
وخشونة حياتهم . فالبدو منهم عرفوا نوعا من الحدا ، الذي يستعملونه
في البادية اسحاثا للابل ؛ وخصوصا أن نهضة الشعر عندهم ساعدتهم على
الترنم . كذلك الحضرم منهم عرفوا بعض الآلات الموسيقية ؛ فبعض اسمائها
ماخوذة من اسماء بابلية وأشورية وآرامية وحميرية (١) .

ولما جاء الاسلام لم يمنع الغناء والموسيقى ؛ وإن كان العرب في
أول أمرهم لم يهتموا بهما لانشغالهم بالفتوح . ولكن تغير ظروف
المجتمع العربى الجديد من الخشونة الى الترف نتيجة لتدفق الأموال ،
ومجاء أسرى كثيرين من الفرس والروم الى مكة والمدينة وغيرهما من
أهيات القرى ومجامع أسواق العرب ؛ أظهر نواة نهضة غنائية موسيقية
في بلاد العرب ، حتى اشتهرت بوجود أمهر المغنين فيها (٢) . ومن
الطريف أن تذكر أن العرب ربطوا بين الغناء والتخنث (٣) ؛ وذلك
لجمع المغنين بين النساء والرجال ؛ وهذا دليل على بقاء بقية من
خشونة العرب الأولى .

وقد ساعد على نهضة الفن الغنائى والموسيقى مجيء
الأمويين (٤) ، الذين قيل عنهم أنهم أول من أوجد الملاحى (٥) .

-
- (١) عن ذلك بتفصيل ؛ انظر . فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، القاهرة
١٩٥٦ ، ترجمة نصار ، ص ٥ و ٢٣ .
(٢) العقد ، ٣ ص ٢٤١ .
(٣) نفسه ، ٣ ص ٢٤٢ . مثلا : الأغاني ، ١ ص ٩٧ ، ٤ ص ٢٨ .
(٤) الطبرى ٢ : ١٤٦ ؛ فارمر ، الموسيقى ، ٨١ .
(٥) الأغاني ، ١٦ ص ٧٠ . ينسب ذلك الى يزيد بن معاوية .

وربما شجعوا عليهما ؛ ليشغلوا الناس عنهم ؛ فضلا عن تذوقهما ؛ -
فقد كانوا يبنون العواصم الصحراوية (١) ، التي كانت اشبه بامكن
لللهو ، ويستحضرون اليها المغنين من الحجاز ، ويفدقون عليهم
العطاء (٢) .

ولما جاء العباسيون ، انتعش الغناء والموسيقى على ايديهم
انتعاشا كبيرا ، واصبحا يقومان لا على اساس التقليد او الاقتباس ،
كما حدث الى وقتئذ - اذ ذكر المؤرخون تاثر المغنيين العرب الاوائل
بالفرس والروم (٣) - وانما على اساس ان يعبرا عن روح العرب
وروح الشعوب المفتوحة . وقد كان ظهور انواع الشعر من القصائد
والموشحات والموال والزجل مما ساعد على تقدم الغناء ؛ ولاسيما
ما يدور منه حول الغزل (٤) . فكان العرب بذلك اول من استخدموا
الشعر في الغناء ، بينما كانت الشعوب الاخرى تغنى في الغالب من
غيروزن (٥) . وقد جاء انقسام وحدة المسلمين وتنافس الحكام عاملا
من عوامل تطور الغناء والموسيقى .

ولكن الاهم ايضا ، هو جعل الغناء والموسيقى يقومان على
اساس محروس وعلمى . فقد بدأ الموسيقيون العرب يبحثون عن اغاني
الشعوب القديمة ، مثل اليونان والفرس والهنود (٦) . فمثلا يذكر
ابن صاعد المؤرخ ان العرب طلعت على كتاب « نافر » الهندي ،
الذي جمع اصول اللحن وجوامع تاليف النغم (٧) . وقد عرف

: Jauasen et Savignac

(١) عن ذلك بتفصيل ، انظر .

Les Chateaux Arabes (Miss. Arch. en Arabie). III. Paris, 1922.

جاسد ، التاريخ السياسي ، ط ٧ ، ص ٢٤١ - ٢٤٤ .

(٢) الاغاني ، ٣ ص ٩٨ ، ٦ ص ١١٥ ، ١٢٢ .

(٣) نفسه ، ٣ ص ٨٤ .

(٤) الجاحظ ، رسالة في العشق والنساء (مجموعة رسائل الجاحظ) ،

ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٥) الزينة ، ١ ص ٦٩ .

(٦) كشف ، ١ ص ٢٢ : المرقى ، ٢ ، ١٣ هـ ، ٢ ص ١١١ .

(٧) طبقات ، ص ١٤ .

العرب من الغناء انواعا ، مثل : النصب وهو غناء الركبان ، والمناذ وهو التقليل ، والهجز وهو الخفيف (١) . كذلك عسرفوا الغناء العادي ، او المصحوب بجوقة ، او بالرقص (٢) ؛ كما أصبح عندهم ما يعرف بالنغم والايقاع .

ومن ناحية اخرى ، قام فلاسفة الاسلام بدراسة كتب ارسطو وغيره من فلاسفة اليونان عن الموسيقى . واضافوا اليها شروحا جديدة ؛ حتى ظهر ما يعرف بعلم الموسيقى (٣) ، ومن يمارسها يسمى الموسيقور والموسيقار ؛ وهذه الكلمة يونانية الاصل « Musica » . وقد اختلطت الموسيقى على ايدي المسلمين بعلم الرياضيات - كما فعل اليونان من قبل - الذي كان العرب متفوقين فيه . وقد ترتب على ذلك انه ينسب للمسلمين انهم اخترعوا النوتة الموسيقية او الميزان الموسيقى (٤) ، او ما يسمى الاصابع مفردا اصبح لتغييرها فى النغم ؛ وذلك باعطاء رموز للموسيقى عن طريق استخدام الارقام والأحرف . فظهر على ايديهم ما يعرف بالتقطيع بالصوت ونصف الصوت وربيع الصوت ، وبالكيفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلة والضعف . فاجد ذلك للموسيقى العربية التنوع ، الذى بلغ العشرين ؛ وان لم يستخدموا منه اكثر من اثنى عشر ، وسموه باسماء مثل : بك ودوكا وسىكا - وهى اسماء فارسية - تعنى الاول والثانى والثالث ؛ وان كان اساساً للزخرفة النغمية بابتداع النغم ، وليس الهارمونى ، كما فى موسيقانا الحالية . ولعل (٥) د. رى Re مى Mi لا Fa صول Sol لا لا Si مى Si ، التى هى السلم

(١) العقد ، ٣ ص ٢٤١ .

(٢) الاغانى ، ٥ ص ٢٤١ .

(٣) عن ذلك بتفصيل ، انظر . المقدمة ، ص ٣٣٥ - ٣٣٩ ؛ الخوارزمى ، مفاتيح العلوم ، ط ١٣٤٢ هـ ، ص ١٣٦ ؛ Ency. (art Mûsîki) 13, p. 801-807 .

(٤) الاغانى ، ٢ ص ١٧١ ، ١٦ ص ١٦ ؛ فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، من ١٢٩ ، ٣٣٨ ؛ انظر . Land : Recherches sur l'Histoire de la ,

La Musique arabe. : Daniel ; gamme. arabe. Leide, 1884
Ses rapports avec la musique grecque et chant grégorien, Paris, 1879, p. 24. 122-3.

(٥) هوفكة ، شمس العرب ، ص ٤٩٤ .

الموسيقى الحالية مأخوذة عن الأجراف العربية : دال راء ميم فاء صاد
لام سين .

ولذلك كان اثر الموسيقى العربية على أهلها كبيرا ؛ بحيث وجدت كلمة طرب وهى التى تعنى الثمالة . ولدينا امثلة عديدة فى كتب المسلمين تبين اثر الغناء والموسيقى فى نشوتهم . وللأسف لم يتبق لنا قطعا من لحن او الحان عربية مكتوبة ؛ غير ما تعارف عليه الموسيقيون الحاليون بالتقليد . وحتى رجال الدين هم ايضا - بما فيهم الصوفية (١) - تدارسوا اثر الموسيقى والغناء من حيث حلها وكرها (٢) ؛ وذكر بعضهم انه يتوصل بالالحن الحسان الى خير الدنيا والاخرة (٣) . بل تكلم فيها اهل الطب ، وقالوا ان الصوت الحسن يبرى فى الجسم ويجرى فى الدم ؛ فيصفو الدم ويرتاح القلب ، وتنمو النفس (٤) .

وقد ظهرت آلات موسيقية عديدة (٥) ، اخذوها عن كل الشعوب ؛ وان حسنوا فيها ، واخترعوا جديدا عليها . ولدينا منها اسماء عديدة ، بعضها عربى او فارسى او هندى او يونانى . وقد اصبح للآلات الموسيقية سوق خاص فى مدن الشرق ، مثل سوقها فى القاهرة (٦) . فمن هذه الآلات ما هو للنفخ ؛ مثل : المزمار او المزمر ،

(١) انظر . الهجویری ، كشف ؛ الغزالی : احياء ؛ رسائل اخوان الصفا ، ايضا ؛ انظر .

Emotional religion in Islam as affected by , : Duncan
musical singing. J. R. A. S., 1901-2.

(٢) العقد ، ٣ ص ٢٣٠ - ٢٣٢ ؛ فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص ٣١ وما بعدها . (بتفصيل) .
(٣) العقد ، ٣ ص ٢٢٨ .
(٤) نفسه .

(٥) عنها : صبح ، ٢ ص ١٤٣ وما بعدها ؛ الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ط . مصر ١٣٤٢ هـ ، ص ١٣٦ وما بعدها ؛ مروج (ط . آرييا) ، ص ٩٠ ؛ فارمر ، ص ١٨٢ وما بعدها ؛ انظر . J. R. A. S., July. 1939 : Jomuary .
Suppl. cf. : Dozy ؛ جرجي ، التمدن ، ٣ ص ١٩٨ .
(٦) الخطوط ، ٢ ص ٢٠٩ . يسميه سوق المعازف .

والصفارة ، والنأي ، والقصبة ، والبوق وهو من نحاس أجوف ،
والقيثار الذى لعله يونانى « Kithara » ، والطنبور وهو يشبهها
والشبابية وهى قصبة جوفاء فيها ثقب عليها سداة ، وهى تقطع بوضع
الأصابع من اليدين فى موضع متعارف ، والأرغن أو الأرغانون وهو
مناقف من جلود الجاموس من آلات الروم . وبعضها للقرع ، مثل : الدف ،
والصنوج ، والجلجل ، والطبل أو النقاريت ، وهى ذات شكل أحطوانى
مجوف من الداخل ، مشدودة بالجلد من الناحيتين (١) ،
والكوسات (٢) - كوس - وهى طبل شكلها نصف دائرى ، مشدودة
بالجلد من ناحية واحدة . وبعضها بالأوتار التى توضع على بمائط
آلات مشدودة فى رأسها وتقرع الأوتار بمعزف ، ولعل أهمها :
العود (٣) ، الذى يسميه النويرى ملك الآلات ، وهو اسم عربى لكلة
فنان يصنع من خشب العود ، لعل أول ما استعمل فى عهد هرون
الرشيد ، وقد تطور على أيدي المسلمين ، حتى أن المؤلفين خصوصا
له المؤلفات (٤) ؛ فخففوا من وزنه ، وزادوا فى عدد أوتاره ، واخترعوا
مضاربه من قوادم النسر ، وربما يكون من أنواعه المزهر أو البريط ،
وهذا الأخير أصله فارسي عبارة عن عود محدودب الظهر صورته تشبه
صور البط ، أرسخ البطن ، له أربعة أوتار (٥) . وأيضا الرباب (٦) ،
وهو ذو وتر واحد ، يعزف عن طريق قوس ؛ وإن أصبح له أربعة أوتار ؛
وقد أطلق عليه الكمان أو الكمنجة . والقانون وهو ذو سبعة أوتار (٧)
- ربما اخترعه الفارابى - ولعل اسمه المعزف أو العزف أو الجنك أو
الشلياق أو اللور أو الصنج ، وربما هى أنواع منه . كذلك لدينا أسماء
آلات أخرى محدودة ، مثل : غريال ومصافق وكنكة وكران وكنارة
وقضيب وعرطبة وسلباق وعير ، وأصف ، والمستق آلة للصين من أنابيب .

Suppl, 2, p. 26. : Dozy

(١) أنظر .

Jnost, p. 45 . أنظر . (٢) هى كلمة من أصل فارسي . أنظر .

Ency. (art Ud) t4, p. 1038-1041 (٣) عنه ، أنظر .

(٤) مثل كتاب ابن يونس (ت ١٠٠٩/٤٠٠) ، العقود السعدية فى

أوصاف العود .

(٥) العقد ، ٣ ص ٢٦٦ ؛ مروج (ط ١٠١٠ أوربا) ٨ ص ٨٨ ، ٩٣ ؛ فارمر ،

ص ١٨٣ .

Ency. (Rabâb) t3, p. 1159-62

(٦) عنه ، أنظر .

Op. Cit., p. 19 : Land

(٧) أنظر .

ولدينا أسماء طبقات عديدة من المغنين ، لم تعرف الشعوب قبلهم كثرتها ، وهم رجال ونساء - قيان - على السواء ، يذكرهم المؤلفون في كتب خاصة ، أشهرها على الإطلاق كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفيهاني ، الذي لمضى خمسين عاما لتأليفه (١) ، وطبقات المغنين للجاحظ (٢) . فمن العصر الإسلامي الأول حتى الأموي ، نذكر من المغنين (٣) : نشيط الفارسي ، وطويس ، وسائب (أو سلم) وخائر (أو خامر) ، وابن مريج ، وابن محرز ، ومعبد ، ومالك ، ومن المغنيات : جميلة وسلامة القس وعزة الميلاء وحبابة وبليلة ولذة العيش ومسييدة والزرقاء وعقيلة وخليدة . ومن العصر العباسي ، نذكر : إبراهيم بن المهدي (٤) ، وهو ابن الخليفة العباسي المهدي ، وكان قد بوع له بالخلافة دون المأمون وتلقب بالمبارك ، وإبراهيم الموصلي ، الذي قال عنه الجاحظ أنه صنع الغناء بعلم فاضل وحقق راجح (٥) ، وابنه اسحق الذي قيل أنه ألف ثلاثين كتابا حتى عن راقصات الحجاز (٦) وبالأخص زرياب (٧) الذي كان عبدا لاسود لإبراهيم الموصلي ، وترك عشرة آلاف لحن ، واخترع للعود وترا خامسا ، ومضربا من قوادم النسر كما ذكرنا .

أما طبقات علماء الموسيقى - وأغلبهم من الفلاسفة - فنذكر منهم (٨) : الكندي (ت ٨٧٣/٢٦٠) ، الذي له عدة كتب في الموسيقى

Op. Cit., IV, p. 344. : Carra de Vaux . (١) انظر .

أما عن الكتاب نفسه ، انظر . ط . بولاق مثلا .

(٢) انظر . رسائل (الجاحظ) .

(٣) انظر . كتاب الأغاني ؛ العقد ، ٣ ص ٢٤١ وما بعدها .

(٤) الأغاني ، ٥ ص ٢ - ٤٩ - ٥٢ - ١٣١ ؛ Barbier de Meynard

Ibrāhīm, fils de Mehdi. J. A. 1884, p. 201-342.

(٥) رسالة في طبقات المغنين ، ص ١٨٧ . عنه ، انظر . وفیات

Ency. (art Ibrāhīm al-Mawsilī) t2, p. 465. ؛ ١٥ - ١٤ ص

(٦) دائرة المعارف الموسيقية ، ترجمة ص ١٩ .

(٧) العقد ، ٣ ص ٢٤٥ ؛ المقدمة ، ص ٣٣٩ ؛ المرقى ، ط . إزهرية ،

١٣٠٣ هـ ، ٢ ص ١٠٩ وما بعدها ؛ ابن حجة ، المطرب ، ص ١٤٧ ؛ وما قبله .

(٨) الفهرست ، ص ٢٢٥ - ٥٧ . نقل . Erlanger مقتبس من كتبهم

منها : رسالة فى خبر تأليف الألحان ، والفارابى (ت ٩٥٠/٣٣٦) ، الذى له أيضا عدة كتب عن الموسيقى ، أشهرها : كتاب الموسيقى الكبير ، وربما يكون الفارابى هو الذى اخترع العود ، فلدينا رسمه بيده (١) ، وابن سينا (ت ١٠٨٧/٤٨٠) ، الذى تعرض لهذا العلم فى كتابه الفلمسفى الشفاء ، وصفى الدين عبد المؤمن (ت ١٢٩٣/٦٩٣) الذى له كتاب الأدوار .

ان الفنماء والموسيقى العربيين اثرهما واضح فى الفنماء والموسيقى العالمية : فنماء وموسيقى شعوب اسبانيا (٢) والمكسيك وأمريكا الجنوبية ، وحتى شعوب إفريقيا وآسيا ، نلمس فيها بوضوح اثر العرب . كما ان أسماء كثير من آلات العرب الموسيقية دخلت اللغات الأوروبية ، مثل : القانون والطبل والنقارة والقيثارة والرباب والعود : « Kanoon » و « Timbal » و « Naker » و « Guitar » و « Rebec » و « Luth » ، وحتى كلمة التروبادور « Troubadour » (٣) - وتعنى الشاعر المغنى فى أوربا - كلمة محرفة عن كلمة طرب أو طروب العربية .



ان الثقافة الإسلامية لها حق أن تفتخر بما قدمته للحضارة من نراث خالد ، شيدت عليه الحضارات التالية نهضتها الثقافية .

فى كتابه La musique arabe I . بعض هذه المخطوطات توجد فى المكتبات ، مثل : الفارابى بالمكتبة الأهلية بمديرى برقم ٦٠٢ ، ولیدن برقم ٦٥١ ، ودار الكتب برقم ٣٥١ ، وصفى الدين بالمتحف البريطانى برقم ١٣٦ أو ٣٦١ ، وباريس برقم ٢٨٦٥ ، ودار الكتب برقم ٣٤٩ . كذلك فى رسالة فى خبر تأليف الألحان ، نشر وترجمة Lachmann والحفنى ، ط . Leipzig ، ١٩٣١ .

(١) فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، أنظر .
 Historia de la música arabe mediaeval, : Ribera
 (٢) أنظر .
 y su influencia en la española. Madrid, 1927.

(٣) عن ذلك ، أنظر . ليفى بروفنسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة سالم وحلمى ، ص ٢٨٠ وما بعدها . (محاضرة القيت) .

الفصل الرابع

اثر الحضارة الاسلامية فى اوربا

تركز الحضارة فى الشرق والغرب الاسلاميين - طرق وصول الحضارة الاسلامية الى اوربا - الدليل على اثر الحضارة الاسلامية فى اوربا .

نعرف ان الحضارة اليونانية ظهرت فى اوربا ، ثم جاء الرومان ووصلوا على الاحتفاظ بهذه الحضارة ونشرها فى كل مكان فتحوه ؛ بحيث ان ما كان خارج حدود امبراطوريتهم اعتبر خارجا عن الحضارة ، وعرفت بلاده بالهمجية « Barbarus » . وفى القرن الرابع الميلادى بدأت تاتى الى اوربا موجسات المتبربرين « Barbari » ، من اواسط آسيا ومن شمال اوربا ، ومعظمهم من غير المتحضرين ، وقد ضغطوا على حدود الدولة الرومانية ، حتى فرضوا عليها سيطرتهم ؛ بحيث ان الحضارة اليونانية التجات الى الشرق ؛ اذ سلمت روما تراثها الى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، وريثة الرومان فى الشرق . وقد كان تحول المتبربرين الى المسيحية عاملا على تعريفهم بمبادئ الحضارة . ولكن استمرار مجيء موجات جديدة منهم ، وانعدام الليونة العقلية التى تمهد للانتاج ؛ كل هذا لم يجعل لسكان اوربا فى العصور الوسطى حضارة متميزة ؛ حتى سميت هذه العصور بالعصور المظلمة . ولم تعد توجد مراكز للنور فيها الا فى مناطق محدودة ، بخاصة فى الاديرة التى يوجد فيها الرهبان ، الذين يعرفون اليونانية او اللاتينية (١) ؛ وبعد ذلك فيما عرف بالجامعات « Universitas » ، وهى التى نشأت مرتبطة اشد الارتباط بالكنيسة (٢) .

(١) عاشور ، اوربا العصور الوسطى ، النظم والحضارة ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٣٦ وما بعدها ؛ Crump :

The Legacy of the Middle Ages. Oxford, 1926, p. 258.

(٢) عن الجامعات الاوربية بالعربية ، انظر . عاشور ، الجامعات الاوربية

فى العصور الوسطى (مجموعة عزت عبد الكريم) .

وحتى المركز الحضارى الذى كان فى بيزنطة ، مع انه احتفظ بحضارة اليونان بصفته وريثا للتراث الاوربى ، ومع ان آسيا الصغرى كانت دائما مركزا لليونان ، الا ان التهديد المتواصل على حدود بيزنطة من ناحية المسلمين ، وخصوصا بعد ان اقتطع المسلمون كل املكها حتى لم تتعد حدودها آسيا الصغرى ، وبقيت هكذا الى ان استولى الترك العثمانيون عليها فى سنة ١٤٥٣ م ، وايضا من ناحية القبريين الذين اجتاحتهم اوربا بما فيها البلقان . هذا بالاضافة الى الاضطرابات الداخلية والتطاحن السياسى والدينى ؛ كل هذا جعل حضارة بيزنطة جامدة ، ويقول احد الكتاب الاوربيين عن حضارة بيزنطة هذه انه انتظمها احظ واحقر شكل اتخذته حضارة ؛ بحيث يمكن ان يطلق عليها لفظ « وضع » (١) . فكان كل ما نقله الروم عن حضارة العصر القديم هو تليخيصات او شروح او جمع ، وان معظم العلوم منعت عندهم نتيجة للتعصب الدينى ؛ فلم يظهر عندهم مؤرخون او حتى شعراء كما عند العرب .

وبجانب الظلام الذى كان مسيطرا على معظم اركان اوربا والجمود الحضارى فى آسيا الصغرى ، كان الشرق الاسلامى ومغربه يسطع بالنور ، وهو الذى ذكرنا نواحى تقدمه المتعددة سواء فى نظمه السياسية او فى حياته الاجتماعية او فى علومه وفنونه . وكان السبب فى ذلك هو الاستقرار السياسى فى دار الاسلام فى ظل الدين الاسلامى - آخر الاديان - الذى كان يساير التطور ولا يقف فى سبيله ، وبسبب اقتصاديات دار الاسلام المزدهرة ، ثم لانه وجد فى دار الاسلام بقايا حضارات سابقة ، اخذها المسلمون وهضموها و اضافوا اليها . ولما جاءت موجات الترك او المغول ؛ فان نمو الحضارة الاسلامية لم يقف - كما حدث بالنسبة للحضارة فى اوربا - وان هملت هذه الموجات على تنقل مراكز الحضارة . لكل هذا تكونت فى بلاد الاسلام حضارة متميزة مزدهرة ، كان لا بد ان تسيطر فى العالم شأن كل حضارة متقدمة ، فوصلت الى اصقاع بعيدة فى آسيا وافريقيا ، وعلى الخصوص فى

(١) انظر - اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، تعريب طه بدر ، ص ١١٧ .

ينقل عن كاتب اسمه Lecky .

اوربا فى القرن العاشر الميلادى ، وذلك حينما استقرت فيها موجات
المبشرين ، وتحولت مسعوبها الى المسيحية ؛ فبدأت تبحث عن
الحضارة ، ولم تجدها فقط فى مراكز النور المنتشرة بين الرهبان فى
اديرتهم - وهم وحدهم الذين كانوا يحتفظون ببقايا حضارة اليونان -
وانما على الخصوص وجدوها فى الشرق الاسلامى ومغربه ، فى وقت
كانت الحضارة الاسلامية قد تبلورت ورسخت اقدامها .

وقد وصلت الحضارة الاسلامية الى اوربا من عدة طرق (١) ،
منها : طريق الأندلس ، وذلك لأن العرب استقروا فى هذه البلاد حوالى
ثمانية قرون ، بلغت فيها الحضارة الاسلامية اوجها . وكانت الحضارة
الاسلامية فى الأندلس تشع من مراكز متعددة مثل : قرطبة
« Corduba » « Cordoba » ، واشبيلية « Hispalis » (Sevilla) ،
وغرناطة « Granada » ، (Granada) ، وطليطة « Toletum »
(Toledo) : حيث كان العرب والمغاربة هم الذين ينشئونهم ، وهم
الذين يسميهم الأوربيون بالمور او المورييسكيون « Moros »
(Moriscos) (٢) . وقد كانت غالبية سكان الأندلس - وهم من
المسيحيين - قد تشبعوا بالحضارة العربية؛ بحيث انهم هجروا لغتهم
ليتكلموا العربية ، وعرفوا بسبب ذلك بالموز آراب « Mozarabes » (٣) ،
وحى كلمة تعنى مستعرب العربية ؛ واضطر الاساقفة من رجال الدين الى
ان يترجموا الانجيل الى العربية . كذلك قام اليهود؛ وهم اقلية كبيرة
فى الأندلس استعربت منذ زمن مبكر ، فاخذوا لغة العرب وملابسهم
واندرجوا فى غمارهم (٤) ؛ بدور هام فى نقل الحضارة الاسلامية عن
طريق الترجمة ، او الانتقال الى بلاطات النصارى الأوربيون . وقد كان

(١) عن ذلك بتفصيل ، انظر . Haskins :

Studies in the History of Mediaeval Science. Cambridge, 1927,
p. 3 sqq.

(٢) عنهم ، انظر . art . : t3. p. 47 sqq ; Ency. de l'Isl. (art Maures)
Moriacos) t3, p. 646-7.

(٣) عنهم . انظر . t3, p. 652-3 Ency. de l'Isl. (art Mozarabes)

(٤) انظر . Histoire d'Espagne Musulmane : Lévi-Provençal

Paris, 1951. p. 80-81. مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٢٢ .

القابيون في اوربا يأتون الى مراكز الحضارة الاسلامية في الاندلس . ولما اقل نجم العرب في الاندلس ، وظهرت الحركة المعروفة باسترداد الاراضى من المسلمين « Reconquista » ، نجد ان الملوك الاسبان المسيحيين يغترفون من حضارة المسلمين ويأخذون بمظاهرها ، ولا يستطيعون ان يقفوا امامها لتقدمها ؛ فكان الذين ينقلونها لهم يعرفون باسماء اشهرها : المدجنون « Mudéjares » - وهى من دجن بالمكان اى اقام - او المهاجرون او المداخله او المعاهدون او المعاهدون او حتى الموريسكيون ، وهم المسلمون الذين بقوا بعد الركونكستا ، وان كان بعضهم قد تنصر ، كما ان معظمهم تجمع فى طليطلة (١) . فنسمع ان الملك الفونسو العاشر الملقب بالحكيم « Alfonso el Sabio » (١٢٥٢ - ١٣٨٤ م) ، قد فتح فى عاصمة ملكه مدرسة للترجمة فى طليطلة ، جعل فيها علماء مسلمين ينقلون الى الاسبانية او القطلونية او اللاتينية كتب العرب . وعلى العكس كانت البسلاد الاوربية التى تحيط بالاندلس يخيم عليها الظلام ؛ فنجد ان النور الذى فى الاندلس يتسرب الى ربوع اوربا . فعن طريق الاندلس انتقلت حضارة العرب الى اوربا .

طريق آخر لا يقل اهمية عن طريق الاندلس هو طريق صقلية . فنعرف ان العرب فتحوا صقلية فى عصر متأخر على يد دولة الاغالبة ، التى قامت فى افريقية (تونس والجزائر الحاثيتين) فى عهد العباسيين وذلك فى النصف الاول من القرن الثالث الهجرى / العاشر الميلادى ، بعد ان كان الروم قد اتخذوها وكرا يهاجمون منها الاراضى الاسلامية . ولما جاء الفاطميون وانشاوا خلافتهم فى ارض المغرب ، استولوا على صقلية كارت عن الاغالبة ، بل انهم اكدوا سيطرتهم ايضا فى جنوب ايطاليا حتى رومية العظمى (روما = Roma) ، وهى التى سماها العرب قلورية (كالبريا = Calabre) . وقد كان احتلال العرب لهذه البلاد الايطالية معناه انه لابد وان تشملها الحضارة الاسلامية المتفوقة

(١) انظر . Jourdan :

Recherches critiques sur l'age et l'origine des traductions Latines.
Paris, 1813, p. 149-150.

وقتذاك ، واصبحت بلرم (بلرمو = Palermo) ومسينى (Messine) ومبرقوسة (سيراكوز = Siracusa) ، وبوة (Pouilles) ، وبارى (Bari) ، مراكز الحضارة الاسلامية اليبانة فى ايطاليا . ولما قضى على سيطرة العرب فى صقلية وجنوب ايطاليا من قبل الفرنجة النورمان (Norsmen او vikings) فى القرن الخامس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، وهم عنصر مسيحي من هجرة شمالية ، ظهروا فى الوقت الذى ظهر فيه السويديون ، استولوا على صقلية وجنوب ايطاليا من الفاطميين . ومع ذلك فلم يقض على الحضارة الاسلامية فيها ، بل ان النورمان كانوا عاملا فعلا فى نشر هذه الحضارة . والواقع ان عداوة النورمان للمسلمين كانت فى اول سكنى النورمان جزيرة صقلية ، فكانوا يغزون فى افريقية وسواحل مصر والشام ، ويستولون على مدن المسلمين . ولكن بعد ذلك نجد ان سياستهم سلمية نحو المسلمين ، بدليل تلك الخطابات المتبادلة بين روجر الثانى Roger II « (١٠٣٠ - ١١٥٤ م) ، والخليفة الحافظ الفاطمى (٥٢٤ - ٥٤٤ / ١١٣٠ - ١١٤٩ م) . فقد كان النورمان يتذوقون الحضارة الاسلامية ، ويتوجون انفسهم بعبارة لا اله الا الله ، ويتخذون علامة ملوك الاسلام : « الحمد لله حق حمده » ، ويلبسون العمام مثل العرب ، ويسلكون فى قصورهم طريق المسلمين (١) ، وعملهم وعبادتهم ومنجميهم وجواريهم وحظاياهم ايضا من المسلمين ، وكان بلاطهم يعج بالعلماء المسلمين ، فنجد الادريسي الجغرافى العربى الكبير يهدى كتابه الى روجر الثانى ، ويسمى كتابه الروجارى . كذلك خلفه غليام William « ، كان يرحب بالعلماء المسلمين ، ويقرأ ويكتب بالعربية (٢) . ونجد ملكا آخر من سلالتهم فردريك الثانى Federico II « (١١٩٤ - ١٢٥٠ م) - كما فعل ملوك الاسبان - يشجع الترجمة (٣) لعلوم الاسلام الى اللاتينية واليونانية او حتى

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٣١٥ .

(٢) نفسه .

(٣) انظر . : Gabrieli

Federico II et la cultura musulmane. Revista Storia Italiana.

LXIV. 1952, pp. 5-18. جلال مظهر ؛ مآثر العرب على

الحضارة الاوربية ، ص ٧٥ .

الابيطالية الدارجة ؛ التي كانت قد بدأت فى الظهور ، واسس جامعة نابلى (نابلى Napoli) ؛ بحيث اتهم بانه مالا المسلمين ، ولما حضر فى حملة صليبية الى الشرق فى عام ١٣٢٧ م ؛ فانه صالح سلطان المسلمين ؛ مما دعا البابا الى حرمانه .

طريق ثالث لانتقال الحضارة الاسلامية هو مجيء الصليبيين الى الشرق الاسلامى (١) . فقد كان بقاء الصليبيين مدة طويلة فى الشرق الاسلامى منذ القرن الخامس حتى القرن السابع الهجرى / منذ القرن الثانى عشر حتى القرن الرابع عشر الميلادى ، على اتصال تام بجميع مظاهر الحضارة الاسلامية المتفوقة التى ادهشتهم ، اذ يظهر هذا فى احاديث ملوك اوربا والرحالين منهم . وعلى العكس ؛ فانهم كانوا بالنسبة للمسلمين بهائم ، فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير (٢) . ومع ان الحروب كانت مستمرة بينهم وبين المسلمين ؛ فان الاذكياء كانوا ينقلون جميع مظاهر حضارة المسلمين ؛ وان كان هذا النقل اغلبه بالمشاهدة .

طريق رابع عمل على نقل الحضارة الاسلامية هو تبادل التجارة بين الشرق والغرب عن طريق مصر . وقد حدث هذا منذ مجيء الفاطميين مصر ، وجعلوها مركزا سياسيا وتجاريا وثقافيا من الدرجة الاولى . كذلك كان هجوم المغول فى العراق مما جعل مصر كعبة الحضارة الاسلامية فى عهد المماليك ؛ حيث يفسر ابن خلدون سبب ازدهار حضارتها بتعودها على الحضارة منذ آلاف من السنين (٣) . لذلك برزت فى مصر العلوم والفنون ، وارتحل اليها الناس فى طلب العلم من المشرق والمغرب ؛ فيصفها ابن خلدون بقوله (٤) : « ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر ، فهى أم العالم ، وايوان الاسلام ، وينبوع العلم والصنائع » . وقد ساعد على نقل الحضارة الى اوربا عن طريق

(١) انظر . Op. Cit., p. 130 sq. : Haskins

(٢) حتى ، العرب ، ترجمة ، ص ٢٢٢ . نقلا عن أسامة .

(٣) المقدمة ، ص ٣٤٤ .

(٤) نفسه ، ص ٤٥٣ .

مصر ، ان مدن اوربا وقتذاك مثل : بيزة « Pisa » ، وجنوة « Genova » ، والبندقية « Venezia » ، ونابلى « Napoli » وفلورنسا « Firenze » ، نشطت تجارتها مع مصر ، وهى المدن التى ظهرت فيها حركة النهضة الاوربية « Renaissance » ، التى مهدت للحضارة الحديثة فى اوربا .



والدليل على ان الحضارة الاسلامية انتقلت الى اوربا ، وكان لها اثرها الاول فى الحضارات التالية ، هذه الكتب العديدة التى ترجمت من العربية الى اللاتينية او الطليانية او العبرية (١) ، وهى كتب تملأ المكتبات الاوربية منذ زمن مبكر ، وتدل على تقدم العلم الاسلامى بجميع فروعه . كذلك فى عصر النهضة لما اراد الاوربيون الرجوع الى العلوم اليونانية القديمة ، وجدوها مهذبة ومشروحة فى كتب المسلمين . هذا مع العلم ؛ بان هذه العلوم اليونانية القديمة كانت مهملة من الاوربيين فى العصور الوسطى ، وكان جل اهتمامهم بما نقله اللاتين منها (٢) . فبفضل النقل عن العرب تقدمت الحضارة فى اوربا ، كما حدث بالنسبة للحضارة الاسلامية ؛ مما يؤيد ان كل حضارة تقوم على سابقتها .

وكان اهم ما ترجم من كتب العرب كتب الفلسفة ، وذلك لان العقلية الاوربية وقتذاك كانت مشغولة بالمشاكل الفلسفية ، التى تعالج العقيدة او بمعنى آخر الفلسفة اللاهوتية ، التى عرفت باسم الفلسفة المدرسية « Scholasticism » ؛ لانها كانت تدور فى المدارس ، ومن يقومون بها يسمون المدرسين « Doctores Scholastici » ، التى قامت على يد القديس اوغسطين « St. Augustin » (٣٥٤ - ٤٣٠ م) . فكان معظم ما عرف من الفلسفة فى عهد اليونان والرومان ، يكون عن

(١) L'Evolution scientifique du haut, : Van de Vyvre (١)

..... moyen-âge. Archeion XIX, 1937. ؛ ميبلى ، العلم ، ص ٤٢٧ .

(٢) هونكة ، شمس العرب ، ص ٤٩٤ .

طريق العرب (١) . كذلك كان أهم ما نقلوه بعد الفلسفة علم الطب ؛ حيث أن كتب ابن سينا أو الرازى المترجمة ، استمر تدريسها فى جامعات اوربا لى القرن الثامن عشر ، ولاسيما فى مدرسة سألرنو Salerno ، التى اعتبرت أول معهد طبى فى اوربا (٢) ، ولا يزال اسما الطبيبين المسلمين ابن سينا والرازى يوجدان فى كلية الطب فى باريس . بل أن نظريات ابن خلدون التى تعتبر أساس علم الاجتماع ، لا تزال تذكر فى جامعات اوربا الى الآن .

ولدينا أسماء لعدد من المترجمين الأوائل ، وهم سن اديان واجناس مختلفة ، نقلوا علم العرب الى الاوربيين ، وذلك ابتداء من القرن الحادى عشر الميلادى ، حتى اواخر العصور الوسطى . فمنهم (٣) : جريير « Gerberto » ، الذى أصبح فيما بعد بابا روما باسم سلفستر الثانى « Silvestre II » ، وادلار اوف باث « Adalard of Bath » وقسطنطين الأفريقى « Costantinus Africanus » ، وجيرار الكريمنى « Gherardo von Cremona » ، وروجر بيكون « Roger Bacon » ، وابيلار « Abelard » ، وروبرت اوف كتون « Robert of Ketton » ، وميشيل سكوت Michel Scot ، وفيليب الطرابلسى « Philippe de Tripoli » ، وتوماس اكويناس « Thomas Aquinas » ، وأوجين البلرمى Eugenuis ، وريموند لوليس « Raimundus Lullius » ، ودومينكوس جونديسالفوس « Dominicus Gundisalvus » ، وليوناردو بيزانو « Leonardo Pisano » ، وافلاطون تيبيرتينوس

(١) انظر . : Jourdan

Recherches critiques sur l'age et l'origine des traductions latines d'Aristote. Paris, 1843.

(٢) انظر . : Rashdall

The Universities of Europe in the Middle Ages. Oxford, 1951. I, p. 77-78.

(٣) عن هؤلاء ، انظر . Op. Cit., cf. : Haskins

؛ وايضا نجيب العقيفى ، المستشرقون ، دار المعارف ، القاهرة ؛ Thorndike ؛
A History of Magic and expermental Science. cf.

« Plato Tiburtinus » ، وبيطرس الفونم « Petrus Alfons » ، وغير هؤلاء كثيرين .

وكذلك نجد ان مظاهر الاداب العالمية معظمها من اصل عربى ؛ اذ ترجمت كتب عربية كثيرة اشهرها كليلة ودمنة ، والف ليلة وليلة . فمثلا اغنية رولان « Chanson de Roland » ، التى ظهرت فى سنة ١٠٨٠ م ، وتعتبر احدى دعائم الادب الغربى المبكر ، لم تقم الا نتيجة الاتصال بالعالم الاسلامى ، عبر جبال البربات . كذلك دانتي اللجييرى « Dante Alighieri » ، (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) ، اكبر شعراء ايطاليا ، مؤلف الكوميديا الالهية « Divina Commedia » ، يقال - كما يذكر عالم اسباني (١) - انه اعتمد على رسالة الغفران لابي العلاء ، وبوكاشيو الايطالى « Boccaccio » (١٣١٣ - ١٣٧٥ م) ، مؤلف الديكاميرون « Decameron » ، او الصباحات العشرة ، اعتمد فى تاليفه على الف ليلة وليلة ، وثرفننس « Cervantes » (١٥٤٧ - ١٦١٦ م) ، وهو اكبر كاتب اسباني ، قضى جزءا من حياته فى الجزائر ، يعترف بان روايته الدون كخيوته دى لامنشا (Don Quijote de la Mancha) او دون كيشوت - كما تسمى فى الفرنسية - قد تكون مأخوذة من وثائق عربية ، بل انها مملوءة بتعابير وامثال عربية كثيرة .

بل فى الاداب الاوربية الحديثة نوعا ، نجد نفس الاثر العربى . فشكسبير « Shakespeare » (٢) ، وهو اكبر كاتب انجليزى تائر كثيرا بحكايات الشرق ، ولاسيما فى روايته روميو وجولييت ، وتشوبر « Chaucer » الشاعر الانجليزى تائر ايضا بالشرق فى قصصه ، ولف عن السيد - الكامبيادور - الاسباني ، ولافونتين « La Fontaine » فى خرافاته « Fables » ، جعل الاشخاص يلبسون اقنعة الحيوان من ثعالب واغربة كما فى كتاب كليلة ودمنة ، وفولتير « Voltaire »

(١) انظر : Asin

La Escatologia musulmana en la Divina Comedia. Madrid, 1919.

(٢) انظر : The Oriental Tale in England, 1909 : Conant

Oriental Influence in English Literature. : Samir ;

(فى حوليات آداب عهد شمس سنة ١٩٦٣) .

مدین لقصة ألف لیلة ولیلة ، ولسورة أهل الکھف بروایتہ صادق « Zadique » ، وشتوبریان « Catcaubriand » ألف عن بنی سراج آخر مصلی الأندلس « Les Aventures du dernier Abencerage » ، وجوته « Goethe » ، فى شعره متأثر بالاسلام وله رأى فى شعر العرب ، وحتى رواية « Robinson Crusoe » من تألیف « Daniel Defoe » ، هى اشبه بقصة حى بن یقظان لابن طفیل . واخیرا ؛ فان الشعر الرومانتیکی وهو الغزل الرقیق ، الذی کان من ممیزات الأدب الأوروبی ، انتقل من الشرق الى اوربا ؛ اذ هو الحب العذری او الموشحات او الأزجال ، وذلك عن طریق التروبادور (١) « Troubadours » ، وهى كلمة محرفة عن كلمة طرب او طروب ، فهؤلاء الشعراء یوقعون اشعارهم على آلات موسیقیة ، ویتجولون عند بیوت الخاصة ، حیث کان اول ظهورهم فى جنوب فرنسا او البروفنس « Provence » .

والدلیل على ان الحضارة الاسلامية اثرت فى اوربا هذه الالفاظ العربیة التى بقیة فى لغات اوربا حتى وقتنا الحاضر ، وهى اکثر من وثائق تشير الى رسوخ الحضارة الاسلامية ؛ وتوجد فى اللغات الأسبانیة والبرتغالیة والیطلیانیة وغیرها (٢) ، وتشمل الاصطلاحات فى الحیاة والعلوم . ویکفى ان نذكر بعض الأمثلة ، فمثلا « Chiffre » ، هى كلمة صفر العربیة ، تدل على انتقال طريقة الترقیم العربیة ، و « Amiral » او « Admiral » هى كلمة امیر البحر ، و « Arsenal » هى دار الصناعة و « Boussole » هى البوصلة ، و « Cable » هى الحبل ، وكلها ، تدل على تقدم العرب البحرى ، و « Jupe » هى الجبة العربیة تدل على تقدم العرب فى الزی والثیاب ، و « Sirop » هى كلمة الشراب ، تدل على تذوق العرب فى الطعام ، و « Drogue » هى الدواء ، تدل على مهارة العرب فى شئون الصيدلة ، و « Azur » هى كلمة ازرق ، تدل على

(١) من ذلك ، انظر . لیفی بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة سالم وحلمى ، ص ٢٨٠ وما بعدها (عن محاضرة الفیت) .
(٢) انظر . Glossaire des mots. : Dozy et Engelmann .
Espagnols et Portugais, dérivés de l'Arabe. Leyde, 1869.

حسابية العرب للالوان ، و « Douane » هى الديوان ، و « Tarriff » هى التعريفة ، و « Bazar » هى البازار ، كلمات تدل على تقدم العرب فى المعاملات المالية . هذا غير كلمات عديدة فى مختلف العلوم ، يكفى ان نذكر منها : « Chimie » ، لتدل على علم الكيمياء ، و « Algebre » ؛ لتعنى علم الجبر .

ويظهر كذلك مجهود المسلمين فى الموسيقى الغربية ؛ اذ اضافوا الى الالحان الحانا . فالموسيقى الاسبانية الحالية (١) ، تعتبر بحق موسيقى عربية اسهم فيها الموسيقيون العرب ، ولاسيما الاندلسيون منهم ، وهى موسيقى لم تقف عند اسبانيا واوربا بل انتقلت الى امريكا الجنوبية بانتقال الاسبان والبرتغاليين اليها . وقد عرف الاوربيون فى لغتهم كثيرا من الآلات الموسيقية العربية ، مثل : القانون والطلبل والنقارة والقيثارة والرباب والعود : « Kanoon » و « Timbal » و « Naker » و « Guitar » و « Rebec » و « Luth » .

وحتى فى المعمار ، نجد ان مظهر المباني الاوربية المعروفة باسم الارابيسك « Arabesque » ، الذى هو فن معمارى عربى ، يميل الى التكوينات الهندسية ، ومعنى جوهر الفن الاسلامى (٢) . بل نجد مباني كثيرة فى اوربا فى العصور الوسطى ، مثل الجامعات القديمة فى انجلترا ، متأثرة بالفن العربى .

وحتى فى الزراعات نجد كثيرا من المحاصيل ووسائل الزراعة تدخل فى اوربا عن طريق الشرق (٣) ، مثل : الكافور « Camphre » والزعفران « Safran » والمر « Myrrhe » والمسك « Musc » والقطن « Coton » والارز « Riz » والخرشوف « Artichaud »

(١) انظر . Historia de la musica arabe medieval : Ribera .
y su influencia en la espanola. Madrid, 1927.

(٢) انظر . ديماندا ، كتاب الفنون الاسلامية ، ترجمة عيسى ، ص ٩١ ؛
Ency. de l'Isl, (art Arabesque) 1ed, t1, p. 368 sqq ; 2ed, t1, p. 558 sqq.

(٣) انظر . احمد عيسى ، معجم اسماء النبات ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .

والحنة « Henné » والليمون « Lemon » وقصب السكر « Sucre »
 والموز « Banane » - اى اشارة الى طوله كالاصبع - والقهوة
 « Café » ، وطواحين الهواء « Moulin » ، والسواقي
 « Asaquia » ... الخ .

واخيرا الاستكشافات الكبرى ، التى قامت فى العصر الحديث ،
 مبنية على ما قام به العرب (١) . فكريستوف كولب « Cristophe
 Colomb » اطلع على خرائط العرب التى شاعت فى اوربا ، فضلا
 عن شيوع استدارة الارض عند الجغرافيين العرب ، التى هيات هذه
 الاستكشافات . كذلك يذكر الادريسي مغامرات عربية فى محاولات لكشف
 امريكا ، فيتكلم عن شبان من لشبونة عرفوا بالمغربين (٢) ، وهم
 ثمانية رجال ، ساروا فى بحر الظلمات الى الغرب احدى عشر يوما ،
 ثم ابحروا نحو الجنوب اثنى عشر يوما اخرى ، حتى وصلوا الى جزيرة ،
 وجدوا فيها اناسا قد عثروا رموسهم ، فلا يستبعد ان يكون
 الشاطيء الذى رسوا فيه ، احدى جزر امريكا الجنوبية . كذلك يذكر
 ابن فضل الله العمري فى كتابه (٣) : مسالك الابصار ، من ان جماعة
 من بنى برزال ابحروا فى بحر الظلمات ؛ فلعل اسم البرازيل هو على
 اسمهم . كذلك لاكتشافات البرتغال فى افريقيا ، ووصول الاوربيين الى
 الهند ، مبنى على ما قام به العرب سابقا ، فضلا عن انهم عملوا ادلاء
 لهم ، مثل المعلم احمد بن ماجد ، الذى قاد فاسكو دى جاما
 « Vasco da Gama » ، الى طريق الهند .



من كل هذا يتبين ان الحضارة الاسلامية اسهمت بنصيب وافر
 فى تقدم الانسانية ، ولا زالت آثارها توجد حتى الآن فى الحضارة
 الحديثة

: Hamidullah

(١) انظر .

L'Afrique découvre l'Amérique avant Christophe Colomb, R.
 Culturelle du monde noir. Fevrier. Mai. 1958, p. 174 sqq.

؛ العقاد ، اثر العرب فى الحضارة الاوربية ، دار المعارف ، ص ٤٧ وما بعدها .
 (٢) عن ذلك ، انظر . نزهة المشتاق ، ط . Dozy ، ص ١٨٤ - ١٨٥
 (٣) مخطوط باسطنبول ، ورقة ١٨ ب .

الفصل الخامس

تدهور الحضارة الاسلامية

يرى ابن خلدون (١) ان لكل حضارة عمرا معلوما ، وانه لا بد ان ينزل بها الهرم ، بل يحدد لها ثلاثة اجيال ، والجيل عمر شخص واحد . فكل حضارة - فى رايه - تحمل فى طياتها جرثومة عدم الكمال ، وفى اللحظة التى تبلغ فيها الحضارة اوجها يبدأ الانحلال والسقوط . ثم انه يرى ايضا ان اشد اعداء الحضارة الترف (٢) ؛ اذ ان خلال الخير تذهب ويزداد الشر ؛ فالحضارة تتدرج من الخشونة الى الترف الناعم ، وان الخشونة وحدها هى التى تحفظ الحضارة .

وفى رايى ان الحضارة ليست فقط مسألة عمر ، وانما هى بالاولى اسلوب لحل مشاكل الحياة القائمة ، ولذلك فمجيتها وذهابها بسبب تطور الحياة . يضاف الى ذلك ان طبيعة الخلق ان يسهم البشر كل منهم بنصيب فى تقدم البشرية ؛ فلا يستحوذ عليها جنس دون الاخرين ؛ فالنهاية لحضارة هى البداية لحضارة اخرى . ثم ليست الحضارة بتقدمها وتدهورها دليل جديد على ان الخير والشر من مستلزمات الانسان ؛ فالتقدم دليل على عمله واجتهاده ، والتدهور دليل على تقصيره ؛ مما يدعو الى العمل والاجتهاد من جديد . كذلك معنى وجود التدهور بعد التقدم ، ان العالم الى آخر الكون سيمر بالازدهار ، وان نهايته الانحلال ، وان كل ما مر من ازدهار وكأنه لم يكن . وان كننا نعرف بالايمان ان ما فعلناه فى الدنيا هو زاد للآخرة ؛ مما سيبقى للأبد كذكرى للجهد الانسانى .

وقد كانت الحضارة الاسلامية ازهى الحضارات ، بلغت اوجها فى القرن الثامن الهجرى فى ايام دولة سلاطين المماليك فى مصر ، استمرت

(١) المقدمة ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) نفسه ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

زهاء الف عام ، ضمن مجموعة الحضارات التي لا تتجاوز ستة آلاف من السنين ، وهي حقبة حديثة جدا وصغيرة من السجل البشرى ، الذى ربما يمتد الى اكثر من ستمائة الف او مليون وثلاثمائة من السنين (١) . وقد كانت هناك اسباب ملغوبة لتدهور الحضارة الاسلامية ، بعضها اتى من الخارج ، وبعضها اتى من الداخل ؛ مما اوقف سيرها ؛ بحيث عجزت عن الوصول الى هدف الانسانية . وليس من الممكن تحديد وقت ظهور عوامل الضعف ، اذ لا يكون السقوط باى حال ملحوظا ؛ وان كان سقوط الحضارة الاسلامية النهائى يحدد بحوالى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، ونحن نرجح سقوط الحضارة الاسلامية بالعوامل الآتية :

أولا : الضعف السياسى : فنحن نعلم ان الاسلام حينما انتشرت قوته نتيجة لحركة الفتوح تقهقرت المسيحية امامه ، وخصوصا ان الدولة الرومانية مالكة الحضارة فى يوم ما اضمحلت بسبب هجوم المتبريرين . ولكن بتحول المتبريرين للمسيحية اوجدوا دماء جديدة فى اوربا ؛ مما جعلهم ينشئون دولا قوية فيها ، تستطيع ان تقوم بحروب صليبية ضد المسلمين . فلعل بدء اضمحلال الحضارة الاسلامية يسير مع ضعف قوة المسلمين السياسى . فمثلا فى الاندلس كانت حركة استرداد الاراضى « Reconquista » تسير بنجاح ضد المسلمين ؛ مما كان سببا فى القضاء على مراكز الحضارة الاسلامية فيها . كذلك استيلاء النورمان على صقلية ، وهى ايضا مركز يانع لحضارة الاسلام قضى على مراكز الحضارة الاسلامية فيها . كما ان مجيء الصليبيين فى الشرق شغل المسلمين وجعلهم يهتمون تقدمهم . يضاف الى ذلك انقسام وحدة المسلمين وتعدد خلافاتها ودولها ؛ مما اضعفهم امام اعدائهم .

ثانيا : كان من عوامل تدهور الحضارة الاسلامية العامل الاقتصادى ؛ اذ الثروة ضرورة لنمو الحضارة فقد كان بيد الشرق الاسلامى وحده فى العصور الوسطى زمام اقتصاديات العالم ؛ فهو معبر التجارة العالمية . حقا كانت اوربا فى بداية العصور الوسطى تعزف عن التجارة ؛ حيث كان عندها فى ظل نظامها الاقطاعى القائم ما يشبه الاكتفاء الذاتى المحدود . ولكن هروب الرقيق الى

المدن مهد لانهيار النظام الاقطاعي ، وزاد من أهمية المدن . التي أصبحت تتوقف حياتها على التجارة . فكان ظهور المدن التجارية في أوروبا عاملاً على ظهور نظام جديد فيها هو النظام الرأسمالي ، ولا سيما أن الملوك تعاونوا مع هذه المدن في القضاء على الاقطاع ، لصالح الطرفين . وبذلك ظهرت في أوروبا مدن يانعة ، أصبح همها القيام بالتجارة والاغتناء منها ، فنافست بذلك المسلمين في المجال الاقتصادي؛ فكان ظهورها ظاهرة تطور أوروبا في عصر النهضة . هذا بالإضافة الى حركة الاستكشافات الأوروبية الهائلة ، مثل : كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، الذي ترتب عليه تحول التجارة الهندية عن طريق الشرق ، وكشف أمريكا الشمالية والجنوبية ؛ مما جعل ينابيع الثروة تتدفق على أوروبا ، وكثر فيها الذهب والفضة ، الذي لم يكن له وجود عندهم من قبل ، وذلك في الوقت الذي قل فيه الذهب والفضة في الشرق الإسلامي ، وانتشرت بدلهم الفلوس النحاسية ؛ مع أن الثروة في العصور الوسطى تعني هذين المعدنين . فاختد سفن أوروبا تمخر عباب المياه حتى بلاد الشرق الأقصى ، ولم يقدر المسلمون على وقفها ، واضطروا الى ترك شئون التجارة للأوروبيين . والدليل على ذلك أن ريان المركب مسمى بالتركية قبودان أو قبطان ، وهو اسم مستعار من الأوروبيين ، لأنه مأخوذ من « Capitaine » الفرنسية مثلاً ، بعد أن كان اسماً عربياً : أمير البحر .

ثم هناك ناحية اقتصادية داخلية هامة أضعفت الشرق أمامها سوء توزيع الثروة بين أهاليه . فالحضارة لا يقضى عليها من الخارج ، بقدر ما يقضى عليها من نفسها . فقد تحولت أراضي المسلمين التي اعتبرت ملكيتها في أيام الاسلام الأولى لكافة الأمة الإسلامية الى ضياع للحكام وأقاربهم - وهم قلة - حتى أنه في أيام المماليك أصبحت أراضي المسلمين كلها أقطاعات . كل هذا لم يجعل الناس يهتمون بالحضارة بقدر العيش بالكفاف ؛ فضلاً عن الظلم الذي كان يحيق بهم .

ثالثاً : من عوامل تدهور الحضارة الإسلامية ظهور المغول -

فهذا العنصر هاجم الشرق الاسلامى وخرب فيه ؛ لأنه كان أول امره وفتيا ؛ بحيث أن من رأى البلاد الاسلامية فى ذلك الوقت وجدها تحتاج الى آلاف السنين ؛ لكى تعود مظاهر الحضارة اليها . ولولا وقوف سلاطين المماليك فى مصر امام تخريب المغول وانتصارهم عليهم فى موقعة عين جالوت وغيرها ، لامتد خراب بلاد المسلمين الى المحيط الاطلسى .

رابعا : ليس من اسراف اذا قلنا ان ظهور عنصر الترك العثمانيين ، كان من عوامل اضمحلال الحضارة الاسلامية (١) . فهذا العنصر تمرب الى الشرق الاسلامى من بلاده المسماة التركمستان - اى ناحية الترك - وذلك بعد اسلامه ، وهو يهاجم الشرق الاسلامى ويخرب فيه ، كما يهاجم المسيحية فى اسية الصغرى وفى البلقان ، الى ان صاد فى الشرق الاسلامى وفى اسية الصغرى والبلقان ، منذ القرن الثامن الهجرى / الخامس عشر الميلادى . ومع ان الأتراك العثمانيين كانوا من المسلمين ؛ الا انهم كانوا لا يحفلون بحضارة المسلمين وتقاليدهم ؛ بسبب عجمتهم ، مع ان اللغة العربية كانت اساسا فى الحضارة الاسلامية . ثم انهم عاشوا فى العظم الاسلامى فى مكان قصى يبعد عن مراكز الحضارة الاسلامية مكان دولة بيزنطة (الروم) ، ولتخذوا القسطنطينية - وهى استانبول الحالية - عاصمة لهم ، وهى مركز للحضارة اليونانية كما ذكرنا . لذلك كان اسهام الترك العثمانيين فى الحضارة الاسلامية ضعيفا ، فضلا عن ركود هذه الحضارة وقت سيطرتهم ، بسبب جهلهم باللغة العربية .

خامسا ، صنع البارود : وهو ربما كان اختراعا صينيا (٢) ، كان العرب اول من استعملوه كسلاح حربى ؛ الا ان الاوربيين استخدموه بمهارة ؛ بحيث هيا لهم السيطرة على البلاد وممالك التجارة .

(١) انظر . ملاحظة : ابن صاعد ، ص ٨ .

(٢) بحر الدين الصينى ، العلاقات بين العرب والصين ، ١٣٧٠/١٩٥٠ ،

سادسا ، واخيرا يكون من القصور عدم ذكر الطباعة ، التي بسبب ظهور اختراعها في اوربا ، بدأ النور يشع فيها ، واصبح الكتاب ميسورا لكل من يطلبه ، مع انه قبل ذلك كان وقفا على رجال الدين . هذا بينما لم يعرف الشرق الطباعة ، الا عندما جاءت الحملة الفرنسية ، وكان الكتاب موقوفا على الذين يتفرغون لنسخه .



قصارى ما نقوله ان هذه العوامل مجتمعة ، هي التي نقصت صرح الحضارة الاسلامية ، واودت بشمار وجهود خطت بالانسانية الى الامام خطا فسيحة .

خاتمة

بما أوردناه . نستطيع أن نقول أن الشرق - الذى وجدت فيه حضارة الاسلام - بحكم تماس القارات ، أثبت أنه قادر على إيجاد معجزات من حضارات مستمرة على طول العصور ؛ حيث كان لكل حضارة أثرها الفعال فى تقدم الانسانية ؛ فوجد فى العصور القديمة حضارات مصر وسومر واشور وبابل وفارس واليمن ، وإخيرا حضارة الاسلام المزدهرة بمفردها فى العصور الوسطى ؛ مما يجعلنا نأمل أيضا الخير فى مستقبله .

فحضارة الاسلام جزء من قدر الانسان فى الشرق ، الذى بدأ فى ضباب الماضى ؛ لينشط فى عصور الحياة الى مستقبل مجهول . وقد كان لهذه الحضارة أسلوب يختلف عما قبله ؛ مما ميزها بسمه خاصة ، فهي مطبوعة بدين له وجهة نظر جديدة فى الاعتقاد والحياة . حقا ان الحضارات تترك بعضها البعض ؛ ولكن على أساس انتقائى ، وبإضافات جديدة .

وقد كانت هذه الحضارة الاسلامية تقدر العقل ؛ حتى ان الشيعة - وهى احدى فرق الاسلام الكبرى - تسمى الله العقل الاول ، كما ان الفرق الاخرى كالمعتزلة تضع العقل أساسا لها ، بل ان المذاهب الاربعة تبني نفسها على أساس الاجتهاد . وهذا امر طبيعى لحضارة الاسلام ؛ اذ العقيدة الاسلامية لا تصطدم بالعقل ، وانما بالاولى دعوى الى الايمان بالعقل .

ومن الغريب أن الحضارة الاسلامية أوجدت صيغة عالمية بين شعوبها ؛ فقد سادت فى منطقة عريضة ، لم تسدها حضارة سابقة . ثم انها عملت على توحيد شعوب كثيرة ؛ فأوجدت أمحاء متزايدا للمعالم الوطنية ، وكأنها صهرت الشعوب فى بوتقة لتبقى على مظهرها الانسانى قبل كل شيء . ولذلك فهي لم تظهر فى عصر الدولة العربية ، التى تعصبت للعرب وحدهم ، وانما ظهرت بظهور الدولة

العباسية ؛ التي قامت على إكتاف الشعوب ؛ فهي مزج من اجناس وافكار . ولا غرابة فى ذلك ؛ اذ هي قامت بصبغة الدين الاسلامى ، الذى هو فطرة الله ، اى دين كل الشعوب ؛ فالحضارة الاسلامية دليل على ضرورة مشاركة الانسانية جمعاء فى البناء .

كذلك نجد فى هذه الحضارة الناحية الاخلاقية ملموسة بشدة ؛ اذ يرد ذكرها فى كتب المؤلفين على اختلافهم ، ونص عليها لكل مهنة او منصب مهما علا او قل ؛ فللخليفة واجبات ، وللعلماء واجبات ، وللاصحاب الحرف فضائل ، وللكتاب آداب ، وللمتعلم آداب ؛ وحتى الفرد العادى يجب ان يتصف بالاخلاق قبل العلم . ولا غرو فالاسلام اصلا وجد فى ارض فيها اخلاق نبيلة من شهامة ومروءة وغيرها ، زاد فيها الاسلام ؛ مما لم يعرف له مثيل من قبل .

ولكن الظاهرة الغريبة فى الحضارة الاسلامية ؛ وهي حضارة عصور وسطى ، مثل حضارات العصور القديمة ، انه بينما مدن معدودة تنعم بالنعيم ؛ فان اجزاء كثيرة يشملها الفقر والجهل ، وذلك على عكس ما هو موجود فى الحضارة الحديثة ، التى تشمل بسعادتها الجميع . ولعل السبب فى ذلك هو أن المتحضر لا ينجذب الى البدئى ، بينما العلم الآن جعل المتحضر يسعى الى البدائى .

الجدول

١ - فهرس الاعلام

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩	ابولونيوس ٢٣١
الأفضل ٢٣٦	ابيلار ٢٩٢
أفلوطين ١٧ ، ٢٢٥	ابن الأثير ٢١٨
الفونسو ٢٨٨	أحمد البدوي ١٩٥
الآمر الفاطمي ٢٧٢	أبراهيم بن المهدي ٢٨٣
أمرؤ القيس ٢٠٠ ، ١٩٢	أبراهيم الموصلي ٢٨٣
أمية بن أبي الصلت ٣٠٠	أحمد الرقاصي ١٩٤
أنوشروان ٢٠٨	أحمد بن ماجد ٢٩٦
أوجين ٢٩٢	أحمد النسوي ١٨٠
الأوزاعي ١٨٢	الأخفش ١٦٣ ، ٢٠٢
أوغسطين ٢٩١	الأخطل ٢٠٢
أوقليدس ٢٣١	الادريسي ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٢٨٩
أبن اياس ١٥١ ، ٢١٩	٢٩٦
أبن أيبك ٢١٩	ادلار ٢٩٢
بابوس ٢٣١	أرسطو (أرسططاليس) ١٥٨ ،
أبن ياجه ٢٢٦	١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ،
ألباقلاني ١٨٨	٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
ألبتاني ٢٣٨	٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٠
ألبحتري ٢٠٣	أرشميدس ٢٣١
ألبخاري ١٨٠	أسامة بن منقذ ٢١٨
أبخيشوع ٢٥٦	أسترايون ٢٤٤
أبديع الزمان الهمذاني ٢١٠	أسحق المغني ٢٨٣
أبراهيم بن المهدي ٢٨٣	أبن إسحق (المؤرخ) ٢١٧
أبراهيم الموصلي ٢٧٤	أسحق بن حنين ١٥٧
أبرزويه ٢٠٨	أبو الأسود الدؤلي ١٦٢
أبشار ٢٠٣	الأشعري ١٨٩
أبن بشكوال ٢١٨	الأصطخري ٢٤٣ ، ٢٤٩
أبن البطريق ٢١٧	الأصفهاني ٢١٧ ، ٢٨٣
أبلميموس ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،	الأصمعي ١٦٣
٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،	أبن أبي أصيبعة ٢١٨ ، ٢٥٦
٢٤٩	الأعشى ٢٠٠
أبن بطوطة ٢٤٥	أفلاطون ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،

- البغدادى ٢١٨ ، ٢٤٥
 البغوى ١٧٥ ، ١٨٠
 بقراط ٢٥١ ، ٢٥٦
 ابو بكر ٢٣ ، ٢٩ ، ١٢٨
 ابو بكر الكرخى ٢٢٤
 البكرى ٢١٩ ، ٢٤٤
 البلاذرى ٢١٧
 البلخى ٢٤٣
 بلبله ٢٨٣
 البلقىنى ١٨٥
 بلىنى ٢٤٣ ، ٢٤٦
 بهاء الدين العالمى ٢٣٣
 بيدبا ٢٠٨
 البيضاوى ١٧٥
 ابن البيطار ٢٦٠
 البيهقى ٢١٨
 بهادور ٢١٩
 بهاء الدين نقشبند ١٩٥
 بوكاشيو ٢٩٣
 البيرونى ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٦
 الترمذى ١٨٠
 التسترى ١٨٨
 التفتازانى ١٨٩
 توماس لكويفاس ٢٩٢
 ثابت بن قره ١٥٧ ، ٢٥٢
 ابن ثابت المصرى ١٩٤
 ثرفنتس ٢٩٣
 الثعالبى ٢١٨
 الثورى ١٨٢
 جابر بن حيان ٢٦٤
 الجاحظ ١٤٧ ، ١٦٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١
 جالينوس ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧
 ابن جبير ٢٤٤
 جحا ٢٠٩
 جربير ٢٩٢
 جستنيان ٢١
 جعفر الصادق ٢٦٢
 ابو جعفر المنصور ٥٣ ، ١٥٧ ، ١٨٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٧
 بنو جماعة ٥٦
 جميل بثينة ٢٠١
 جلال الدين الرومى ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٤
 جميله ٢٨٣
 الجهشيارى ٢٠٨
 جوته ٢٩٤
 ابن الجزرى ٢١٨
 الجوينى ٢١٨
 جيرار الكرمونى ٢٩٢
 الجيهانى ٢٤٣
 بن حبريول ٢٢٦
 حاجى خليفه (ملاكاتب جلىبى)
 ٢١٩
 الحارث بن همام ٢١٠
 الحافظ لدين الله ٢٨٩
 الحاكم بأمر الله ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٦٥
 ابو حامد الغرناطى ٢٤٤
 حبابه ٢٨٣
 ابن حبيب (بدر) ٢١٩
 الحاج بن يوسف ١٦١
 حسان بن ثابت ٢٠١
 ابن حجر العسقلانى ٢٠٠ ، ٢١٩
 الحريرى ٢١٠ ، ٢٦٢
 ابن حزم ١٨٨ ، ٢١٨ ، ٢٥٨
 الحسن البصرى ١٩٥

الرازى ١٨٤ ، ١٨٨ ، ٢٥٧ ، ٢٩٢
ابن رسة ٢٤٣
ابن رشد ٢٢٧ ، ٢٢٨
رشيد الدين ٢١٨
روبوأ أوف كتون ٢٩٢
روجر الثانى (رجار) ٢٥٠ ، ٢٨٩
روجر بيبكون ٢٩٢
الروذراورى ٢١٨
رولان ٢٩٣
ريموندلوليس ٢٩٢
الزجاجى ١٦٣
الزرقلى ٢٣٦ ، ٢٣٩
زرياب ٢٨٣
الزمخشري ١٧٥ ، ٢١١
ابن زولاق ٢١٧
بنو زهر ٢٥٦
الزهرأوى ٢٥٩ ، ٢٦٠
زهير بن أبى سلمى ٢٠٠
زيد بن ثابت ٢٣
أبو زيد الهلألى ٢٠٩
سائب ٢٨٣
المجستانى ١٨٢
مراج الدين ٢٤٦
سحنون ١٦٧ ، ١٨٣
المخاوى ٢٠٩
بنو مراج ٢٩٤
مرجيوس ٢٢١
ابن مريج ٢٨٣
ابن سعد ٢١٧
ابن سعيد المغزى ٢٤٥
مفرونئوس ٢٢١
سقراط ٢٢٤
السكاكى ١٦٤
سلار ١٥٢

أبو حسن الصيرافى ٢٤٢
الحطيفة ٢٠١
الحلاج ١٩٦
حماد الراوية ٢٠٣
ابن حنبل ١١٠ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٧١
ابن حوتل ٢٤٣ ، ٢٤٩
ابن حيان ١٧٥
أبو حنيفة ١٨٢
حنين بن اسحق ١٥٧ ، ٢٥٢
أبو حيان ١٧٥
الآازن بن يزید ٢٦٢
ابن خرداذبة ٢٤٢
الخطيب البغدادى ٢١٨
ابن خلدون ٩ ، ١٣ ، ١٥٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٩٧
ابن خلكان ٢١٨
خليل بن اسحق ١٣٤
الخليل بن أحمد ١٦٣ ، ٢٠٢
الآوارزمى ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨
الآيام ٢٠٤
دانقى ٢٩٣
أبو داود ١٨٠
ابن دستورى ٢٠٧
ابن دقماق ٢١٩
الدمشقى ٢٤٥
الدميرى ١٤٧
دومنيكوس جونديسالفوس ٢٩٢
ديسقوريدس ٢٦٠ ، ٢٦١
الدينورى ٢١٧
ديوفالتمن ٢٣١ ، ٢٣٢
الذهبى ٢١٩
ذو الرمة ٢٠٢
رابعة العدوية ١٩٥

طويس ٢٨٣
الظاهر بيبرس ٢٠٩
عائشة ١٥١
عامر بن الطفيل ١٩٢
العامل ٢٣٣
ابن عبد الحكم ٢١٧
عبد الحميد الكاتب ٢٠٧
عبد القادر الجيلاني ١١٤ ، ١٩٤
عبد الملك بن مروان ٣٥ ، ٥٥ ،
٩٠ ، ١٦٦
عبد الله بن رواحة ٢٠١
عبد الله بن المقفع ١٥٦ ، ٢٠٤ ،
ابن عبد ربه ٢١٧
٢٠٨ ، ٢٢٣
العبدري ٢٤٥
ابن العهري ٢١٨
ابو العتاهية ٢٠٣
العتبي ٢١٨
عثمان بن عفان ٧٥ ، ١٦١ ، ١٧٦
ابن عذارى ٢١٨
ابن عريشاه ٢١٩
ابن العريش ١٩٦ ، ١٩٧
عروة بن الزبير ٢١٧
عزة الميلاء ٢٨٣
العزير بالله ٢٣٨ ، ١٤٦ ، ٢٧٣
ابن عساكر ٢١٨
القطار ٢٠٤
عضد الدولة ٢٣٦
ابو العلاء ٢٩٣
علقة بن عبده ٢٠٠
علي بن ابي طالب ١٣٥ ، ١٦٣
علي الشاذلي ١٩٤
علي بن هلال ٢٧٠
عماد الدين ٢١٨
عمر بن ابي ربيعة ٢٠١

سلام الترجمان ٢٤٢
سلامة القص ٢٨٣
مفسر الثاني ٢٩٢
سليمان السيرافي ٢٤٢
سليمان بن عبد الملك ١١٨
السموعل ٢٣٣
ابن مغان ٢٣٨
سند بن علي ٢٣٧
السهروردي ١٩٧
سيف بن زي يزن ٢٠٩
السيوطي ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢١٩
سويرس ٢٢١
ابن سينا ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٥٨ ،
٢٨٤ ، ٢٩٢
شاتوبريان ٢٩٤
الشاذلي ١٦٠ ، ١٩٤
الشافعي ١٨٤
ابو شامة ٢١٨
ابن شهاب الزهري ٢١٧
الشهرستاني ١٨٨
الشيخ ابو الفضل ٢١٩
الصابي ٢١٨
ابو صالح ٢١٨
ابن صاعد (صاعد) ٢١٨ ، ٢٧٩
الصفدي ٢١٩
صفي الدين ٢٨٤
صلاح الدين ١٧١ ، ٢٧٢
الصولي ٢١٧
ابن الصيرفي (ابن منجب) ٢١٨
شوسر ٢٩٣
طاليس ٢١٢
الطبري ١٧٥ ، ٢١٧
طرفة بن العبد ٢٠٠
ابن الطفيل ٢٠٠ ، ٢٢٦
ابن الطقطبي ٢١٨
الطوسي ١٨١ ، ١٩٦ ، ٢٣٩

ابن قدامة المقدسى ١٨٥	عمر بن الخطاب ٢٩ ، ٣٥ ، ٤٨ ،
فردريك ٢٨٩	٦٢ ، ٩٦ ، ١٩ ، ١٢٢ ، ١٤٤ ،
ابن قزمان ١٩٠	١٦٤ ، ١٨٥ ، ١٧٨ ،
القزوينى ٢٤٥	عمر بن عبد العزيز ٤٠ ، ٦٠ ، ١٧٨ ،
قسطا بن لوقا ٢٥٣	ابن العميد ٢٠٧ ، ٢١٨ ،
القسطلانى ١٨١	عنتر بن شداد ٢٠٠ ، ٢٠٩ ،
قسطنطين الافريقى ٢٩٢	ابن العوام ١٤٣
القشبرى ١٩٦	عيسى بن هشام ٢١٠
القضاعى ٢١٨	العينى ١٨١ ، ٢١٩ ،
قطر الندى	الغزالى ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ،
القفطى ٢١٨ ، ٢٥٦	١٩٦ ، ٢٢٨ ،
ابن القلانسى ٢١٨	غليام ٢٨٩
قلاوون ٢٥٨	الفارابى ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٨٢ ،
القلقشندي ٥٣ ، ٨٠ ، ٢٠٧ ،	٢٨٤
٢١٩	ابن فارس ١٦٣
ابن القوطية ٢١٧	ابن الفارض المصرى ١٩٦
ابن قيس الرقيات ٢٠٢	ابو الفتح الاسكندراني ٢١٠
قيس بن الملوخ ٢٠١	ابو الفتح البندارى ٢٠٥
كاترمير ٧١	ابو الفداء ٢١٨ ، ٢٤٥ ،
الكاشانى ١٨٣	فراهميرا ٢٣٤
ابو كامل شجاع ٢٣٧	فردريك الثانى ٢٨٩
الكتبى ٢١٩	ابن الفرات ٢١٩
ابن الكلبي ٢١٩	الفردوسى ٢٠٤
القلينى ٢٨١	الفرزدق ٢٠٢
كالينيوكوس ٧٠	الفرغانى ٢٣٨
كثير عزة ٢٠١	الفرارى ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
الكرخى ٢٣٢	ابن فضل الله ٢٤٥ ، ٢٩٦ ،
الكرمانى ١٨٩	ابن فضلان ٢٤٢
كريمشوف كولب ٢٩٦	ابن الفقيه ٢٤٣
الكسائى ١٦٣	الحكم ٢٤٣
كعب بن زهير ١٣٤ ، ٢٠١ ،	فولتير ٢٩٣
كعب بن مالك ٢٠١	الفونسو ٢٨٨
الكلبى ٢١٧	فيثاغورس ٢١٢
الكلينى ١٨٦	فليب الطرابلسى ٢٩٢
الكندى ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،	ابن قتيبة ٢٠٧ ، ٢١٧ ،
٢٤٢ ، ٢٨٣	قدامة ٢١٧ ، ٢٤٣ ،

معاوية بن أبي سفيان ٢٦ ،
 ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٧١ ، ١٩٥ ،
 ٢٠١
 معبد ٢٨٣
 المعتصم بالله ١٢١
 المعرى ٢٠٣
 مقتدر ٢٥٦
 المقدسى ١٨٥ ، ٢٤٣
 مسعود بن محمود ٢٣٩
 المعز لدين الله ١٨٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧٢
 المقرئ ٢١٩
 المقرئى ٧٧ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ٢١٩ ،
 ٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧
 ابن المقفع ٢٠٨
 ابن مقله ٢٧٠
 ملكشاه ١٤٦
 ابن منجب (الصيرفى) ٢١٨
 المنصور اسحق ٢٥٧
 ابن منقذ ٢٣٥
 المهلب بن أبى صفرة ٦٨
 المهلهل ٢٠٠
 أبو موسى الأشعرى ١٧٨
 موسى بن ميمون ٢٢٧
 الموفق ١٨٥
 المؤيد فى الدين ١٩٠
 الميدانى ٢١٠
 ميرخند ٢١٩
 ابن ميسر ٢١٨
 ميشيل سكوت ٢٩٢
 النابغة الذبياني ٢٠٠
 ناصر خسرو ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
 ١٩٠ ، ٢٤٤
 نصير الدين الطواسى ٢٣٩
 نافع ١٧٦
 ابن ناقية ٢١٠
 ابن نباتة ٢٠٧

لافونتين ٢٩٣
 ليبيد بن ربيعة ٢٠٠
 لسان الدين بن الخطيب ٢١٩
 ليوناردو بيزانو ٢٩٢
 ليلى الأخيلية ٢٠٢
 ابن ماجد ٨١ ، ٢٩٦
 ابن ماجه ١٨٠
 مارينوس ٢٤٦ ، ٢٤٨
 المامون ١٥٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ،
 ٢٨٣
 مالك ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٨٣
 الماوردى ٢١٨
 المتنبى ٢٠٣
 المتوكل على الله ١١٩
 أبو المحاسن (ابن تغرى بردى)
 ٢١٩
 ابن محرز ٢٨٣
 المحقق ١٨١ ، ١٨٦
 محمد بن قلاوون ١٢٩
 مراون بن الحكم ١٧٨
 المبحى ٢١٨
 المستعصم ٢٧١
 المستعين بالله ١١٩
 المستنصر العباسى ١٦٨
 مسعود بن محمد ٢٣٩
 المسعودى ٨١ ، ١١٩ ، ٢١٧ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤٣
 ابن مسكويه (مسكويه) ٢١٨
 أبو مسلم ١٨٠
 مسلمة الجريطى ٢٦٤
 مسلمة بن مخلد ٩٧
 أبو مطرف ٢٦٠
 معاوية بن أبى سفيان ٢٦ ، ٢٧ ،
 ٣٧ ، ٣٨ ، ١٣٦ ، ١٧٨ ، ٢٠٢
 معبد ٢٨٣

- | | |
|----------------------------|---------------------------------|
| أحمداني ٢١٠ ، ٢٤٣ | أحمد النديم ٢١٧ |
| أحمدجو ٢٣٧ ، ٢٣٩ | النصائي ١٨٠ |
| أحمدروس ٢٥١ | النصفي ١٨٣ ، ١٨٩ |
| أحمدون ٢٣١ | النصوي ٢٣٣ |
| أحمد الهيثم ٢٦٥ ، ٢٦٦ | نشط ٢٨٣ |
| أحمد واصل ٢١٨ | نظام الملك ١٦٧ ، ٢١٨ |
| أحمد وافتد ٢٦٠ | نظامي ٢٠٤ |
| أحمدواقي ٢١٧ | النعمان بن حيون ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٨٩ |
| أحمد الوردي ٢١٩ ، ٢٤٦ | أحمد الفقيس ٢٥٨ |
| أحمد الوفاء البوزجاني ٢٣٢ | أحمد نواس ٢٠٣ |
| أحمد بن أحمد الملك ١١٣ | أحمد النويختي ١٨٨ ، ٢١٧ |
| أحمد بن منبه ٢١٧ | أحمد النوي ١٨٠ |
| أحمدوت ٢٤٤ ، ٢٧٠ | أحمد النويري ٢١٨ ، ٢٨٢ |
| أحمد بن سيعد ٢١٨ | أحمد الرشيد ١٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ |
| أحمد الزيد البسطامي ١٩٥ | ٢٧٧ ، ٢٨٢ |
| أحمد يريد المروجي ٢١٠ | أحمد رابرة ٢٤٦ |
| أحمد بن معاوية ١٣٩ | أحمد الهجويري ١٩٦ |
| أحمد بن ماسويه ٢٥٢ | أحمد الهروي ٢٤٤ |
| أحمد بن قحطان ١٦١ | أحمد هريرة ١٧٨ |
| أحمد بن طارق ٢٣٧ | أحمد هشام ٢١٧ |
| أحمد يعقوبي ٢١٧ ، ٢٤٣ | أحمد بن أحمد الملك ١١٤ ، ١١٩ |
| أحمد يونس المصري ٢٣٨ ، ٢٣٩ | أحمد هلال العسكري ٢١٠ |
| | أحمد همام ١٨٣ |

ب - جدول المصادر والمراجع (١) كتب عربية

- ابراهيم العدوى ، الأساطيل العربية فى البحر الأبيض ،
سلسلة من التاريخ ، رقم ٢ ، القاهرة
١٩٥٧ .
- ابراهيم مذكور ، فى الفلسفة الاسلامية ، القاهرة ١٩٤٧ .
- الابشيهي ، المستطرف فى كل فن مستظرف ، فى
جزئين ، بولاق .
- احمد امين ، ضحى الاسلام ، فى ٣ اجزاء ، ط ٢ ،
القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
الصلطكة والفتوة فى الاسلام ، سلسلة اقراء ،
١١١ ، ١٩٥٢ .
- بالاشتراك مع غيره ، فجر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٢٨ .
- احمد بدوى ، سيبويه ، حياته وكتابه ، ط ٢ ، بدون
تاريخ .
- احمد تيمور باشا ، المهندسون فى العصر الاسلامى ، القاهرة .
- احمد الحوفى ، الحياة العربية فى الشعر الجاهلى ،
القاهرة ١٩٤٩ .
- احمد زكى ، موسوعات العلوم العربية ، القاهرة
١٨٩٠ / ١٣٠٨ .
- احمد شفيق ، الرق فى الاسلام ، ترجمة احمد زكى ، عن
التركية ، ط ١ ، القاهرة .
- احمد صالح ، جابر بن حيان ، مجلة الرسالة ، الشتى
الثامنة ، ١٩٤٠ ، العدد ٣٦٨ ، ص ١٢٠٤
وما بعدها .

أحمد صبحي ، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ،
دار المعارف بالقاهرة .

أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، القاهرة
١٩٣٩ .

، آلات الطب والجراحة والكحالة عند
العرب ، مقالة القيت في دمشق .
، معجم أسماء النبات ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .

أحمد الغافقي (٦٨٤ هـ) ، منتخب جامع المفردات ؛ انتخذه
ابن العبري ، نشر وترجمة Meyerhof
وصبحي ، القاهرة ١٩٣٣ .
، معجم أسماء النبات ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .

أحمد فريد رفاعي ، عصر المأمون ، الجزء الأول ، ١٩٢٧ .

أحمد مكي ، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ،
القاهرة ١٩٦٤ .

أخوان الصفا ، رسائل ، ط . القاهرة ١٣٢٧ هـ .

أرسطو ، كتاب المنطق ، نقلا عن العربية من إسحق
ابن حنين ، نص وتقديم Pollak ، ط .
Leipzig ، ١٩١٣ .

أرنولد ، الخلافة ، ترجمة جميل معلی ، ١٩٤٦ .

أسد رستم ، مصطلح التاريخ ، بيروت .

أسماعيل بن عمرو (٤٢٩ هـ) ، فنون الشعر الفارسي ، القاهرة ١٩٧٥ .

أسماعيل بن عمرو (٤٢٩ هـ) ، كتاب اللغات في القرآن ، حققه ونشره
صلاح الدين المنجد ، ١٩٤٦ .

إبن أبي أصيبعة ، كتاب عيون الانباء في طبقات الأطباء ،
تحقيق Muller ط . Koenigsberg ،
القاهرة ١٨٨٢ .

- الاصفهانى ، كتاب الاغانى ، ج ١ - ٢١ ، بولاق
- ابن قتيبة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٣٤ .
- ، الامامة والسياسة ، القاهرة ١٩٣٧ .
- البير نصر ، آراء اهل المدينة الفاضلة ، بيروت ١٩٥٩ .
- امام ابراهيم ، تاريخ الفلك عند العرب ، المكتبة الثقافية ، نوفمبر ١٩٦٠ .
- نستاس مارى الكرملى ، النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة القاهرة ١٩٣٩ .
- اوقليدس ، كتاب الاصول ، ترجمة ابنى عثمان ، دمشق ، ط . Paris .
- اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، تعريب مصطفى بدر ، القاهرة ١٩٥٣ .
- اوليرى ، مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ، نقله الى العربية تمام حسان ، القاهرة ١٩٥٧ .
- بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، نقله من التركية الى العربية حمزه طاهر ، ط ٢ ، القاهرة .
- البياز العربى ، كتاب عن الحسبة فى بيزنطة فى القرن العاشر الميلادى او كتاب والى المدينة ، فصله من كلية الاداب - المجلد التاسع عشر - الجزء الاول ، مايو ١٩٥٧ .
- بالنيسبا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة حسين مؤنس .
- البينساي ، الزيج الصابىء ، اعتنى بطبعه وترجمه الى اللاتينية وعلق على حواشيه Nallino ، بعنوان :
Opus Astronomicum 2 Vols, Roma, 1899-1907.

براون ، تاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى
السعدى ، نقله الى العربية ابراهيم
الشواربى ، وهو ترجمة للمجلد الثانى ،
القاهرة ١٩٤٠ .

بشر فارس ، مر الزخرفة الاسلامية ، من رسائل العهد
الفرنسى ، القاهرة ١٩٥٢ .

بطرس غالى ، تقاليد الفروسية عند العرب ، ترجمة انور
لوقا ، القاهرة - دار المعارف .

ابن بطلان الطيب ، باب دعوة الاطباء ، تصحيح بشارة زلزل ،
الاسكندرية ١٩٠١ .

ابن بطوطة ، رحلة ، ط ٢ ، مصر ١٣٢٢ هـ .

ابو بكر الكرخى ، الفخرى ، خلاصة منه على يد Woepcke ،
Extrait du Fakhri. Paris, 1853. بعنوان :

بلياس (Ballas) ، الابنية الاسبانية الاسلامية ، مجلة معهد
مدريد ، ١٩٥٣ ، ص ٩١ وما بعدها .

بول كاله ، منارة الاسكندرية فى خيال الظل المصرى ،
وهى مجموعة من الازجال والقصص كانت
تمثل فى خيال الظل فى العصر المملوكى ،
ط . Stuttgart ، ١٩٣٠ .

البيرونى ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ط .
Leipzig ، ١٩٢٣ .

، كتاب الصيدنة فى الطب ، تحقيق الحكيم
محمد سعيد ، كراتشى ١٩٧٣ .

ابن البيطار ، الجامع فى الادوية المفردة ، ٤ اجزاء ،
تحقيق القاهرة ١٨٧٤ - ٥ ، وله ترجمة
فرنسية من Leclerc ، بعنوان :
Traité des Simples par Ibn-al-Beithar Vols.
XXIII, XXIV et 1877 et 1883.

- ببنيس ، مذهب الذرة عند المسلمين ، ترجمة
أبى ريدة ، القاهرة ١٣٦٥/١٩٤٦ .
- البيهقى ، المحاسن والمساوى ، مطبعة السعادة
١٩٠٦/١٣٢٥ .
- اليومى ، ابن حنبل ، مذاهب وشخصيات ، القاهرة
١٩٦٢ .
- التجاني ، مقدمة فى تاريخ الطب العربى ، الخرطوم
١٩٥٩ .
- ترتون ، اهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة وتعليق
حسن حبشى ، القاهرة ١٩٤٩ .
- التهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق وجيه
وعبد الحق وعلام قادر ، فى جزئين ،
كلكتا ١٨٦٢ .
- التوحيدى ، الامتاع والمؤانسة ، القاهرة ١٩٣٩ .
- توماس ارنولد والفريد جينوم ، تراث الاسلام ، قامت على ترجمته ونشره
بالعربية لجنة الجامعيين ، فى جزئين ،
القاهرة ١٩٣٦ .
- ثيرز ، تاريخ الموسيقى ، ترجمة شكيب ، ١٩٥١ .
- التيفاشى ، ازهار الافكر فى جواهر الاحجار ، حققه
محمد يوسف وبسيونى ، القاهرة ١٩٧٧ .
- تيمور (احمد باشا) ، التصوير عند العرب ، مصر ١٩٤٢ .
لعب العرب ، القاهرة ١٩٤٨ .
خيال الظل واللعب والتمثيل المصورة
عند العرب ، القاهرة ١٩٥٧ .

ابن تيمية ، الحسبة فى الاسلام ، القاهرة ١٣١٨ هـ .
ثابت بن قرة ، الذخيرة فى علم الطب ، تحقيق صبحى ،
القاهرة ١٩٢٨ .

الجاحظ ، البيان والتبيين ، جزءان ، ط ١ ، القاهرة
١٣١١ - ١٨٩٣/١٣١٣ - ٥ .
البخلاء ، القاهرة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م .
التاج فى اخلاق الملوك ، تحقيق احمد
زكى باشا ، القاهرة ١٩١٤ .
ثلاث رسائل ، تحقيق ، Finkel ،
القاهرة ١٩٣٦ .

المحاسن والأضداد ، القاهرة ١٩٣٢ .
كتاب الحيوان ، تحقيق محمد هارون ،
٧ اجزاء ، القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .
التبصرة بالتجارة فى وصف ما يستظرف
فى البلدان من الامتعة والرفيق والاعلاق
النفيسة والجواهر الثمينة ، القاهرة
١٢٥٤ هـ .

جابر بن حيان ، كتاب الملك وغيره من الخمس مائة كتاب ،
نشر وترجمة Berthelot ، فى كتاب :
La Chimie arabe t III Paris, 1893.
، احد عشر كتابا فى علم الاكسير ، طبع
الميرزا محمد الشيرازى ، ١٩٢٧ .

جبرائيل بن بختيشوع ، الروضة الطبية ، تصحيح سباط ، القاهرة
١٩٢٧ .

جـور ، عمر بن أبى ربيعة ، ج ١ ، بيروت ١٩٣٥ .
الجوارى ، سلسلة اقرا ، رقم ٦٠ ، القاهرة
١٩٤٧ .

الجرجانى (ابو الفتون) ، كتاب التعريفات ، مصر ١٢٨٣ هـ .

ابن جبير ، رحلة ، تحقيق حمن نصار ، مصر ١٩٥٥ .

- جرجى زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامى ، فى ٥ اجزاء ،
مصر ١٩٠٢ .
- جروينباوم ، حضارة الاسلام ، نقله توفيق جلاويد ،
راجعه العبادى ، مصر .
دراسات فى الادب الشرقى ، ترجمة
احسان عباس وغيره ، ١٩٥٩ .
- ابن الجزار (ابو جعفر) ، زاد المسافرين ، ترجمة Dugat ،
بمعنوان :
Etudes sur le Traite de Médecine. Paris,
1853. ، وهو ترجم الى اللاتينية .
- جعفر الصادق ، رسالة فى علم الصناعة والحجر المكرم ،
حققه وترجمه Ruska ، بمعنوان :
Arabishe alchemisten Ga'far al-Sâdiq
Der Sechste Imâm. Heidelberg, 1924.
- جلال شوقى ، تراث العرب فى الميكانيكا ، القاهرة
١٩٧٣ .
- جمعه ، تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب ،
القاهرة ١٩٢٧/١٣٤٥ .
- جميل بهيم ، المرأة فى حضارة العرب ، مصر ١٩٦٢ .
- جميل صليبا ، من افلاطون الى ابن سينا .
- ابن جليل ، طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق
فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥ .
- الجهيشارى ، كتاب الوزراء والكتاب ، حققه السقا
والانبارى وشلبى ، ط ١ ، القاهرة
١٩٣٨/١٣٥٨ .

جورج سارثون ، تاريخ العلوم ، ترجمة الى العربية ،
القاهرة ١٩٥٧ ، ترجمة لكتاب :
A History of Science : Ancient Science
Through the Golden Ages of Greece
Harvard, 1952.

جورج يعقوب ، اثر الشرق فى الغرب ، ترجمه بتصرف
فؤاد حسنين ، القاهرة ١٩٤٦ .

جوزى بندلى ، من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ،
القدس ١٩٢٨ .

جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، نقله هادى زعيتر ،
القاهرة ١٩٤٥ .

حاجى خليفه ، كتاب كشف الظنون عن اسامى الكتب
والفنون ، ط ١ ، درسات ١٣١١ هـ .

الحبائى ، من المنفلق الى المنفتح ، عشرون حديثا
عن الثقافات القومية والحضارة الانسانية ،
القاهرة ١٩٧٧ .

حتى ، تاريخ العرب موجز ، بيروت ١٩٤٦ .

الحجى ، تاريخ الموسيقى الاندلسية ، بيروت
١٩٦٩ .

حسن ابراهيم على ، النظم الاسلامية ، بحث فى النظم
السياسية والادارية والمالية والقضائية وفى
نظام الرق عند المسلمين فى كل العصور ،
ط ١ ، القاهرة ١٣٥٨/١٩٣٩ .
تاريخ الاسلام السياسى ، الجزء الثالث ،
القاهرة ١٩٤٧ .

حسن حسنى عبد الوهاب ، ورقات من الحضارة العربية بافريقية ،
تونس ١٩٦٦ .

الحسن بن الحسين ، البيزرة ، نظرة وتعليق محمد كرد علي ،
دمشق ١٩٥٢ .

حسين أمين ، المدرسة المتنصرية ، ١٩٦٩ .

حسين مؤنس ، الحضارة ، دراسة فى أصول وهوامل
قيامها وتدهورها ، الكويت ، ١٩٧٨ .

حفى ناصف ، الأسماء العربية لمحدثات الحضارة
والمدنية ، القاهرة ١٩٥٦ .

حقى الأزهرى ، فيلسوف العرب يعقوب بن اسحق
الكندى ، نقله من التركية عباس
العزاوى ، بغداد ١٩٦٣ .

حكمت نجيب ، دراسات فى تاريخ العلوم هند العرب ،
الموصل ١٩٧٧ .

الحلاج ، ديوان ، تحقيق وترجمة Massignon ،
ط . Paris ، ١٩٣١ .

حمودة ، القراءات واللهجات ، ط ١٠ ، القاهرة
١٩٤٨/١٣٦٨ .

حنين بن اسحق ، كتاب العشر مقالات فى العين ، تحقيق
Meyerhof ، القاهرة ١٩٢٨ .

حوليات كلية الاداب ، جامعة عين شمس .

ابن خلدون ، مقدمة ، وهو الجزء الاول من كتاب
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة
١٣٢٢ هـ .

الخربوطى ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، القاهرة
١٩٦٢ .

- الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، حققه يوسف العث ، دمشق ، ١٩٤٩ .
- ، تاريخ بغداد ، ١٤ جزءا ، مصر ١٩٣١ .
- خلف الله . - بحوث ودراسات اسلامية ، جمع وتقديم ، ١٩٥٥ .
- ابن خلكان ، وفيات ، ٣ أجزاء ، مصر ١٢٩٩ هـ .
- الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، تحقيق Van Voten ، ط . Leyden ١٨٩٥ ، ط . القاهرة ١٣٤٢ هـ .
- ابن خير ، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وانواع المعارف ، صححه Ribera Cordera ، القاهرة ١٩٦٣ .
- الدالي ، الخطاطة ، الكتابة العربية ، القاهرة ١٩٨٠/١٤٠٠ .
- ابن أبي داوود (ت ٣١٦ هـ) ، كتاب المصاحف ، تحقيق Jeffery ، ١٩٣٧ ، Leiden .
- الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، طبعة مصر ، في جزعين ، ١٩٣٩ هـ ، ترجمة Jayker ، في جزعين ، بعنوان : Zoological Lexicon. 2 Vols. London, 1906.
- الدورى ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، ١٩٤٩ . ، النظم الاسلامية ، بغداد ١٩٥٠ .
- دونالد ولبر ، ايران ، ترجمة عبد النعيم ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ديماند ، الفنون الاسلامية ، ترجمة احمد عيسى ، القاهرة .

ديمومبيين ، النظم الاسلامية ، نقله عن الفرضية
الشباع والسامر ، بغداد ١٩٥٢ .

الرازي (ابو حاتم) ، الزينة في المصطلحات الاسلامية العربية ،
تحقيق حسين الهمداني ، الجزء الاول ،
القاهرة ١٩٥٦ .

الرازي (زكريا) ، مقالة في الحصى في الكلى والمثانة ،
ترجمة وتحقيق Koning ، ط .
Leyden ١٨٩٦ .

الرازي (زكريا) ، كتاب في الجدري والحصبة ، ترجمة من
النص العربي ، بعنوان :
Small-Pox and Measles. London, 1848.
، الكتاب الموسوم بالمنصوري في الطب ،
نص وترجمة Koning ، في مجموعة
بعنوان :
Trois Traités d'Anatomie arabes. Leide,
1903.

ابن رشد ، نص المقال فيما بين الحكمة والشرعية من
الاتصال ، وذيله الكشف عن مناهج الأدلة
في عقائد الملة ، ط ٢ ، مصر ١٣٢٨ هـ /
١٩١٠ م .
، تهافت التهافت ، تحقيق Bouyges ،
بيروت ١٩٣٠ .

رشيد حديد ، الوجه النصراني للحضارة العربية ،
المؤرخ العربي ، ١٩٧٧ .

ابن رشيق ، العمدة ، في جزعين ، حققه وعلق
حواشيه محي الدين عبد الحميد ١٣٥٣ /
١٩٣٤ .

روانيت (Reuanet) ، دار المعارف الموسيقية وقاموس المعهد ،
تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة شلقون ،
بدون تاريخ .

رمزية الاطرقجى ، بناء بغداد فى عهد ابي جعفر المنصور ،
بغداد ١٩٧٥ .

بيت الحكمة البغدادى ، واثره فى الحركة
العباسية ، العربى ١٩٨٠ .

روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح
العللى ، مراجعة توفيق حسين .

الريس ، النظريات السياسية الاسلامية ، ط ٢ ،
القاهرة ١٩٥٧ .

الزركلى ، الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال
والنساء العرب والمستعربين فى الجاهلية
والاسلام ، فى جزئين ، مصر ١٩٢٧ .

زكى حسن ، مصر والحضارة الاسلامية ، محاضرة القايت
فى الاتحاد المصرى الانجليزى ، ابريل
١٩٤٢ .

، الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى ،
القاهرة ١٩٤٦ .

، ففون الاسلام ، القاهرة ١٩٤٨ .
، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى
ومصر .

، مدرسة بغداد فى التصوير الاسلامى ،
مستل من مجلة سومر ، المجلد ١١ ،
الجزء ١ .

، التصوير فى الاسلام عند الفرس ، القاهرة
١٩٣٦ .

- زكى (عبد الرحمن) ، السيف فى العالم الاسلامى ، القاهرة
١٩٥٧ .
- زكى مبارك ، التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق ،
فى جزمين ، ١٩٢٨/١٣٥٧ .
النشر الفنى فى القرن الرابع ، دار الكتب .
- زكى نجيب ، جابر بن حيان ، سلسلة اعلام العرب ،
رقم ٣ ، ١٩٦٢ .
- ابو زهرة ، ابو حنيفة ، حياته وعصره ، القاهرة
١٩٤٧ .
ابن حنبل ، القاهرة ١٩٤٨ .
الشافعى ، القاهرة ١٩٤٨ .
- الزهري ، كتاب الجغرافيا ، وخريطة العالم
للفزارى ، تحقيق محمد الحاج B. E. O. ،
١٩٦٨ .
- زيفريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب ، واثر
الحضارة العربية فى اوربا ، ترجمة بيضون
ودسوقي ، بيروت ١٩٦٤ .
- المبراج الطوسى ، اللمع فى التصوف ، تحقيق Nicholson ،
ط . Lelden ، ١٩١٤ ، وطهرت طبعة
له من عبد الحليم عبد الباقي ، القاهرة .
- ابن سلمة (٣٩٠ هـ) ، كتاب الملاحى ، منشور فى كتاب الموسيقى
العراقية لعباس العزاوى ، بغداد ١٩٥١ .
- سليمان قطاية ، تاريخ العلوم العربية ، عدد ١ ، مجلد
١ ، ١٩٧١ .
الطب العربى ، عالم الفكر ، مجلد ١٠ ،
١٩٧٩ ، ص ٢٧٧ وما بعدها .
- سعاد ماهر ، النسيج الاسلامى ، القاهرة ١٩٧٧ .

معفان ، الموجز فى تاريخ الحضارة والثقافة ،
١٩٥٩/١٣٧٩ .

المهروردي ، عوارف المعارف ، ترجمة الكاشانى الى
الانجليزية ، ١٨٩١ .

ابن سيده ، كتاب المخصص ، بولاق ١٣١٧ هـ .

سيديو ، تاريخ العرب العام ، نقله الى العربية
عادل زعيتر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٩ .

ابن سينا ، القانون فى الطب ، فى ٣ اجزاء ، القاهرة
١٢٩٤ هـ .
اقسام العلوم العقلية فى مجموعة رسائل ،
القاهرة ١٣٢٨ هـ .

المسيوطى ، المزهر ، فى جزعين ، مصر ١٣٢٥ هـ .
كتاب الاتقان فى علوم القرآن ، ط ٣ ،
مصر ١٩٤١/١٣٦٠ .

شاتوبريان ، آخر بنى سراج ، ترجمها وذيّلها شكيب
المرسلان ، مصر ١٩٢٥ .

شاخت وغيره ، تراث الاسلام ، ترجمة حسين مؤنس
واحسان صدقى ، عالم المعرفة ، الكويت
١٩٧٨ .

شكرى فيصل ، المجتمعات الاسلامية فى القرن الاول
الهجرى ، القاهرة ١٩٥٢ .

شلبى ، فى تاريخ التربية الاسلامية ، القاهرة .
فى قصور الخلفاء العباسيين ، القاهرة
١٩٥٤ .

الشواربى ، نشأة الشعر الفارسى الاسلامى ، بحث
مستخرج من مجلة الاداب جامعة القاهرة ،
المجلد الاول ، مايو ١٩٤٦ .

- شوقي ضيف ، التطور الجديد فى الشعر الأموى ، القاهرة
١٩٥٢ .
- ، الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، ط ٣ ،
بيروت ١٩٥٦ .
- الشكعة ، بديع الزمان الهمذانى ، رائد القصة
العربية والمقالة الصحفية ، القاهرة ١٩٥٩ .
- التهاوى ، الجغرافيون العرب ، سلسلة اقرا ، ٢٣٠ ،
فبراير ١٩٦٢ .
- الشوكانى ، كتاب ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من
علم الأصول ، القاهرة ١٣٢٧ .
- شبيدر ، روح الحضارة العربية ، ترجمة
عبد الرحمن بدوى ، ١٩٤٩ .
- المشيزرى ، كتاب نهاية المرتبة فى طلب الحسبة ، قام
بنشره الباز العرينى ، القاهرة ١٩٤٦ .
- ابن صاعد ، كتاب طبقات الامم ، تحقيق شيخو ،
بيروت ١٩١٢ .
- ضبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه ، ط ٣ ، بيروت
١٩٦٥ .
- صلاح البحيرى ، ضالمة الحضارة الاسلامية ومظاهرها فى
الفنون ، جامعة الكويت ، ١٩٨٢ .
- الصبياد ، النوروز ، بيروت ١٩٧٢ .
- طوقان ، العلوم عند العرب ، القاهرة ١٩٦٠ .
- طه نندا ، اثر الحضارة الاسلامية فى اوربا ،
الاسكندرية ١٩٦٠ .

- عاشور ، فضل العرب على الحضارة الأوروبية ،
القاهرة ١٩٥٧ .
- عاشور وانيس ، الجامعات العربية فى العصور الوسطى ،
القاهرة ١٩٥٩ .
- عاشور وانيس ، أوروبا فى العصور الوسطى ، الجزء ٢ ،
النظم والحضارة ، القاهرة ١٩٥٩ .
- عاشور وانيس ، النهضة الأوروبية فى العصور الوسطى ،
وبداية الحديثة ، القاهرة ١٩٥٦ .
- العاملى ، خلاصة الحساب ، نص وترجمة
Nesselmann ، بعنوان :
Essenz der Rechenkunst. Berlin,
- عبادة ، كتاب سفن الأسطول الاسلامى ، مصر
١٩١٣ .
- عبد الباقي ، رابعة العدوية والحياة الروحية فى
الاسلام ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٧ .
- عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى
تقدمه ، القاهرة ١٩٨٠ .
- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣ اجزاء ، القاهرة ١٣٠٢هـ .
- عبد الرحمن بدوى ، الاصول اليونانية للنظريات السياسية فى
الاسلام ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٥٤ .
- عبد الرحمن بدوى ، التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ،
القاهرة .
- عبد الرحمن زكى ، تراث مصر فى الحضارة الاسلامية ،
القاهرة ١٩٥١ .
- عبد الرحمن زكى ، ارسطو عند العرب ، القاهرة .
- عبد الرحمن زكى ، شهيدة العشق الالهى ، القاهرة ١٩٤٨ .
- عبد الرحمن زكى ، روح الحضارة العربية ، ترجمة عن
الالمانية ، القاهرة .

، النقد التاريخي لانجلو وسينويوس وغيره
ترجمها عن الالمانية والفرنسية ، القاهرة
١٩٦٣ .

، اللقاء الحضارى فى الاندلس ، المؤرخ
العربى ، المجلد الخامس ، ص ١٢١
وما بعدها .

عبد العزيز الالهوانى

، الطب عند العرب ، حلب ١٩٧٧ .

عبد المنعم منقر

، ملامح من المجتمع العربى ، القاهرة
١٩٥١ .

عبد الفنى

، التعليم فى مصر فى زمن الأيوبيين
والمماليك ، رسالة ماجستير فى جامعة
القاهرة .

، ترجمان الاشواق ، تحقيق وترجمة
Nicholson ، ط . London ، ١٩١١ .
، ذخائر الاعلاق ، شرح ترجمان الاشواق ،
ببيروت ١٣١٢ هـ .
، فصوص الحكم ، نشر وتعليق ابو العلا
عفيفى ، القاهرة ١٣٦٥/١٩٤٦ .

ابن العربى (محمى الدين)

، فضل العرب على الانسانية فى الميادين
العلمية ، محاضرة ، مايو ، دمشق ١٩٦١
(مستخرج) .

عزة مريدن

، اليهود فى ظل الحضارة الاسلامية ،
القاهرة ١٩٧٨ .

عطية القوصى

، الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان
والعبريين ، المكتبة الثقافية ، رقم ١ .
، اثر العرب فى الحضارة الاوربية ، دار
المعارف .

العقاد

، تذكرة ، نشر وترجمة
Golín ، ط . Paris ، ١٩١١ .

ابو العلا زهر

على الجندى وغيره ، اطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة
والاسلام ، فى جزعين ، القاهرة ١٩٦٠ .

على الخاقانى ، شعراء بغداد ، فى جزعين ، بغداد
١٩٦٢ .

على ناصف ، ابو الاسود الدؤلى ، ١٩٦٨ .

عمر ابو النضر ، الحضارة الاموية فى دمشق ، بيروت
١٩٤٨ .

عمر الدسوقى ، دراسات ادبية ، الجزء الاول ، ١٩٥٩ .
عيقرية العرب فى العلم والفلسفة ، ط ٢٠ ،
بيروت ١٩٢٠ .

عنان ، ابن خلدون وتراثه الفكرى ، ط ٢ ،
القاهرة ١٩٥٣ .

الغزالى ، احياء علوم الدين ، فى ٤ اجزاء ، مصر
١٣٤٦ هـ .
المنقذ من الضلال ، مع تعليق عبد الحليم
محمود ، القاهرة .

فليونجى ، ابن النفيس ، العدد ٣٧ ، سلسلة كتب
الاعلام العرب ، القاهرة .

فنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ،
تطوان ١٩٥٣ .

الفارابى ، احصاء العلوم ، القاهرة ، تحقيق عثمان
امين ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٨ .

فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة حسين
نصار ، مجموعة الالف كتاب .

فايد العمروسى ، الجوارى والمغنيات ، القاهرة ١٩٤٥ .

فارنجتون ، مدنية الاغريق والرومان ، ترجمة أمين
تقلا ، القاهرة ١٩٤٨ .

فتحية النبراوى ، تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ،
القاهرة ١٩٨٠ .

فتحية سليمان ، مذاهب التربية ، بحث فى المذهب
الشرىوى عند الفزالى ، القاهرة ١٩٥٦ .

الفرردوسى ، الشاهنامه ، تحقيق عبد الوهاب عزام ،
القاهرة ١٩٣٢/١٣٥٠ .

فروخ ، اثر الفلسفة الاسلامية فى الفلسفة الاوربية
بيروت .
، غبقرية العرب فى العلم والفلسفة ، ط ٢ ،
بيروت ١٩٥٢ .

فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الاسلامية ،
عصر الولاة ، المجلد الاول ، القاهرة
١٩٧٠ .

فؤاد استراكين ، مكانة العرب فى تاريخ العلوم ، ابحاث
ندوة حلب فى تاريخ العلوم عند العرب ،
حلب ١٩٧٧ .

، ابن سينا ، القاهرة ١٩٥٨ .

فؤاد زكريا ، الانسان والحضارة ، ط ١ ، القاهرة
١٩٥٧ .

فون كرينمر ، الحضارة الاسلامية ، ومدى تاثيرها
بالمؤثرات الاجنبية ، تعريب طه بدر ،
القاهرة ١٩٤٧ .

لېو القاسم ، كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ،
تحقيق وترجمة لاتينية Oxford ،
وترجمة فرنسية من Leclerc ،
يعنوان :
La Chirurgie d'Abbucasis. Paris, 1861.

- قاسم غنى ، تاريخ تصوف دار اسلام ، طهران ١٣٦٢ /
١٣٢٢ هـ س .
- ابن قتيبة ، تاريخ الشعر والشعراء ، صححه وعلق
حواشيه ابو فراس العمانى ، ١٣٢٢ هـ .
- قدامة ، الخراج ، تحقيق ، Leyden .
- نقد الشعر ، القسطنطينية ، ١٣٠٠ .
- قسطندى رزق ، الموسيقى الشرقية والغناء العربى ،
١٨٨٥ .
- قسطنطين رزىق ، فى معركة الحضارة ، بيروت ١٩٦٤ .
- القشيري ، الرسالة القشيرية فى علم التصوف ،
بولاق ١٣٨٤ هـ .
- ابن القفطى ، تاريخ الحكماء ، تحقيق Lippert ،
ط . Leipzig ، ١٩٠٣ .
- قنواتى ، تاريخ الصبيلة والعقاقير فى العهد القديم
والعصر الوسيط ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ، مؤلفات ابن رشد ، مهرجان ابن رشد ،
الجزائر ١٩٧٨ .
- القلقشندى ، صبح الاعشى فى صناعة الانسا ، ط . دار
الكتب ، القاهرة ، فى ١٤ جزءا .
- ، مآثر الاناقة فى معالم الخلافة ، تحقيق
فراج ، ١٩٦٤ .
- ابن القيم الجوزية ، كتاب الطب النبوى ، حلب ١٣٤٦/١٤٢٧ ،
شرح الشروط العميرية ، تحقيق صبحى
صالح ، دمشق ١٩٦١ .

- كامل حسين
كامل علوي
الكرملي
كرد علي
كفافى
كمال الدين سامح
كمال اليازجى
الكندى
كوركمس
كولتون
ليفى بروفنسال
- مقتنيات ، القاهرة ١٩٥١ .
• الرياضات البدنية عند العرب ، مصر
• ١٩٤٧ .
• اسواق بغداد ، بغداد ١٩٧٩ .
• القاب الشرف والتعظيم عند العرب ، بحث
في مجلة الرسالة ، العدد ٤١١ ، ١٩٤١ .
• الاسلام والحضارة العربية ، فى جزعين ،
القاهرة ١٩٣٦/١٩٥٤ .
• الادارة الاسلامية فى عز العرب ، القاهرة
• ١٩٣٤ .
• كنوز الاجداد ، دمشق ١٩٨٢ .
• محاضرات فى ادب الفرس وحضارتهم ،
بيروت ١٩٦٨ .
• العمارة فى صدر الاسلام ، بيروت ١٩٦٤ .
• محاضرات فى الثقافة العربية ، بيروت
• ١٩٦٨ .
• معالم الفكر العربى ، ط ٤ ، بيروت
١٩٦٦ .
• رسالة فى خبر تاليف الالحيان ، تحقيق
وترجمة Lachmann و el-Haufi ،
ط . Leipzig ، ١٩٣١ .
• المدرسة المستنصرية ببغداد ، بغداد
• ١٩٤٥ .
• عالم العصور الوسطى فى النظم والحجارة
ترجمة وتعليق جوزيف نسيم ، القاهرة
• ١٩٦١ .
• الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة
محمود عبد العزيز وحلمى ، وهو الذى
بعنوان : Islam d'Occident .

لطفي عبد البديع ، الاسلام فى اسبانيا ، المكتبة التاريخية ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥١ .

لينبول ، سيرة القاهرة ، ترجمة عن الانجليزية ، حسن وعلى ابراهيم ، ط ٢ .

ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، فى جزعين ط ٢ القاهرة ١٩٧٦ - ١٩٧٨ .
نظم المماليك ورسومهم فى مصر ، فى جزعين ، القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٦٧ .
، قرن ذهبى فى العصر العباسى الاول .

ابن ماجد (شهاب الدين) ، الفوائد فى اصول علم البحر والقواعد ، مخطوط بالمكتبة الاهلية B. N ، برقم ٢٢٩٢ .

الماوردى ، كتاب الاحكام السلطانية ، الخانجي ، ١٩٠٩/١٣٢٧ .
، ادب الدنيا والدين ، تحقيق المسقا ، القاهرة ١٩٥٥ .

متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى او عصر النهضة فى الاسلام
Die Renaissances des Islams.

محمد مهدي ، فلسفة ارسطو طاليس ، بيروت ١٩٦١ .

محمد حلمي ، الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٩/١٣٧٨ .

محمود قاسم ، الفيلسوف المفترى عليه ابن رشد ، القاهرة .

المدهر جميل نخلة ، حضارة الاسلام فى دار الاسلام ، القاهرة ١٩٣٢ .

مراد كامل ، حضارة مصر فى العصر القبطى ، القاهرة

مراد كامل والبكري ، تاريخ الادب الميراني من نشأته الى الفتح الاسلامي ، ١٩٤٩ .

مرزوق ، الزخرفة المنسوجة في الاقمشة الفاطمية ، القاهرة ١٩٤٢ .

الفن المصري الاسلامي ، مجموعة اقرا ، عدد ١٤٤ .

الفنون الزخرفية الاسلامية في مصر قبل الفاطميين ، القاهرة ١٩٧٤ .

المسعودي ، كتاب التنبيه والاشراف ، تحقيق De Coeje ، ط . ، Brill ، ١٨٩٤ .

مصطفى جواد ، نساء الخلفاء المسمى جهات الاثمة من الحرث والاماء ، دار المعارف .

مصطفى العبادي ، مكتبة الاسكندرية القديمة ، القاهرة ١٩٧٧ .

مصطفى عبد الرازق ، فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، القاهرة ١٩٤٥ .

مصطفى مندر ، مذاهب التفسير الاسلامي ، حوليات كلية الاداب جامعة عين شمس ١٩٦٤ ، المجلد ٩ ، ص ٤٠٩ .

المقري ، نفخ الطيب ، ١٣٠٢ هـ .

المقريزي ، اغاثة الامة بكشف الغمة ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٧ .

الخطط ، ٤ اجزاء ، القاهرة ١٣٢٦ .

ابن ابي المكارم (ت ٦٤٢ هـ) ، كتاب الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد وغيره ، ١٩٦٠ .

ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، القاهرة ١٩٤٣ .

- مؤلف مجهول ، الطببخ فى المغرب والاندلس ، تحقيق
Miranda ، مدريد ١٩٦٥ .
- تاريخ الجغرافيسـة والجغرافيين فى
الاندلس ، مدريد ١٩٦٧/١٣٨٦ .
- مبيلى ، العلم عند العرب واثره فى تطور العلم
العالمى ، نقله النجار ومحمد موسى ،
القاهرة ١٩٦٢/١٣٨١ .
- ناصر خسرو ، سفر نامه ، ترجمة الخشاب ، ط ١ ،
القاهرة ١٩٤٥/١٣٦٤ .
- نامى ، اصل الخط العربى وتاريخ تطوره الى
ما قبل الاسلام ، بحث مستخرج من مجلة
كلية الاداب ، المجلد الثالث ، العدد الاول ،
القاهرة ١٩٣٧ .
- النجار ، الموالى فى العصر الاموى ، مذيّل ببحث
عن الرق والولاء فى الاسلام ، القاهرة
١٩٤٩ .
- نجم الدين محمود (القرن ٧ ق) ، كتاب الحاوى فى علم التداوى ، نص
وترجمة وتحقيق ومقدمة Guiges ،
بيروت ١٩٠٣ .
- ابن النديم ، كتاب الفهرست ، تحقيق Flugel ،
١٨٧١ .
- النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، ط ٢ ،
القاهرة ١٩٦٢ .
- أبو نصر العطار ، كتاب منهاج الدكان ودستور الاعيان فى
اعمال وتركيب الادوية النافعة للابدان ،
القاهرة ١٢٧٨ هـ .
- التعنىمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، نشر جعفر
الحمنى ، فى جزمين ، دمشق ١٩٤٨ -
١٩٥١ .

- نفيس احمد ، جهود المسلمين فى الجغرافيا ، ترجمة
فتحي عثمان ، الالف كتاب .
- نقولا زيادة ، صور من التاريخ العربى ، القاهرة
١٩٤٦ .
الرحالة العرب ، ١٩٥٦ .
دراسات اسلامية ، باشرافه ، بيروت
١٩٦٠ .
- ابو نعيم الاصبهاني ، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ١٠
اجزاء ، ط ١ ، القاهرة ١٣٥١/١٩٣٢ .
- نلينو ، علم الفلك - تاريخه عند العرب فى القرون
الوسطى ، ملخص المحاضرات التى القاها
بالجامعة المصرية Roma ١٩١١ .
- نيكلسون ، فى التصوف الاسلامى وتاريخه ، ترجمة
ابى العلا عفيفى الى العربية ، القاهرة
١٩٤٧ .
- الهجویری ، كشف المحجوب ، وهو نص فارسى ترجمة
Nicholson ، بعنوان :
The Oldest Persian Treatise on Sufism.
Leyde, 1191.
وظهرت له ترجمة عربية من اعداد
عبد الهادى ، القاهرة ١٩٧٤ .
- ابن هذيل ، كتاب حلية الفرمان وسعار التشجعان ،
تحقيق وتعليق عبد الغنى ، دار المعارف .
- الهرقمى ، صاحب المامون ، مختصر سياسة الحروب
لتحقيق عون ، مراجعة زيادة ، القاهرة .
- هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمه وعلق حواشيه
واضاف اليه فصلا فى التاريخ عند العرب
عبد الحميد العبادى ، القاهرة ١٩٣٧ .

- هل
، الحضارة العربية ، ترجمة العدوى ،
القاهرة .
- ابو هلال الصابى
، تحفة الاسماء فى تاريخ الوزراء ،
القاهرة ١٩٥٨ .
- ابن الهيثم
، مجموعة تشمل ثمانى رسائل ، الهند
١٣٥٧ .
- واصف بطرس غالى
، تقاليد الفروسية عند العرب ، ترجمة انور
لوقا ، دار المعارف .
- الوثرى ومعمار
، تاريخ الطب فى العراق ، بغداد ١٩٣٩ .
، الطريف والظرفاء ، ١٣٢٤ .
- ولفنسن
، معجم البلدان ، فى ٨ اجزاء ، القاهرة
١٩٠٦/١٣٢٤ .
- ياقوت
، معجم البلدان ، القاهرة ١٩٠٦/١٣٢٤ .
- يحيى بن ماسويه
، كتاب الجواهر وصفاته ، وفى اى بلد
هى ، وصفة الغواصين والتجار ، حققه
عبد السلام ، ١٩٧٧ .
- يمن الحموى
، الجغرافيا عند العرب ، دمشق .
- يوسف كرم
، تاريخ الفلسفة اليونانية ، القاهرة
١٩٤٦ ، ط ٢ .
- اليونسكو
، اثر العرب والاسلام فى النهضة الاوربية ،
القاهرة ١٩٧٠ .
- ابن يونس
، كتاب الزيج الكبير الحاكمى ، تحقيق
وترجمة Caussin ، بعنوان :
Le Livre de la grand table Hakemite,
Paris, 1804.

(ب) الكتب الأوروبية

- Abdel Rahman Zaki : Military Literature of the Arabs. Cahiers d'histoire égyptienne. Série VII, fasc. 3, Juin 1955. p. 149 sqq.
- Abdul : The historical development of Tafsir. Isl. Cult. July 1876, p. 141 sqq.
- Aghnidos : Muhammedan Theories of Finance. New-York, 1916.
- Ahsan : Social life under the Abbasids. London, 1979.
- Ambros : Geschichte der Musik. Breslau, 1862.
- Ammar Shim : En Souvenir de la Medecine arabe, 1962.
- Arberry : An Introduction of the history of Sufism. London, 1943.
- Arnold : Painting in Islam. Oxford, 1928.
- Ayalon : Gunpowder and firearms in the Mamluk kingdom. London, 1956.
- Aynard : L'Orient et la Grèce antique. Paris, 1955.
- Asin Placios : Aben masarra y Su escuela. Origenes de la filosofia hispano-musulmana. Madrid, 1914.
- Badawy : Architectural provision against heat in the Orient. J. of the near eastern studies, xvii, 1958, B. 122-8.

- Bahgat Bey** : Les manufactures d'étoffes en Egypte au Moyen Age. Le Caire, 1904.
- Bailey** : The Catalogue of Ptolemy. Memories of the R. Astronomical Society, tXIII. London, 1943.
: The Arts and Religion. New-York, 1944.
- Ball** : A Short Account of the History of Mathematics. London, 1927.
- Barbier de Meynard** : Ibrahim, fils de Mehdi. J. A., 1869.
: Dictionnaire géographique historique et littéraire de la Perse et des contrées adjacentes, extrait du Modjam al-Bouldan. Jaqout et complété a l'aide de documents arabes et persans. Paris, 1862.
- Barthold** : Musulman Culture. Calcutta, 1934.
- Becker** : Christentum und Islam. Tübingen, 1907.
: Islamstudien. 2 Vols. Leipzig, 1924-32.
- Bergstrasser** : Hunain ibn Ishâq und seine Schule. Leiden, 1933.
: Neue Materialien zur Hunain. Heidelberg, 1924.
- Bernard Lewis** : The Arabs in History. London.
- Berthelot** : La chimie au Moyen Age, 3 Vols. t III, L'Alchimie arabe. Paris, 1893.
- Biddle** : The Developpment of the Bureaucracy of Islamic Empire during the late ummayyad and Early, Abbasid Period. Austin, 1972.

- Bü** : A Short account of the history of Mathematics. London, 1927.
- Björkman** : Beiträge zur geschichte der Staatskanzlei im islamischen Agypten. Hamburg, 1927.
- Blachère** : Histoire de la littérature arabe des origines jusqu'à la fin du xve siècle. Paris, 1952, II.
- Blackmar (Frank)** : History of Human Society. New York, 1926.
- Bourgoin** : Les Arts Arabes. Paris, 1868.
- Bousquet** : Le droit musulman. Paris, 1963.
- Breasted** : Papyrus Edwin Smith. Chicago, 1930.
- Bréhier** : Les Institutions de l'empire Byzantin. Paris, 1949.
- Browne** : A Literary History of Persia. 4 Vols. Cambridge, 1920-1930.
: Arabian Medicine. Cambridge, 1921. "La médecine arabe", trad. Renaud, Paris 1933.
- Brockelmann** : Geschichte der Arabischen litteratur. Weimar, 1898-1902.
« وله ترجمة عربية »
: Supplement-Band. 3 Vols. Leyde, 1937-42.
- Brunchvig** : Urbanisme médiévale et droit musulman R. E. I., 15, 1947, 127-55.
- Buri** : A study on the Beginnings of History writing in Islam. Bull. of the Sch. of Or and

African Studies, Vol. XIX. Paris, 1957, p. 1
seq.

- Bury** : The Imperial Administrative System in the
tenth century. London, 1911.
- Cafri** : Biblioteca Arabico-Hispàna. Esurialensis.
Matriti, 1760.
- Cahen** : L'évolution de l'qtà' du IXe au XIIe. siè-
cle : Contribution à une histoire des Soci-
étés médiévales. (Economies Société-Civili-
sations). Paris, 1953, pp. 25-52.
: L'histoire économiques et Sociale de
L'Orient musulman médiéval. S. I. t3,
1955, p. 95-115.
- Cake** : The Arab's place in the Sun. 1929.
- Cambridge** : Medieval History. Vols III, IV, V. Cam-
bridge, 1936.
- Cameron Gruner** : A treatise of the canon of medicine of
Avicenna. London, 1930.
- Campbell** : Arabian Medicine and its influence on the
middle Age. 2 Vols. London, 1926.
- Çanard** : Le cérémonial fatimite et Le cérémonial
byzantin. Essai de comparaison. Byzantion
XXI, pp. 355-420.
: Falaqa. Arabica Rev. d'Etudes Arabes. tI
sept, 1954. Fasc. 3.
: Bagdad au Ixe siècle de l'Hégira. Arabica,
1962.
- Carra de Vaux** : L'Almageste d'Abu'l-Wéfa J. A. XIV,
1892, p. 408-471.

- : L'Astrolabe Hhéaire ou bâton d'el-Toual.
J. A. V., 1895, p. 464.
: Les penseurs de L'Islam., 5 Vols. Paris,
1921-1926.

Caussin de Perceval : Notice sur les musiciens arabes, J. A., 1873.

Cash : Christendom and Islam. 1937.

Chabot : L'école de Nisibe. in J. Soc. Asiat. 1896.

Charles Diehl et Marçais : Histoire du Moyen Age. Paris.

Christensen : Some Notes on Persian Melody. Names of
the Sasanian period. S. D. Dastur Hosch-
amy Memorial. volume.

Christianowitsch : Esquisse historique de la musique arabe
aux temps anciens. Cologne, 1863.

Classicisme et Déclin culturel dans l'Histoire de l'Islam.
Actes du symposium international d'Histoire
de la civilisation musulmane. Paris, 1956-
1957.

Clerget : Le Caire, étude de géographie urbaine et
d'Histoire économique. 2 Vols. Le Caire,
1927.
: De quelques caractères communs et distin-
ctifs des villes arabes dans l'Orient médiéval.
Cong. int. de Géog. Paris, 1931. t3. pp. 438-
44.

Contenu : La civilisation de l'Islam. Paris, 1935.

- Coulton** : Life in the middle-Ages. 4 Vols. Cambridge, 1928.
: A History of Islamic law. 1964.
- Creswell** : Early Muslim architecture. Umayyads Abbassides and Tulunides. 2 Vols. Oxford, 1932-1941.
- Crump** : The Legacy of the Middle Ages. Oxford, 1926.
- Daniel (Salvador)** : La musique arabe. Ses rapports avec la musique grecque et le chant grégorien. Alger, 1879.
- D'Avezac** : Notice des découvertes faites au Moyen Age dans l'Océan Atlantique antérieurement aux grandes explorations portugaises du quinzième siècle Paris, 1845.
- De Boer** : Geschichte der philosophie im Islam. Sturtgart, 1901. transl. into English by Jones : 2ed. London, 1939.
- Delambre** : Histoire de l'Astronomie du moyen-âge. Paris, 1819.
- Derenbourg** : Souvenirs historiques et recits de chasse. Paris, 1895.
- D'Erlanger** : Alfarabi. Grand Traité de la Musique (Musique arabe II). Paris 1930.
- De Sacy** : Nouveau aperçus sur L'Histoire de L'Ecriture chez les Arabes du Hedjaz. Paris, 1827.

- De Tassy : Les noms propres et les titres musulmans.
Paris, 1878.
- De Wulf : Histoire de Philosophie Médievale. 2 Vols.
London, 1924.
- Dominique Sourdel : L'Islam. Que sais-je. Paris, 1949.
: Question de cérémonial abbaside R. E. I.
1960, p. 121-148.
- Dozy : Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes. Amsterdam, 1845.
: Glossaire des mots Espagnols et Portugais dérivés de l'Arabe. Leyde, 1869.
: Essai sur l'histoire de l'Islamisme, traduit du Hollandais par Chauvin. Paris-Leiden, 1879.
: Supplément aux Dictionnaires Arabes. Leyden, 1881.
- Dupont et Goppolani : Les Confréries religieuses musulmanes.
Alger, 1897.
- Draper : A History of the Intellectual Development of Europe, 1914.
- Dresens : Globus coelestis. arabicus. Lipséal, 1865.
- Dubler : Survivance de l'ancien Orient dans l'Islam, 1957.
- Dugat : Etudes sur la Traité de Médecine. Paris, 1853.
- Duhem : Le système de monde. Histoire des doctrines cosmologiques de Platon et Copernic, t. III. Paris, 1915.

- Dural** : La littérature syriaque. Paris, 1967.
- Durant** : Our Oriental Heritage. New York, 1954.
- Duvot** : Histoire d'Edesse. Paris, 1892.
: La Littérature Syriaque. Paris, 1900.
- Ebersolt** : Orient et Occident. Recherches sur les influences byzantines et orientales en France avant et pendant les Croisades. Paris, 1954.
- Encyclopédie de l'Islam** : Iéd. Leyde, 1913-1942 ; 2éd. Paris, 1954 sqq.
- Eyre** : European Civilization. Its origin and development, Vol. 3. Oxford, 1935.
- Fahmy** : Muslim Sea-Power in the East Mediterranean, from the Seventh to the Tenth Century, AD. 3ed. Alex., 1966.
- Farès (N)** : The Arab Heritage. Princeton, 1944.
: Une miniature religieuse de l'école arabe de Bagdad, le Caire, 1948.
- Fattal** : La statut légal des non-Musulmans en pays d'Islam. Paris, 1947 (Thèse).
: Comment les dhimmis étaient jugés en terre d'Islam. Cahiers d'histoire égypt. Série III, 321. Fasc. 4, Mai, 1971.
- Ferrand** : Relations de voyage et textes géographiques arabes, persanes et turcs. 2 Vols. Paris, 1913-4.
- Folligno** : Latin Thought during the Middle Ages. Oxford, 1929.

- Fischel** : The origin of Banking in mediaeval Islam.
J. R. A. S., April, 1933.
- Frye** : The Golden Age of Persia. The Arabis in
East. London, 1973.
- Fynee** : Law and Culture in Islam. Isl. Cult. XVII,
No. 4, Oct., 1943.
: Islamic Culture. Bombay, 1944.
- Gabrieli** : Avicenna. Archeion, IV., 1923.
: Les fouilles d'al-Foustat et les origines de
la maison arabe en Egypte, Paris, 1921.
- Galland** : Essai sur les Mo'tazalites, les Rationalistes
de l'Islam. Paris.
- Gallotti** : Le jardin et la maison arabe au Maroc, 2
Vols. Paris, 1926.
- Gardet** : La pensée religieuse d'Avicenné. Paris, 1931.
: La Cité musulmane. Vie sociale et politique.
Paris, 1934.
: Humanisme musulman d'hier et aujourd'hui.
Elements culturels de base. Paris, 1944.
- et Anawati** : Introduction à la théologie musulmane.
Essai de théologie comparée. Paris, 1948.
- Gauthier** : Ibn Thofail : Sa vie, ses oeuvres. Paris,
1909.
: Moeurs et coutumes des Musulmans. Paris,
1931.
- Gayet** : L'Art arabe. S. d.

- Gibb** : La Structure de la Pensée Religieuse de l'Islam, trad. de l'anglais par Jeane et Felix Arin. Paris, 1950.
: The Evolution of Government in Early Islam. *Studia Islamica* t IV, 1953, p. 5 sqq.
: The influence of Islamic Culture on Medieval library. Manchester. XXXVIII, 1953. p. 82-98.
- Gierke** : Political Theories of the Middle Ages, transl. by Maitland. Cambridge, 1927.
- Gilles de la Tourette** : L'Orient et ses peintures de Venise, Paris, 1923.
- Gilson** : La Philosophie au Moyen Age. Paris, 1947.
- Glaser** : Skizze der Geschichte und Geographie Arabiens. Zweiter Band. Berlin, 1890.
- Goblet d'Aviella** : Ce que l'Inde doit à la Grèce. Paris, 1898.
- Goichon's** : The Philosophy of Avicenna and its Influence on Medieval Europe. Translated from the French by M. S. Khan. Delhi.
- Goitein** : The Cairo Geniza as a source for the history of Muslim civilization S. I., V, III, 1955.
: The documents of the Cairo Geniza as a source for the Mediterranean social history. J. A. O. S. Vol 80, 1960, p. 91-100.
- Goldziher** : Muhammedanische Studien. 2 Vols. Halle, 1888-90.

- : Le dogme et la loi de l'Islam. trad. Paris, 1920.
- : Etudes sur la tradition islamique, extraits du tome II, des Muhammedanische Studien, traduites par Léon Bercher, Paris, 1952.

- Gomparz : Greek Thinkers, transt. Berry, 1913.

- Grenier : L'Empire byzantin, son évolution sociale et politique. 2 Vols. Paris, 1904.

- Guémard : De l'armement et de l'équipement des Mameluks. Le Caire, 1926.

- Guerdon : Vie, Grandeurs et Misères de Byzance, Paris, 1954.

- Guilland : Etudes sur l'histoire administrative de l'Empire byzantin. Byzantion. tX LI, 1971, p. 78-104.

- Hamidullah : L'Afrique découvre L'Amérique avant Christophe Colomb. Revue Culturelle du monde noir. Février-Mai, 1958.
 : Influence of Roman Law on Muslim law ap. Journal of the Hyderabad Academy. Madras, 1943.

- Hammad : L'évolution de la chaire dans la vie religieuse en Egypte. Cahiers d'histoire égyptienne. Série VIII, p. 117.

- Hankel : Storia delle Matematiche GH Arabi. Roma, 1873.

- Haskings : Studies in the History of Mediaeval Science. Cambridge, 1927.

- Haskins** : The Rise of Universities. New York, 1957.
- Harvord** : A History of Science. Ancient Sciene through the Golden Age of Greece, 1952.
- Hantecoeur et Wiet** : Les Mosquées du Caire. tI. Paris.
- Hearnshaw** : Mediaeval Contribution to modern Civilisation. London, 1921.
- Heinrich** : Die Mathematiker und Astronomen dei Araber und ihre Werke. Leipzig, 1900.
- Hitti** : The origins of Islamic State. New York, 1916.
- Hughes** : Dictionary of Islam. 2ed. London, 1896.
- Huart** : Etude sur trois musiciens arabes. J. A., 1884.
- Inostrantsev** : Iranian Influence on Moslem literature, transla ed by Nariman. Bombay, 1918.
- Jourdan** : Recherches critiques sur L'Age et l'origine de traductions latines. Paris, 1843.
- Khalrallah** : Outline of the arabic contribution to Medicine and the allied sciences. Beirout, 1946.
- Karabacek** : Des Arabische Papier. Eine historisch-antiquarische Untersuchung, 1887.
- Kendrick** : Catalogue of Muhammadan Textiles of the Mediaeval Period. London, 1924.
- Khudda Bukah** : Contributions to the History of Islamic Civilisation. 2 Vols. Calcutta, 1929-30.
- Kiesewetten** : Die Musik der Araber nach originalquellen. Leipzig, 1842.

- Kondakov** : Les Costumes Orientaux à la Cour byzantine, in Byzantion vol. I.
- Kremer** : Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen. 2 Bande Vienna, 1875-1877.
- Kraus** : Studien zu Jābir ibn Hayyān. Isl. XV, 1931, p. 1-30.
- Lambert** : Les origines de la mosquée et l'architecture religieuse des Omeyyades. *Studia Islamica*. Paris, 1956, p. 5 sqq.
: L'Art musulman et l'art chrétien dans la Péninsule ibérique. Toulouse, 1958.
- Lamméas** : Croyances et Institutions, 2ed. Beyrouth, 1941.
- Land** : Recherches sur l'Histoire de la gamme arabe. Yeyde, 1884.
- Lane-Poole** : Arabian Society in the Middle Ages. London, 1883.
- Lapidus** : The Separation of state and Religion in the Development of Early Islamic Society I. J. M. E. S. 6, 1975, 363-85.
- Lecerf** : Note sur la famille dans le monde arabe et Islamique. *Arabica*. y III (Jan., 1956 Fas., I. p. 31 sqq.
- Lecomte** : Sur la vie scolaire à Byzance et dans l'Islam. *Arabica*. Sept., 1954.
- Leclerc** : Histoire de la médecine arabe. 2 Vols. Paris, 1876.

- Lévi-Provençal** : L'Espagne musulmane aux Xe siècle : Institutions et vie sociale. Paris, 1932.
: La civilisation arabe en Espagne. Paris, 1948.
- Levy, Reuben** : Notes on costume from arabic sources. J. R. A. S., 1935. pp. 319-55.
- Lézine** : La protection contre la chaleur dans l'architecture musulmane d'Egypte, B. E. O. I. P. de mamas, tXXIV. Année, 1971, p. 7 sqq.
- Lichtenstadter** : The Distinctive dress of non-Muslims in Islamic countries in Historia indaica, 1943, Vol. V. pp. 35-52.
- Macdonald** : Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory. New York, 1903.
- Madkour** : La place d'al-Fârâbi dans l'école philosophique musulmane. Paris, 1934.
- Marcel Devic** : Coup d'oeil sur la littérature géographique arabe au Moyen-Age. Paris, 1882.
- Marzouk** : History of Textile industry in Alexandria. Alex., 1955.
- Massé** : Croyances et coutumes persanes 2. Vols. Paris, 1938.
- Marçais** : Manuel d'art musulman. Paris, 1926.
: La conception des villes dans l'Islam. Revue d'Alger, II, 1945.
- Margaret (S)** : Râbi'a the Mystic. Cambridge, 1928.
: Studies in early mysticism in the Near and Middle East. London, 1931.

- Margoliouth** : Origins of Arabic Poetry in J. R. A. S. 1925, 417-49.
- Martin, E. R.** : A History of Oriental carpets before 1800. Vienna, 1908.
- Massignon** : La passion d'al-Hallag, martyr mystique de l'Islam. 2 Vols. Paris, 1922.
- Mayer** : Saracenic Arms and Armor (in Ars Islamica) 1943, Vol. X, pp. 1-12.
: Mamluk Costume. Genève, 1952.
- Mazahéri** : La vie quotidienne des musulmans au Moyen Moyen Age. Xe au XIIIe siècle, Paris, 1951.
- Max Simon** : Anatomie des Galen. 2 Band. Leipzig, 1906.
- Mehdi Berkechly** : L'art Sassanide, base de la musique arabe. Téhéran, 1947.
- Mehren** : Exposé de la réforme de l'islamisme commencée au IIIe siècle de l'hégire par Abou-1-Hasan el-Ash'ari. Leiden, 1879.
- Mercler** : La chasse et les sports chez les Arabes. Paris, 1927.
- Millénaire d'Avicenne** : La Revue du Caire. Juin, 1951.
- Meyerhof** : Le monde islamique. Paris, 1926.
: La découverte de la circulation pulmonaire par Ibn an-nafis. Médecine arabe du Caire. XIIIe. Siècle, 1931.
: Science and Medicine in the Legacy of Islam. Oxford, 1931.
: La fin de l'école d'Alex. d'après quelques auteurs arabes. Le Caire, 1933.

- : Esquisse d'histoire de la pharmacologie et botanique chez les musulmans d'Espagne. Al-Andalus (Madrid), III, 1935, p. 1-42.
- : Transmission of Science to Arabs. Isl. Cult. Vol. XI, 1938.
- Nallino** : La littérature arabe des origines à l'époque de la dynastie umayyade, trad. Pellat. Paris, 1950.
- : Notes on the Nature of the Caliphate in general. Rome, 1919.
- Nicholson** : The mystics of Islam. London, 1914.
- : A literary History of the Arabs. London, 1923.
- Noldeke** : Geschichte des Qorâns, complétée par Schawilly. Göttingen, 1909-1938.
- Norman Daniel** : The Arabs and Mediaval Europe. London, 1975.
- O'Leary** : Arabic thought and its place in History. London, 1954.
- Oman** : The Art of War in the Middle Ages. A. D. 378-1515. New York, 1960.
- Parisot** : Musique orientale. Paris, 1898.
- Pauty** : Les palais et les maisons d'époque musul- au Caire, 1933.
- : Les hammams du Caire, 1937.
- : Villes spont anées et villes créés, en Islam A. I. E. O., 9, 1951, p. 52 - 75.
- Perez, Elia** : Oriental rugs and Textiles. 1953.
- Perron** : L'Islamisme, son institution, son influence et son avenir. Paris, 1877.

- Remmes arabes avant et depuis l'Islamisme.**
Alger, 1858.
- Pingree** : The Greek influence on Early islamic Mathematical Astronomy. J. of the Am. Or S. 1970. Vol. 93.
 : The Fragments of the work of al-Fāzari. J. N. E. S., 1970, 103-123.
- Plandhol** : Le monde islamique. Essai de géographie religieuse, Paris, 1957.
- Quatremère** : Memoire sur les asiles chez les Arabes. Paris, 1845.
 : Observations sur le feu Gregcois. 1850.
- Renan** : Averroès et l'Averroïsme. Paris, 1866.
- Ranking** : The Life and works of Rhazes. London, 1914.
- Reinaud** : Relation des voyages faits par les Arabes et les Persans dans l'Inde et à la Chine dans le IXe siècle, texte arabe et traduction française, introd. et notes. 2 Vols. Paris, 1845.
 : De l'Art Militaire chez les Arabes su Moyen Age. Paris, 1848.
 : Introduction à la Géographie des Orientaux. Paris, 1848.
- René Grousset** : Bilan de l'Histoire. Paris, 1946.
 et Massignon, Masé : L'Ame de l'Iran. Paris, 1944.
- René Khoury** : Le Caire au Moyen Age. Cah. d'histoire égyptienne série v. Fasc. 5, 6, Dec., 1953, p. 302-307.

- Ribera** : Historia de la música árabe medieval y su influencia en la española. Madrid, 1927.
- Risler** : La civilisation arabe. Paris, 1955.
- Rodolphe d'Erlanger** : La musique arabe, 4 tomes. Paris, 1930-1939.
- Runciman** : La civilisation byzantine 330-1453, trad. Lévy. Paris, 1952.
- Ruska** : له ترجمة عربية (لم تستخدم) ١٩٦٠ .
: Arabische Alchemie. Archelon XIV. 1932, p. 425-435.
- Ruiz-Moraled** : Cultural Relations between Spain and the Arab World. Lecture. Madrid, 1900.
- Sanhury** : Le Califat. Paris, 1926.
- Sarton** : Introduction to the history of Science, 1950.
- Sauvaget** : La poste aux chevaux dans l'empire des mamelouks. Paris, 1941.
La mosquée ommeyyade de Médine. Etude sur les origines architecturales de la mosquée. Inst. Français de Damas. Paris, 1947.
- Schacht** : The origins of Muhammeden jurisprudence. Oxford, 1950.
: Remarques sur la transmission de la pensée Grecque aux Arabes (Hist. de la Médecine) II, 1952.
- Schwarzlose** : Kitâb al-Silâh, die Waffen, Leipzig, 1886.
- Sédillot** : Matériaux pour servir à l'histoire comparée des sciences mathématiques chez les Grecs et les Orientaux. Paris, 1845-1849.

- Seignbos** : History of Mediaeval civilisation, 1908.
- Serjeant** : Material for a history of Islamic Textiles. Ars Isl. (X-XII), 1942-6 et (XII-XIV), 1948.
- Simonet** : Historia de los mosarabes de Espana. Madrid, 1897-1903.
- Spink and G. Lewis** : Abbucasis in surgery and instruments. California, 1973.
- Sourdel J.** : La civilisation de l'Islam classique. Paris, 1968.
- Stainsneider** : al-Fārābī. St Betersbourg, 1869.
- Syed Ameer Ali** : The spirit of Islam. London, 1929.
- Talas** : La Madrasa Nizamiyya et son Histoire. Paris, 1939.
- Taton** : Histoire générale des sciences, des origines à 1450. Paris, 1957.
- Taylor** : The Mediaeval Mind. 2 Vols. London, 1930.
- Terrasse** : Islam d'Espagne. Une rencontre de l'Orient et de l'Occident. Paris, 1958.
- Thorndike** : Science and Thought in the Fifteenth Century. New York, 1929.
: A History of Magic and experimental Science. 4 Vols. 2 ed. New York, 1929-1934.
- Toynbee** : A study of History. Oxford, 1955.
- Trend** : The Legacy of Islam. Oxford, 1931.
- Tritton** : Materials on Muslim Education in the Middle Ages. London, 1957.

- Tyan** : Le Califat. Paris, 1934.
: Histoire de l'Organisation judiciaire en pays d'Islam. 2 Vols. Paris, 1943-1957.
- Walidi (Ahmad)** : Islam and the science of Geography. Isl. Cult. Hyderabed, Vol. VII, 1934.
- Wellhausen** : Skizzen und Vorarbeiten. 6 Vols. Berlin, 1884-1898.
- Weryho** : Syriac influence on Islamic Iran. R. Folia Or. Vol. XIII, Warsawa, 1972, p. 199 sqq.
- Westermann** : Les peuples et les civilisations de l'Afrique. Paris.
- Wiedemann** : Über die Uhren im Bereich der Islamischen Kultur. Halle, 1915.
: Zu Ibn al-Haithams Optik. Leipzig, 1910.
- Wiet** : Tapis égyptiens. Arabica. Jan., 1959. Fasc. I. t VI, p. I sqq.
: Grandeur de l'Islam. Paris, 1961.
- Woepcke** : Sur l'introduction de l'Arithmétique indienne en Occident. Rome, 1859.
- Wustenfeld** : Die Geschichtelher der araber. Gottingen, 1882.
- Zaki Pacha** : Une seconde tentative des Musulmans pour découvrir l'Amérique en C. I. E., 2, 1920, p. 57-59.

تصويب الخطأ


الصفحة	الخطأ	المصواب
٧	حقبتها	حقبها
١١	ترك آثار	ترك آثاراً
١٣	القيمة	القديمة
١٦	ما	كما
٢٢	غير واضح	Mavellae Constitutiones
٢٣	بمروز	بمرور
٢٤	للموانين	للقوانين
٢٩	ويطرز	ويطرز
٣٢	تحوله	تحول
٣٣	امر الخليفة . الذي	امر الخليفة : الذي
٤١	يتزايد	يتزايد
٤٥	مكسور	مكور
٤٩	الاقليم	الاقليم
٦٠	بيوت	بيوت
٧٥	" Stolos "	" Stolos "
٧٧	خمسمائة ألف	خمسمائة والف
٨٦	اولاده	اولادهم
٩١	والكتانين	والكتانيين
٩٢	ما ليث	ما لبثت
١٠٢	تحتج	تحتلج
١٠٨	سوراتهم	عوراتهم
١١٢	دوائب	ذوائب
١١٧	Cnion	Chiffon
١١٨	حصر	مصر
١١٧	ومن الطريق	ومن الطريق
١٢١	خصائص القصور	الرسوم
٢١١	ابن خلن	ابن خلدون
٢٢٤	ابن سيناء	ابن سينا
٢١٥	لشفاء	الشفاء
٢٢٥	لذي	الذي

المصواب	الخطأ	الصفحة
لكعب	لكعب	٢٣٠
الكرخي	الكرخي	٢٣٢
فصل	فتصل	٢٣٣
والأرتب	والأرنت	٢٣٥
المعلومات	المعلومات	٢٣٩
اسماعيل	اسماعيل	٢٤٠
تتأخمه -	تتأخمه	٢٤١
وابن رسته	وان رسته	٢٤٣
الدهر	الدهز	٢٤٥
تكوين	تكوين	٢٤٦
الجبال	الجيال	٢٤٧
المانخوليا	المانخوليا	٢٥٤
باسمائها	بسمائها	٢٥٤
يمنع	حنع	٢٥٥

**HISTOIRE DE
LA CIVILISATION MUSULMANE
AU MOYEN AGE**

**Pro. Dr.
A. M. MAGUED**

Cinquième Edition

**Le Caire, 1987
Librairie Anglo-Egyptienne
 : 3914337**